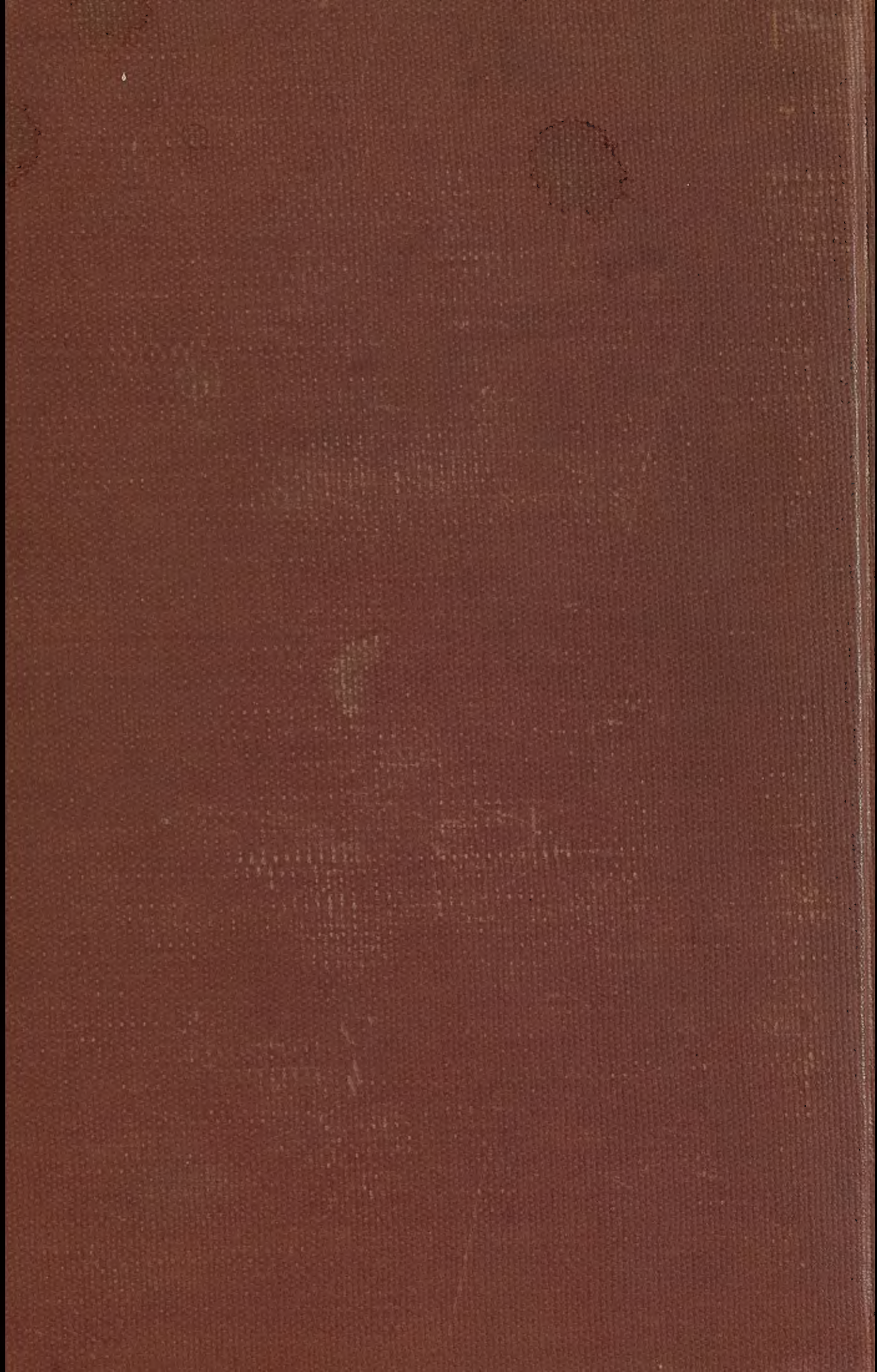






Columbia University  
in the City of New York

LIBRARY

















LIBRARY  
UNIVERSITY  
COLLEGE

1. The first part of the book is devoted to a general  
introduction to the subject of the book.  
2. The second part of the book is devoted to a  
detailed description of the various methods  
used in the study of the subject.  
3. The third part of the book is devoted to a  
detailed description of the various results  
obtained in the study of the subject.  
4. The fourth part of the book is devoted to a  
detailed description of the various applications  
of the subject to other branches of science.  
5. The fifth part of the book is devoted to a  
detailed description of the various historical  
developments in the study of the subject.  
6. The sixth part of the book is devoted to a  
detailed description of the various philosophical  
aspects of the subject.  
7. The seventh part of the book is devoted to a  
detailed description of the various practical  
applications of the subject.  
8. The eighth part of the book is devoted to a  
detailed description of the various theoretical  
aspects of the subject.  
9. The ninth part of the book is devoted to a  
detailed description of the various experimental  
aspects of the subject.  
10. The tenth part of the book is devoted to a  
detailed description of the various mathematical  
aspects of the subject.



\* فهرسة الجزء الاول من تاريخ العلامة ابن خلدون \*

المقدمة في فقه علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين  
من المغالط والاهام وذكر شئ من اسبابها

٢٩ الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر  
والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل  
والاسباب (وفيه ست فصول كبار)

٣٤ الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه  
مقدمات

٣٤ المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري

٣٦ المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من  
الانبجاء والانهار والاقاليم

٤٠ تكمله لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراناً من  
الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك

٤٣ تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

٤٤ الاقليم الاول

٤٨ الاقليم الثاني

٤٩ الاقليم الثالث

٥٥ الاقليم الرابع

٦٠ الاقليم الخامس

٦٥ الاقليم السادس

٦٧ الاقليم السابع

٦٩ المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر  
والكثير من أحوالهم

٧٢ المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر

٧٣ المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ  
عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم

٧٧ المقدمة السادسة في أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة أو بالرياضة  
ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا



٨٠ حقيقة النبوة والكهانة والرؤيا وشأن العرافين وغير ذلك من غريب الأخبار في كتابه المسمى

١٠١ الفصل الثاني من الكتاب الأول في العمران البدوي والاجم المحدثين  
والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه أصول وعهدات

١٠١ فصل في أن أجيال البدو والحضر طبيعية

١٠٢ فصل في أن جيل العرب في الخلقة طبيعي

١٠٣ فصل في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية أصل العمران  
والامصار مدد لها

١٠٣ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر

١٠٥ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر

١٠٦ فصل في أن معاناة أهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم

١٠٧ فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل أهل العصية

١٠٨ فصل في أن العصية انما تكون من الالتحام بالنسب أو بما في معناه

١٠٩ فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب  
ومن في معنائهم

١١٠ فصل في اختلاط الانساب كيف يقع

١١٠ فصل في أن الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصية

١١١ فصل في أن الرئاسة على أهل العصية لا تكون في غير نسبهم

١١٢ فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لأهل العصية ويكون لغيرهم  
بالمجاز والشبه

١١٣ فصل في أن البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع انما هو بمواليهم  
لابانسابهم

١١٤ فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء

١١٦ فصل في أن الامم الوحشية أقدر على التغلب من سواها

١١٧ فصل في أن الغاية التي تجرى اليها العصية هي الملك

١١٨ فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم

١١٨ فصل في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم

١١٩ فصل في أن من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

١٢١ فصل في أنه اذا كانت الامّة وحشية كان ملكها أوسع



فصل في أن الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلا بد من عودته الى  
جميع آخر منها مادامت لهم العصبية  
فصل في أن المغلوب مولع أبدا بالاعتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر  
أحواله وعوائده

١٢٤ فصل في أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء

١٢٥ فصل في أن العرب لا يتغلبون الا على البسائط

١٢٥ فصل في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب

١٢٦ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر  
عظيم من الدين على الجملة

١٢٧ فصل في أن العرب أبعد الامم عن سياسة الملك

١٢٨ فصل في أن البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار

١٢٩ الفصل الثالث من الكتاب الاوّل في الدول العاتمة والملك والخلافة والمراتب  
السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومقومات

١٢٩ فصل في أن الملك والدولة العاتمة انما يحصل بالقبيل والعصبية

١٢٩ فصل في أنه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى عن العصبية

١٣١ فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغنى عن العصبية

١٣٢ فصل في أن الدول العاتمة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين اتمام نبوة  
أو دعوة حق

١٣٢ فصل في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي  
كانت لها من عدد

١٣٣ فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تنم

١٣٥ فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها

١٣٦ فصل في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القاعين بها في  
القلة والكثرة

١٣٧ فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة

١٣٩ فصل في أن من طبيعة الملك الانفراد بالجمد

١٣٩ فصل في أن من طبيعة الملك الترف

١٤٠ فصل في أن من طبيعة الملك الدعوة والسكون



- ١٤٠ فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالجمد وحصول الترف  
والدعة أقبلت الدولة على الهرم
- ١٤٢ فصل في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص
- ١٤٤ فصل في انتقال الدولة من البدأة الى الحضارة
- ١٤٦ فصل في أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة الى قوتها
- ١٤٦ فصل في أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الاطوار
- ١٤٨ فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها
- ١٥٢ فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبيته بالموالى والمصطنعين
- ١٥٣ فصل في أحوال الموالى والمصطنعين في الدول
- ١٥٥ فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه
- ١٥٥ فصل في أن المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك
- ١٥٦ فصل في حقيقة الملك وأصنافه
- ١٥٧ فصل في أن ارهاق الخدم مضر بالملك ومفسد له في الأكثر
- ١٥٨ فصل في معنى الخلافة والامامة
- ١٥٩ فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه
- ١٦٤ فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة
- ١٦٨ فصل في انقلاب الخلافة الى الملك
- ١٧٤ فصل في معنى البيعة
- ١٧٥ فصل في ولاية العهد
- ١٨٣ فصل في الخطط الدينية للخلافة
- ١٨٩ فصل في اللقب بأمر المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد  
الخلفاء
- ١٩٢ فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكهنة عند  
اليهود
- ١٩٥ فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابها
- ٢٠٢ ديوان الاعمال والجبائيات
- ٢٠٥ ديوان الرسائل والكتابة
- ٢١٠ قيادة الاساطيل (وهي سفائن الحرب)

## مصحفة

- ٢١٤ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول
- ٢١٥ فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به
- ٢١٧ السرير والمنبر والتخت والكرسي
- ٢١٧ السكة
- ٢٢٠ الخاتم
- ٢٢٢ الطراز
- ٢٢٣ الفساطيط والسياح
- ٢٢٤ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة
- ٢٢٦ فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها
- ٢٢٧ فصل ومن مذاهب أهل الكفر والفرق في الحروب ضرب المصاف وراء  
عسكرهم الخ
- ٢٢٩ فصل ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتأكده في قتال الكفر  
والفرصا رملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج في جندهم الخ
- ٢٢٩ فصل وبلغنا ان أمم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم
- ٢٢٩ فصل وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم الخ
- ٢٣٣ فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها
- ٢٣٤ فصل في ضرب المكوس وأواخر الدولة
- ٢٣٤ فصل في ان التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجباية
- ٢٣٦ فصل في أن ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة
- ٢٣٧ فصل ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثر منهم  
ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخلص من ربة السلطان الخ
- ٢٣٩ فصل في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية
- ٢٣٩ فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران
- ٢٤١ فصل ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال  
وتسخير الرعايا بغير حق
- ٢٤٢ فصل وأعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على أموال  
الناس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الاثمان
- ٢٤٣ فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وأنه يعظم عند الهرم



- ٢٤٤ فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين  
 ٢٤٥ فصل في أن الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع  
 ٢٤٦ فصل في كيفية طروق الخلل للدولة  
 ٢٤٩ فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع  
 ٢٤٩ فصل في أن الدولة المستجدة انما تستولى على الدولة المستقرة بالمطاولة  
 لا بالمناجزة  
 ٢٥٢ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والجماعات  
 ٢٥٣ فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره  
 ٢٦٠ فصل في أمر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك  
 ٢٧٥ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى  
 الجفر

- ٢٨٦ الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار وسائر العمران  
 وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق  
 ٢٨٦ فصل في أن الدول أقدم من المدن والامصار وانما توجد ثانية عن الملك  
 ٢٨٧ فصل في أن الملك يدعو الى نزول الامصار  
 ٢٨٨ فصل في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير  
 ٢٨٩ فصل في أن الهيكل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة  
 ٢٩٠ فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراعاة  
 ٢٩٢ فصل وعمار اعي في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل  
 أو تكون بين أمة من الامم الخ  
 ٢٩٢ فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم  
 ٢٩٨ فصل في أن المدن والامصار بافر يقية والمغرب قليلة  
 ٢٩٩ فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى  
 من كان قبلها من الدول  
 ٣٠٠ فصل في أن المباني التي كانت تحتطها العرب بسرع اليها الخراب الا في الاقل  
 ٣٠٠ فصل في مبادئ الخراب في الامصار  
 ٣٠١ فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها ونفاق الاسواق انما  
 هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة

مخيفة

- ٣٠٣ فصل في أسعار المدن  
 ٣٠٥ فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران  
 ٣٠٥ فصل في أن الاقطار في اختلاف أحوالها بالرقة والفقر مثل الامصار  
 ٣٠٧ فصل في تأثر العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها  
 ٣٠٨ فصل في حاجات الممولين من أهل الامصار الى الجاه والمدافعة  
 ٣٠٨ فصل في أن الحضارة في الامصار من قبل الدول وأنما ترسخ باتصال الدولة  
 ورسوخها  
 ٣١٠ فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنما مؤذنة بفساده  
 ٣١٣ فصل في أن الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانهيارها  
 ٣١٥ فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض  
 ٣١٥ فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض  
 ٣١٧ فصل في لغات أهل الامصار

٣١٨ الفصل الخامس من الكتاب الاوّل في المعاش ووجوهه من الكسب  
 والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل

٣١٨ فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحه ما وأن الكسب هو قيمة الاعمال  
 البشرية

- ٣٢٠ فصل في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه  
 ٣٢١ فصل في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي  
 ٣٢١ فصل في أن ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي  
 ٣٢٥ فصل في أن الجاه مفيد للمال  
 ٣٢٦ فصل في أن السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتلقى وأن  
 هذا الخلق من أسباب السعادة  
 ٣٢٨ فصل في أن القائلين بأمور الدين من القضاء والعتيا والتدريس والامامة  
 والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب  
 ٣٢٩ فصل في أن الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو  
 ٣٣٠ فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها  
 ٣٣٠ فصل في أي أصناف الناس يجترف بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفها  
 ٣٣١ فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك



|     |                                                                     |
|-----|---------------------------------------------------------------------|
| ٢٣١ | فصل في نقل التاجر للملح                                             |
| ٢٣٢ | فصل في الاحتكار                                                     |
| ٢٣٢ | فصل في أن رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص                         |
| ٢٣٣ | فصل في أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المرواة        |
| ٢٣٤ | فصل في أن الصنائع لا بد لها من المعلم                               |
| ٢٣٥ | فصل في أن الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته             |
| ٢٣٥ | فصل في أن رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها  |
| ٢٣٧ | فصل في أن الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طالباها                  |
| ٢٣٧ | فصل في أن الامصار اذا هارت الخراب انتقضت منها الصنائع               |
| ٢٣٧ | فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع                               |
| ٢٣٨ | فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة أخرى      |
| ٢٣٩ | فصل في الإشارة الى أتمات الصنائع                                    |
| ٢٣٩ | فصل في صناعة الفلاحة                                                |
| ٢٣٩ | فصل في صناعة البناء                                                 |
| ٢٤٢ | فصل في صناعة التجارة                                                |
| ٢٤٢ | فصل في صناعة الحياكة والخياطة                                       |
| ٢٤٤ | فصل في صناعة التوليد                                                |
| ٢٤٦ | فصل في صناعة الطب وأنها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية |
| ٢٤٨ | فصل في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية                   |
| ٢٥٢ | فصل في صناعة الوراقة                                                |
| ٢٥٢ | فصل في صناعة الغناء                                                 |
| ٢٥٨ | فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب           |
| ٢٥٨ | الفصل السادس من الكتاب الاوّل في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه     |
|     | وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق        |
| ٢٥٨ | فصل في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري                    |
| ٢٥٩ | فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع                             |
| ٢٦٢ | فصل في أن العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتغظم الحضارة           |
| ٢٦٢ | فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد                   |

|      |                                                                     |
|------|---------------------------------------------------------------------|
| صحفة |                                                                     |
| ٣٦٥  | علوم القرآن من التفسير وقرأآت                                       |
| ٣٦٨  | علوم الحديث                                                         |
| ٣٧٢  | علوم الفقه وما يتبعه من القرائن                                     |
| ٣٧٦  | علم القرائن                                                         |
| ٣٧٧  | أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات                          |
| ٣٨٢  | علم الكلام                                                          |
| ٣٩٠  | علم لتصوف                                                           |
| ٣٩٦  | علم تعبير الرؤيا                                                    |
| ٣٩٩  | العلوم العقلية وأصنافها                                             |
| ٤٠٢  | العلوم العددية                                                      |
| ٤٠٣  | ومن فروع علم العدد صناعة الحساب                                     |
| ٤٠٣  | ومن فروع علم الجبر والمقابلة                                        |
| ٤٠٤  | ومن فروع علم أيضا المعاملات                                         |
| ٤٠٤  | ومن فروع علم أيضا القرائن                                           |
| ٤٠٥  | العلوم الهندسية                                                     |
| ٤٠٦  | ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات       |
| ٤٠٦  | المناظر من فروع الهندسة                                             |
| ٤٠٦  | ومن فروع الهندسة المساحة                                            |
| ٤٠٦  | علم الهيئة                                                          |
| ٤٠٧  | ومن فروع علم الازياج                                                |
| ٤٠٨  | علم المنطق                                                          |
| ٤١٠  | الطبيعيات                                                           |
| ٤١١  | علم الطب                                                            |
| ٤١٢  | فصل واللبادية من أهل العمران طب ينونه في غالب الامر على تجربة قاصرة |
|      | على بعض الاشخاص الخ                                                 |
| ٤١٢  | الفلاحة                                                             |
| ٤١٣  | علم الالهيات                                                        |
| ٤١٤  | علم السحر والطلسمات                                                 |



- ٤٢٠ فصل ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين
- ٤٢٠ علم أسرار الحروف
- ٤٢٣ ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة
- ٤٢٥ الكلام على استخراج نسبة الاوزان وكمياتها ومقادير المقابل منها وقوة  
الدرجة المتميزة بالنسبة الى موضع المعلق من امتزاج طبائع وعلم طب أو  
صناعة الكيمياء
- ٤٢٥ الطب الروحاني
- ٤٢٥ مطارح الشعاعات في مواليد الملوك وبنهم
- ٤٢٧ الانفعال الروحاني والانقياد الرباني
- ٤٢٧ اتصال أنوار الكواكب
- ٤٢٧ مقامات المحبة ومبيل القوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتعشق  
وفناء الفناء وتوجه ومراقبة وخلعة دائمة
- ٤٢٨ فصل في المقامات والنهاية
- ٤٢٨ الوصية والتختم والايمان والاسلام والتحرير والابهيبة
- ٤٢٩ كيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زايرة العالم بحول الله  
منقولاً عن لقيناه من القائمين عليها
- ٤٣٨ فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية
- ٤٤٢ فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية
- ٤٤٤ علم الكيمياء
- ٤٥٣ فصل في ابطال الفلسفة وفساد متعلقاتها
- ٤٥٧ فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها
- ٤٦٢ فصل في انكار عمرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن اتعمالها
- ٤٦٧ فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عاقبة عن التحصيل
- ٤٦٨ فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم
- ٤٦٩ فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته
- ٤٧٠ واعلم أيها المتعلم الخ
- ٤٧٢ فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الا تظارر ولا تفرع المسائل
- ٤٧٣ فصل في تعاليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه

صحيحة

- ٤٧٥ فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم
- ٤٧٦ فصل في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة من يد كمال في التعلم
- ٤٧٦ فصل في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها
- ٤٧٧ فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم
- ٤٧٩ فصل في علم اللسان العربي
- ٤٧٩ علم النحو
- ٤٨١ علم اللغة
- ٤٨٣ علم البيان
- ٤٨٦ علم الأدب
- ٤٨٧ فصل في أن اللغة ملكة صناعية
- ٤٨٨ فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضرو وجير
- ٤٩٠ فصل في أن لغة الحضرو الامصار قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر
- ٤٩١ فصل في تعليم اللسان المضري
- ٤٩١ فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم
- ٤٩٣ فصل في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل غالباً للمستعربين من العجم
- ٤٩٥ فصل في أن أهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان حصولها له أصعب وأعسر
- ٤٩٧ فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر
- ٤٩٨ فصل في أنه لا تتفق الاجادة في فني المنظوم والمنثور معاً الا لقل
- ٤٩٩ فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه
- ٥٠٦ فصل في أن صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني
- ٥٠٦ فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ
- ٥٠٨ فصل في ترفع أهل المراتب عن اتحال الشعر
- ٥٠٩ فصل في أشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد ( وفيه أشعار الهلالية والزناية )
- ٥١٨ الموشحات والأزجال للاندلس
- ( تمت فهرسة الجزء الاول )



الحج والاقول

من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب  
والعجم والبربر ومن عاصره هم من ذوي السلاطين الأكابر

وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن

ابن خلدون المغربي

قوله اليسموت هو  
الذون أى الحوت  
الذى على ظهره  
الارض السابعة  
ويسمى أيضا لوتيا كما  
في المزهر وروح البيان  
واللهجة ومعلوم أن  
بينه وبين زحل الذى  
هو فى الفلك السابع  
بونا بعيدا قال الشهاب  
الخفاجى فى حاشيته على  
البيضاوى فى أول  
سورة نون اليهوت بفتح  
المثناة التحتية وسكون  
الهاء وما اشتر من  
أنه بالباء الموحدة غلط  
على ما ذكره الفاضل  
الحشى اه ومثله  
فى روح البيان قاله نصر  
الهورينى أقره المصحح  
الثانى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

{ يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغنى بلطفه عبد الرحمن }  
{ ابن محمد بن خلدون الحضرمى وفقه الله تعالى }

الحمد لله الذى له العزة والجبروت \* ويده الملك والملكوت \* وله الاسماء الحسنى  
والنعوت \* العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى أو يخفيه السكوت \* القادر  
فلا يعجزه شئ فى السموات والارض ولا يقوت \* أنشأنا من الارض نسما \* واستعمرنا  
فيها أجيالا وأممنا \* ويسر لنا منها أرزاقا وقسما \* تكفنا الارحام والبيوت  
\* ويكفلنا الرزق والقوت \* وتبلينا الايام والوقوت \* ونعمورنا الآجال التى خط  
علينا كتابها الموقوت \* وله البقاء والثبوت \* وهو الحى الذى لا يموت \* والصلاة  
والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبى الامى العربى المكتوب فى التوراة والانجيل  
المنعوت \* الذى تخضع لفصالة الكون قبل أن تتعاقب الآحاد والسيوت \* وتباين  
زحل واليهاموت \* وشهد بصدقته الحمام والعنكبوت \* وعلى آله وأصحابه الذين  
لهم فى محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت \* والشمل الجميع فى مظاهرتة ولعدوهم  
الشمل الشيت \* صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده المجنوت \* وانقطع



بالكفر حبله المبتوت \* وسلم كثيرا (أما بعد) فان فن التاريخ من القنون التي  
 يتداولها الامم والاجيال \* وتشتد اليه الركائب والرحال \* وتسمو الى معرفته  
 السوق والغلال \* وتتنافس فيه الملوك والاقبال \* ويتساوى في فهمه العلماء  
 والجهال \* اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول \* والسوابق  
 من القرون الاول \* تنمى فيها الاقوال \* وتضرب فيها الامثال \* وتطرف بها  
 الاندية اذا غصها الاحتفال \* وتؤدي اليها شأن الخليفة كيف تقلبت بها الاحوال  
 \* واتسع للدول فيها النطاق والمجال \* وعمرو الارض حتى نادى بهم الارتحال  
 \* وحان منهم الزوال \* وفي باطنه نظر وتحقيق \* وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق  
 \* وعلم بكفيات الوقائع واسبابها عميق \* فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق  
 \* وجدير بان يعتد في علومها رخليق \* وان يقول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا  
 اخبار الايام وجمعوها \* وسطروها في صفحات الدفاتر وأدعوها \* وخطوها  
 المتطفلون بدسائس من الباطل وهموافيها أو ابتدعوها \* وزخارف من الروايات  
 المضعفة لفقوها ووضعوها \* واقتنى تلك الآثار الكثير من بعدهم واتبعوها  
 \* وأدوها اليها كما سمعوها \* ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها  
 \* ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها \* فالتحقيق قليل \* وطرف التفتيح في  
 الغاب قليل \* والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل \* والتقليد عريق في  
 الآدميين وسليل \* والتطفل على القنون عريض وطويل \* ومرعى الجهل بين  
 الانام وخيم وبيل \* والحق لا يقاوم سلطانه \* والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه  
 \* والناس قل انما هو على وينقل \* والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل \* والعلم يجلولها  
 صفحات الصواب ويصقل \* (هذا) وقد دون الناس في الاخبار وأكثروا \* وجمعوا  
 تواريخ الامم والدول في العالم وسطروا \* والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة المعترية  
 \* واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة \* هم قليلون لا يكادون  
 يجاوزون عدد الانامل \* ولا مركبات العوامل \* مثل ابن اسحق والطبري وابن  
 الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير  
 \* المتميزين عن الجماهير \* وان كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز  
 ما هو معروف عند الاثبات \* ومشهور بين الحفظة الثقات \* الا أن الكافة  
 اختصتهم بقبول اخبارهم \* واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم \* والناقد  
 البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما يقلون أو اعتبارهم \* فلا عمران طبائع في  
 أحواله ترجع اليها الاخبار \* وتحمل عليها الروايات والآثار \* ثم ان أكثر

التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك \* لعموم الدولتين صدر الاسلام في الاتفاق  
 والممالك \* وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمشارك ومن هؤلاء من  
 استوعب ما قبل الملة من الدول والامم \* والامر العمم \* كالمسعودي ومن نحنا  
 منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد \* ووقف في العموم  
 والاحاطة عن الشأ والبعيد \* فقيده شوارد عصره \* واستوعب أخبار أفعه وقطره  
 \* واقتصر على أحاديث دولته ومصره \* كما فعل أبو حيان مؤرخ الاندلس والدولة  
 الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ افریقیة والدول التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعده  
 هؤلاء المقلد \* وبلید الباع والقل أو متبلد \* ينسج على ذلك المنوال \*  
 ويحتذى منه بالمثل \* ويذهل عما أحالته الايام من الاحوال \* واستبدلت به من  
 عوائد الامم والاجيال \* فيجلبون الاخبار عن الدول \* وحكايات الوقائع في  
 العصور الاول \* صوراً قد تجردت عن موادها \* وصفاً حاشيت من أغماها  
 \* ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلاذها \* انما هي حوادث لم تعلم أصولها \*  
 وأزاع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها \* يكثررون في موضوعاتهم الاخبار  
 المتداولة بأعيانها \* اتباعاً لمن عني من المتقدمين بشأنها \* ويغفلون أمر الاجيال  
 الناشئة في ديوانها \* بما أعوز عليهم من ترجمانها \* فتستعجم صفتهم عن بيانها  
 \* ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا \* محافظين على نقلها وهما  
 أو صدقا \* لا يتعرضون لمدايتها \* ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايته \*  
 وأظهر من آيتها \* ولا علة الوقوف عند غايتها \* فيبقى الناظر متطلعاً بعد الى  
 افتقار أحوال مبادئ الدول ومرايتها \* مفتشاً عن أسباب تراجمها أو تعاقبها \*  
 باحثاً عن المقنع في تباينها أو تناسبها حسب ما نذكر ذلك كله في مقدمة الكتاب \*  
 ثم جاء آخرون بأفراط الاختصار \* وذهبوا الى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار  
 \* مقطوعة عن الانساب والاخبار \* موضوعاً عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار  
 \* كما فعل ابن رشيق في ميزان العمل \* ومن اقتنى هذا الاثر من الهمل \* وليس يعتبر  
 لهؤلاء مقال \* ولا يعدلهم ثبوت ولا انتقال \* لما أذهبوا من القوائد \* وأخلوا  
 بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد (ولما طالعت) كتب القوم \* وسبرت غور  
 الامس واليوم \* نهت عين القرية من سنة الغفلة والنوم \* وسمت التصنيف  
 من نفسي وأنا المفاس أحسن السوم \* فأنشأت في التاريخ كتاباً \* رفعت  
 به عن أحوال الناشئة من الاجيال حجاباً \* وفصلته في الاخبار والاعتبار بابابا \*  
 وأبدت فيه لاؤلية الدول والعمران عللاً وأسباباً \* وبنيت على أخبار الامم الذين



عمر والمغرب في هذه الاعصار \* وملوأ كفاف النواحي منه والامصار \* وما كان  
 لهم من الدول الطوال والقصار \* ومن سلف من الملوك والانصار \* وهم العرب  
 والبربر \* اذ هما الجملان اللذان عرف بالمغرب مأواهما \* وطال فيه على الاحقاب  
 مثواهما \* حتى لا يكاد يتصور فيه ما عداهما \* ولا يعرف أهله من أجيال الادميين  
 سواهما \* فهذبت مناحيه تهديبا \* وقربته لافهام العلماء والخاصة تقرينا \*  
 وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا \* واخترعت من بين المناسخ مذهبا  
 عجيبا \* وطريقة مبتدعة وأسلوبا \* وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما  
 يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يتعلق بعلى الكوائن وأسبابها  
 \* ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها \* حتى تنزع من التقليد يدك \*  
 وتقف على أحوال من قبلك من الايام والاجيال وما بعدك \* (وربته) على مقدمة  
 وثلاثة كتب

(المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع بمغالط المؤرخين \*  
 (الكتاب الاول) في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك  
 والسلطان والسكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب  
 (الكتاب الثاني) في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة الى هذا  
 العهد وفيه الاماع ببعض من عاصره من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط  
 والسرانيين والفرس وبنى اسرائيل والقبط ويونان والروم والترك والافرنجة  
 (الكتاب الثالث) في أخبار البربر ومن اليهم من زناته وذكر أوليتهم وأجيالهم  
 وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتماع  
 أنواره \* وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره \* والوقوف على آثاره  
 في دواوينه وأسفاره \* فأندت ما نقص من أخبار ملوك العجم بلك الديار \* ودول  
 الترك فيما ملكوهم من الاقطار \* واتبع بها ما كتبه في تلك الاسطار \* وأدرجتها  
 في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من أمم النواحي \* وملوك الامصار والضواحي  
 \* سالك سبيل الاختصار والتلخيص \* مقتديا بالمرام السهل من العويص \*  
 داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص فاستوعب أخبار  
 الخليقة استيعابا \* وذلك من الحكم النافذة صعبا \* وأعطى لحوادث الدول عللا  
 وأسبابا \* وأصبح للعكمة صونا والتاريخ مخجرا \* (ولما كان) مشغلا على أخبار  
 العرب والبربر \* من أهل المدن والوبر \* والاماع بمن عاصره من الدول الكبرى  
 وأفصح بالذكرى والعبير \* في مبتدأ الاحوال وما بعدهما من الخبر (سميته) كتاب

العبر \* وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر \* ومن عاصرهم من  
ذوق السطان الأكبر \* ولم أترك شيئاً في أولية الاجيال والدول \* وتعاصر الامم  
الاول \* وأسباب التصرف والحول \* في القرون الخالية والملل \* وما يعرض  
في العمران من دولة وملة \* ومدينة وحلة \* وعزة وذلة \* وكثرة وقلة \* وعلم  
وصناعة \* وكسب واطاعة \* وأحوال متقلبة مشاعة \* وبدو وحضر \* وواقع  
ومستظر \* الاواسط وعبت جله \* وأوضحت براهينه وعمله \* بفناء هذه الكتاب  
فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة \* والحكم المحجوبة القرية \* وأنامن بعدها  
موقن بالقصور \* بين أهل العصور \* معترف بالعجز عن الخفاء \* في مثل هذه القضاء  
\* راغب من أهل اليد البيضاء \* والمعارف المتسعة الفضاء \* النظر بعين الانتقاد  
لابعين الارضاء \* والتقدم لما يعثرون عليه بالاصلاح والاعضاء \* فالبضاعة بين  
أهل العلم من جادة \* والاعتراف من اللوم منجاة \* والحسن من الاخوان مرتجاة \*  
والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل  
(وبعد) أن استوفيت علاجه \* وأتت مشكاته للمستبصرين وأذكت سراجيه  
\* وأوضحت بين العلوم طريقه ومنهاجه \* وأوسعت في فضاء المعارف نطاقه وأدركت  
سياجه \* اتحفت بهذه النسخة منه (٨) خزانة مولانا السلطان الامام المجاهد \*  
القاسم الماهر \* المتحلي منذ خلع التمام \* ولوث العمام \* بحلى القانت الزاهد  
\* المتوشح من زكاء المناقب والحمد \* وكرم الشمائل والشواهد \* بأجل  
من الفضائل \* في فحور الولائد \* المتناول بالعزم القوى الساعد \* واجلدة المواقي  
المساعد \* والمجد الطارف والتالد \* ذواب ملكهم الرامى القواعد \* الكريم  
المعالى والمساعد \* جامع أشات العلوم والفوائد \* وناظم شمل المعارف الشوارد  
\* ومظهر الآيات الربانية \* في فضل المدارك الانسانية \* بفكره الثاقب  
الناقد \* ورأيه الصحيح المعاهد \* النير المذاهب والعقائد \* نور الله الواضح  
المرشد \* ونعمته العذبة الموارد \* ولطفه الكامن بالمرصد للشدائد \* ورحمته  
الكريمة المقالد \* التي وسعت صلاح الزمان القاسد \* واستقامة المائد من  
الاحوال والعوائد \* وزهبت بالخطوب الاوابد \* وخلعت على الزمان رونق  
الشباب العائد \* وحجته التي لا يبطلها انكار الجاحد ولا شبهات المعاند \* (أمير المؤمنين)  
أبوفارس عبيد العزيز ابن مولانا السلطان الكبير المجاهد المقدس أمير المؤمنين \*  
أبي الحسن ابن السادة الاعلام من بني مرين \* الذين جددوا الدين \* ونهجوا  
السبيل للمهتدين \* ومحوا آثار البغاة المفسدين \* أفاء الله على الأمة ظلاله \*

(٨) قوله اتحفت بهذه  
النسخة منه الخ وجد  
في نسخة بخط بعض  
فضلاء المغاربة زيادة قبل  
قوله اتحفت وبعد قوله  
وأدركت سياجه ونصها  
التمس له الكف الذي  
يلج بعين الاستبصار  
فمنه \* ويلفظ عبادركه  
الشريفة معياره الصحيح  
وقانونه \* ويميز رتبته  
في المعارف عمادونه \*  
فسرحت فكري في  
فضاء الوجود \* وأجلت  
تطري ليل التمام  
والهجوم \* بين التهام  
والنجود \* في العلماء  
الركع السجود \*  
والخلفاء أهل الكرم  
والجود \* حتى وقف  
الاختار بساحة الكمال  
\* وطافت الافكار  
بموقف الآمال \*  
وظفرت أيدي المساعي  
والاعتمال \* بمنسدي  
المعارف مشرقة فيه غمر  
الجمال \* وحدائق =



وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله \* وبعثته الى خزائهم الموقفة لطلبة العلم بجامع  
 القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم \* وكرسي سلطانهم \* حيث مقر  
 الهدى \* ورياض المعارف خضلة الندى \* وفضاء الاسرار الزبانية فسيح المدى  
 \* والامامة الكريمة الفارسية (١) العزيرة ان شاء الله بنظرها الشريف \* وفضلها  
 الغني عن التعريف \* تبسط له من العناية مهادا \* وتفسح له في جانب القبول  
 آمادا \* فتوضح بها أدلة على رسوخه واشهادا \* ففي سوقها تنفق بضائع الكتاب  
 \* وعلى حضرتها تعكف ركائب العلوم والآداب \* ومن مدد بصائرهم المنيرة  
 نتائج القرائح والالباب \* والله يوزعنا شكر نعمتها \* ويوفر لنا حظوظ المواهب  
 من رحمته \* ويعيننا على حقوق خدمتها \* ويجعلنا من السابقين في مبدائها \*  
 المحلين في حوزتها \* ويضفي على أهل ايلاتها \* وما أوى من الاسلام الى حرم عمالتها  
 \* لبوس حمايتها وحرمتها \* وهو سبحانه المسئول أن يجعل أعمالنا خالصة في  
 وجهتها \* بريئة من شوائب الغفلة وشبهتها \* وهو حسبنا ونعم الوكيل

### ❖ (القدمة) ❖

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والامام الميرزا المورخين  
 من المغالط والادبام وذو كرسي من أسبابها

(اعلم) أن فن التاريخ ينفخ في عزير المذهب جثم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقضنا على  
 أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم \* والانبياء في سيرهم \* والملوك في دولهم  
 وسياساتهم \* حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدينا فهو  
 محتاج الى ما أخذته عدة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما  
 الى الحق وينبكان به عن المزالات والمغالطات الانخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم  
 تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع  
 الانساني ولا يقيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فر بما لم يؤمن فيهما من العثور  
 ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمورخين والمفسرين  
 وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو  
 سميئالم يعرضوها على اصولها ولا فاسوها بأشباهها ولا سبروها بعميار الحكمة  
 والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلا عن الحق  
 وتاهوا في يسداء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر

= العلوم الوارفة  
 الطلال \* عن البين  
 والشمال \* فأنتجت  
 مطى الافكار في  
 عرصاتها \* وجلوت  
 محاسن الانظار على  
 منصاتها \* وأتحفت  
 بيوانها \* مقاصير ابوانها  
 \* وأطلعت كوكبا وقادا  
 في أفق خزائنها زصوان  
 \* ليكون آية للعقلاء  
 يهتدون بمناره \*  
 ويعرفون فضل المدارك  
 الانسانية في آثاره \*  
 وهي خزنة مولانا  
 السلطان الامام المجاهد  
 \* الفاتح الماهد \* الى  
 آخر الزعوت المذكورة  
 هنائم قال الخليفة أمير  
 المؤمنين المتوكل على  
 رب العالمين أبو العباس  
 أحمد ابن مولانا الأمير  
 الطاهر المقدس أبي  
 عبد الله محمد ابن مولانا  
 الخليفة المقدس أمير  
 المؤمنين \* أبي يحيى أبي  
 بكر ابن الخلفاء

اذا عرضت في الحكايات اذهي مظنة الكذب ومطية الهذرو لا بد من ردها الى  
 الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المورخين في  
 جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من  
 يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألفاً ويريدون  
 ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعها مثل هذا العدد من الجيوش لكل  
 مملكة من الممالك حصّة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها تشهد  
 بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم إن مثل هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا  
 العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعد هذا اذا اصطفت  
 عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً وأريد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون  
 غلبة أحد الصفيين وشئ من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك  
 فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء (ولقد كان) ملك الفرس ودولتهم أعظم  
 من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بختنصر لهم والتمامة بلادهم  
 واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض  
 عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم  
 بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب أوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك  
 لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه وأعظم ما كانت جيوعهم  
 بالقادسية مائة وعشرون ألفاً كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في أتباعهم أكثر  
 من مائتي ألف (وعن عائشة والزهرى) أن جيوع رستم التي زحف بها السعد  
 بالقادسية انما كانوا ستمائة ألفاً كلهم متبوع وأيضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا  
 العدد لا تتسع نطاق ممالكهم وانسحق مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على  
 نسبة الحامية والقبيل القائم بها في قتلها وكثرتها حسب ما بين في فصل الممالك  
 من الكتاب الاول والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد  
 يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وأيضا فالذى بين موسى واسرائيل انما هو  
 أربعة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بفتح الهاء  
 وكسرها بن لاوى بكسر الواو وفتحها بن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبته في  
 التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودي قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط  
 وأولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا مع موسى  
 عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تبدأ ولهم ملوك القبط من الفراعنة ويبعد  
 أن يتشعب النسل في أربعة أجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا أن عدد تلك الجيوش

الراشدين \* من أئمة  
 الموحدين الذين جددوا  
 الدين ونهجوا السبل  
 للمهتدين \* ومحو آثار  
 البغاة المنسدين \* من  
 الجسمسة والمعتدين \*  
 سلاله ابي حفص  
 والفاروق \* والنبعة  
 النامية على تلك المغارس  
 الزاكية والعروق \*  
 والتوراة المتلائي من تلك  
 الاشعة والبروق فاوردته  
 من مودعها العلي بحيث  
 مقر الهدى \* ورياض  
 المعارف خضلة الندى  
 \* الى آخر ما ذكرهنا  
 الا انه لم يقيّد الامامة  
 بالفارسية لكن النسخة  
 المذكورة مختصرة عن  
 هذه النسخة المنقولة من  
 خزانة الكتب الفارسية  
 ولم يقل فيها ثم كانت  
 الرحلة الى المشرق الخ  
 (١) قوله في صحيفة  
 الفارسية أي المنسوبة  
 الى الامير ابي فارس  
 المتقدم ذكره



انما كان في زمن سليمان ومن بعده فبعيد أيضا اذ ليس بين سليمان واسرائيل  
الا أحد عشر أبافانه سليمان بن داود بن ايشابن عوفيد و يقال بن عوفد بن باعز و يقال  
بوعز بن سلون بن نحشون بن عيمنوذب و يقال جيناذاب بن رم بن حصرون و يقال  
حسرون بن پارس و يقال پيرس بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب النسل في أحد عشر  
من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والالاف فر بما يكون  
وأما أن يتجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد  
والقريب المروى تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا (والذي ثبت في الاسرائيليات)  
أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة وأن مقرباته كانت ألفا وأربعمائة  
فرس مرتبطة على أبوابه هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة  
منهم (وفي أيام سليمان عليه السلام وملكه) كان عنقوان دولتهم واتساع ملكهم  
هذا وقد نجد الكافة من أهل العصر اذا فاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي  
لعهدهم أو قريباتهم وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى  
أو أخذوا في احصاء أموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع  
الاغنياء المومنين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس  
الاعراب فاذا استكشفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت أحوال أهل  
الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار  
ما يعتدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على  
المتعقب والمتقصد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يبالها في الخبر بتوسط ولا  
عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفقيش فيمرسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه  
ويتخذ آيات الله هزوا ويشترى لهوا الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبها صفقة  
خاسرة (ومن الاخبار الواهية للمؤرخين) ما ينقلونه كافة في أخبار التابعة ملوك  
اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افر يقية والبربر من بلاد  
المغرب وأن افر يقس بن قيس بن صيفي من أعظم ملوكهم الاول وكان لعهد مومسي  
عليه السلام أو قبله بقليل غزا افر يقية وأنخن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم  
حين سمع رطانهم وقال ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنه  
لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأماوا بها واختلطوا بأهلها ومنهم  
صنهاجة وكثامة ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي  
والبيلي الى أن صنهاجة وكثامة من حمير وتأباه نسبة البربر وهو الصحيح (وذكر  
المسعودي أيضا) أن ذا الازعار من ملوكهم قبل افر يقس وكان على عهد سليمان

الاعراب بكسر  
الهمزة هـ

عليه السلام غزا المغرب ودق خه وكذلك ذكر مثله عن يامر ابنه من بعده وأنه بلغ  
وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلحاً كالكثر الرمل فرجع وكذلك يقولون  
في تبع الآخر وهو أسعد أبو كرب وكان على عهد يستامف من ملوك القرس البكائية  
أنه ملك الموصل وأذر بيجان وافي الترك فهزمهم وأثنى ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك  
وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس والى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء  
النهر والى بلاد الروم فلما كان في سمرقند وقطع المفازة إلى الصين فوجد  
أخاه الثاني الذي غزا إلى سمرقند قد سبقه اليها فأثنى في بلاد الصين ورجع جميعاً  
بالغنائم وتركوا بلاد الصين قبائل من جبرفهم بها إلى هذا العهد وبلغ الثالث  
إلى قسطنطينية فدرسها ودق بلاد الروم ورجع (وهذه الأخبار) كلها بعيدة عن  
الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشبهه بأحاديث القصص الموضوعة \* وذلك  
أن ملك التبابعة إنما كان بجيزة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة  
العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس  
الهابط منه إلى البصرة من المشرق وبحر السويس الهابط منه إلى السويس من  
أعمال مصر من جهة المغرب كما تراهم في مصور الجغرافيا فلا يجد السالكون من  
اليمن إلى المغرب طريقاً من غير السويس والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر  
الشمالي قدره حلتين فإدونهما وبعدها يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عسائر  
موفورة من غير أن تصير من أعماله هذا تمتنع في العادة \* وقد كان بتلك الأعمال  
العمالة وكنعان بالشام والقيط بمصر ثم ملك العمالة مضر وملك بنو أسراة  
الشام ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم ولا ملكاً ولا شيئاً من تلك  
الأعمال وأيضاً فالشقة من البحر إلى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر  
كثيرة فإذا ساروا في غير أعمالهم احتاجوا إلى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد  
فيما يمرّون عليه ولا يكفي ذلك للازودة والعلوفة عادة وانقلوا كفايتهم من ذلك من  
أعمالهم فلا تقي لهم الرواحل بنقله فلا بد وأن يمرّوا في طريقهم كلها بأعمال قدماء كوها  
ودق خوها لتكون الميرة منها وإن قلنا أن تلك العساكر تمرّ بهم هؤلاء الأمم من غير  
أن يجهّم فحصل لهم الميرة بالمسألة فذلك أبعد وأشده امتناعاً فدل على أن هذه  
الأخبار واهية أو موضوعة (وأما) وادي الرمل الذي يبحر السالك فلم يسمع قط ذكره  
في المغرب على كثرة السالكين من يقص طريقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل  
جهة وهو على ما ذكره من الغرابة تتوفر الدواعي على نقله \* وأما غزوهم بلاد  
الشرق وأرض الترك وإن كانت طريقه أوسع من مسالك السويس إلا أن الشقة



هنا أبعاد وأمم فارس والروم معترضون فيمادون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا  
بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا يماربون أهل فارس على حدود بلاد العراق  
وما بين البحرين والخيبر والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما في الأعمال وقد وقع  
ذلك بين ذى الأذعار منهم وكيكاوس من ملوك الكيانية وبين تبع الأصغر أبو كرب  
ويستأسف منهم أيضاً ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم بمجاورة  
أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت وهو ممنوع عادة من أجل الأمم المعترضة  
منهم والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر فالأخبار بذلك واهية  
مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً فيها فكيف وهي لم تنقل من  
وجه صحيح وقول ابن اسحق في خبر نيرب والاوز والخزرج أن تبعاً آخر سار إلى  
المشرق محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها  
بوجه لما تقرر فلا تثق بما يليك اليك من ذلك وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين  
الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادي إلى الصواب

(فصل) وأبعد من ذلك وأعرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة والفجر  
في قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد فيجعلون نفطة ارم اسم المدينة  
وصفت بأنها ذات عماد أي أساطين وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنا هما  
شديد وثاد ملكا من بعده وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع  
وصف الجنة فقال لابن مئله فبنى مدينة ارم في صحارى عدن في مدة ثمان مائة سنة وكان  
عمره ثمان مائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد  
والياقوت وفيها أصناف الشجر والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته  
حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وإليه بعث الله عليهم صحيحة من السماء فهاكوا كلهم  
ذكر ذلك الطبري والنعالي والزنجشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن  
عبد الله بن قلابه من الصحابة أنه خرج في طلب ابل له فوق عليم وحمل منها ما قدر  
عليه وبلغ خبره إلى معارية فأخضره وقص عليه فبحث عن كعب الأخبار وسأله عن  
ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيد خلهار جل من المسلمين في زمانك أحرأشقر قصير  
على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابه فقال  
هذا والله ذلك الرجل \* وهذه المدينة لم يسمع أن أخبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض  
\* وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا  
والادلاء تنقص طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد  
من الأخباريين ولا من الأمم ولو قالوا انها درست فيمادرس من الآثار كان

أشبهه إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة وبعضهم يقول أنها دمشق بناء على  
 أن قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم إلى أنها غائبية وإنما يعثر عليها  
 أهل الرياضة والسحر من أعم كلهما أشبهه بالخرافات والذي حل المفسرين على ذلك  
 ما اقتضته صناعة الأعراب في لفظة ذات العماد أنها مضافة إرم وجعلوا العماد على  
 الأساطين فتعين أن يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد إرم على الإضافة  
 من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبهه بالأفاقيص الموضوعة  
 التي هي أقرب إلى الكذب المنقولة في عداد المنحكات والأفالعماد هي عماد الأخبية  
 بل الخيام وإن أريد بها الأساطين فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين على  
 العموم عاشر من قوتهم لأنه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها وإن أضيق  
 كما في قراءة ابن الزبير على إضافة الفصيلة إلى القبيلة كما تقول قريش كنانة والياس  
 مضروربيعة زاروا ضرورة إلى هذا المحمل البعيد الذي تحملت لتوجيهه لامثال  
 هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثلها البعدا عن العجمة (ومن  
 الحكايات) المدخولة للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من  
 قصة العباسية أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكفه بكناهما من معاقرته  
 إياهما الخمر أذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما في مجلسه  
 وأن العباسية تحملت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها زعموا  
 في حالة سكر فحملت ووشت بذلك للرشيد فاستغضب وهيات ذلك من منصب العباسية  
 في دينها وأبويها وجلالها وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينهما وبينه إلا أربعة  
 رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده \* والعباسية بنت محمد المهدي بن عبد  
 الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء بن عبد الله ترجان  
 القرآن بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ابنة خليفة أخت خليفة محفوفة  
 بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وإمامة الملة ونور الوحي  
 ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قريية عهديه داوة العروبية وسداجة الدين  
 البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب  
 عنها وأين توجد الطهارة والذكاء إذا فقد من بيتها وكيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى  
 وتدنس شرفها لعربي عولى من موالي العجم على كفة جده من الفرس أو بولاء جدها من  
 عمومة الرسول وأشراف قريش وغايتها أن جذبت دولتهم بضميعه وضبع أبيه  
 استخلصتهم ورفقهم إلى منازل الأشراف وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى  
 موالي الأعاجم على بعدهمته وعظم آباءه ولونظر المتأمل في ذلك نظر المستف وقاس



العباسية بآبنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكاف لها عن مثل له مع دولي من موالي  
 دولتها وفي سلطان قومها واستنكافهم في تكذيبه وأين قدر العباسية والرشيديين من  
 الناس وانما انكسب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال  
 الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على أمره  
 وشاركوه في سلطانه ولم يكن لهم معهم تصرف في أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم  
 وعمر وامتدأت الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عن سواهم  
 من وزارة وكفاية وقيادة وحجابه وسيف وقلم يقال انه كان يدار الرشيد من ولي يحيى بن  
 خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحوا فيها أهل الدولة  
 بالمنكسب ودفعوهم عنها بالراح لما كان أبيهم يحيى من كفاية هرون ولي عهد وخليفة  
 حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلب على أمره وكان يدعو به يا أبت فتوجه الأبنار  
 من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم  
 الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الآمال وتخطت اليهم من أقصى النجوم  
 هدايا الملوك وتحف الامراء وسيرت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة أموال  
 الجباية وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوقوهم المنز وكسبوا من  
 بيوتات الاشراف المعدم وفكروا العاني ومدحوا بما لم يدح به خليفة ثم وأسكنوا  
 لغنائهم الجوائز والصلوات واستولوا على القرى والضباع من الضواحي والامصار  
 في سائر الممالك حتى آسفوا البطانة وأحققوا الخاصة وأغصوا أهل الولاية  
 فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة  
 عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قطيبة اخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم لم  
 تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد عواطف الرحمة ولا وزعتهم أو اصر القرابة  
 وقارن ذلك عند مخدومهم نواشي الغيرة والاستنكاف من الجور والانفة وكان  
 الحقود التي بعثت منهم صغار الدالة وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كبار المخالفة  
 كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخى محمد المهدي  
 الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزل الفضل بن  
 يحيى من بلاد الديلم على أمان الرشيد بخطه وبذل لهم فيه ألف ألف درهم على ما ذكره  
 الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته  
 الدالة على تخليته سبيله والاستبداد بجمل عقاله حرما لدماء أهل البيت بزعمه ودالة  
 على السلطان في حكمه \* وسأله الرشيد عنه لما وشى به اليه فظن وقال أطلقته  
 فأبدى له وجه الاستحسان زأترها في نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه

حتى ثل عرشهم وألقيت عليهم مماؤهم وخسفت الارض بهم وبدارهم وذهبت  
سلفا ومثالا لآخرين أيامهم ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم  
وجد ذلك محققا لآثر محمد الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد رب في مفادضة الرشيد  
عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في  
محاورة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم تتفهم انه انما قتلتم الغيرة والمنافسة  
في الاستبداد من الخليفة فن دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه  
للمغنين من الشعراء حيا لا على اسماعه للخليفة وتحريك حفاظهم لهم وهو قوله

ليست هنذا أنجزت ما تعد \* وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة \* انما العاجز من لا يستبد

وأن الرشيد لما سمعها قال اي والله اني عاجز حتى بعثوا بأما مثل هذه كما من غيرته  
وساطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال (وأما) ما توه  
به الحكاية من معاقرة الرشيد النحر واقتران سكره بسكر الندمان فحاش لله ما علمه  
من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة  
وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السماعة  
والعمرى ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواظبتهم ودعائه بمكة في طوافه وما  
كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها  
(حكى) الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج  
عاما ولقد زجر ابن أبي مريم مضحكة في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه  
يقول وما لي لأعبد الذي فطرني وقال والله ما أدري لم فاعمالك الرشيد أن ضحك ثم  
التفت اليه مغضبا وقال يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضا اياك والقرآن والدين  
ولك ما شئت بعدهما وأيضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب عهده من سلفه  
المتحليين لذلك ولم يكن بينه وبين جده أبي جعفر بعيد من انما خلفه غلاما وقد كان  
أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعد ها وهو القائل لما لك حين أشار  
عليه بتأليف الموطأ يا أبا عبد الله انه لم يبق علي وجه الارض أعلم مني ومنك واني قد  
شغلني الخلافة فضع أنت للناس كتابا يتفعلون به تجنب فيه رخص ابن عباس  
وشدد ابن عمر ووطئة للناس بوطئة قال مالك فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ  
والقد أدركه ابنه المهدي أبو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعماله من بيت  
المال ودخل عايمه يوما وهو يجلسه يباشر الخياطين في ارفع الخلق ان من ثياب عماله  
فاستنكف المهدي من ذلك وقال يا أمير المؤمنين على كسوة العيال عامنا هذا من



عطائي فقال له لك ذلك ولم يصدده عنه ولا سمح بالانفاق من أموال المسلمين فكيف  
يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوة وماربى عليه من أمثال هذه  
السيرة في أهل بيته والتخلق بها أن يعاقر الخمر أو يجاهر بهم أو قد كانت حالة الاشراف  
من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها  
مذمة عند الكثير منهم والرشيد وآبؤه كانوا على تبع من اجتناب المذمومات في دينهم  
ودنياهم والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبري  
والمسعودي في قصة جبريل بن مجتيشوع الطيب حين أحضر له السمك في مأثنته  
فحماه عنه ثم أمر صاحب المائدة بجمعه له الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به ودس  
خادمه حتى عاينه يتناولها فأعد ابن مجتيشوع للائمة ثلاث قطع من السمك في ثلاثة  
أقداح خلط احدها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصب  
على الثانية ماء مثجاء وعلى الثالثة خمر صرفا وقال في الاول والثاني هذا طعام أمير  
المؤمنين ان خلط السمك بغيره أو لم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن مجتيشوع  
ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد وأحضره لتوبخ أحضر الثلاثة  
الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط وأماع وتفتت ووجد الاخرين قد فسدا  
وتغيرت رائحتهم فكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب  
الخمر كانت معروفة عند بطائنه وأهل مأثنته ولقد ثبت عنه انه عهد بجسس أبي نواس  
لما بلغه من انهم ما كد في المعاقرة حتى تاب وأقلع وانما كان الرشيد يشرب نبيذ  
التمر على مذهب أهل العراق وقتاويهم فيها معروفة وأما الخمر الصرفة فلا سبيل  
الى اتهامه به ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما  
من أكابر الكبار عند أهل الملة لقلد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب  
السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة  
البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد فإظنك بما يخرج عن الاباحة الى الخطر  
وعن الخلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهم على  
أن جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس انما كانوا ركبون بالخلية  
الخفيفة من الفضة في المناسق والسيوف واللجم والسروج وأن أول خليفة أحدث  
الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان  
حالهم أيضا في ملابسهم فإظنك بمشاربهم وتبين ذلك بأنهم من هذا اذا فهمت  
طبيعة الدولة في أولها من البداوة والغضاضة كما نشرح في مسائل الكتاب الاول  
ان شاء الله والله الهادي الى الصواب (ويتناسب) هذا أو قريب منه ما نقلوه كافة

عن يحيى بن أكرم قاضي المأمون وصاحبه وأنه كان يعاقر المأمون الخروانه سكر ليلة  
 مع شربه فدفن في الریحان حتى أفاق وينشدون على لسانه  
 يا سيدي وأمير الناس كلهم \* قد جاز في حكمه من كان يسقيني  
 اني غفلت عن الساقى فصيرني \* كما تراني سائب العقل والدين  
 وحال ابن أكرم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشرابهم انما كان النبيذ ولم يكن  
 محظورا عندهم وأما السكر فليس من شأنهم وصحابته للمأمون انما كانت خلة في  
 الدين ولقد ثبت انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته  
 انه اتبعه ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويلتمس الاناء مخافة أن يوقظ يحيى بن  
 أكرم وثبت أنهم ما كان يصليان الصبح جميعا فأين هذا من المعاقرة وأيضا فان يحيى  
 ابن أكرم كان من علمية أهل الحديث وقد أثنى عليه الامام أحمد بن حنبل واسماعيل  
 القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر المزي الحافظ أن البخاري روى  
 عنه في غير الجامع فالقدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ما ينزه المجان بالميل الى الغلمان  
 بهما على الله وفريته على العلماء ويستندون في ذلك الى أخبار القصاص الواهية التي  
 لعلمها من اقتراء أعدائه فإنه كان محسودا في كماله وخلفته للسلطان وكان مقامه من  
 العلم والدين منزها عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان  
 الله سبحان الله ومن يقول هذا أنكر ذلك انكارا شديدا وأثنى عليه اسمعيل القاضي  
 فقيل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله أن تزول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد وقال  
 أيضا يحيى بن أكرم أبرأ الى الله من أن يكون فيه شيء مما كان يرمى به من أمر الغلمان  
 ولقد كنت أقف على سرائره فأجده شديدا الخوف من الله لكنه كانت فيه دعاية  
 وحسن خلق فرمي بما رمي به وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحيكى  
 عنه لان أكثرها لا يصح عنه (ومن أمثال هذه الحكايات) ما نقله ابن عبد ربه  
 صاحب العقد من حديث الزنيل في سبب اصهار المأمون الى الحسن بن سهل في بقة  
 بوران وأنه عثر في بعض الليالي في تطوافه بسكان بغداد في زنبيل ممدى من بعض  
 السطوح بمعاليق وجدل مغارة القتل من الحرير فاقتعده وتناول المعاليق فاهتزت  
 وذهب به صعودا الى مجلس شأنه كذا ووصف من زينة فرشته وتضييد أبنيته وجمال  
 رؤيته ما يستوقف الطرف ويملك النفس وأن امرأته برزت له من خلل الستور في ذلك  
 المجلس رائقة الجمال فتأناه المحاسن فحسبه ودعته الى المنادمة فلم يرزل يعاقرها الخمر حتى  
 الصباح ورجع الى أصحابه بكانهم من انتظاره وقد شغفته حبا بعثه على الاصهار الى  
 أيها وأين هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه واقته فانه سنن الخلفاء



الراشدين من آباءه وأخذ به سيرة الخلفاء الاربعة أركان الملة ومناظرته للعلماء وحفظه  
لحدود الله تعالى في صلواته وأحكامه فكيف تصح عنه أحوال الفساق المستهترين  
في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمرسميل عشاق الاعراب وأين  
لك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدارأيها من الصون والعفاف  
وأمثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها  
والحديث بها الانهزام في اللذات المحرمة وهتك قناع المخدرات وتعللون بالتأسي  
بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلججون بأشباه هذه الاخبار  
وينقرون عنها عند تصفحهم لاوراق الدواوين ولوائتسوا بهم في غير هذا من  
أحوالهم وصفات الكمال اللاتقة بهم المشهورة عنهم اكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون  
ولقد عدلت يوما بعض الامراء من أبناء المول في كانه بتعلم الغناء وولوعه بالآوتار  
وقلت له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي أفلا ترى الى ابراهيم بن المهدي  
كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا  
تأسيت بأبيه أو أخيه أو ما رأيت كيف قعد ذلك بابراهيم عن مناصبهم فصم عن عدلي  
وأعرض والله يهدي من يشاء (ومن الاخبار الواهية) ما يذهب اليه الكثير من  
المؤرخين والاثبات في العبيد بين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن  
أهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق  
يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ترلقا اليهم  
بالقدح فيمن ناصبهم وتقننا في السمات بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه الاحاديث  
في أخبارهم ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات وأدلة الاحوال التي اقتضت  
خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدا  
دولة الشيعة ان أباعبد الله المحتسب لما دعي بكامة للرضي من آل محمد واشترخر خبره  
وعلم تحويجه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم خشيما على أنفسهم ما فهر با من  
المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر وأنهما خرجا من الاسكندرية في زى التجار ونعى  
خبرهما الى عيسى النوشري عامل مصر والاسكندرية فسرّح في طلبهما الخيالة حتى  
اذا أدر كاخني حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزى فأفلتوا الى المغرب  
وأن المعتضد أوعز الى الاغلبة أمراء افريقية بالقيروان وبني مدرار أمراء سجلماسة  
بأخذ الآفاق عليهم واذا كعاء العيون في طلبهما فغتر اليسع صاحب سجلماسة  
من آل مدرار على خفي مكانهما ببلده واعقلهما مرضاة للخليفة هذا قبل أن تظهر  
الشيعة على الاغلبة بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب

المستهتر بالشئ  
بالفتح الموضع به  
لا يبالى بما فعل فيه  
وشتم له والذي  
كثرت اباطيله له اه  
قاموس

وافريقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم مصر والشام والجزيرة وقاسموا بني العباس في  
ممالك الاسلام ثم الابلّة وكادوا يطعنون عليهم مواطنهم ويزايلون من أمرهم وانقد  
أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير المباسمي من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء  
بني العباس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم وخطب لهم على منابرها حولا  
كلاما وما زال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني أمية وراء البحر ينادون  
بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعي في النسب يكذب في التحال الامر  
واعتبر حال القره طلي اذ كان دعيا في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت أنساعه  
وظهر سر يعا على خبيثهم ومكرهم فساعت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر  
العبيدين كذلك اعرف ولو بعد مهلة

ومهما تكن عند امرئ من خليقة \* وان خالها تخفى على الناس تعلم  
فقد اتصلت دولتهم فحوامن مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام  
ومصلاه وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحج ومهبط الملائكة ثم  
انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب  
فيهم واعتمادهم بنسب الامام اسمعيل بن جعفر الصادق وانقد خرجوا مراما بعد  
ذهاب الدولة ودروس أثرها داعين الى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم  
يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية من سلف قباهم من الأئمة  
ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البسطة  
لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتمله (والعجب) من القاضي  
أبي بكر الباقر لاني شيخ النظار من المتكلمين ينجح الى هذه المقالة المرجوحة ويرى  
هذا الرأي الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الاحاد في الدين والتعمق في  
الرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالدي يغني عنهم من  
الله شيئا في كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من أهلك  
انه عمل غير صالح فلا تنسأ ان ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة بعظها  
يا فاطمة اعلمي فلن أغني عنك من الله شيئا ومتى عرف امر وقضية أو استيقن أمرا  
وجب عليه أن يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال  
الظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطاعة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم  
وتزخروا بهم مرة بعد أخرى فلاذت رجالهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون  
كما قبل

فلو تسأل الايام ما سمى ما درت \* وأين مكان ما عرفن مكانا



حتى لقد سمي محمد بن اسمعيل الامام جده عبيد الله المهدي بالملكوت سمي بذلك شيعتهم  
 لما اتفقوا عليه من اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شبيعة بن العباس بذلك  
 عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدافوا به ذرايا القائل للمستضعفين من  
 خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون  
 به عن أنفسهم وسلطانهم معزة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر  
 والحجاز من البربر الكاميين شبيعة العبيديين وأهل دعوتهم حتى لقد أسجل القضاة  
 ببغداد بنفهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من أعلام الناس جماعة منهم  
 الشريف الرضي وأخوه المرتضى وابن البطحاوي ومن العلماء أبو حامد الاسفرايني  
 والقندوري والصيمري وابن الاكفاني والأيوردي وأبو عبد الله بن النعمان  
 فقيه الشيعة وغيرهم من أعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين وأربعمائة  
 في أيام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما شتهروا وعرف بين الناس  
 ببغداد ونحوها شبيعة بن العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما  
 سمعوه ورووه حسب ما وعوه والحق من ورائه وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى  
 ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة  
 نسبهم فالمعتضد أقعد بنسب أهل البيت من كل أحد والدولة والسلطان سوق للعالم  
 تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتلتس فيه ضوال الحكم وتحدي اليه ركائب  
 الروايات والاخبار وما نفي فيهما نفي عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل  
 والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر عن عهد السيل نفق في سوقها الا برين  
 الخالص واللجين المصفي وان ذهبت مع الاغراض والحقود وما جت به ماسرة البغي  
 والباطل نفق البهرج والزائف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحسنه وملمته  
 (ومثل هذا) وأبعد منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد  
 الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين الامام بعد أبيه  
 بالمغرب الأقصى ويعرضون تعريض الحد بالتظن في الحمل المخلف عن ادريس الاكبر  
 أنه لا راشد مولا لهم قبحهم الله وأبعدهم ما أجهلهم أما يعلمون أن ادريس الاكبر كان  
 أصهاره في البربر وأنه منذ دخل المغرب الى أن توفاه الله عز وجل عريق في البدو  
 وأن حال البادية في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأق فيها الريب وأحوال  
 حرمهم أجمعين بما رأى من جاراتهم ومسمع من جيرانهم لتلاصق الجدران وتطامن  
 البنيان وعدم الفواصل بين المساكن وقد كان راشديتولى خدمة الحرم أجمع من  
 بعد مولا بهشمدن أولياؤهم وشيعتهم ومراقبه من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب

قوله ولم تجر برين  
 الجيم مضارع جار  
 أي لم تمل ٥

الاقصى عامة على بيعة ادريس الاصغر من بعد أبيه وآتوه طاعتهم عن رضا واصفاق  
وبايعوه على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنيا في حروبه وغزواته ولو حدثوا  
أنفسهم بمثل هذه الرية أو قرعت أسماعهم ولو من عدو كاشح أو منافق من تاب لتخلف  
عن ذلك ولو بعضهم - كلاً والله انما صدرت هذه الكلمات من بنى العباس أقتالهم  
ومن بنى الاغلب عمالهم كانوا باقر بقية وولاتهم وذلك انه لما قرأ ادريس الاكبر الى  
المغرب من وقعة مج أو عز الهادي الى الاغالبه أن يقعدوا بالمرصد ويذكوا عليه  
العبيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم أمره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من  
بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من دسيسة التشيع  
للعلوية وادهاه في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ودس السماخ من موالى المهدي  
أبيه للتخيل على قتل ادريس فأظهر اللحق به والبراءة من بنى العباس مواليه فاشقل  
عليه ادريس وخلطه بنفسه وناولته السماخ في بعض خلواته سما استهلكه ووقع  
خبر مهلكه من بنى العباس أحسن المواقع لما رجوه من قطع أسباب الدعوة العلوية  
بالمغرب واقتلاع جرتومتها ولما نادى اليهم خبر الحمل الخلف لادريس فلم يكن لهم  
الا كلاً ولا واذا بالدعوة قد عادت والشيعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادر يس بن  
ادريس قد تجددت فكان ذلك عليهم أنكى من وقع السهام وكان الفشل والهزم  
قد نزل بدولة الغرب عن أن يسموا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس  
الا كبر بكماله من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التحيل في اهلا كد بالسحوم  
فعند ذلك فرعوا الى أوليائهم من الاغالبه باقر بقية في سدة تلك الفرجة من ناحيتهم  
وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل أن تشج منهم  
يخاطبهم بذلك المأمون ومن بعده من خلفائهم فكان الاغالبه عن برابرة المغرب  
الاقصى أعجز ومثلها من الزبون على ملوكهم أحوج لما طرق الخلافة من انتراء  
ممالك العجم على سدتها وامتطائهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم أحكامها  
طوع أغراضهم في رجالها وجبايتها وأهل خطتها وساير نقضها وإبرامها كما قال  
شاعرهم

خليفة في قصص • بين وصيف وبغا

يقول ما قاله • كما تقول البيغا

نخشي هؤلاء الامراء الاغالبه بوادر السعايات وتلوا بالمعاذير فطورا باحتقار المغرب  
وأهله وطورا بالارهاب بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من أعقابها  
يخاطبونهم بتجاوزه حدود النجوم من عمله ويتفدون سكتته في تحفهم وهداياهم

ومرتفع جباياتهم تعرضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكة وتعظيما لمادفعوا اليه  
من مطالبته ومراسه وتهديدا بقلب الدعوة ان ألجؤا اليه وطورا يطعنون في نسب  
ادريس بمنزل ذلك الطعن الكاذب تخفيفا لشأنه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعده  
المسافة وأفن عقول من خلف من صبيبة بنى العباس ومماليكهم العجم في القبول من  
كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا دأبهم حتى انقضى أمر الاغلبية ففرغت هذه  
الكلمة الشنعاء أسمع لغوغاء وصر عليها بعض الطاعنين أذنه واعتد هاذر بعة الى  
النيل من خلفهم عند المنافسة ومالهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة  
فلا تعارض فيها بين المقطوع والمظنون وادريس ولد على فراش أبيه والولد للفراش  
على أن تزيه أهل البيت عن مثل هذا من عقائد أهل الايمان فآله سبحانه قد أذهب  
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس  
بحكم لقرآن ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بائمه وولج الكفر من بابه وانما أطنبت في  
هذا الردسة الابواب الرب ودفعنا في صدر الحاسد لما سمعته اذناى من قائله المعتدى  
عليهم به القباح في نسبهم بقريته وينقله بزعمه عن بعض مؤرخي المغرب بمن انفجر  
عن أهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والافالحل منزعه عن ذلك معصوم منه ونفي  
العيب حيث يستحيل العيب عيب لـكنى جادلت عنهم في الحياة الدنيا وأرجو  
أن يجاد لواعني يوم القيامة (ولتعلم) أن أكثر الطاعنين في نسبهم انما هم الحسدة  
لاعقاب ادريس هذا من منتم الى أهل البيت أرد خيل فيهم فان ادعاء هذا النسب  
الكريم دعوى شرف عريض على الامم والاجيال من أهل الآفاق فتعرض التهمة  
فيه ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ  
من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا يطمع أحد في دركه اذ هو نقل الامة  
والجيل من الخلاف عن الامة والجيل من السلف وبيت جدتهم ادريس مختط فاس  
ومؤسسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلاتهم ودروبهم وسيفه منتضى برأس المأذنة  
العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت أخبارها حدود التواتر  
مرات وكادت تلحق بالعيان فاذا نظر غيرهم من أهل هذا النسب الى ما آتاهم الله من  
أمثالها وما عصف شرفهم النبوى من جلال الملك الذى كان لسلفهم بالمغرب واستيقن  
أنه بمعزل عن ذلك وأنه لا يبلغ مدأ حدتهم ولا نصيفه وأن غاية أمر المتقين الى البيت  
الكريم ممن لم يحصل له أمثال هذه الشواهد أن يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون  
في أنسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص  
بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء حسدا من عند أنفسهم



فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفاضل والقول  
 المكذوب تعلل بالمساواة في النظم والمساوية في طرق الاحتمال وهيئات لهم ذلك  
 فليس في المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه  
 ووضوحه مبالغ أعقاب ادريس هذا من آل الحسن **و** كبراً وهم لهذا العهد  
 بنوعهم ران بفاس من ولي يحيى الحوطي بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس  
 ابن ادريس وهم نقباء أهل البيت هنالك والسالكون بيت جدتهم ادريس ولهم  
 السيادة على أهل المغرب كافة حسبما ذكرهم عند ذكر الادارة ان شاء الله تعالى  
 (ولحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفائلة ما يتناولوه ضعفه الرأي من فقهاء  
 المغرب من القدح في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة  
 والتبليس فيما أتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعي على أهل البغي قبله وتكذيبهم  
 لجميع مدعيانته في ذلك حتى فيما يزعم الموحدون اتباعه من اتسابه في أهل البيت  
 وانما جعل الفقهاء على تكذيبه ما يكن في نفوسهم من حسده على شأنه فانهم لما رأوا  
 من أنفسهم مناهضته في العلم والفتيا وفي الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بأنه متبوع الرأي  
 مسموع القول موطأ العقب نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبه  
 والتكذيب لمدعيانته وايضا فكانوا يؤنسونه من ملوك المتونة أعدائه تجله وكرامة لم تكن  
 لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السذاجة وانتحال الديانة فكان لجملة العلم بدولتهم  
 مكان من الوجاعة والانتصاب للشورى كل في بلده وعلى قدره في قومه فأصبحوا  
 بذلك شيعة لهم وحر بالعدوهم ونقموا على المهدي ما جابه من خلافهم والتريب  
 عليهم والمناسبة لهم تشيعا لمتونة وتعصب الدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله  
 على غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على أهل الدولة ما نقم من أحوالهم وخالف  
 اجتهاده فقهاءهم فنادى في قومه ودعا الى جهادهم بنفسه فاقبلت الدولة من أصولها  
 وجعل عاليها سافلها أعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا وحامية وتساقطت  
 في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصى الا خالفها قديما يعوده على الموت ووقوه بأنفسهم  
 من الهاكة وتقرّبوا الى الله تعالى باتلاف مهجهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب  
 لتلك الكلمة حتى علت على **الكل** ودالت بالعدوتين من الدول وهو بحالة من  
 التقشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على  
 شيء من الحظ والمتاع في دنياه حتى الولد الذي ربما تنجى اليه النفوس وتخادع عن  
 غنيته فليت شعري ما الذي قصه بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من  
 الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانفسحت دعوته سنة الله

التي قد خلت في عبادته (وأما) انكارهم نسبه في أهل البيت فلا تعضده حجة لهم مع  
 انه ان ثبت أنه ادعاه وانسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون  
 في أنسبهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير أهل جلدتهم كما هو الصحيح  
 حسبما يأتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قدر رأس سائر المصامدة ودانوا  
 باتباعه والانتقياد اليه والى عصابته من هرغة حتى تم أمر الله في دعوته فاعلم أن هذا  
 النسب الفاطمي لم يكن أمر المهدي يوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وانما كان  
 اتباعهم له بعصية الهرغية والمعمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها كان ذلك  
 النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقى عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم  
 فيكون النسب الاول كأنه انسلخ منه ولبس جلدة هؤلاء وظهر فيها فلا يضره  
 الانتساب الاول في عصيته اذ هو مجهول عند أهل العصابة ومثل هذا واقع كثير اذ  
 كان النسب الاول خفيا (وانظر) قصة عرجة وجرير في رياسة بجيلة وكيف كان  
 عرجة من الازد ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضى الله عنه  
 كما هو مذكور تفهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب (وقد) كدنا أن نخرج عن  
 غرض الكتاب بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت أقدام كثير من الاثبات والمؤرخين  
 الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكفاية من  
 ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية  
 واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطًا وناظره مرتبكًا وعد  
 من مناسحي العامة فاذا احتاج صاحب هذا الفن الى تعلم قواعد السياسة وطبائع  
 الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل  
 والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب  
 من الوفاق أو يوبن ما بينهم من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على  
 أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال  
 القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث واقفا على أصول كل  
 خبر وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها  
 وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه وما استكبر القديما علم  
 التاريخ الا لذلك حتى اتحله الطبري والبخاري وابن اسحق من قبلهم ما أمثالهم من  
 علماء الامة وقد ذهل الكثير عن هذا السرفية حتى صار اتحاله مجهولة واستخف  
 العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعة وجهله والخوض فيه والتطفل عليه  
 فاختلط المرعي بالهملي واللباب بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور

(ومن الغلط) الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال  
بتبدل الاعصار ومرار الايام وهو داء دوى شديد الخفاء اذ لا يقع الا بعد احقاب  
متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من اهل الخليفة (وذلك) ان احوال العالم  
والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف  
على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاوقات  
والامصار فكذلك يقع في الآفاق والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد خلت  
في عباده وقد كانت في العالم اُمم الفرس الاولى والسرانيون والنبط والتبابعة  
وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم  
وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم واهوال  
اعمارهم للعالم تشبه بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب  
فتبدلت تلك الاحوال وازالت بها العوائد الى ما يجانسها وبشابهها الى ما يباينها  
او يباينها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانتقلت تلك الاحوال اجمع انقلاباً أخرى  
وصارت الى ما أكثره متعارف لهذا العهد يا خذ الخلف عن السلف ثم درست  
دولة العرب وأيامهم وذهبت الاسلاف الذين شيدوا عزمهم ومهدوا مملكتهم وصار  
الامر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالشرق والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال  
فذهبت بذهابهم اُمم وانتقلت احوال وعوائد نسي شأنها واغفل أمرها (والسبب)  
الشائع في تبدل الاحوال والعوائد ان عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال  
في الامثال الحكيمية الناس على دين الملك وأهل الملك والسلطان اذا استولوا على  
الدولة والامر فلا بد وأن يقرعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها  
ولا يغيروا عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل  
الاول فاذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومنزجت من عوائدهم وعوائد خالفت  
أيضاً بعض الشيء وكانت الاولى أشد مخالفة ثم لا يزال التسدرج في المخالفة حتى  
ينتهي الى المباينة بالجملة فتأدات الامم والاجيال تتعاقب في الملك والسلطان  
لا تزال المخالفة في العوائد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة  
معروفة ومن الغلط غير ما مونة تخبر به مع الدهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن  
ممراته فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير  
الاحوال وانقلابها فيجربها الاقوال وهله على ما عرف ويقسمها بما شهد وقد يكون  
الفرق بينهما كثيراً فيقع في مهواة من الغلط (فمن هذا الباب) ما ينقله المؤرخون  
من احوال الحجاج وأن أباه كان من المعلمين مع أن التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع



الخدم الاصل  
قاموس

المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العصبية والمعلم المستضعف مسكين منقطع الخدم  
فيتشوق الكثير من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية إلى نيل الرتب التي  
ليسوا لها بأهل ويعتدونها من الممكّنات لهم فتذهب بهم وسائس المطامع وربما انقطع  
حبها من أيديهم فسقطوا في مهوأة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم  
وأنهم أهل حرف وصنائع للمعاش وأن التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك  
ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من  
الدين على جهة البلاغ فكان أهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالله هم الذين  
يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبرى لا على وجه  
التعليم الصنائع اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم  
قاتلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون على تبليغ ذلك  
وتفهيمه للامة لاتصدّهم عنه لائمة الكبر ولا يزعمهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث  
النبي صلى الله عليه وسلم بكبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به  
من شرائع الدين بعث في ذلك من اصحابه العشرة فن بعدهم فلما استقر الاسلام  
ووشجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من أيدي أهلها واستمالت بمرور الايام  
أحوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها  
فاحتاج ذلك اقلان يحفظه من الخطا وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فأصبح من  
جملة الصنائع والحرف كما يأتي ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل أهل العصبية  
بالقيام بالملك والسلطان فدفعوا للعلم من قام به من سواهم وأصبح حرفة للمعاش  
وشغخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص اتصاله  
بالمستضعفين وصار منتهله محقرا عند أهل العصبية والملك والنجاح بن يوسف كان  
أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في  
الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا العهد من أنه حرفة  
للمعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب)  
أيضا ما يتوهمه المتصفعون لكتب التاريخ اذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه  
من الرياسة في الحروب وقود العساكر فترامى بهم وسائس الهيم الى مثل تلك  
الرتب يحسبون أن الشأن في خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل  
ويظنون بأن أبي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف  
بشيبلية اذا سمعوا أن آباءهم كانوا قضاة أنهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما  
وقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد كما بينه في فصل القضاء من الكتاب الاول

وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القاطنين بالدولة الاموية بالاندلس وأهل  
عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن يلهم لسانا لونه من الرياسة والملك بمخطة القضاء  
كما هي لهذا العهد بل انما كان القضاء في الامر القديم لاهل العصبة من قبيل الدولة  
ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف  
وتقليدهم عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنى فيها بالعصبة فيغاط السامع في  
ذلك ويحمل الاحوال على غير ما هي وأكثرا يقع في هذا الغلط ضعفاء البصائر من  
أهل الاندلس لهذا العهد لتفقدان العصبة في مواطنهم منذ أعصار بعيدة لفساد العرب  
ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة أهل العصبات من البربر بقيت أنسابهم العربية  
محفوفة والذريعة الى العزم من العصبة والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا  
المتخاذلين الذين تعبدتهم القهرو ورغوا للمذلة يحسبون ان أنسابهم مع مخالطة الدولة  
هي التي يكون لهم بها الغلب والتحصن فجدأ أهل الحرف والصنائع منهم مستدين  
لذلك ساعين في نيله فأما من باشر أحوال القبائل والعصبة ودولهم بالعدوة الغربية  
وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقلما يغلطون في ذلك ويخطئون في اعتباره  
(ومن هذا الباب) أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها فيذكرون  
اسمه ونسبه وأباه وأمه ونسأه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد  
لمؤرخي الدولتين من غير غنن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون  
تواريخهم لاهل الدولة وأبناءؤها منشوفون الى سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا  
آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط  
والمراتب لآبناء صنائعهم وذويهم والقضاة أيضا كانوا من أهل عصبة الدولة وفي  
عداد الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله وأما حين تباينت الدول  
وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ونسب الدول  
بعضها من بعض في قوتها وغلبيتها ومن كان يناهضها من الامم أو يقصر عنها فالفائدة  
للمصنف في هذا العهد في ذكر الأبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير  
والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم انما حملهم على  
ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول عن تحرى الاغراض  
من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك أخبارهم  
كالجراح وبني المهلب والبرامكة وبني سهل بن نوبخت وكافور الاخشيدي وابن أبي عامر  
وأمثالهم فغير نكيرا لا لماع بآبائهم والاشارة الى أحوالهم لا تنظامهم في عداد الملوك  
(ولند ذكر) هنا فائدة نختص كلامنا في هذا الفصل بها وهي أن التاريخ انما هو ذكر

العصبة بفتح  
التعصب وهو أن  
يذب الرجل عن  
حريم صاحبه  
ويشمر عن ساق  
الجد في نصره  
منسوبة الى  
العصبة محركة وهم  
أقارب الرجل من  
قبل أبيه لانهم هم  
الذابون عن حريم  
من هو منتهاهم  
وهي بهذا المعنى  
ممدوحة وأما  
العصبة المذمومة  
في حديث الجامع  
الصغير ليس منا  
من دعا الى عصبة  
وليس منا من  
قاتل على عصبة  
وليس منا من مات  
على عصبة فهي  
تعصب رجال  
لقبيلة على رجال  
قبيلة اخرى لغير  
ديانة كما كان يقع  
من قيام سعد على  
برام نسبة الى =

الاخبار الخاصة بعصر أوجيل (فاما) ذكر الاحوال العامة للاتفاق والاجيال  
 والاعصار فهو أس للمؤرخ تنبى عليه أكثر مقاصده وتبين به أخباره وقد كان الناس  
 يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودى في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الامم  
 والاتفاق لعهدده في عصر الثلاثين والثلاثمائة غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوائدهم  
 ووصف البلدان والجمال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار  
 اما للمؤرخين يرجعون اليه وأصلا يقولون في تحقيق العـ كثير من أخبارهم  
 عليه ثم جاء البكرى من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها  
 من الاحوال لان الامم والاجيال لعهدده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير وأما هذا  
 العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت  
 بالجملة واعتاض من أجيال البربر أهل على القدم من طرأ فيه من لدن المائة الخامسة  
 من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم واتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيها  
 بقي من البلدان ملكهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة  
 الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحميف الامم وذهب بأهل الجبل وطوى كثيرا من  
 محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هزمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص  
 من ظلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداغت الى التلاشى والاضمحلال  
 أحوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست  
 السبل والمعالم وختت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن  
 وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عرانه  
 وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالتحول والانقباض فبادر بالاجابة والله وارث  
 الارض ومن عليها واذ تبدلت الاحوال بجملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول  
 العالم بأسره وكأنه خالق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من  
 يدون أحوال الخليفة والاتفاق وأخبارها والعوائد والنحل التي تبدلت لأهلها ويقفو  
 مسلك المسعودى لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتي من المؤرخين من بعده  
 (وأنا ذاكر في كتابي) هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحا أو مندرجا في  
 أخباره وتلويحا لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأعمه وذكر  
 محالكم ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على أحوال المشرق وأعمه وان  
 الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما أريده منه والمسعودى انما استوفى ذلك لبعده رحلته  
 وتقلبه في البلاد كما ذكر في كتابه مع أنه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء أحواله وفوق كل  
 ذي علم عليه ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف بتعين واجب ومن

= العصبية بمعنى قوم

الرجل الذين

يتعصبون له ولو

من غير آفاريه

ظالم لما كان أو

مظلوما وفي

القتاوى الخيرية

من موانع قبول

الشهادة العصبية

وهي أن يغيض

الرجل الرجل لانه

من بني فلان أو

من قبيلة كذا

والوجه في ذلك

ظاهر وهو ارتكاب

الحرم في الحديث

ليس منا من دعا

الى عصبية وهو

موجب للفسق

ولاشهادة لم تركبه

قاله الاستاذ أبو

الوفاء اهـ من جملة



كان الله في عونه تبسرت عليه المذاهب وأنجحت له المساعي والمطالب (ونحن)  
 آخذون بعون الله فيما رماه من أغراض التأليف والله المسدد والمعين وعليه التكلان  
 (وقد) بقى علينا أن نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات  
 العرب إذا عرضت في كتابنا هذا (اعلم) أن الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعد  
 هي كيفية الاصوات الخارجة من الخنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة  
 وأطراف اللسان مع الحنك والخلق والاضراس أو بقرع الشفتين أيضا فتتغير  
 كيفية الاصوات بتغير ذلك القرع وتجي الحروف متميزة في السمع وتتركب  
 منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك  
 الحروف فتد يكون لائمة من الحروف ما ليس لائمة أخرى والحروف التي نطقت بها  
 العرب هي ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت ونجد للعبرانيين حروفا ليست في لغتنا وفي  
 لغتنا أيضا حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من  
 العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطالحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع  
 حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر  
 الثمانية والعشرين وإذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقى مهملا عن  
 الدلالة الكتابية مغفلا عن البيان وربما رسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي  
 يليه من لغتنا قبله أو بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للعرف من أصله  
 (ولما) كان كتابنا مشتملا على أخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في أسمائهم  
 أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا الى بيانه  
 ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه  
 فاصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين  
 يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخارجي ذينك الحرفين فتحصل تأديته وانما  
 اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قراءة خلف فان  
 النطق بصاحه فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها  
 شكل الزاي ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل  
 حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف  
 الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم بلكين فأضعها كافا وأنقطها بنقطة الجيم  
 واحدة من أسفل أو بنقطة القاف واحدة من فوق أو ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط  
 بين الكاف والجيم أو القاف وهذا الحرف أكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من  
 غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم

القارئ أنه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه الكاف قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب بمنه وفضله

الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليفة وما عرض فيها من البرد والحضر والقطب  
والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وذلك من العلل والاسباب

(اعلم) أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما تعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول وممراتها وما يتخلله البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (ولما كان) الكذب ممة طرقت للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فمنها التشيعات للآراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التخصيص والنظر حتى تبين صدقه من كذبه واذا حمرها تشيع لرأي أو نحلته قبلت ما يوافقها من الاخبار لا قول وهله وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرته عن الانتقاد والتخصيص فتقع في قبول الكذب ونقله (ومن الاسباب) المقتضية للكذب في الاخبار أيضا الثقة بالناقلين وتعميص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (ومنها) الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجيء في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما بداخها من التلبس والتصنع في نقلها الخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بهم على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطاعون الى الدنيا واسبابها من جاء أو ثروة وليسوا في الاكثر براغمين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها (ومن الاسباب) المقتضية له أيضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمييز الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا

أبلغ في التجميع من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار  
المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدقته دواب البحر  
عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص  
فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من  
أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان فقهرت تلك الدواب حين خرجت وعابنتها وتم له  
بناءؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت  
الزجاجي ومصادمة البحر وأما وجه بحره ومن قبل أن الملوك لا تحمل أنفسهم على  
مثل هذا الغرور من اعتمده منهم فقد عثر عن نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع  
الناس الى غيره وفي ذلك اتلافه ولا ينتظرون به رجوعه من غروهم ذلك طرفة عين ومن  
قبل أن الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تحتص بهم انما هي قادرة على التشكل وما  
يذكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لأنه حقيقة (وهذه) كلها  
قادرة في تلك الحكاية والقاصح الخيل لها من طريق الوجود أي من هذا كله وهو  
أن المنغمس في الماء ولو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي وتسخن  
روحه بسرعة تغلبه فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي  
ويهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك أهل الحمامات اذا أطبقت عليهم عن الهواء  
البارد والمتدليز في الآبار والمطامير العميقة المهوى اذا سخن هواؤها بالعفونة ولم  
تدخلها الرياح فتخلطها فان المتدلي فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت  
اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه في تعديل رتته اذ هو حار بافراط والماء الذي  
يهدله بارود والهواء الذي خرج اليه حار فيستولى الحار على روحه الحيواني ويهلك  
دفعه ومنه هلاك المصعوقين وأمثال ذلك (ومن الاخبار) المستحيلة ما نقله  
المسعودي أيضا في شمال الزرور الذي برومة يجتمع اليه الزراري في يوم معلوم من  
السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما أبعد ذلك عن المجري الطبيعي في  
اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط  
بأكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للتحصن  
والاعتصام كما يأتي وهذه خرجت عن أن يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكما  
نقله المسعودي أيضا في حديث مدينة النحاس وانهم لمدينة كل بنائها نحاس بصحراء  
سجلماسة ظفريها موسى بن نصير في غزوته الى المغرب وانهم مغلقة الابواب وان  
الصاعد اليها من أسوارها اذا أشرف على الحائط صفق ورعى بنفسه فلا يرجع آخر  
الذهرفي حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفضها



الخبر في بالضم الثالث  
البيت اه قاموس

الركاب والادلاء ولم يقفوا هذه المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكرناها  
كلها مستحيل عادة مناف للامور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية  
الموجود منها أن يصرف في الآتية والخبر في وأما تشييد مدينة منها فكما تراه من  
الاستحالة والبعد وأمثال ذلك كثير وتجميعه انما هو بعرفة طابع العمران وهو  
أحسن الوجوه وأوثقها في تجميع الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على  
التجميع بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه  
ممكن أو ممتنع وأما اذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح والتقدم  
أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله أن يؤول بما لا يقبله  
العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعبر في صحة الاخبار الشرعية لان  
معظمها كاليف انشائية أو بوجوب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها  
وسيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط (وأما الاخبار) عن الوقائع قلابد  
في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فذلك وجب أن ينظر في امكان وقوعه وصار  
فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه اذ فائدة الانشاء متبسة منه فقط وفائدة  
الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك فالقانون في تميز الحق من الباطل في  
الاخبار بالامكان والاستحالة أن تنظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وتميز  
ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن  
يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تميز الحق من الباطل في الاخبار والصدق  
من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شيء من الاحوال  
الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معيارا صحيحا  
يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا  
الكتاب الاول من تأليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران  
البشري والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض  
والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا  
(واعلم) ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب التزعة عزيز  
الفائدة أعثر عليه البحث وأدى اليه الغوص وليس من علم الخطابة الذي هو أحد  
العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة في استمالة  
الجمهور الى رأي أو صدقهم عنه ولا هو أيضا من علم السياسة المدنية اذ السلسلة المدنية  
هي تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على  
منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين

ربما يشبهانه وكأنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم أقف على الكلام في منعه لاحد من  
 الخليفة ما أدري لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض  
 واستوفوه ولم يصل اليها فالعلوم كثيرة والحكمة في أمم النوع الانساني متعددة دون  
 وما لم يصل اليها من العلوم أكثر مما وصل فأين علوم الفرس التي أمر عمر رضي الله  
 عنه بمعوها عند الفتح وأين علوم الكلدانيين والسريانيين وأهل بابل وما ظهر عليهم  
 من آثارها وتسميها وأين علوم القبط ومن قبلهم وانما وصل اليها علوم أمة واحدة  
 وهم يونان خاصة لكلف المأمون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين  
 وبذل الاموال فيها ولم نقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعلقة  
 طبيعية يصلح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب أن يكون باعتبار  
 كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه الحكمة لعلهم انما لاحظوا في ذلك  
 العناية بالثمرات وهذا انما ثمرته في الاخبار فقط كما رأيت وان كانت مسائله في ذاتها  
 وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تصحیح الاخبار وهي ضعيفة فلهذا هجره والله أعلم  
 وما أوتيت من العلم الا قليلا (وهذا الفن) الذي لاح انما النظر فيه نجده من مسائل  
 تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع  
 والمطاب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في اثبات النبوة من أن البشر متعاونون في  
 وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب  
 اثبات اللغات أن الناس يحتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون  
 والاجتماع وتبيان العبارات أخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية  
 بالمقاصد في أن الزنا مخاط للانساب مقسد للنوع وأن القتل أيضا مفسد للنوع وان  
 الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد  
 الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما  
 يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل الممثلة (وكذلك) أيضا يقع اليها  
 القليل من مسائله في كلمات متفرقة للحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه (فن كلام)  
 المؤيد ان بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي أيها الملك ان الملك لا يتم  
 عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيهِ ولا قوام للشرعية  
 الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة  
 ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة ونصبه الرب وجعل  
 له قيميا وهو الملك (ومن كلام أنثروان) في هذا المعنى بعينه الملك بالحنند والحنند  
 بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال

واصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل باقية اذ الملك حال رعيته بنفسه  
 واقتداره على تأديتها حتى يملكها ولا تملكه (وفي الكتاب) المنسوب لارسطوفى  
 السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه الا أنه غير مستوفى ولا معطى حقه من  
 البراهين ومحتمل بغيره وقد أشار فى ذلك الكتاب الى هذه الكلمات التى نقلناها عن  
 الموبدان وأنوشروان وجعلها فى الدائرة التريمية التى أعظم القول فيها وهو قوله  
 العالم بستان سياجه الدولة الدولة سلطان تحياه السنة السنة سياسة يسوسها الملك  
 الملك نظام بعضه الجند الجند أعوان يكفلهم المال المال رزق تجمه معه الرعية  
 الرعية عبيد يكتفهم العدل العدل مألوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع الى  
 أقول الكلام فهذه ثمان كلمات ~~حكمة~~ سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت  
 أعجازها على صدورها واتصلت فى دائرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من  
 فوائدها وأنت اذا تأملت كلامنا فى فصل الدول والملك وأعطيته حقه من  
 التصفح والتفهيم عثرت فى أثناءه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجمالها مستوفى  
 بينا بأوعب بيان وأوضح دليل وبرهان أطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة  
 موبدان وكذلك تجد فى كلام ابن المقفع وما يستطرد فى رسائله من ذكر السياسات  
 الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه انما يجليها فى الذكر على من  
 الخطابة فى أسلوب الترسل وبلاغة الكلام وكذلك حوتم القاضى أبو بكر  
 الطرطوشى فى كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا  
 ومسائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل  
 ولا أوضح الأدلة انما يوجب الباب للمسئلة ثم يستكثر من الاحاديث والآثار  
 وينقل كلمات متفرقة لحكام الفرس مثل بزر جهر والموبدان وحكام الهند والمأتور  
 عن دانيال وهرمس وغيرهم من أكابر الخليفة ولا يـ~~كشف~~ عن التحقيق قساعا  
 ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حججا بانما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكأنه حوتم على  
 الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن ألهمنا الله الى ذلك الهاما  
 وأعثرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسائله وميزت  
 عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية وان فأتى شئ فى احصائه  
 واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق اصلاحه ولى الفضل لاني نهجت له السبيل  
 وأوضحت له الطريق والله يهدي بنوره من يشاء (ونحن) الآن نبين فى هذا الكتاب  
 ما يعرض للبشر فى اجتماعهم من أحوال العمران فى الملك والكسب والعلوم  
 والصنائع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق فى معارف الخاصة والعامة وتدفع



بها الاوهام وترفع الشكوك (ونقول) لما كان الانسان مقيمًا عن سائر الحيوانات  
 بخواص اختص بها فمنها العلوم والصناعات التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن  
 الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان  
 القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل  
 والجراد وهذه وان كان لهما مثل ذلك فبطريق الهامى لا يفكر وروية ومنها السعي  
 في المعاش والاعمال في تحصيله من وجوهه واكتساب أسبابه لما جعل الله فيه من  
 الاقتدار الى الغذاء في حياته وبقائه وهداه الى التماسه وطلبه قال تعالى أعطى كل  
 شئ خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التماساكن والتنازل في مصر أو وحلة للانس  
 بالعشيرة واقضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما سنبينه ومن هذا  
 العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلال المنتجة  
 في القفار وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن  
 والمدائر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله في كل هذه الاحوال أمور تعرض  
 من حيث الاجتماع عروضا ذاتيا له فلا جرم ان نحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة  
 فصول (الاول) في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الارض  
 (والثاني) في العمران البدوي وذكر القبائل والامم الوحشية (والثالث) في  
 الدول والخلافة والملوك وذكر المراتب السلطانية (الرابع) في العمران الحضري  
 والبلدان والامصار (والخامس) في الصناعات والمعاش والكسب ووجوهه  
 (والسادس) في العلوم واكتسابها وتعلمها (وقد) قدمت العمران البدوي لانه  
 سابق على جميعها كما نبين لك بعد ذلك ان تقديم الملك على البلدان والامصار وأما تقديم  
 المعاش فسلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كمالى أو حاجى والطبيعى أقدم  
 من الكمالى وجعلت الصناعات مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث  
 العمران كما نبين لك بعد والله الموفق للصواب والمعين عليه

### (الفصل الاول من الكتاب الاول)

### (في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات)

(الاولى) في أن الاجتماع الانساني ضرورى ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان  
 مدني بالطبع أى لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى  
 العمران وبيانه أن الله سبحانه خلق الانسان ورأسه على صورة لا يصح حيايتها  
 وبقاؤها الا بالغذاء وهداه الى التماسه بفطرته وبارك فيه من القدرة على تحصيله

الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له  
 بمادة حياته منه ولو فرضه تامنه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الخنطة مثلا فلا  
 يحصل الأبعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة  
 يحتاج الى مواعين والآلات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفخوري  
 هب أنه يأكله جبان غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا جبان الى أعمال أخرى  
 أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحبوب من غلاف السنبيل  
 ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصناعات كثيرة أكثر من الاولى بكثير  
 ويستحيل أن توفى بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر  
 الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدرا الكفاية من  
 الحاجة لا أكثر منهم بأضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه  
 الى الاستعانة بأبناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم  
 القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكل من حظ الانسان  
 فقدره الفرس مثلا أعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الجار والثور وقدره  
 الاسد والذئب أضعاف من قدرته ولما كان العدو ان طبعيا في الحيوان جعل  
 لكل واحد منها عضوا يختص بدفاعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان  
 عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيأة للصناعات بخدمة الفكر والصناعات  
 تحصل له الآلات التي تنوب عنه الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع  
 مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النابتة عن المخالب الجارحة  
 والتراس النابتة عن البشرات الجلدية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب  
 منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم  
 سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضا باستعمال الآلات  
 المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصناعات والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من  
 التعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم  
 حياته لما ركب الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا  
 دفاع عن نفسه ان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن  
 مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح  
 للمدافعة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فان هذا الاجتماع ضروري للنوع  
 الانساني والالم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم  
 وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات

للموضوع في فنه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما  
تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس  
أيضا من الممنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضلته ثم ان  
هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع  
بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي  
جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها  
موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من  
غيرهم لصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهامة فيكون ذلك الوازع واحدا  
منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد الى غيره بعدوان  
وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك به هذا أنه خاصة للانسان طبيعية ولا بد لهم منها  
وقد يوحي في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما  
استقرى فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميزة عنهم في خلقه  
وجسمانه الا أن ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة  
والسياسة أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث  
يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وأنهم خاصة بطبيعة للانسان فيقررون هذا  
البرهان الى غاية وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم  
يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر وأنه لا بد أن يكون مقبلا  
عنه بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم  
الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراها اذا  
الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحكم لنفسه أو بالعصية التي  
يقتدرون بها على قهرهم وجعلهم على جادته فأهل الكتاب والمتبعون للانبياء قبلوا  
بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت  
لهم الدول والالاتار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة  
في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فانه يتنع  
وبهم هذا تبين لك غلطهم في وجوب النبوات وأنه ليس بعقلي وانما مسدركه الشرع  
كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية

### (المقدمة الثانية)

(في قطع العمران من الارض والاشجار والانهيار والاقاليم)



(اعلم) أنه قد بين في كتب الحكماء الناظرين في أحوال العالم أن شكل الارض كروي وأنها محفوفة بعنصر الماء كأنها غنية طافية عليه فانحصر الماء عن بعض جوانبها لما أراد الله من تكوير الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة على سائرها وقد يتوهم من ذلك أن الماء تحت الارض وليس بصحيح وإنما تحت الطبيعي قلب الارض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من النقل وماء ذلك من جوانبها وأما الماء المحيط بها فهو فوق الارض وإن قيل في شئ منها أنه تحت الارض فبالإضافة الى جهة أخرى منه وأما الذي انحصر عنه الماء من الارض فهو النصف من سطح كرتها في شكل دائرة أحاط العنصر المائي به من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى أيضا بالبلابة بتفخيم اللام الثانية ويسمى أوقيانوس أسماء أعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود ثم إن هذا المنكشف من الارض للعمران فيه القفار والخلأ أكثر من عمرانها والخالى من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال وإنما المعمور منه قطعة أميل الى الجانب الشمالى على شكل مسطح كرى ينتهى من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرى ووراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصرى الذى بينهما سديا أجوج ومأجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهى من المشرق والمغرب الى عنصر الماء أيضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة وأقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض وأكبر خط فى كرتها كما أن منطقة فلك البروج ودائرة معتدل النهار أكبر خط فى الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع فى ثلاثة أميال لأن الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعاً والأصبع ست حبات شعير مصفوفة ملصق بعضها الى بعض ظهرا لبطن وبين دائرة معتدل النهار التى تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة فى الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع وستون درجة والباقي منها خلأ لا عمارة فيه لشدة البرد والجود كما كانت الجهة الجنوبية خلأ كلها لشدة الحر كما بين ذلك كله ان شاء الله تعالى ثم إن المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والبحار والانهار والقفار والرمال مثل بطليموس فى كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب زجارج من بعده قسموا هذا المعمور

بسبعة أقسام يسمونها الاقاليم السبعة بمجد ودوهمية بين المشرق والمغرب متساوية  
 في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول أطول مما بعده وكذا الثاني الى آخرها  
 فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة  
 الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب الى  
 المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن أحواله وأحوال عمرانه (وذكرنا)  
 أن هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الاقليم الرابع البحر الرومي  
 المعروف يبدأ في خليج متضيق في عرض اثني عشر ميلاً أو نحوها ما بين طنجة وطريف  
 ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقاً وينفسخ الى عرض ستائة ميل ونهايته في آخر  
 الجزء الرابع من الاقليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه  
 هنالك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب وأولها طنجة عند  
 الخليج ثم أفريقية ثم برقة الى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية  
 عند الخليج ثم البنادقة ثم رومة ثم الأفرنجية ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قبالة  
 طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة بكار مثل اقر يطس  
 وقبرص وصقلية وميورقة وسردانية ودانية (قالوا) ويخرج منه في جهة الشمال بجران  
 آخران من خليجين أحدهما سمات للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضيقاً  
 في عرض رمسية السهم ويمر ثلاثة بحار فيتهل بالقسطنطينية ثم ينفسخ في عرض  
 أربعة أميال ويمر في جريه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة  
 عرضها ستة أميال فيمتد بجرنيطس وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه الى ناحية  
 الشرق فيمر بأرض هريقلية وينتهي الى بلاد الخزرية على ألف وثلاثمائة ميل من  
 فوهته وعليه من الجانبين أمم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر الثاني  
 من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال  
 فاذا انتهى الى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب الى بلاد البنادقة وينتهي الى  
 بلاد انكلية على ألف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم  
 أمم ويسمى خليج البنادقة (قالوا) وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق  
 على ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء ببحر عظيم متسع يمر الى الجنوب  
 قليلاً حتى ينتهي الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغرباً الى أن ينتهي في الجزء الخامس  
 منه الى بلاد الحبشة والزنج والى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ  
 وخمسمائة فرسخ من مبدئه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة  
 الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها امرؤ القيس في شعره وليسوا من البربر

الذين هم قبائل المغرب ثم بلاد مقدشوثم بلاد سفالة وأرض الواق واق وأمم أخريس  
بعدهم الألقار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند  
ثم السند ثم سواحل اليمن من الأحقاف وزيد وغريها ثم بلاد الزنج عندها يته  
وبعدهم الحبشة (قالوا) ويخرج من هذا البحر الحبشي بحران آخران (أحدهما)  
يخرج من نهايته عند باب المندب فيبداً متضايقا ثم يمر مستجراً إلى ناحية الشمال  
ومغرباً قليلاً إلى أن ينتهي إلى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الأقليم الثاني على  
ألف وأربعمائة ميل من مبدئه ويسمى بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين  
فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم  
الحجاز وجدّة ثم مدين وأيلة وفاران عندها يته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد  
وعيناب ومواكن وزيلع ثم بلاد الحبشة عند مبدئه وآخره عند القلزم يسامت البحر  
الرومي عند العريش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوكة في الإسلام وقبله  
يرون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك (والبحر الثاني) من هذا البحر الحبشي ويسمى  
الخليج الأخضر يخرج ما بين بلاد السند والأحقاف من اليمن ويمر إلى ناحية الشمال  
مغرباً قليلاً إلى أن ينتهي إلى الأبله من سواحل البصرة في الجزء السادس من الأقليم  
الثاني على أربعمائة فرسخ وأربعين فرسخاً من مبدئه ويسمى بحر فارس وعليه من  
جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والأبله عندها يته ومن جهة  
الغرب سواحل البحرين واليمامة وعمان والشحر والأحقاف عند مبدئه وفيما بين  
بحر فارس والقلزم جزيرة العرب ~~كأنها~~ دخلت من البرقي البحر يحيط بها البحر  
الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضي إلى  
العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما وهنالك الكوفة  
والقادسية وبغداد وایوان كسرى والحيرة ووراء ذلك أمة الأعاجم من الترك والخزر  
وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليمامة والبحرين  
وعمان في جهة الشرق منها وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحل على البحر  
الحبشي (قالوا) وفي هذا المعمور بحر آخر منقطع من سائر البحار في ناحية  
الشمال بأرض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول ألف ميل في عرض ستمائة  
ميل في غربيه أذربيجان والديلم وفي شرقيه أرض الترك وخوارزم وفي جنوبيه  
طبرستان وفي شماليه أرض الخزر واللان (هذه) جيلة البحار المشهورة التي ذكرها  
أهل الجغرافيا (قالوا) وفي هذا الجزء المعمور أنهار كثيرة أعظمها أربعة أنهار  
وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيحون (فأما النيل) فيبداً من



جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم  
الاول ويسمى جبل القمر ولا يعلم في الارض جبل أعلى منه يخرج منه عيون كثيرة  
فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها في أخرى ثم يخرج أنهار من البحيرتين فتصب  
كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ويخرج من  
هذه البحيرة نهران يذهب أحدهما الى ناحية الشمال على سمتة ويمر ببلاد النوبة  
ثم بلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقارب يسمى كل واحد منها خليجا وتصب  
كلها في البحر الرومي عند الاستواء تكدرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه  
والواحات من غربيته ويذهب الآخر منعطفًا الى المغرب ثم يمر على سمتة الى أن يصب  
في البحر المحيط وهونهر السودان وأممهم كلهم على ضفتيه (وأما الفرات) فيبدؤه من  
بلاد أرمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في أرض الروم  
وملطية الى منبج ثم يمر بصفين ثم بالركة ثم بالكوفة الى أن ينتهي الى البطحاء التي بين  
البصرة وواسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتنجلب اليه في طريقه أنهار كثيرة  
ويخرج منه أنهار أخرى تصب في دجلة (وأما دجلة) فيبدؤها من بلاد  
خلاط من أرمينية أيضا وتمر على سمت الجنوب بالموصل وأذربيجان وبغداد الى  
واسط فتفرق الى خلبان كلها تصب في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس وهو في  
الشرق على عين الفرات وتنجلب اليه أنهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين  
الفرات ودجلة من أوله بحيرة الموصل قبالة الشام من عدوى الفرات وقبالة  
أذربيجان من عدوة دجلة (وأما نهر جيحون) فيبدؤه من بلخ في الجزء الثامن  
من الاقليم الثالث من عيون هناك كثيرة وتنجلب اليه أنهار عظام ويذهب من  
الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن  
من الاقليم الخامس فيصب في بحيرة الجرجانية التي بأسفل مدينتها وهي مسيرة شهر في  
مثلها واليهما ينصب نهر فرغانة والشاش الآتي من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون  
بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقيه بلاد بخارى وترمدوسمقندون من هناك الى  
ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخزلبية وأمم الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه  
والشريف في كتاب زجار وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال  
والبحار والادوية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لنسابة لطوله ولأن عنايتنا في الأكثر  
انما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر والاطوان التي للعرب من المشرق والله الموفق

تمت هذه المقدمة الثانية

(في أن الربع الشمالي من الارض اكثر عمرًا من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك)

ونحن نرى بالمشاهدة والاختبار المتواترة أن الأول والثاني من الأقاليم المعمورة أقل  
 عمراناً ما بعدهما وما وجد من عمرانها فيتمخذه الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندي  
 الذي في الشرق منهما وأهم هذين الأقليمين وأناسيهما ليست لهم الكثرة البالغة  
 وأمصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيها قليلة  
 والرمال كذلك أو معدومة وأما أناسيهما تتجاوز الحد من الكثرة وأمصارها ومدنها  
 تتجاوز الحد عدداً والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله  
 وقد ذكر كثير من الحكماء أن ذلك لا فراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت  
 الرأس فلنوضح ذلك ببرهانه ويتبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع  
 من جانب الشمال إلى الخامس والسابع (فنقول) إن قطبي الفلك الجنوبي والشمالي  
 إذا كانا على الأفق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين هي أعظم الدوائر المارة من  
 المشرق إلى المغرب وتسمى دائرة معتدل النهار وقد تبين في موضعه من الهيئته أن الفلك  
 الأعلى متحرك من المشرق إلى المغرب حركة يومية يحركها سائر الأفلاك التي في جوفه  
 قهراً وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين أن للكواكب في أفلاكها حركة مخالفة  
 لهذه الحركة وهي من المغرب إلى المشرق ويختلف موذاهما باختلاف حركة الكواكب  
 في السرعة والبطء وعمرات هذه الكواكب في أفلاكها توافيقها كلها دائرة عظيمة من  
 الفلك الأعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة بأثنى عشر برجاً وهي على  
 مائتين في موضعه مقاطعة لدائرة معتدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما  
 أول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معتدل النهار بنصفين نصف مائل عن معتدل  
 النهار إلى الشمال وهو من أول الحمل إلى آخر السنبلة ونصف مائل عنه إلى الجنوب  
 وهو من أول الميزان إلى آخر الحوت وإذا وقع القطبان على الأفق في جميع نواحي  
 الأرض كان على سطح الأرض خط واحد يسامت دائرة معتدل النهار يمر من المغرب  
 إلى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدد الأقاليم  
 الأول من الأقاليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي  
 يرتفع عن آفاق هذا المعمور بالتدريج إلى أن ينهي ارتفاعه إلى أربع وستين درجة  
 وهناك ينقطع العمران وهو آخر الأقليم السابع وإذا ارتفع على الأفق تسعين  
 درجة وهي التي بين القطب ودائرة معتدل النهار صار القطب على سمت الرأس وصارت  
 دائرة معتدل النهار على الأفق وبقيت ستة من البروج فوق الأفق وهي الشمالية  
 وستة تحت الأفق وهي الجنوبية والعمارة فيما بين الأربعة والستين إلى التسعين  
 ممنوعة لأن الحر والبرد حينئذ لا يحصلان مما ترجين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل التكوين

فاذا الشمس تسامت الرأس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثم تميل عن  
 المسامته الى رأس السرطان ورأس الجدى ويكون نهاية ميلها عن دائرة  
 معدل النهار أربعاً وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالى عن الافق مالت  
 دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي  
 كذلك بمقدار متساو في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقيت عرض  
 البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشمالية  
 مندرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية من  
 الافق كذلك الى رأس الجدى لانحرافها الى الجانبين في أفق الاستواء كما قلناه فلا  
 يزال الافق الشمالى يرتفع حتى يصير أبعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت  
 الرأس وذلك حيث يكون عرض البلد أربعاً وعشرين في الجاز وما يليه وهذا  
 هو الميل الذى اذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في أفق الاستواء ارتفع  
 بارتفاع القطب الشمالى حتى صار مسامته فاذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين  
 نزلت الشمس عن المسامته ولا تزال في انخفاض الى أن يكون ارتفاع القطب أربعاً  
 وستين ويكون انخفاض الشمس عن المسامته كذلك وانخفاض القطب الجنوبي  
 عن الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجد وطول زمانه غير معتزج بالحر  
 ثم ان الشمس عند المسامته وما يقاربها تبعث الاشعة على الارض على زوايا قائمة وفيما  
 دون المسامته على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة عظم الضوء  
 وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحار عند المسامته وما يقرب منها  
 أكثر منه فيما بعد لان الضوء سبب الحار والتسخين \* ثم ان المسامته في خط  
 الاستواء تكون مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا  
 يكاد الحار يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدى الا وقد صعدت الى  
 المسامته فنبقى الاشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول كنهها أويديوم فيشتعل  
 الهواء حاراً ويفرط في شدتها وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط  
 الاستواء الى عرض أربعة وعشرين فان الاشعة ملحة على الافق في ذلك بقريب من  
 الحاحها في خط الاستواء وافرط الحار يفعل في الهواء تجفيفاً ويساعد من التكوين  
 لانه اذا فرط الحار جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والحيوان  
 والنبات اذا التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت  
 الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامته فيصير الحار الى  
 الاعتدال أو يعمل عنه ميلاً قليلاً فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى أن يفرط



البرد في شدته لقله الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين وينتفد  
 الآن فساد التكوين من جهة شدة الحر أعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر أعرج  
 تأثيرا في التحفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني  
 قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر ينقصان الضوء وفي  
 السادس والسابع **كثير** النقصان الحر وأن كيفية البرد لا تؤثر عند أولها في فساد  
 التكوين كما يفعل الحر اذ لا تحفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من  
 اليبس كما بد السابغ فلهذا كان العمران في الربع الشمالي أكثر وأوفر والله أعلم \*  
 ومن هنا أخذ الحكماء خلا خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم أنه معمور بالمشاعرة  
 والاخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم لم يريدوا امتناع العمران  
 فيه بالكلية انما أذهم البرهان الى أن فساد التكوين فيه قوى بافراط الحر والعمران  
 فيه اما تمتنع أو **ممكن** أقل وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه  
 عمران كما نقل فهو قليل جدا (وقد زعم) ابن رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه  
 في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عر من هذا والذي قاله غير تمتنع من  
 جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة أن  
 العنصر المائي تغمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية  
 قابلا للتكوين ولما امتنع المعتدل لغلبة الماء تبعه ما سواه لان العمران متدرج  
 ويأخذ في التدرج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط  
 الاستواء فيرده النقل المتواتر والله أعلم \* ولترسم بعده هذا الكلام صورة الجغرافيا  
 كما رسمها صاحب كتاب زجارتهم نأخذ في تفصيل الكلام عليها الخ

### ❖ (تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا) ❖

اعلم أن الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من الشمال الى  
 الجنوب يسمون كل قسم منها اقليما فانقسم المعمور من الارض كله على هذه السبعة  
 الاقاليم كل واحد منها آخذ من الغرب الى الشرق على طوله \* فالاول منها ما من  
 المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بجذته من جهة الجنوب وليس وراءه هنالك الا  
 القفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهي كلا عمارة وبليسه من جهة شماليه الاقليم  
 الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من  
 جهة الشمال وليس وراء السابغ الا الخلاء والقفار الى أن ينتهي الى البحر المحيط

كلحال فيما وراء الاقاليم الاول في جهة الجنوب الا أن الخلاء في جهة الشمال أقل  
بـ كثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب \* ثم أن أزمانه الليل والنهار تتفاوت في  
هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن  
آفاقها في تفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الاقليم  
الاول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدى لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد  
منهما الى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول  
النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفي الى ثلاث عشرة  
ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند منقلبها الشتوي برأس الجدى ويبقى  
للاقص من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة أربع وعشرين  
الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر  
الاقليم الثالث مما يلي الشمال أيضا ينتهيان الى أربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع الى  
أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس  
الى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع الى ست عشرة ساعة وهناك ينقطع  
العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليالها ونهارها بنصف ساعة  
لكل اقليم يتزايد من أوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على  
أجزاء هذا البعد \* وأما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت  
رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمت رأس خط الاستواء وبمثله سواء ينخفض  
القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب الشمالي عنه وهو ثلاثة أبعاد  
متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل \* والمتكلمون على هذه الجغرافيا  
قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة  
أجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال  
والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير  
البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذاي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق  
الذي ألفه العلوي الادريسي الجودي ملك صقلية من الافرنج وهو زجاري زجار  
عندما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروجه صقلية من امارة مالقة وكان تأليفه للكتاب  
في منتصف المائة السادسة وجمع له كتباً كثيرة للمسيحيين وبن خرداذبة والحقوقي  
والقدرى وابن اسحق المنجم وبطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها  
والله سبحانه وتعالى يعصمنا عنه وفضله

\* (الاقليم الاول) \* وفيه من جهة غربه الجزائر والخالدات التي منها بدأ بطليموس

بأخذ أطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكررة  
 أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا أن سفائن من الافرنج مرت بها  
 في أواسط هذه المائة وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض أسرارهم بسواحل  
 المغرب الأقصى وصاروا الى خدمة السطان فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال  
 جزائريهم وأنهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وأن الحديد مفقود بأرضهم  
 ويعيشهم من الشعير وما شيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يرمونها الى خلف وعبادتهم  
 السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون ديناً ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه  
 الجزائر الا بالعنور لا بالقصد اليها لان سفر السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات  
 مهابها والى أين يوصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في عمر ذلك المهب واذا  
 اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذي به القلاع محاذاة يحمل  
 السفينة به على قواير في ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذي هم رؤساء السفن  
 في البحر والبلاد التي في حفا في البحر الرومي وفي عدوته مكتوبة كلها في صحيفة  
 على شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح  
 وعمراتها على اختلافها من رسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص وعليها  
 يعتمدون في أسفارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيط فلذلك لا تلج فيه السفن  
 لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل أن تهتدي الى الرجوع اليها مع ما ينعقد في  
 جوهذا البحر وعلى سطح مائه من الابخرة الممانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها  
 لا تدركها أضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتحللها فلذلك عسر الاهتداء  
 اليها وصعب الوقوف على خبرها \* وأما الجزء الاول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل  
 الاقي من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر  
 المحيط فيصب فيه عند جزيرة اوليك وعلى هذا النيل مدينة سلاوة ~~تسمى~~ كرو وغانة  
 وكلها لهذا العهد في مملكة ملك مالى من امم السودان والى بلادهم تسافر تجارا المغرب  
 الأقصى وبالقرب منها من شمالها بلاد ملتونة وسائر طوائف الملثمين ومقاويزيجولون  
 فيها وفي جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال لهم لم وهم كفار ويكنون في  
 وجوههم وأصداعهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار  
 فيجلبونهم الى المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر الا  
 أناسي أقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون القيا في الكهوف ويأكلون  
 العشب والحبوب غير مهياة وربما يأكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد البشر وفواكه  
 بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل نوات ~~وتسمى~~ كدراين ووركلان



• فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة تقوم من العلويين يعرفون ببني صالح وقال  
 صاحب كتاب زجاراته صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا  
 في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالى  
 وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر نبع  
 من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني \* وكان ملك كوكو  
 قائما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالى وأصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد  
 من أجل قسنة وقعت هنالك ذكرها عند ذكر دولة مالى في محلها من تاريخ البربر وفي  
 جنوبي بلد كوكو بلاد كاتم من اعم السودان وبعدهم ونغارة على ضفة النيل من شماليه  
 وفي شرقي بلاد ونغارة وكاتم بلاد زغاوة وتاجرة المتصلة بأرض النوبة في الجزء الرابع  
 من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء الى البحر  
 الرومي في الشمال \* ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء  
 بست عشرة درجة واختلفوا في ضبط هذه اللفظة فضبطها بعضهم بفتح القاف والميم  
 نسبة الى قر السماء لشدة بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المشرك لياقوت بضم  
 القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من أهل الهند وكذا ضبطه ابن سعيد فيخرج  
 من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينها ستة أميال ويخرج  
 من كل واحدة من البحيرتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطيخة واحدة في أسفلها جبل  
 معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربي منه الى  
 بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقي منه ذاهبا الى  
 الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما وينقسم في أعلى أرض مصر فيصب  
 ثلاثة من جداوله في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصب واحد في  
 بحيرة ملحمة قبل أن يتصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول \* وعلى هذا النيل بلاد  
 النوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات الى أسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة  
 وهي في غربي هذا النيل وبعدها علوة وبلاق وبعدهما جبل الجنادل على ستة  
 مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ونخضة من جهة النوبة  
 فينفذ فيه النيل ويصب في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن أن تسلكه المراكب  
 بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلد أسوان قاعدة  
 الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا  
 عشرة مرحلة والواحات في غربيها عدوة النيل وهي الآن خراب وبها آثار العمارة  
 القديمة \* وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على وادي أتى من

وراء خط الاستواء اذ اذهب الى أرض النوبة فيصب هناك في النيل الهابط الى مصر  
وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر وبطليموس ذكره في كتاب  
الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل \* والى وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس  
ينتهي بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويغمر عانة هذا الاقليم الى هذا الجزء  
الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي ممتدة يقال تنتهي  
الى ألف جزيرة أو فيما على سواحلها الجنوبية وهي آخر المعمور في الجنوب أو فيما على  
سواحلها من جهة الشمال وليس منها في هذا الاقليم الا اول الاطراف من بلاد الصين في  
جهة الشرق وفي بلاد اليمن \* وفي الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين  
الهابطين من هذا البحر الهندي الى جهة الشمال وهما بحر قلزم وبحر فارس وفيما  
بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشمر في شرقها على ساحل هذا البحر  
الهندي وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما اليهما كما ذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما  
الذي على ساحل هذا البحر من غربيه فبلد زالع من اطراف بلاد الحبشة ومجالات  
البحر في شمال الحبشة ما بين جبل العلاقي في أعالي الصعيد وبين بحر القلزم الهابط  
من البحر الهندي وتحت بلاد زالع من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب  
يضيق البحر الهابط هناك بمزاحة جبل المندب المائل في وسط البحر الهندي تمتد مع  
ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك  
الى أن يصير في عرض ثلاثة أميال أو نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب  
اليمن الى ساحل السويس قريسا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن  
ودهلك وقيالته من غربيه مجالات البحر من أمم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في  
هذا الجزء تهائم اليمن ومنها على ساحلها بلد على بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلاد زالع  
وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قري بربر يتلو بعضها بعضا وينعطف مع جنوبيه الى  
آخر الجزء السادس ويليهما هناك من جهة شرقها بلاد الزنج ثم بلاد سفالة على ساحلها  
الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقي بلاد سفالة من ساحلها الجنوبي  
بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم عند مدخل هذا البحر  
من البحر المحيط \* وأما جزائر هذا البحر فكثيرة من أعظمها جزيرة سرنديب  
مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض أعلى منه وهي قبالة سفالة  
\* ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة أرض سفالة وتذهب الى الشرق  
منحرفة بكثير الى الشمال الى أن تقرب من سواحل أعالي الصين ويحتمل بها في  
هذا البحر من جنوبيها جزائر الواق واق ومن شرقها جزائر السيلان الى جزائر

البحر يضم الباه  
وفتح الجيم ويقال  
أيضا البحارة وأما  
زالع فهي زيلع اه

أخر في هذا البحر كثيرة العدد وفيها أنواع الطيب والاقاويه وفيها يقال معادن الذهب والزمرّد وعامة أهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعدّدون وهذه الجزائر من أحوال العمران عجائب ذكرها أهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها في جهة بحر القلزم بلديس والمهجم وبها مائة اليمن وبعدها بلاد معدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها صنعاء وبعدهما إلى المشرق أرض الاحقاف وظفار وبعدها أرض حضرموت ثم بلاد الشعرباين البحر الجنوبي وبحر فارس \* وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من أجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع وأكثر منه من العاشر فيه أعالي بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة خانبكو وقبالتان من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدّم ذكرها وهذا آخر الكلام في الاقليم الاول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بحسنه وفضله

\* (الاقليم الثاني) \* وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مرّ ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منهما أرض قنورية وبعدها في جهة الشرق أعالي أرض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منهما صحراء يسرمتة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولتونة ومسرانة ولطة ووريكة وعلى سمت هذه المفاوز شرقا أرض فزان ثم مجالات أرض ككار من قبائل البربر ذاهبة إلى أعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من أمم السودان ثم قطعة من أرض الباجوين وفي أسفل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية أرض ودان وعلى سمتها شرقا أرض سنترية وتسمى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من أعلاه بقية أرض الباجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد المسعيد حقا في النيل الذاهب من مبدئه في الاقليم الاول إلى مصبه في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين الخارجين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من أعلاه بلاد اسنا وأرمنت ويتصل كذلك حقا في أسير ووقوص ثم إلى صول \* ويفترق النيل هنالك على شعبين ينتهي الايمن منهما في هذا الجزء عند اللاهون والابسر عند دلاص وفيما بينهما أعالي ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عيذاب ذاهبة في الجزء الخامس إلى أن



تنتهي الى بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي في الجنوب الى  
 جهة الشمال وفي عدوته الشرقية من هذا الجزء أرض الخجاز من جبل يلم الى بلاد  
 يثرب وفي وسط الخجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدّة تقابل بلدة عيذاب  
 في العدو الغربية من هذا البحر وفي الجزء السادس من غربيه بلاد نجد أعلاها في  
 الجنوب وتباله وجرش الى عكاظ من الشمال وتحت نجد من هذا الجزء بقية أرض  
 الخجاز وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخيبر وتحتها أرض اليمامة وعلى سمت نجران  
 في الشرق أرض سبأ ومأرب ثم أرض الشحر وينتهي الى بحر فارس وهو البحر  
 الثاني الهابط من البحر الهندي الى الشمال كما سر ويذهب في هذا الجزء بانحراف  
 الى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من أعلاه مدينة قلهاة وهي  
 ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها في آخر الجزء  
 وفي الجزء السابع في الاعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الاخرى في  
 السادس ويغمر بحر الهند جانبه الاعلى كله وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران  
 ويقابلها بلاد الطويران وهي من السند أيضا فيتصل السند كله في الجانب الغربي  
 من هذا الجزء وتتحول المفاوز بينه وبين أرض الهند ويمر فيه نهره الا في من ناحية  
 بلاد الهند ويصب في البحر الهندي في الجنوب وأقول بلاد الهند على ساحل البحر  
 الهندي وفي سمتها شرقا بلاد بلهر وتحتها الملتان بلاد الصنم المعظم عندهم ثم الى أسفل  
 من السند ثم الى أعالي بلاد سيجستان وفي الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهر من  
 الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منيبار وفي الجانب الاعلى على ساحل  
 البحر الهندي وتحتها في الجانب الاسفل أرض كابل وبعد ها شرقا الى البحر المحيط  
 بلاد القنوج ما بين قشمر الداخلة وقشمر الخارجة عند آخر الاقليم وفي الجزء التاسع  
 ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فيتصل  
 من أعلاه الى العاشر وتبقى في أسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة  
 شيعون ثم تتصل بلاد الصين في الجزء العاشر كله الى البحر المحيط والله ورسوله أعلم وبه  
 سبحانه التوفيق وهو ولي الفضل والكرم

(الاقليم الثالث) هو متصل بالشأن من جهة الشمال في الجزء الاول منه وعلى  
 نحو الثلث من أعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق  
 عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر أم لا يحصيه الا خالقهم حسب ما يأتي ذكره  
 وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة  
 ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة

من صحراء نيسر المغارة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذه الجبل مطل على هذه  
 البلاد كلها في هذه الجزء وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى  
 أن يسامت وادى ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى أن ينتهي وفي هذه الناحية منه أمم  
 المصامدة ثم هنتانة ثم قينك ثم كدميوه ثم مشكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل  
 منها كفة وهم منها جة وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك  
 من جوفيه جبل أوراس وهو جبل كامة وبعد ذلك أمم أخرى من البرابرة تذكروهم  
 في أماكنهم \* ثم أن جبل درن هذا من جهة قريه مطل على بلاد المغرب الأقصى  
 وهي في جوفيه في الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش وانجمات وتادلا وعلى  
 البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد مراکش بلاد فاس  
 ومكناسة وتازا وقصر كامة وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى في عرف أهلها وعلى  
 ساحل البحر المحيط منها بلدان أصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد  
 المغرب الأوسط وقاعدتها تلسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هين ووهران  
 والجزائر لأن هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية  
 الغربية من الاقليم الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج  
 المتضائق غير بعيدا انفسح جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان  
 على ساحله من هذا الاقليم الثالث الكثير من بلاد ثم يتصل ببلاد الجزائر من  
 شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسطينة في الشرق منها وفي آخر الجزء الأول  
 وعلى مسافة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد دمر تفعالا في جنوب المغرب  
 الأوسط بلد أشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل أوراس المتصل  
 بدرن كما مر وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم  
 على هيئة الجزء الأول ثم جبل درن على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب  
 الى شرق فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله فالقطعة الجنوبية  
 عن جبل درن غربيها كله مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا  
 أرض ودان التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مر والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه  
 وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل أوراس وتبسة والابيس وعلى ساحل البحر  
 بلد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد فريقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم  
 سوسة ثم المهدية وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر وقفصة  
 ونفزاوة وفيما بينها وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلات وسيطة وعلى  
 سمت هذه البلاد كلها شرقا بلد طرابلس على البحر الرومي وبارائها في الجنوب جبل

دمرو ونقرة من قبائل هوارية متصلة بجبل درن وفي مقابلة غذا مس التي مر ذكرها في  
آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا الجزء في الشرق سويقة ابن مشكورة على البحر وفي  
جنوبها مجالات العرب في أرض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم يمر أيضا فيه  
جبل درن الا أنه ينعطف عند آخره الى الشمال ويذهب على سمته الى أن يدخل في  
البحر الرومي ويسمى هنالك طرف أوثان والبحر الرومي من شماله غمر طائفة منه الى  
أن يضابق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية  
أرض ودان ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار الى آخر الجزء  
في الشرق وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلاد سرت على البحر ثم خلا وقفار تجول  
فيها العرب ثم اجداية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طلسة على البحر هنالك ثم في شرق  
المنعطف من الجبل مجالات هيب ورواحه الى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا  
الاقليم وفي الاعلى من غريه صحارى برقيق وأسفل منها بلاد هيب ورواحه ثم يدخل  
البحر الرومي في هذا الجزء فيه غمر طائفة منه الى الجنوب حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى  
بينه وبين آخر الجزء قفار تجول فيها العرب وعلى سمته شرقا بلاد القيوم وهي على مصب  
أحد الشعين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من  
الاقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمته شرقا أرض مصر ومدينتها الشهيرة على  
الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني ويفترق  
هذا الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين من شطونف وزقني  
ويتقسم الايمن منهم ما من قرط بشعبين آخرين ويصب جميعها في البحر الرومي فعلى  
مصب الغربي من هذا الشعب بلد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلد رشيد وعلى  
مصب الشرقي بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية أسافل  
الديار المصرية كلها محشوة عمرا وانا وفلجا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد  
الشام وأكثرها على ما أصف وذلك لأن بحر القلزم ينحسر من الجنوب وفي الغرب منه  
عند السويس لانه في ممره مبتدئ من البحر الهندي الى الشمال ينعطف أخذا الى  
جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة فينتهي في الطرف  
الغربي منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم  
أيلة مدين ثم الحوراء في آخرها ومن هنالك ينعطف بساحله الى الجنوب في أرض  
الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا  
الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثير من غريه عليها القرما والعريش وقارب  
طرفها بلاد القلزم فيضابق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مقضيا الى أرض الشام



وفي غربي هذا الباب فخص التيه أرض جرداء لا تنبت كانت مجالا لبني اسرائيل بعد  
 خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام أربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه  
 القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة من جزيرة قبرس وبقيتها في الاقليم  
 الرابع كما ذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المتضيق لبحر السويس بلد  
 العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذا البحر ثم تحيط هذه  
 القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وغزة وهنالك ينتهي  
 البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه القطعة أكثر سواحل الشام ففي شرقه  
 عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم  
 صيدا ثم غزة ثم ينعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد  
 الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم  
 ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى أن يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل  
 اللكام وكأنه حاجز بين أرض مصر والشام ففي طرفه عند أيلة العقبة التي يمر عليها  
 الحجاج من مصر الى مكة ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة  
 والسلام عند جبل السراة متصل من عند جبل اللكام انذ كور من شمال العقبة ذاهبا  
 على سمت الشرق ثم ينعطف قليلا وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار غوث ونيما ودومة  
 الجندل وهي أسافل الجباز و فوقها جبل رضوى و حصون خيبر في جهة الجنوب عنها  
 وفيما بين جبل السراة وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل السراة مدينة القدس  
 عند جبل اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى أذرعاء وفي سمتها شرقا  
 دومة الجندل آخر هذا الجزء وهي آخر الجباز \* وعند منعطف جبل اللكام الى  
 الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا و بيروت من القطعة البحرية  
 وجبل اللكام يعترض بينهما وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة  
 حص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن بعلبك  
 و حص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء وفي الجزء السادس من أعلاه  
 مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة ما بين جبل العرج والصمان الى البحرين  
 وهجر على بحر فارس وفي أسافل هذا الجزء تحت المجالات بلاد الحيرة والقادسية  
 ومغايض الفرات \* وفيما بعدها شرقا مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر  
 فارس عند عبادان والابله من أسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر  
 دجلة بعد أن ينقسم بجداول كثيرة وتحتلط به جداول أخرى من الفرات ثم تجتمع  
 كلها عند عبادان وتصب في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في أعلاه

الابله بضم الهمزة  
 والباء وتشديد اللام  
 اه

متضايقة في آخره في شريقه وضيقه عند منتهى مضايقة للحد الشمالي منه وعلى  
عدوته الغربية منه أسافل البحر بن وهجر والاحسا وفي غربها أخطب والعمان  
وبقية أرض البصرة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس من أعلاها وهو من عند  
آخر الجزء من الشرق على طرف قدامته من هذا البحر مشرقا وراءه إلى الجنوب في  
هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلاد سيرا ف ونجيم على  
ساحل هذا البحر \* وفي شريقه إلى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل صابور  
ودارابجرد ونسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس  
إلى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الأهواز وتستر وصدى وصابور  
والسوس ورام هرمز وغيرها وأرجان وهي حتما بين فارس وخوزستان وفي شرق  
بلاد خوزستان جبال الأكراد متصلة إلى نواحي أصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم  
وراءها في أرض فارس وتسمى الرسوم وفي الجزء السابع في الأعلى منه من المغرب  
بقية جبال القفص ويلها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها  
الرودان والشيرجان وجيرفت ويزدشير والبهرج وتحت أرض كرمان إلى الشمال  
بقية بلاد فارس إلى حدود أصبهان ومدينة أصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غرب  
وشماله ثم في المشرق عن بلاد كرمان وبلاد فارس أرض سجستان وكوهستان في  
الجنوب وأرض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان  
وكوهستان في وسط هذا الجزء المفاوز العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن  
سجستان بست والطاق وأما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها  
سرخس وقوهستان آخر الجزء \* وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات  
البلخ من أعم التربة متصلة بأرض سجستان من غربها وأرض كابل الهند من  
جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور وبلادها وقاعدتها غزنة فريزة  
الهند وفي آخر الغور من الشمال بلاد استراباذ ثم في الشمال عنها إلى آخر الجزء بلاد  
هراة وأوسط خراسان وبها أسفر اين وقاشان وبوشنج ومر والروذ والطالقان والاوزجان  
وتنتهي خراسان هنالك إلى نهر جيحون \* وعلى هذا النهر من بلاد خراسان من  
غربيه مدينة بلخ وفي شريقه مدينة ترمذ ومدينة بلخ كانت كرسى مملكة الترك وهذا النهر  
نهر جيحون يخرج من بلاد و جارف حدود بدخشان مما يلي الهند ويخرج من  
جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا إلى وسط الجزء  
ويسمى هنالك نهر خرناب ثم ينعطف إلى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمت  
إلى أن يصب في بحيرة خوارزم في الأقليم الخامس كاندكوه ويمتد منه انعطافه في وسط

الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة أنهار عظيمة من بلاد الختل والوخش من شرقيه  
 وأنهار أخرى من جبال البتم من شرقيه أيضا وجوف الجبل حتى يتسع ويعظم بما  
 لا كفا له ومن هذه الأنهار الخمسة امدته نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي  
 بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بانحراف الى الشمال الى أن يخرج الى  
 الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط  
 الجنوب في هذا الجزء ويذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى أن يخرج الى الجزء  
 التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من  
 هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الختل وليس فيه الامسلك واحد في وسط الشرق  
 من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا وبنى فيه بابا كسديا جوج ومأجوج فاذا  
 خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فيمر تحته في مدى بعيد الى  
 أن يمر في بلاد الوخش ويصب في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر بها بطا الى الترمذ في  
 الشمال الى بلاد الجوزجان وفي الشرق عن بلاد الغور فيما بينها وبين نهر جيحون بلاد  
 الفاسان من خراسان وفي العدة الشرقية هنالك من النهر بلاد الختل وأكثرها  
 جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف  
 خراسان غربا في نهر جيحون وتذهب مشرقة الى أن يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي  
 خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب كما قلناه في متصل به عند باب الفضل بن  
 يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وأنهار أخرى تصب فيه منها نهر بلاد الوخش  
 يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من جبال البتم  
 من مبدئه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلاد آمد  
 من خراسان وفي شرقي النهر من هنالك أرض الصغد وأسروشنة من بلاد الترك وفي  
 شرقها أرض فرغانة أيضا الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك تحوزها جبال البتم  
 الى شمالها وفي الجزء التاسع من غربيه أرض التبت الى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد  
 الهند وفي شرقيها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي أسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت  
 بلاد الخزر الجيمة من بلاد الترك الى آخر الجزء شرقا وشمالا ويتصل بها من غربيها أرض  
 فرغانة أيضا الى آخر الجزء شرقا ومن شرقيها أرض التغرغر من الترك الى آخر الجزء  
 شرقا وشمالا \* وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين وأسافله وفي  
 الشمال بقية بلاد التغرغر ثم شرقا عنهم بلاد خرخيز من الترك أيضا الى آخر الجزء شرقا  
 وفي الشمال من أرض خرخيز بلاد كتمان من الترك وقبالتها في البحر المحيط بجزيرة  
 الباقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك وانصعود الى أعلاه من



خارجة صعب في الغاية وفي الجزيرة حيات قتالة وحصى من الباقوت كثيرة فيحتمل  
أهل تلك الناحية في استخراجها بما يلزمهم الله اليه وأهل هذه البلاد في هذا الجزء  
التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجمال ~~كلها~~ بالجمالات للترك أمة لا تحصى وهم  
ظوا عن رحالة أهل ابل وشاء وبقر وخيل للتساج والركوب والاكل وطوائفهم  
كثيرة لا يحصى منهم الاخالقهم وفيهم مسلمون بمائلي بلاد النهر نهر جيحون ويغزون  
الكفار منهم الدائنين بالجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يلبسهم ويخرجون الى بلاد  
خراسان والهند والعراق

(الاقليم الرابع) يتصل بالثالث من جهة الشمال \* والجزء الاول منه في غربيه  
قطعة من البحر المحيط مستطيلة من اوله جنوبا الى آخره شمالا وعليها في الجنوب  
مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج  
متضايق بمقدار اثني عشر ميلا بين طرف الجزيرة الخضراء شمالا وقصر الجمار  
وسبقة جنوبا ويذهب مشرقا الى أن ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم  
وينفسح في ذهابه بتدرج الى أن يغمر الاربعة أجزاء أكثر الخامس ويغمر عن  
جانبه طرفا من الاقليم الثالث والخامس كما سنذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي  
أيضا وفيه جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب يابسة ثم مايرقة ثم منركة ثم سردانية ثم  
صقلية وهي أعظمها ثم بلونس ثم اقريطش ثم قبرص كما ذكرها كلها في أجزاءها  
التي رقت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء  
الثالث من الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال ثم ينعطف عند  
وسط الجزء من جوفيه ويعر مغربا الى أن ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج  
منه أيضا في آخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس خليج القسطنطينية يمر في  
الشمال متضايقا في عرض رمية السهم الى آخر الاقليم ثم يفضي الى الجزء الرابع  
من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطس ذاهبا الى الشرق في الجزء الخامس  
كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما ذكر ذلك في أماكنه وعند ما يخرج هذا  
البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة وينفسح الى الاقليم الثالث يبق في الجنوب  
عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبعدها  
مدينة سبقة على البحر الرومي ثم قطاون ثم باديس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا الجزء  
شرقا ويخرج الى الثالث وأكثر العمارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي  
كلها بلاد الاندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي أولها طرف عند مجمع  
البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنسكب

ثم المربة وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مغربه منه شريش ثم لبله وقبالتها  
 فيه جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش وابله اشيلية ثم استجة وقرطبة ومدية  
 ثم غرناطة وجيان وأبدة ثم وادي اش وبسطة وتحت هذه شنقرية وشلب على البحر  
 المحيط غربا وفي الشرق عنهما بطلموس وماردة ويابرة ثم عافق وبرزجالة ثم قلعة  
 رياح وتحت هذه أشبونة على البحر المحيط غربا على نهر باجة وفي الشرق عنها  
 شنقرين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة السيف ويسامت اشبونة من جهة  
 الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هنالك ويذهب مشرقا مع آخر الجزء من  
 شماله فينتهي الى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلميرة في الشرق  
 من فورنه ثم طلميلة ثم وادي الحجارة ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما  
 بينه وبين اشبونة بلد قلريه هذه غربى الاندلس \* وأما شرقى الاندلس فعلى ساحل  
 البحر الرومي منها بعد المربة قرطاجنة ثم انفة ثم دانية ثم بلفسية الى طرطوشة آخر الجزء  
 في الشرق وتحتها شمالا ليورقة وشقورة متاخمان بسطة وقلعة رياح من غرب  
 الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بلفسية شمالا ثم شنقر ثم طرطوشة ثم طركونة  
 آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا أرض منجالة وريدة متاخمان لشقورة وطللميلة من  
 الغرب ثم افراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم في الشرق عن مدينة سالم  
 قلعة أيوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا \* والجزء الثاني من  
 هذا الاقليم غمر الماء جميعه الاقطعة من غربيه في الشمال فيها بقية جبل البرنات  
 ومعناه جبل الثنايا والساالك يخرج اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبدأ  
 من الطرف المنتهى من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويمر في الجنوب  
 بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه الى هذا  
 الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه تنضى ثناياها الى البر المتصل وتسمى أرض  
 غشكونية وفيه مدينة خرودة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة  
 مدينة برسلونة ثم أربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير  
 مسكون لصغرهما ففي غربيه جزيرة سرديانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة الاقطار  
 يقال ان دورها سبعة مائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها مرقوسة وبلرم  
 وطرابغة ومازرومسيني وهذه الجزيرة تقابل أرض افريقية وفيما بينهما جزيرة  
 أعدوش ومالطة \* والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمر أيضا بالبحر الاثلاث  
 قطع من ناحية الشمال الغربية منها أرض قلورية والوسطى من أرض ابي كبرده  
 والشرقية من بلاد البنادقة \* والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمر أيضا بالبحر كما مر

وجزائره كثيرة وأكثرها غير مسكون كما في الثالث والمعـ مور منها جزيرة بلونس في  
 الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين  
 الجنوب والشرق منه \* والجزء الخامس من هذا الاقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة  
 بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها الى آخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع  
 الجنوبي منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو  
 الثلث يمر الشمال منها الى الغرب منعطفامع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها  
 أسافل الشام ويمر في وسطها جبل اللكام الى أن ينتهي الى آخر الشام في الشمال  
 فينعطف من هنالك ذاهبا الى القطر الشرقي الشمالي ويسمى بعدا منعطفه جبل  
 السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم الخامس ويجوز من عند منعطفه قطعة من  
 بلاد الجزيرة الى جهة الشرق ويقوم من عنده منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة  
 بعضها ببعض الى أن ينتهي الى طرف خارج من البحر الرومي متأخر الى آخر الجزء من  
 الشمال وبين هذه الجبال ثمانية الدروب وهي التي تفضي الى بلاد الهمن وفي هذا  
 الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فأما الجهة الجنوبية التي قد منا أن  
 فيها أسافل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومي وآخر الجزء من الجنوب  
 الى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد أنطوطوس في أول الجزء من الجنوب متاخمة لغزة  
 وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال أنطوطوس جبلة ثم اللاذقية ثم  
 اسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم وأما جبل اللكام المعترض بين  
 البحر وآخر الجزء بحفافيه فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوبا من غريسه  
 حصن الخواني وهو للحشيشة الاسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالقداوية ويسمى  
 الحصن مصبات وهو قبالة انطوطوس وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد سلمية في  
 الشمال عن حصن وفي الشمال عن مصبات بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها  
 في شرق الجبل المعرة وفي شرقها المراغة وفي شمال انطاكية المصيصة ثم أذنة ثم  
 طرسوس آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين في  
 شرق الجبل حلب ويقابل عين زربة منبج آخر الشام \* وأما الدروب فعن يمينها ما بينها  
 وبين البحر الرومي بلاد الروم التي هي لهذا العهد للتركان وسلطانها ابن عثمان وفي ساحل  
 البحر منها بلد انطاكية والعلايا \* وأما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب  
 وجبل السلسلة ففيها بلد مرس ومطمية والمعرّة الى آخر الجزء الشمالي ويخرج من  
 الجزء الخامس في بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيجان في شرقيه فيمر بهما جيحان جنوبا  
 حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصة ثم ينعطف هابطا الى الشمال ومعتربا



حتى يصب في البحر الرومي جنوب سلوقية ويمر ثم - رسيحان موازي النهر جيحان فيما يذرى  
 المعرة ومرش ويتجاوز جبال الدروب الى أرض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن  
 نهر جيحان ثم ينعطف الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيحان عند المصيبة ومن غربها  
 \* وأما بلاد الجزيرة التي يحيط بها منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها  
 بلد الرافضة والرقعة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم سميساط وأمدتحت جبل  
 السلسلة وآخر الجزء من شماله وهو أيضا آخر الجزء من شرقيه ويمر في وسط هذه  
 القطعة من - الفرات ونهر دجلة يخرج من الاقليم الخامس ويمر في بلاد الارمن  
 جنوبا الى أن يتجاوز جبل السلسلة فيمر نهر الفرات من غربى سميساط وسروج  
 وينحرف الى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقعة ويخرج الى الجزء السادس \* وفي  
 في شرق آمد وتنعطف قريبا الى الشرق فيخرج قريبا الى الجزء السادس \* وفي  
 الجزء السادس من هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق  
 متصلة بها تنتهى في الشرق الى قرب آخر الجزء ويترص من آخر العراق هنالك جبل  
 اصهبان هابطا من جنوب الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من آخره  
 في الشمال يذهب مغربا الى أن يخرج من الجزء السادس ويتصل على ستمته بجبل  
 السلسلة في الجزء الخامس فينقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي  
 الغربية من جنوبيهما يخرج الفرات من الخامس وفي شماليهما يخرج دجلة منه أما  
 الفرات فأول ما يخرج الى السادس يمر بقريسيما ويخرج من هنالك جدول الى  
 الشمال ينساب في أرض الجزيرة ويغوص في نواحيها ويمر من قريسيما غير بعيد ثم  
 ينعطف الى الجنوب فيمر بقرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك  
 يمر جنوبا ويبقى صفين في غربيه ثم ينعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة  
 وبعضها بقصر ابن هبيرة وبالجامعين وتخرج جميعا في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث  
 فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية ويخرج الفرات من الرحبة مشرقا على  
 ستمته الى هيت من شمالها يمر الى الزاب والانبار من جنوبهما ثم يسب في دجلة عند  
 بغداد \* وأما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرقا على  
 ستمته ومحاذي جبل السلسلة المتصل بجبل العراق على ستمته فيمر بجزيرة ابن عمر على شمالها  
 ثم بالموصل كذلك وتكررت وينتهى الى الحديشة فينعطف جنوبا وتبقى الحديشة في  
 شرقه والزاب الكبير والصغير كذلك ويمر على ستمته جنوبا وفي غرب القادسية الى أن  
 ينتهى الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجرايا الى أن يخرج من الجزء  
 الى الاقليم الثالث فتنتشر هنالك شعوبه وجدا وله ثم يجتمع ويصب هنالك في بحر فارس

عند عبادهان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجعها ما يغداد هي بلاد الجزيرة  
ويحتلط بنهر دجلة بعد مفارقه بغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه  
ويتمى الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويحتلط بدجلة قبل خروجه  
الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلاد جلولا وفي  
شرقها عند الجبل بلاد حلوان وصيرة \* وأما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل  
يبدأ من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور ويقسمها بقطعتين  
وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلاد خوخان في الغرب والشمال عن اصبهان  
وتسمى هذه القطعة بلاد الهلوس وفي وسطها بلد نهاوند وفي شمالها بلد شهرزور غربا عند  
ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد  
ارمنية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريا وهو مساك  
للاكراد والزاب الكبير والصغير الذي على دجلة من ورانه وفي آخر هذه القطعة من  
جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز والبيلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من  
هذا الجزء قطعة من بحر بطش وهو بحر الخزر \* وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من  
غربه وجنوبه معظم بلاد الهلوس وفيها همذان وقزوين وبقيتها في الاقليم الثالث  
وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالاقليم  
الثالث ثم ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقيه  
الذي مر ذكره هنالك وأنه محيط ببلاد الهلوس في القطعة الشرقية ويحيط  
هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء  
السابع فيحيط ببلاد الهلوس من شرقها وتحت هنالك قاشان ثم قم وينعطف في قرب  
النصف من طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا  
الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منعطفه واستدارته على بلد  
الري في شرقيه ويبدأ من منعطفه جبل آخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه من  
هنالك قزوين ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهبا الى الشرق  
والشمال الى وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال  
وبين قطعة من بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف  
من غربه الى شرقيه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل  
يمر على سمتة مشرقا ومنحرفا قليل الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه  
ويبقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند مبدهم ما بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها  
بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة التي بين فارس وخراسان

وهي في شرق قاشان وفي آخرها عند هذا الجبل بلداً ستراباذ وحفا في هذا الجبل من  
 شرقه الى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان في جنوب الجبل وشرق المفازة بلد  
 نيسابور ثم مر والشاهجان آخر الجزء وفي شماله وشرقى جرجان بلدهم جرجان وخازرون  
 وطوس آخر الجزء شرقاً وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نسا ويحيط بها  
 عند زاوية الجزء ايمن الشمال والشرق مفاز ومعطلة \* وفي الجزء الثامن من هذا  
 الاقليم وفي غربيه نهر جيحون ذاهباً من الجنوب الى الشمال في عدوته الغربية ثم  
 وآمل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية  
 الغربية الجنوبية منه جبل استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا  
 الجزء من غربيه ويحيط به هذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمتد الجبل في الاقليم الثالث  
 بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هناك وفي شرقى نهر جيحون  
 من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخارى ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد  
 أسمر وشنة ومنها نخندة آخر الجزء شرقاً وفي الشمال عن سمرقند وأسمر وشنة أرض يلاق  
 ثم في الشمال عن يلاق أرض الشاش الى آخر الجزء شرقاً يأخذ قطعة من الجزء التاسع  
 في جنوب تلك القطعة بقية أرض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع  
 نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن الى أن ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من  
 هذا الجزء الثامن في شمله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في أرض يلاق نهر يأتي  
 من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من  
 الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يبدأ من الاقليم  
 الخامس وينعطف شرقاً ومنحرفاً الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطاً  
 بأرض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبه  
 فسدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد  
 فاراب وبينه وبين أرض بخارى وخوارزم مفاز ومعطلة وفي زاوية هذا الجزء من  
 الشمال والشرق أرض نخندة وفيها بلاد السنجاب وطراز \* وفي الجزء التاسع من هذا  
 الاقليم في غربيه بعد أرض فرغانة والشاش أرض الخزر الحدية في الجنوب وأرض  
 الخليجية في الشمال وفي شرق الجزء كله أرض الكيمائية ويتصل في الجزء العاشر  
 كله الى جبل قوقيا آخر الجزء شرقاً وعلى قطعة من البحر المحيط هنالك وهو جبل  
 يأجوج ومأجوج وهذه الامم كلها من شعوب الترك انتهى

\* (الاقليم الخامس) \* الجزء الاقل منه أكثره مغمور بالماء الا قليلا من جنوبه  
 وشرقه لأن البحر المحيط بهذه الجهة الغربية قد دخل في الاقليم الخامس والسادس

في المسترل اقليم  
 ايلاق متصل  
 بأقليم الشاش  
 لفصل بينهما وهو  
 بكسر الهمزة  
 وسكون الياء  
 بعدها اه



والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فأما المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهم ما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس سعيور على البحر عند أول الجزء من الجنوب والغرب وسلمة شرعا عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن سلمة ايلة آخر الجنوب وأرض قستالية شرعا عنها وفيها مدينة شقونية وفي شمالها أرض ليون وبرغشت ثم وراءها في الشمال أرض جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلد شنتياقو ومعناه يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شطاية عند آخر الجزء في الجنوب وشرقا عن قستالية وفي شمالها وشرقا منها وشقة ونبلاونة على سمتها شرقا وشمالا وفي غرب نبلاونة قسطالة ثم باخرة فيما بينهما وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذ للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر عند نبلاونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل أن يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حجرا على بلاد الاندلس من جهة الشرق وشاياه أبواب لها تفضي الى بلاد غشكوينية من اعم الفرج فمنها من الاقليم الرابع برشاونة واربونة على ساحل البحر الرومي وخريدة وقرقشونة وراهما في الشمال ومنهما من الاقليم الخامس طلوشة شمالا عن خريدة \* وأما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل زاويته الحادة وراء البرنات شرقا وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرنات بلدنيونة وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية لشمالية من الجزء أرض بنطون الفرج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية منه أرض غشكوينية وفي شمالها أرض بنطون وبرغشت وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكوينية في شمالها قطعة أرض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كما الضرس مائلة الى الشرق قليلا وصارت بلاد غشكوينية في غربها داخله في جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سمتها أرض برغونة وفي الشرق عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف آخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من البر في البحر في غربه بيش وفي شرقه مدينة رومة العظمى كرسى ملك الافرنجة ومسكن البابا بتركهم الاعظم وفيها من المباني الضخمة والمهيكل المهيولة والكائس العادية ما هو معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعه بسلط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الخواريين وهما مدفونان بها وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد افرنسية الى آخر الجزء

وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوب رومة بلاد بابل في الجانب الشرقي منه متصله ببلد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغز باو محاذيا للشمال من هذا الجزء وانتهى الى نحو الثلث منه وعليه كسر من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلانية في الاقليم السادس \* وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في غربيه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط بهما من شرقيه يوصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء وفي شرقي بلاد قلورية بلاد انكيدمة في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينعطف الى الغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى أن ينتهي قبالة خليج في شماله في بلاد انكلانية من أمم اللمايين كما ذكره على هذا الخليج وينتهى بين هذا الجبل ماداما ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبوا الى المغرب فينبهما بلاد حرواياتهم بلاد الالمايين عند طرف الخليج \* وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مضمرة كلها بقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين كسر ضرسين منها طرف من البحر في الجون بينهما وفي آخر الجزء شرقا قطع من البحر ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى أن يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر ينطش في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما ذكره وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسي القيصرية وبها من آثار البناء والفخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من أرض باطوس وأظن هذا العهد محالات للتركمان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بها برصة وكانت من قبلهم للروم وغلبهم عليها الامم الى أن صارت للتركمان \* وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه أرض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقي عمورية نهـر قباقيب الذي يمد الفرات يخرج من

جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يخالط الفرات قبل وصوله من هذا الجزء الى عمرة  
 في الاقليم الرابع وهنالك في غربيه آخر الجزء في مبداء نهر سيجان ثم نهر جيمان غربيه  
 المذهبين على سمتهم وقدم ذكرهما وفي شرقيهنالك مبداء نهر الدجلة المذهب على  
 سمتهم وفي موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من  
 هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر دجلة ببلد ميا فارقين ونهر قباقيب الذي ذكرناه  
 يقسم هذا الجزء بقضعتين احدهما غربية جنوبية وفيها أرض باطوس كما قلناه  
 وأسافلها الى آخر الجزء شمالا ووراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قباقيب أرض عمورية  
 كما قلناه والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبداء الدجلة  
 والفرات وفي الشمال بلاد البيلقان متصلة بأرض عمورية من وراء جبل قباقيب  
 وهي عريضة وفي آخرها عند مبداء الفرات بلد خرشنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية  
 قطعة من بحر ينطش الذي يمتد خليج القسطنطينية \* وفي الجزء السادس من هذا  
 الاقليم في جنوبه وغربه بلاد ارمينية متصلة الى أن يتجاوز وسط الجزء الى جانب  
 الشرق وفيها بلاد أردن في الجنوب والغرب وفي شمالها تغليس وديبل وفي شرق أردن  
 مدينة خلاط ثم بردعة وفي جنوبها بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك  
 يخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد المراغة في شرق جبل الاكراد  
 المسمى بارمي وقدم ذكره في الجزء السادس منه ويتأخم بلاد ارمينية في هذا  
 الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد أذر بيجان وآخرها في هذا الجزء  
 شرقا بلاد أردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء  
 السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر  
 وهم التركمان ويبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية في الشمال جبال يتصل بعضها  
 ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس فتترقبه منعطفة ومحيطة ببلاد ميا فارقين  
 ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في أسافل الشام ومن هنالك  
 يتصل بجبل السكام كما مر وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثنابا كالابواب  
 تفضي من الجانبين ففي جنوبها بلاد الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان  
 وعليه من هذه البلاد مدينة باب الابواب وتتصل بلاد الابواب في الغرب من ناحية  
 جنوبها ببلاد ارمينية وبينهما في الشرق وبين بلاد أذر بيجان الجنوبية بلاد الزاب  
 متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة  
 السري في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء ككله قطعة أيضا من بحر  
 ينطش الذي يمتد خليج القسطنطينية وقدم ذكره ويحفر به هذه القطعة من ينطش بلاد



السريرو عليها منها بلد أطر ابريدة وتتصل بلاد السريرين جبل الابواب والجهة  
 الشمالية من الجزء الى أن ينتهي شرقا الى جبل حاجز بينها وبين أرض الخزر وعند  
 آخرها مدينة صول ووراء هذا الجبل الحاجز قطعة من أرض الخزر تنتهي الى الزاوية  
 الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان وآخر الجزء شمالا \* والجزء  
 السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغمور بحر طبرستان وخرج من جنوبه في الاقليم  
 الرابع القطعة التي ذكرنا هناك أن عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم الى قزوین  
 وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع  
 ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه أيضا وينكشف من  
 هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهر اثل في هذا البحر ويبقى من  
 هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات للغز من أمم الترك يحيط  
 بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى مادون وسطه  
 فينعطف الى الشمال الى أن يلاقى بحر طبرستان فيتحف به ذاهبا معه الى بقيته في  
 الاقليم السادس ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه ويسمى هناك جبل سياه ويذهب مغربا  
 الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم  
 الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض السريرو وأرض  
 الخزر واتصلت أرض الخزر في الجزء السادس والسابع حفافي هذا الجبل المسمى جبل  
 سياه كما سيأتي \* والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات للغز من أمم الترك  
 وفي الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها  
 ثلثمائة ميل ويصب فيها أنهار كثيرة من أرض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية  
 الشرقية منه بحيرة عرعون دورها أربع مائة ميل وماؤها حلو وفي الناحية الشمالية  
 من هذا الجزء جبل مرغار ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل بالجزء  
 وفي الجنوب عن بحيرة عرعون جبل من الجبال الصلدة لا ينبت شيئا يسمى عرعون وبه  
 سميت البحيرة وينجلب منه ومن جبل مرغار شمالا الى البحيرة أنهار لا تتحصر عدتها  
 فتصب فيها من الجانبين \* وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد أركس من أمم  
 الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيما كية ويحف به من جهة الشرق آخر الجزء  
 جبل قوقيا المحيط بياجوج وماجوج يعترض هناك من الجنوب الى الشمال حتى  
 ينعطف أقل دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من آخر الجزء العاشر  
 من الاقليم الرابع قبله احتف هناك بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطف  
 مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى مادون نصفه وأحاط من أوله الى هنا بلاد

الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس فذهب فيه مغرباً الى آخره  
 وبقيت في جنوبيه من هذا الجزء قطعة مستطيلة الى الغرب قبل آخر بلاد الكيماكية  
 ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي الاعلى منه وانعطف قريبا الى الشمال وذهب  
 على سبته الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما ذكره وبقيت  
 منه القطعة التي أحاط بها جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء  
 مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد يا جوج وما جوج وفي الجزء العاشر من هذا  
 الاقليم أرض يا جوج متصلة فيه كله الاقطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقيه  
 من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوقيا  
 حين مر فيه وما سوى ذلك فأرض يا جوج وما جوج والله سبحانه وتعالى أعلم  
 \* (الاقليم السادس) \* فالجزء الاول منه غمر البحر أكثر من نصفه واستدار شرقا مع  
 الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من  
 الناحية الجنوبية فانكشفت قطعة من هذه الارض في هذا الجزء داخله بين طرفين وفي  
 الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالجون فيه وينفسح طولا وعرضا وهي كلها  
 أرض بريطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بلاد  
 صاقس متصلة ببلاد بنطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس  
 \* والجزء الثاني من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله في غربه قطعة  
 مستطيلة أكبر من نصفه الشالى من شرق أرض بريطانيا في الجزء الاول واتصلت بها  
 القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانفسخت في النصف الغربي منه  
 بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة كاطرة وهي جزيرة عظيمة متسعة متصلة  
 على مدن وبها ملك ضخم وبقية تها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها  
 في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمندية وبلاد افلاطش متصلين بها ثم بلاد  
 افرنسية جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها لام افريقية  
 وبلاد اللامانيين في النصف الشرقي من الجزء فجنوبه بلاد انكلانية ثم بلاد برغونية شمالا  
 ثم أرض لهويكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية الشمالية الشرقية  
 أرض افريرة وكلها لام اللامانيين \* وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في الناحية  
 الغربية بلاد مراثيه في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد  
 انكوية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخل من الجزء  
 الرابع ويمر مغربا بفخراف الى الشمال الى أن يقف في بلاد شطونية آخر النصف الغربي  
 \* وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب أرض جثولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية

ويفصل بينهما جبل بلواط من أول الجزء غربا إلى أن يقف في النصف الشرقي وفي شرق  
 أرض جنوبية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية أرض القسطنطينية  
 وسديتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفعه في بحر نيطس فيقع  
 قطعة من بحر نيطس في أعالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ويمتد بها الخليج  
 وبينهما في الزاوية ببلد مسينا \* وفي الجزء الخامس من الأقليم السادس ثم في الناحية  
 الجنوبية عند بحر نيطس يتصل من الخليج في آخر الجزء الرابع ويخرج على سمته  
 مشرقا في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل من  
 مبدئه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء  
 في غربها إلى شرقها برمتي في غربها هرقلية على ساحل بحر نيطس متصل بأرض  
 ليلقان من الأقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية وقاعدتها سوتلى على بحر نيطس  
 وفي شمال بحر نيطس في هذا الجزء غربا أرض ترخان وشرقها بلاد الروسية وكلها على  
 ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء من شمالها  
 في الجزء الخامس من الأقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الأقليم \*  
 وفي الجزء السادس في غربيه بقية بحر نيطس وينحرف قليلا إلى الشمال ويبقى  
 بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قانية وفي جنوبه ومنفسحا إلى الشمال بما  
 انحرف هو كذلك بقية بلاد اللانية التي كانت آخر جنوبه في الجزء الخامس وفي  
 الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل أرض الخزر وفي شرقها أرض برطاس وفي  
 الزاوية الشرقية الشمالية أرض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية أرض  
 بلجوزها هنالك قطعة من جبل سياه كوه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع  
 بعده ويذهب بعد مفارقه مغربا فيجوز في هذه القطعة ويدخل إلى الجزء السادس  
 من الأقليم الخامس فيتصل هنالك بجبل الأبواب وعليه من هنالك ناحية بلاد الخزر  
 \* وفي الجزء السابع من هذا الأقليم في الناحية الجنوبية ما جاز به جبل سياه بعد  
 مفارقه بحر طبرستان وهو قطعة من أرض الخزر إلى آخر الجزء غربا وفي شرقها  
 القطعة من بحر طبرستان التي يجوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل  
 سياه في الناحية الغربية الشمالية أرض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء  
 أرض سحر ويحتمل وهم أم الترك \* وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه  
 كلها أرض الجوخ من الترك في الناحية الشمالية غربا والارض المنتمية وشرق  
 الارض التي يقال إن بأجوج ومأجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض  
 المنتمية مبدأ نهر الاثل من أعظم أنهار العالم وعمره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان



في الاقليم الخامس في الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل  
في الارض المنتنة من ثلاثة ينابيع تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى آخر  
السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع فيمر في طرفه  
بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع ويذهب مغربا غير بعيد  
ثم ينعطف ثانيا الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من الاقليم السادس ويخرج  
منه جدول يذهب مغربا ويصب في بحر نيطس في ذلك الجزء ويمر في قطعة بين  
الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم  
ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم  
الخامس في الجزء السابع منه فيصب هناك في بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت  
من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في  
الجانب الغربي منه بلاد خفساخ من الترك وهم قفحاق وبلاد التركس منهم ايضا  
وفي الشرق منه بلاد باجوج يفصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقدمت ذكره بيده آمن  
البحر المحيط في شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم في الشمال ويفارقه  
مغربا بانحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع  
الى سمت الاول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبه الى شماله بانحراف  
الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمتة الى  
الاقليم السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه الى الجنوب الى أن يلقى البحر المحيط في  
شماله ثم ينعطف معه من هناك مغربا الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه  
فيتصل هناك بقطعة من البحر المحيط في غربيه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد  
الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد الله بن خرداذبه  
في كتابه في الجغرافيا أن الواثق رأى في منامه كأن السد انفتح فأتبعه فزعا وبعث  
سلاما لترجمان فوقف عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة ليست من مقاصد  
كاتبنا \* وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد مأجوج متصلة فيه الى آخره على  
قطعة من هناك من البحر المحيط أحاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال  
وعريضة بعض الشيء في الشرق

(الاقليم السابع) والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس  
حيث يتصل بجبل قوقيا المحيط بـأجوج ومأجوج فالجزء الاول والثاني مغموران  
بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكاطرة التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف  
انعطف بانحراف الى الشمال وبقية ماع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني

من الاقليم السادس وهي مذكورة هنالك والمجاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلا ووراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلانده مستطيلة من الغرب الى الشرق \* والجزء الثالث من هذا الاقليم مغموراً أكثره بالبحر الاقطعة مستطيلة في جنوبه وتتسع في شرقها وفيها هنالك متصل أرض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وأنها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتصل بالبر من باب في جنوبها يقضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة بوقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق \* والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منكشف وفي غربه أرض قيمانك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم أرض رسلانده الى آخر الجزء شرقا وهي دائرة الثلوج وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه \* وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى قطعة من البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل أرض القمانيه التي على قطعة بحرين طش من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمي من هذا الجزء وهي عذبة تجلب اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض التتارية من التركان الى آخره \* وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل بلاد القمانيه وفي وسط الناحية بحيرة عشور عذبة تجلب اليها الانهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة دائماً الشدة البرد الا قليلا في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانيه بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية أرض بلغاريا التي كان مبدؤها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من أرض بلغار منعطف نهراثل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه \* وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية أرض يخنالك من أمم الترك وكان مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية أرض صحرب ثم بقية الارض المنتنة الى آخر الجزء شرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلا من غربه الى شرقه \* وفي الجزء

الثمان من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة وفي شرقها الارض المحفورة وهي من المجائب خرق عظيم في الارض بعيد المهوى فسيح الاقطار ممتنع الوصول الى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والنيران في الليل تضيء وتتحرق وربعاروى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصلا من الشرق الى الغرب \* وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ وهم قفق يمجوزها جبل قوقيا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هنالك سد يأجوج ومأجوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض يأجوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة أحاطت به من شرقه وشماله \* والجزء العاشر غير البحر جميعه \* هذا آخر الكلام على الجغرافيا وأقاليم السبعة وفي خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات للعالمين

### \*( المقدمة الثالثة )\*

( في المعتدل من الاقاليم والتميز وتمايز الهوا في اركان البشر والكثير من احوالهم )

( قد بينا ) أن المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه لا فراط الحرق في الجنوب منه والبرد في الشمال \* ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحار والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع أعدل العمران والذي حفا فيه من الثالث والخامس أقرب الى الاعتدال والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع أبعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والقوات والقوا كدبل والحيوانات وجميع ما يتكوّن في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانهم من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا حتى النبوات فانما توجد في الاقل كثر فيها ولم تنفع على خبر بعثة في الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك أن الانبياء والرسل انما يختص بهم أكمل النوع في خلقهم وأخلاقهم قال تعالى كنتم خيرا مرة أخرجت للناس وذلك لانهم القبول لما يأتهم به الانبياء من عند الله وأهل هذه الاقاليم أكمل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم وأقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت



المنجدة بالحجارة المنقطة بالصناعة ويتناغون في استجداء الآلات والمواعين ويذهبون  
 في ذلك إلى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد  
 والنحاس والرمصاص والقصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالنقد والعزيرين  
 ويعبدون عن الانحراف في عامة أحوالهم وهؤلاء أهل المغرب والشام والحجاز  
 واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الأندلس ومن قرب منها من الفرنجة  
 والحلقة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء أو قريباً منهم في هذه  
 الأقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام أعدل هذه كلها لأنها وسط من جميع  
 الجهات \* وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس  
 والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبناؤهم بالطين والقصب  
 وأقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من أوراق الشجر يخفضونها عليهم وأهل  
 أكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التسكين مائلة إلى  
 الانحراف ومعاملاتهم بغير الحجرين الثمريتين من نحاس أو حديد أو جلود يقتدرونها  
 للمعاملات وأخلاقهم مع ذلك قريية من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن الكثير  
 من السودان أهل الأقاليم الأول أنهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون  
 العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضاً وكذلك الصقالب  
 والسبب في ذلك أنهم أبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أرضهم وأخلاقهم من  
 عرض الحيوانات العجم ويعبدون عن الانسانية بقدر ذلك وكذلك أحوالهم في  
 الديانة أيضاً لا يعرفون نبوة ولا دينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوارب  
 الاعتدال وهو في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما  
 قبل الإسلام وما بعده لهذا العهد ومثل أهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين  
 لأرض المغرب الدائنين بالإسلام لهذا العهد يقال أنهم كانوا في المائة السابعة  
 ومثل من دان بالنصرانية من أمم الصقالبة والفرنجة والترک من الشمال ومن سوى  
 هؤلاء من أهل تلك الأقاليم المنحرفة جنوباً وشمالاً فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود  
 بينهم وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الاناس قريية من أحوال البهائم ويخلق  
 ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضر موت والحقاف وبلاد  
 الحجاز واليمامة وما إليها من جزيرة العرب في الأقاليم الأول والثاني فأن جزيرة العرب  
 كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبتها أثر في رطوبة  
 هوائها فنقص ذلك من اليبس والانحراف الذي يقتضيه الحار وصار فيها بعض  
 الاعتدال بسبب رطوبة البحر \* وقد نوههم بعض النسابين عن العلم لديه بطبائع

الكائنات أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة ~~كانت~~  
عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه وينقلون في ذلك حكاية  
من خرافات القصص ودعا نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر  
السواد وإنما دعا عليه بأن يكون ولده عبدا للولد أخوته لا غيره وفي القول بنسبة  
السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من  
الحيوانات وذلك أن هذا اللون شمل أهل الأقاليم الأولى والثاني من مزاج هوائهم  
للحرارة المتضاعفة بالجنوب فإن الشمس تسامت رؤسهم مرتين في كل سنة قريبة  
أحدهما من الأخرى فتطول المسامحة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويلمح القبط  
الشديد عليهم وتسود جلودهم لأفراط الحر ونظير هذين الأقليمين مما يقابلهما من  
الشمال الأقليم السابع والسادس شمل سكانهما أيضا البياض من مزاج هوائهم للبرد  
المفرط بالشمال إذا الشمس لا تزال بأفقهم في دائرة مرقى العين أو ما قرب منها  
ولا ترتفع إلى المسامحة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول  
فتبيض ألوان أهلها وتنتهي إلى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط  
من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينهما الأقاليم الثلاثة  
الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر  
والرابع أبلغها في الاعتدال غاية لنهايته في المتوسط كما قد تمناه فكان لأهل  
من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج أهويهم وتبعه عن جانبيه الثالث  
والخامس وإن لم يبلغا غاية المتوسط لميل هذا قليلا إلى الجنوب الحار وهذا قليلا إلى  
الشمال البارد إلا أنهم لم ينتهيا إلى الانحراف وكانت الأقاليم الأربعة منحرفة وأهلها  
كذلك في خلقهم وخلقهم فالأول والثاني للحر والسواد والسابع والسادس للبرد  
والبياض ويسمى سكان الجنوب من الأقليمين الأول والثاني باسم الحبشة والزنج  
والسودان أسماء مترادفة على الأمم المتغيرة بالسواد وإن كان اسم الحبشة مختصا منهم  
عن تجاه مكة واليمن والزنج عن تجاه بحر الهند وليست هذه الأسماء لهم من أجل  
انتسابهم إلى آدمي أسود لا حام ولا غيره وقد نجد من السودان أهل الجنوب من  
يسكن الرابع المعتدل أو السابع المنحرف إلى البياض فتبيض ألوان أعقابهم على  
التدريج مع الأيام وبالعكس فيمن يسكن من أهل الشمال أو الرابع بالجنوب تسود  
ألوان أعقابهم وفي ذلك دليل على أن اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في  
أرجوزته في الطب

بالزنج جرح غير الأجساد \* حتى كسب جلودها سوادا

والصقلب اكتسب البياضا \* حتى غدت جلودها بياضا  
وأما أهل الشمال فلم يسموا باعتبار ألوانهم لأن البياض كان لونا لأهل تلك اللغة  
الواضحة للأسماء فلم يكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده  
ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغر والخزرواللان والكثير من الأفرنجية  
وبأجوج وبأجوج أسماء متفرقة وأجبالا متعددة مسمين بأسماء متنوعة وأما أهل  
الأقاليم الثلاثة المتوسطة أهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الأحوال  
الطبيعية لا عتبار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملك  
فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والأمصار والمباني  
والقراية والصنائع الفائقة وسائر الأحوال المعتدلة وأهل هذه الأقاليم التي وقفنا  
على أخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنو إسرائيل واليونان وأهل الهند  
والهند والصين \* ولما رأى النسابون اختلاف هذه الأمم بسماتها وشعارها حسبوا  
ذلك لأجل الانساب فجعلوا أهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في  
ألوانهم فتكافؤوا نقل تلك الحكاية الواهمة وجعلوا أهل الشمال كلهم أوا كثرهم  
من ولد يافث وأكثر الأمم المعتدلة وأهل الوسط المنتهين للعلوم والصنائع والملل  
والشرائع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وإن صادف الحق في انتساب  
هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لأن تسمية أهل الجنوب  
بالسودان والحبشان من أجل انتسابهم إلى حام الأسود وما آذاهم إلى هذا الغلط  
الاعتقادي هم أن التمييز بين الأمم انما يقع بالانساب فقط وليس كذلك فإن التمييز للجبل  
أو الأمة يكون بالنسب في بعضهم كالعرب وبنو إسرائيل والفرس ويكون بالجهة  
والسمة كالألزيخ والحبشة والصقالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسب  
كالعرب ويكون بغير ذلك من أحوال الأمم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في  
أهل جهة معينة من جنوب أو شمال بأنهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نخلة  
أولون أو سمة وجدت لذلك الأب انما هو من الأغاليط التي أوقع فيها الغفلة عن طبائع  
الأكوان والجهات وأن هذه كلها تبدل في الأعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في  
عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا والله ورسوله أعلم بغيبه وأحكم وهو المولى المنعم  
الرؤوف الرحيم

\*(المقدمة الرابعة)\*  
\*(في أثر الهواء في خلق البشر)\*

(قد رأينا) من خلق السودان على العموم الخفة والطيش ركيزة الطرب فتجدهم



مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك أنه  
تقرر في موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيوانية  
وتفشيها وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه وتقرر أن الحرارة مفسية  
للهواء والبخار مخلة له زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور  
ما لا يعبر عنه وذلك بما يدخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها  
سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشي الروح وتجيء طبيعة الفرح وكذلك تجد  
المتنعمين بالجمامات اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم فتسخت  
لذلك حدث لهم فرح ورجاء انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور \* ولما كان  
السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على ارض جنتهم وفي أصل تكوينهم  
كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقلهم فتكون ارواحهم بالقياس  
الى ارواح أهل الاقليم الرابع أشد حرا فتكون أكثر تفشيا فتكون أسرع فرحا  
وسرورا وأكثر انبساطا ويحيى الطيش على اثر هذه وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد  
البحرية لما كان هوائها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر  
وأشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد  
التلول والجبال الباردة وقد نجد يسيرا من ذلك في أهل البلاد الجزيرية من الاقليم  
الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريضة في الجنوب عن الارياف والتلول  
واعتبر ذلك أيضا بأهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريبا منها كيف  
غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون أقوات سنتهم ولا  
شهرهم وعامة ما كلهم من أسواقهم \* ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها  
في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقين اطراق الحزن وكيف أفرطوا  
في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الخنطة ويباكر  
الاسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئا من مدخره وتتبع ذلك في الاقاليم  
والبلدان فتجد في الاخلاق اثر من كفيات الهواء والله الخلاق العليم \* وقد تعرض  
المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول  
تعليله فلم يأت بشيء أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق الكندي  
أن ذلك اضعف أدمغتهم ومانشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا يحصل له ولا  
برهان فيه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### ❖ (المقدمة الخامسة) ❖

في اختلاف احوال العمران في الحبس والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر واخلاصهم

(اعلم) أن هذه الاقاليم المعقدة ليس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش بل فيها ما يوجد لاهله خصب العيش من الحبوب والادم والحنطة والقواكه لزكاء المنابت واعتماد الطينة ووفور العمران وفيها الارض الخرة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شظف من العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل الملمين من صنهاجة الساسكانيين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فإن هؤلاء يفتقدون الحبوب والادم جملة وانما أغذيتهم وأقواتهم الالبان واللحوم ومثل العرب أيضاً الجائلين في القفار فانهم وان كانوا يأخذون الحبوب والادم من التلول الا أن ذلك في الاحياء وتحت ربة من حاميته وعلى الاقلال لقله وجدهم فلا يتوصلون منه الى سد الخلة أو دونه فاضلا عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب أحوالهم على الالبان وتغوضهم من الحنطة أحسن معاض وتجد مع ذلك هؤلاء الفقادين للحبوب والادم من أهل القفار أحسن حالاً في جسومهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد من الانحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والادراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين الملمين وأهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله أعلم أن كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد أقطار في غير نسبة وكثرة الاخلط الفاسدة العفنة ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغضى الرطوبات على الازهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من أبخرتها الرديئة فتتجىء بالادة والغفلة والانحراف عن الاعتماد بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام والمهي والزرافة والحمار الوحشية والبقر مع أمثالها من حيوان التلول والارياف والمراعي الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيداً في صفاء أديمها وحسن رونقها وأشكالها وتناسب أعضائها وخدمة مداركها فالغزال أخو المعز والزرافة أخو البعير والحمار والبقر أخو الحمار والبقر والبون بينهما ما رأيت وما ذاك الا لاجل أن الخصب في التلول فعل في أبدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلط الفاسدة ما ظهر عليها أثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها وأشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الادميين أيضاً فاننا نجد أهل الاقاليم الخصبة العيش الكثير الزرع والضرع والادم والقواكه يتصف أهلها غالباً بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير والذرة

مثل المصادمة منهم وأهل غمارة والسوس تجده هؤلاء أحسن حالا في عقولهم  
 وجسومهم وكذا أهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسون في الادم والبر مع أهل  
 الاندلس المفقود بأرضهم السمن جملة وغالب عيشهم الذرة فتجد لأهل الاندلس من  
 ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا أهل  
 الضواحي من المغرب بالجملة مع أهل الحضر والامصار فإن أهل الامصار وان كانوا  
 مكثرين مثلهم من الادم ومخصبين في العيش الا أن استعمالهم اياها بد العلاج بالطبخ  
 والتلطيف بما يخالطون معها فمذهب لذلك غلظها ويرق قوامها واعامة ما كلهم لحوم  
 الضأن والدجاج ولا يغبطون السمن من بين الادم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في  
 أغذيتهم ويحتف ما تؤديه الى أجسامهم من الفضلات الرديئة فلذلك تجد جسوم أهل  
 الامصار أظف من جسوم البادية المخشنين في العيش وكذلك تجد المعتودين  
 بالجوع من أهل البادية لافضلات في جسومهم غليظة ولا لطيفة \* واعلم أن أثر هذا  
 الخصب في البدن وأحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة فتجد المتقشفين من أهل  
 البادية أو الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ أحسن ديناً وأقبالا  
 على العبادة من أهل الترف والخصب بل نجد أهل الدين قليلين في المدن والامصار لما  
 يعمها من القساوة والغفلة المتصلة بالاكثار من اللعمان والادم ولباب البر  
 ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من أهل البوادي وكذلك  
 نجد حال أهل المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والخصب  
 وكذلك تجد هؤلاء المخصبين في العيش المنغمسين في طبيباته من أهل البادية وأهل  
 الحواضر والامصار اذا نزلت بهم السنون وأخذتهم الجماعات يسرع اليهم الهلاك  
 أكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب وأهل مدينة فاس ومصر فيما يغنوا مثل  
 العرب أهل القفر والبحراء ولا مثل أهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل  
 أهل افريقية لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت وأهل الاندلس الذين  
 غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان أخذتهم السنون والجماعات فلا تنال منهم  
 ما تنال من أولئك ولا يـ~~ك~~نفهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر والسبب في ذلك والله  
 أعلم أن المنغمسين في الخصب المعتودين للادم والسمن خصوصاً اكتسب من ذلك  
 أمراً وهم رطوبة فوق رطوبتها الاصلية المزاجية حتى تجاوز حدّها فاذا خولف بها  
 العادة بقلّة الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء أسرع  
 الى المعى اليبس والانكماش وهو عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك  
 صاحبه دفعة لانه من المقاتل قالها ~~ال~~كون في الجماعات انما قتلهم الشجع المعتاد



السابق لا الجوع الحادث اللاحق \* وأما المتعودون لقلة الادم والسمن فلا  
تزال وطوبيتهم الاصلية واقفة عند حدتها من غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية  
الطبيعية فلا يقع في معاهم تبدل الاغذية ييس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من  
الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب وكمثرة الادم في المأكول وأصل هذا  
كله أن تعلم أن الاغذية والتلافها وتركها انما هو بالعادة فمن عود نفسه غذاء  
ولامه تناوله كان له مألوفا وصار الخروج عنه والتبدل به داءا لم يخرج عن غرض  
الغذاء بالجملة كالسوم واليتوع وما أفرط في الانحراف فأتما ما وجد فيه التغذية  
والملاءمة فيصير غذاء مألوفا بالعادة فاذا أخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن  
والبقل عوضا عن الحنطة حتى صار له دينا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به  
عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع  
والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن أهل الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك أخبارا  
غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا ألقت شيئا  
صار من جبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التاؤن فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج  
والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها وما يتوهمه اطباء من أن الجوع مهلك  
فليس على ما يتوهمونه الا اذا حجت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه  
حينئذ ينحسم المعنى ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك وأما اذا كان ذلك القدر  
تدرجيا ورياضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعل المتصوفة فهو بمنزلة عزل عن  
الهلاك وهذا التدرج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع به  
الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كابدأ في الرياضة بالتدريج  
ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوما وصلاوا أكثر \* وحضر أشياخنا  
بمجلس السلطان أبي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من أهل الجزيرة الخضراء ورئدة  
حبستا أنفسهما عن الاكل جملة من سنين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما ما فصيح  
شأنهما وانصل على ذلك حالهما الى أن ماتتا ورأينا كثيرا من أصحابنا أيضا من يقتصر  
على حليب ثامة من المعز يلتقم ثديها في بعض النهار وعند الافطار ويكون ذلك غذاءه  
واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكرون ذلك \* واعلم أن الجوع  
أصلح للبدن من أكثر الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه أو على الاقلال منها وأن له  
أثر في الاجسام والعقول في صفاتها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك بانار الاغذية  
التي تحصل عنها في الجسوم فقد رأينا المتغذين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة  
الجمان تنشأ أجبالهم كذلك وهذا ما شاهد في أهل البادية مع أهل الحاضرة وكذا

قال في القاموس  
اليتوع كصبورا أو  
تنور كل نبات له لبن  
دار مسهل محرق  
مقطع والمشهور  
منه سبعة الشبرم  
والاغمية  
والعروطينشا  
والمهاود انه  
والمازريون  
والفجلشت  
والعشر وكل  
اليتوعات اذا  
استعمات في غير  
وجهها أهلكت اه

المتغذون بألبان الابل ولحومها أيضا مع ما يؤثر في أخلاقهم من الصبر والاحتمال  
والقدرة على حمل الاثقال الموجود ذلك للابل وتنشأ أمعاؤهم أيضا على نسبة أمعاء  
الابل في المحمة والغلاظ فلا يطررها الدهن ولا الضعف ولا ينالها من مضار الاغذية  
ما ينال غيرهم فيشربون التنوعات لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالخنظل قبل  
طبخه والدرياس والقرييون ولا ينال أمعاؤهم منها ضرر وهي لوتنا ولها أهل الحضر  
الرقية أمعاؤهم بمنشآت عليه من لطيف الاغذية لكان الهلاك أسرع اليهم من  
طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره أهل الفلاحة  
وشاهده أهل التجربة أن الدجاج اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذت  
بصها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها أعظم ما يكون وقديس تغنون عن تغذيتها  
وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحض فيجبي دجاجها في غاية العظم  
وأما شال ذلك كثير فاذا رأينا هذه الآثار من الاغذية في الابدان فلا شك أن للجوع  
أيضا آثارا في الابدان لأن الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون  
تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة الخلة بالجسم  
والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

### ❖ (المقدمة السادسة) ❖

(في أصناف المدرسين للغيث من البشر بالفطرة او بالرياسة وتقدم الكلام في الوحي والرؤيا)

(اعلم) أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصا فاضلهم بخطابه وفطرهم على  
معرفة وجعلهم وسائل بينه وبين عبادته رفونهم بمصالحهم ويحترضونهم على  
هدايتهم وبأخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يليق به  
اليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والاخبار الكائنات المغيبة عن  
البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال  
صلى الله عليه وسلم ألا واني لأعلم الاما علمني الله واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصيته  
وضرورته الصديق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر  
أن توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غبطة كأنهم اغشى أو انغماء  
في رأى العين وليست منهم في شئ وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك  
الروحاني بأدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكيفية ثم ينزل الى  
المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام فيستفهمه أو يتمثل له صورة شخص  
يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تعجب عنه تلك الحال وقد وعى ما أتى اليه قال صلى الله

عليه وسلم وقد سئل عن الوحي أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ففصصم  
عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ويدركه انشاء  
ذلك من الشدة والغطى ما لا يعبر عنه ففي الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة  
وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصصم عنه وان جبينه  
ليتصدع رقبا وتقال ته الى اناسلق عليك قولا ثقيلا ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي  
كان المشركون يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رقى أو تابع من الجن وانما البس  
عليهم بما شاهدوه من ظاهرتلك الاحوال ومن يضل الله فله من هاد \* ومن  
علاماتهم أيضا أنه يوجد لهم قبل الوحي خاق الخير والركاء ومجانبة المذمومات  
والرجس أجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات  
والمنافرة لها وكأنها منافية لجبلته وفي الصحيح أنه جل الجارة وهو غلام مع عمه العباس  
لبناء الكعبة فجعلها في آزاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بأزاره ودعى  
الى مجتمع وليلة فيها عرس ولعب فأصابه غشى النوم الى أن طلعت الشمس ولم يحضر  
شيئا من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى أنه بجبلته يتنزه عن المطعومات المستكرهه  
فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقل له في ذلك فقال انى أناجى  
من لاتناجون (وانظر) لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها بحال  
الوحي أول ما فجأه وأرادت اختياره فقالت اجعلنى بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك  
ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه أنه لا يقرب النساء وكذلك سأله عن  
أحب الثياب اليه أن يأتبه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك يعنى أن  
البياض والخضرة من ألوان الخير والملائكة والسواد من ألوان الشر والشياطين  
وأمثال ذلك \* ومن علاماتهم أيضا دعاءهم الى الدين والعبادة من الصلاة  
والصدقة والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك  
أبو بكر ولم يحتاجا في أمره الى دليل خارج عن حاله وخلقته وفي الصحيح أن هرقل حين  
جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام أحضر من وجد يبلده من قريش  
وفيهما أبو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل أن قال بهيأ أمركم فقال أبو سفيان  
بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف الى آخر ما سأل فأجابه فقال ان يكن ما تقول  
حقا فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذى أشار اليه هرقل هو العصمة  
فانظر كيف أخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلا على صحة نبوته ولم يحتاج  
الى معجزة فدل على أن ذلك من علامات النبوة (ومن علاماتهم) أيضا أن يكونوا  
ذوى حسب في قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا فى منعة من قومه وفي رواية اخرى

قوله الذى أشار  
اليه هرقل الظاهر  
أبو سفيان اه



في ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين وفي مساءلة هرقل لابي سفيان كما هو في  
 الصحيح قال كيف هو فيكم فقال ابوسفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والرسول تبعث  
 في أحساب قومها ومعناه أن تكون له عصبية وشوكة تمنعه عن أذى الكفار حتى  
 يبلغ رسالة ربه ويتم مراد الله من اكمال دينه وملته (ومن علاماتهم) أيضا وقوع  
 الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة  
 وليست من جنس مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية  
 وقوعها ودلائلها على تصديق الانبياء خلاف فالتكاملون بناء على القول بالفاعل  
 المختار قائلون بأنهم واقعة بقدره الله لا بفعل النبي وان كانت أفعال العباد عند المعتزلة  
 صادرة عنهم إلا أن المعجزة لا تكون من جنس أفعالهم وليس للنبي فيها عند سائر  
 المتكلمين إلا التحدي بها بإذن الله وهو أن يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل  
 وقوعها على صدقه في مدعاه فاذا وقعت تنزل منزلة القول الصريح من الله بأنه  
 صادق وتكون دلالاتها حينئذ على الصدق قطعية فالمعجزة الدالة بمجموع الخوارق  
 والتحدي ولذلك كان التحدي جزأ منها (وعبارة المتكلمين) صفة نفسها وهو واحد لانه  
 معنى الذات عندهم والتحدي هو الفارق بينهما وبين الكرامة والسحر اذ لا حاجة فيهما  
 الى التصديق فلا وجود للتحدي الآن وجدا اتفاقا وان وقع التحدي في الكرامة عند  
 من يجيزها وكانت لها دلالة فانما هي على الولاية وهي غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ  
 ابواسحق وغيره وقوع الخوارق كرامة فرار من الالتباس بالنبوة عند التحدي  
 بالولاية وقد أرينا المغايرة بينهما وأنه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي فلا لبس على أن  
 النقل عن الاستاذ في ذلك ليس صريحا وربما حمل على انكار أن تقع خوارق الانبياء  
 لهم بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه \* وأما المعتزلة فالمانع من وقوع  
 الكرامة عندهم أن الخوارق ليست من أفعال العباد وأفعالهم معتادة فلا فرق  
 وأما وقوعها على يد الكاذب تلبيسا فهو محال أما عند الاشعية فلا صفة نفس  
 المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة  
 والتصديق كذبا واستحالت الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه  
 المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلا وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح  
 فلا يقع من الله \* وأما الحكماء فالخوارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل  
 القدرة بناء على مذهبهم في الإيجاب الذاتي ووقوع الحوادث بعضها عن بعض  
 متوقف على الأسباب والشروط الحادثة مستندة أخيرا الى الواجب الفاعل بالذات  
 لا بالاختيار وأن النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق

بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم مجبول على التصريف في  
 الاكوان مهما توجه اليها واستجمع لها بما جعل الله من ذلك والخارق عندهم يقع  
 للنبي كان للتحدى أو لم يكن وهو شاهد بصدقه من حيث دلائله على تصرف النبي  
 في الاكوان الذي هو من خواص النفس النبوية لآبانه يتنزل منزلة القول الصريح  
 بالتصديق فلذلك لا تكون دلائله عندهم قطعية كما هي عند المتكلمين ولا يكون  
 التحدي جزءاً من المعجزة ولم يصح فارقالها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن  
 السحر أن النبي مجبول على أفعال الخير مصروف عن أفعال الشر فلا يلم الشر  
 بخوارقه والساحر على الضد فأفعاله كلها شر وفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة  
 أن خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السماء والنفوذ في الاجسام الكشفية  
 واحياء الموتى وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتكثير  
 القليل والحديث عن بعض المستقبل وأمثاله مما هو قاصر عن تصرف الانبياء ويأتى  
 النبي بجميع خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك المتصوفة  
 فيما كتبوه في طريقهم ولقنوه عن اخبرهم واذا تقر ذلك فاعلم أن أعظم المعجزات  
 وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن  
 الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتى بالمعجزة شاهدة  
 بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى وهو الخارق المعجز فشاهده في عينه  
 ولا يقتصر الى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل  
 والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وأتى من  
 الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحى الى فأنا  
 أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة يشير الى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة  
 في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونه نفس الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها فكثر  
 المصدق المؤمن وهو التابع والامة

ولذلك الآن تفسير حقيقة النبوة على ما شرحت كثير من المحققين ثم نذكر حقيقة  
 الكهانة ثم الرؤيا ثم شأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

\*(اعلم)\* أرشدنا الله وإياك أنا شاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على  
 هيئة من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسيبات واتصال الاكوان بالاكوان  
 واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وأبدأ  
 من ذلك بالعالم المحسوس الجثمانى وأول عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً  
 من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلاً ببعضها ببعض وكل واحد منها

مستعدة الى أن يستحيل الى ما يليه صاعدا وهابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعد  
 منها ألطف مما قبله الى أن ينتهي الى عالم الافلاك وهو ألطف من الكل على طبقات  
 اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يتدبى بعضهم  
 الى معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار  
 فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة  
 بديعة من التدرج آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا يذكر  
 له وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الخبزون  
 والصدف ولم يوجد لهما الاقوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكنونات أن آخر  
 أفق منها مستعدة بالاسم عدد الغريب لان يصير أول أفق الذي بعده واتسع عالم  
 الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب الفكر  
 والروية ترتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية  
 والفكر بالفعل وكان ذلك أول أفق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم اننا نجد في  
 العوالم على اختلافها آثارا متنوعة في عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر  
 وفي عالم التكوين آثار من حركة النمو والادراك تشهد كلها بأن لها مؤثرامبايناً للجسام  
 فهو راحتي ويتصل بالمكنونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها وذلك هو النفس  
 المدركة والمحركة ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها  
 أيضا ويكون ذاته ادراكا صرفا وتعلقا محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك  
 ان يكون للنفس استعدادا للانسلاخ من البشرية الى الملكية ليصير بالفعل من جنس  
 الملائكة وقما من الاوقات في لحظة من اللحظات وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية  
 بالفعل كما نذكره بعد ويكون لها اتصال بالافق الذي بعدها شأن الموجودات المرتبة  
 كما قدمنا فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل هي متصلة بالبدن من أسفل منها  
 ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعملها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من  
 جهة الاعلى منها بأفق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث  
 موجود في تعلقاتهم من غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود  
 باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان  
 وآثارها ظاهرة في البدن فكأنه وجميع أجزائه مجتمعة ومفترقة آلات للنفس ولقواها  
 أما الفاعلية فالبطش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية  
 بالبدن متدافعا وأما المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرتفعة الى القوة  
 العليا منها ومن المفكرة التي يعبر عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهرة بآلاته من



السمع والبصر وسائرها يرتقي الى الباطن وأوله الحس المشترك وهو قوة تدرك  
 المحسوسات مبصرة ومسموعة وملوسة وغيرها في حالة واحدة وبذلك فارتقت قوة  
 الحس الظاهر لان المحسوسات لا ترتدحهم عليها في الوقت الواحد ثم يؤديه الحس  
 المشترك الى الخيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجزئ عن المواد  
 الخارجة فقط وآلهاتين القوتين في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدمه  
 للاولى ومؤخره لثانية ثم يرتقي الخيال الى الواهمة والحافظة فالواهمة لادراك  
 المعاني المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد وصداقة عمرو ورجعة الاب وافتراس الذئب  
 والحافظة لا يداع المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالخزانة تحفظها الوقت  
 الحاجة اليها وآلهاتين القوتين في تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ أوله للاولى  
 ومؤخره للآخرى ثم ترتقي جميعها الى قوة الفكر وآته البطن الاوسط من الدماغ وهي  
 القوة التي يتبع بها حركة الروية والتوجه نحو العقل فتحرك النفس به اداء الممارك  
 فيها من النزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى الفعل  
 في تعقلها تشبهة بالملا الاعلى الروحاني وتصير في أول مراتب الروحانيات في  
 ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي متحركة دائماً متوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ  
 بالكلية من البشرية وروحانياتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب  
 بل بما جعل الله فيها من الجبل والغطرة الاولى في ذلك (والنفوس البشرية) على ثلاثة  
 أصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فينقطع بالحركة الى  
 الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة  
 على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي  
 للفكر في البدن وكما خيالاً منحصرة نطاقها ذهون من جهة مبدئية تنتهي الى الاوليات  
 ولا يتجاوزها وان فسد فسد ما بعدها وهذا هو في الغلب نطاق الادراك البشري  
 الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم وصنف متوجه بتلك  
 الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يفتقر الى الآلات البدنية  
 بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق  
 الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها  
 لانطاقها من مبدئها ولا من منتهىها وهذه مدارك العلماء الاولياء أهل العلوم  
 الدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وصنف  
 مفضو على الانسلاخ من البشرية بجملة جسمانياتها وروحانياتها الى الملائكة من  
 الافق الاعلى ليصير في لحظة من اللحظات ملكاً بالفعل ويحصل له شهود الملا الاعلى

في أفقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللوحة وهؤلاء الانبياء  
 صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللوحة وهي  
 حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجبلة تصورهم فيها ونزهمهم عن موانع البدن  
 وعوائقه ماداموا ملاسين لها بالبشرية بماركب في غرائزهم من القصد والاستقامة  
 التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة  
 وتسيع نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤوا  
 بتلك الفطرة التي فطرها عليها الابا كتساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن  
 بشريتهم وتلقوا في ذلك الملاء الأعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشرية منزلا  
 في قواها لحكمة التبليغ للعبادة فتارة يسمع دويا كأنه رمز من الكلام يأخذه منه المعنى  
 الذي ألقى اليه فلا ينقضي الدوى الا وقد دعا وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه  
 رجلا فيكلمه ويبي ما يقوله والتاقي من الملك والر جوع الى المدارك البشرية وفهمه  
 ما ألقى عليه كأنه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها  
 تقع جميعا فيظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لان الوحي في اللغة الاسراع (واعلم  
 أن الاولى وهي حالة الدوى هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققوه والثانية  
 وهي حالة تمثيل الملك رجلا يخاطب هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت أكمل من  
 الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سأله  
 الحرث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو  
 أشده علي ثم يقصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي  
 ما يقول وانما كانت الاولى أشد لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى  
 الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع  
 وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج  
 الى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي  
 العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من  
 البلاغة وهي أن الكلام جاء مجيء التمثيل لحال الوحي فمثل الحالة الاولى بالدوى  
 الذي هو في المعارف غير كلام وأخبر أن الفهم والوعي يتبعه غيب انقضائه فناسب عند  
 تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع  
 ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوعي فناسب  
 العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد \* واعلم أن في حالة الوحي كلها صعوبة على الجمله وشدة  
 قد أشار اليها القرآن قال تعالى اناس لم يلق عليك قولا ثقيلا وقالت عائشة كان

مما يعانى من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيه صم  
 عنه وان جبينه لينة قد صد عرقا ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة  
 والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك أن الوحي كما قررناه مفارقة البشرية الى المدارك  
 الملكية وتلقى كلام النفس فيحدث عنه شدة تمن مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها  
 من أفقها الى ذلك الافق الآخر وهذا هو معنى الغط الذي عبر به في مبدء الوحي في  
 قوله فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ وكذلك ثالثة  
 وثالثة كما في الحديث وقد يقضى الاعتبار بالتدريج فيه شيئا فشيئا الى بعض السهولة  
 بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر  
 منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وأنها نزلت كلها  
 أو أكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار  
 المفصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين  
 وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمزمل  
 والنجم والفرقان وأمثالها واعتبر من ذلك علامة تميزها بين المكي والمدني من السور  
 والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل أمر النبوة (وأما الكهانة) فهي أيضا  
 من خواص النفس الانسانية وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مر أن للنفس الانسانية  
 استعداد الانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل من ذلك لمحة  
 للبشر في صنف الانبياء بما فطر واعليه من ذلك وتقر بأن يحصل لهم من غير اكتساب  
 ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كالأما أو حركة  
 ولا بأمر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب  
 من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية  
 فيعطى التقسيم العقلي أن هنا صنفا آخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول  
 نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة  
 فيه وشتان ما بينهما فاذا أعطى تقسيم الوجود أن هنا صنفا آخر من البشر مفطورا  
 على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عندما يعينها النزوع لذلك  
 وهي ناقصة عنه بالجبلية فيكون لها بالجبلية عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بأمور  
 جزئية محسوسة أو متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام  
 وما سخر من طير أو حيوان فيستديم ذلك الاحساس أو التخيل مستعين به في ذلك  
 الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشيح له وهذه القوة التي فيهم مبدء لذلك الادراك  
 هي الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان



ادراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة  
 لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذات ما في نوم أو يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة  
 تحضرها الخيلة وتكون لها كالمراة تنظر فيها دائماً ولا يقوى الكاهن على الكمال في  
 ادراك المعقولات لأن وحيه من وحي الشيطان وأرفع أحوال هذا الصنف  
 أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليستغل به عن الحواس ويقوى  
 بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيهم يحس في قلبه عن تلك الحركة والذي  
 يشيعه من ذلك الابنبي ما يقدفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب  
 لانه يتم نقصه بأمر أجنبي عن ذاته المدركة وبما ين لها غير ملائم فيعرض له الصدق  
 والكذب جميعاً ولا يكون موثقاً به وربما يفرع الى الظنون والتخمينات حرصاً على  
 الظفر بالادراك البرزخية وتقويها على السائلين وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم  
 الكهان لانهم أرفع سائر أصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع  
 الكهان فجعل السجع محتصاً بهم بمقتضى الاضافة وقد قال لابن صبياح حين سأله  
 كاشفاً عن حاله بالاختبار كيف يأتيك هذا الامر قال يأتيني صادق وكاذب فتسال  
 خاط عليك الامر يعني أن النبوة خاصتها الصادق فلا يعترها الكذب بحال لانها  
 اتصال من ذات النبي بالمالا الاعلى من غير مشييع ولا استعانة بأجنبي والكهانة لما  
 احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية كانت داخله في  
 ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصارت مختلفاً بطاها وطرقه الكذب من  
 هذه الجهة فامتنع أن تكون نبوة وانما قلنا ان أرفع مراتب الكهانة حالة السجع  
 لأن معنى السجع أخف من سائر المغيبات من المراثيات والمسموعات وتدل خفة المعنى  
 على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعده فيه عن العجز بعض الشيء (وقد زعم) بعض  
 الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين  
 بالشهاب بين يدي البعثة وأن ذلك كان لمنعه من خبر السماء كما وقع في القرآن  
 والكهان انما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ  
 ولا يقوم من ذلك دليل لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من  
 نفوسهم أيضاً كما قرأناه وإيضافاً لآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من  
 أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك وإيضافاً لما كان  
 ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو  
 الظاهر لأن هذه المدارك كلها تحمد في زمن النبوة كما تحمد الكواكب والسرورج  
 عند وجود الشمس لأن النبوة هي النور الاعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب

وقد زعم بعض الحكماء أنها إنما توجد بين يدي النبوة ثم تقطع وهكذا مع كل نبوة  
وقعت لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام  
تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك  
النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل أن يتم ذلك الوضع  
السكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكاهن إما واحدا أو متعددا فإذا تم  
ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله وانقضت الأوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة  
فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على أن بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض أثره وهو  
غير مسلم فلعل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض أجزائها  
فلا يقتضي شيئا لأنه يقتضي ذلك الأثر ناقصا كما قالوه ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا  
زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجودان من  
أمر النبوة كالكل إنسان من أمر اليوم ومعقولة تلك النسبة موجودة للكاهن  
بأشد مما للنائم ولا يصدّهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الاقوة المطامع في أنها نبوة  
لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن أبي الصلت فإنه كان يطمع أن يتنبأ وكذا وقع  
لابن صباد ولمسيمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني آمنوا أحسن  
ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الاسلامية  
من الآثار الشاهدة بحسن الايمان \* (وأما الرؤيا) فحققتها مطالعة النفس  
الناطقة في ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فإنها عندما تكون روحانية تكون  
صور الواقعات فيها موجودا بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية  
بأن تتجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم كما  
نذكر فتعبر بها عما تشوق اليه من الامور المستقبلية وتعود به الى مداركها  
فإن كان ذلك الاقتراب ضعيفا وغير جلي بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخلطه فيحتاج  
من أجل هذه المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقتراب قويا يستغنى فيه عن المحاكاة  
فلا يحتاج الى تعبير فتلخصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللحمة للنفس  
أنها ذات روحانية بالقوة مستكدة بالبدن ومداركها حتى تصير ذاتها تعقلا محضا  
ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية مدركة بغير شيء من الآلات  
البدنية إلا أن نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الافق الاعلى على الذين  
لم يستكملوا ذاتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها  
مادامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر  
الرؤيا \* وأما الذي للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى المالكية

المحضة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكررا في حالات  
 الوحي وهو عند ما يخرج على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراك الشبيه بالبحال  
 النوم شبيها بنواوان كان حال النوم أدون منه بكثير فلاجل هذا الشبيه عبر الشارع  
 عن الرؤيا بأنهم اجزاء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلاثة وأربعين وفي  
 رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصودا بالذات وإنما المراد الكثرة في تفاوت هذه  
 المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهو لكثير عند العرب وما ذهب اليه  
 بعضهم في رواية ستة وأربعين من أن الوحي كان في مبتدئه بالرؤيا ستة أشهر وهي  
 نصف سنة ودمية النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء  
 من ستة وأربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم  
 ومن أين لنا أن هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع أن ذلك انما يعطى نسبة زمن  
 الرؤيا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقة من حقيقة النبوة واذن لك هذا مما  
 ذكرناه أولا علمت أن معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى  
 الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لهم صلوات الله عليهم اذ هو  
 الاستعداد البعيد وان كان عاما في البشر ومعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله  
 بالفعل ومن أعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب  
 الحواس بالنوم الذي هو جلي لهم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة  
 ما تشوق اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان منه لمحة يكون فيها الظفر  
 بالمطرب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات  
 قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له  
 (وأمّا سبب ارتفاع حجاب الحواس) بالنوم فعلى ما أصفه لك وذلك أن النفس الناطقة  
 انما ادراكها وأفعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو بخار لطيف مركز بالتجويف  
 الايسر من القلب على ما في كتب التشريح لجالينوس وغيره وينبعث مع الدم في  
 الشريانات والعروق فيعطى الحس والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه الى  
 الدماغ فيعدل من برده وتم أفعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك  
 وتعقل به هذا الروح البخاري وهي متعلقة به لما اقتضته حكمة التكوين في أن  
 اللطيف لا يؤثر في الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار  
 محلا لاثار الذات المبينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة  
 في البدن بواسطة رقد كافتنا أن ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو بالحواس  
 الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وأن هذا الادراك كله صارف لها عن



ادراكها ما فوقها من ذواتها الروحانية التي هي مستعدة له بالفطرة ولما كانت  
الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسوس والفشل بما يدركها من التعب  
والكلال وتغشى الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك  
على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة  
كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل  
فتطلب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون شبيعة  
مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل  
فاذا انحنس الروح عن الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس  
شواغل الحس وموانعه رجعت الى الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب  
والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة  
قريبا ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على أنحاء  
الحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس لفتة الى ذاتها الروحانية مع منازعتها  
القوى الباطنية فتدرك ما يدركها الروحاني لانها فطورية عليه وفتتس من صور  
الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيمثلها  
بالحقيقة أو المحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي المحتاجة للتعبير  
وتصريفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل أن تدرك من تلك اللوحة ما تدركه  
هي أضغاث أحلام (وفي الصحيح) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا  
من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالحي  
من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك وأضغاث الأحلام من الشيطان لانها  
كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما يسيبها ويشيعها من النوم  
وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يختلوع عنها أحد منهم  
بل كل واحد من الانساني رأى في نومه ما صدر له في يقظته مرارا غير واحدة وحصل  
له على القطع أن النفس مدركة للغيب في النوم ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم  
فلا يمنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال  
والله الهادي الى الحق بمنه وفضله

(فصل) ووقع ما يقع للبشر من ذلك غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما  
تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فيقع لها بتلك اللوحة في النوم لانها تقصد الى ذلك  
فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضات ذكر أسماء تذكر عند  
النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يشوف اليه ويسمونها الخالومية وذكر منها مسلمة في

كتاب الغاية حاكمة سماها حاكمة الطباع التامة وهو أن يقال عند النوم بعد فراغ السرور صحة التوجه هذه الكلمات الالجمية وهي تماغس بعدات يسود وغداس نوفنا غادس ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم (وحكى) أن رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليل في مأكله وذكره فتمثل له شخص يقول له أنا طبايعك التامة فسأله وأخبره عما كان يشوف اليه وقد وقع لي أنا بهذه الاسماء مراني عجيبه واطلعت بها على أمور كنت أتشوف اليها من أحوالي وليس ذلك بدليل على أن القصد للرؤيا يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوى الاستعداد كان أقرب الى حصول ما يستعد له للشخص أن يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشئ فاعلم ذلك وتدبره فيما يجدم أمثاله والله الحكيم الخبير

(فصل) ثم انما نجد في النوع الانساني أشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها انما يجدم اركانهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاحسام الشفافة كالمرايا وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وأبصارها وعظامها وأهل الزجر في الطير والسباع وأهل الطرق بالخصى والحبوب من الخنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم الانسان لا يسع أحدا جدها ولا انكارها وكذلك المجانين يلقى على ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لا قول موته أو نومه يتكلم بالغيب وكذلك أهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة \* ونحن الآن نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم نأتى عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في أن النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك أنها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن وأحواله وهذا أمر مدرك لكل أحد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الادراك والتعقل فهي توجد أولا بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما يعوقها بورود مدركاتها المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الادراكات من المعاني الكلية فتتعقل الصور مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل طورا بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهوى والصورة متعاقبة عليها بالادراك

واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي في أول نشأته لا يقدر على الادراك الذي لها من  
ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرها ما وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي  
الادراك والتعقل لم يتم بعد بل لم يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تمت ذاتها بالفعل حصل  
لها ما دامت مع البدن نوعان من الادراك ادراك البالات الجسم تؤديه اليها المدارك  
البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس  
وبشواغلها لان الحواس أبدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه أو لا من الادراك  
الجسماني وربما تنغمس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما بالخاصية  
التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم أو بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل  
الكهانة والطرق أو بالريضة مثل أهل الكشف من الصوفية فقلت في حينئذ الى  
الذوات التي فوقها من الملا الاعلى لما بين أفعها وأفقههم من الاتصال في الوجود كما  
قرناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور  
الموجودات وحقائقها كما ترى تجلي فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علوما وربما  
دفعت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما  
أدركت اما مجزءا أو في قوالبه فتخبر به \* هذا هو شرح استعداد النفس لهذا  
الادراك الغيبي \* ولترجع الى ما وعدنا به من بيان أصنافه (فأما) الناظرون في  
الاجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وأكبادهما وعظامها  
وأهل الطرق بالخصى والنوى فكأنهم من قبيل الكهان لأنهم أضعف رتبة فيه في  
أصل خلقهم لان الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير معاناة وهو لا يعاونه  
بأنحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها أو أشرفها البصر فيعكف على المرقى  
اليسيط حتى يسدوله مدركه الذي يخبر به عنه وربما ينظر أن مشاهدة هؤلاء لما يرونه هو  
في سطح المرأة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون في سطح المرأة الى أن يغيب عن البصر  
ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرأة حجاب كأنه غمام تمثل فيه صور هي مداركهم فيشبهون  
اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من ثقب أو اثبات فيخبرون بذلك على نحو  
ما أدركوه وأما المرأة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشأ لهم  
بها هذا النوع الآخر من الادراك وهو نفسي ليس من ادراك البصر بل يتشكل به  
المدرك النفسي للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب  
الحيوانات وأكبادهما والناظرين في الماء والطساس وأمثال ذلك \* وقد شاهدنا من  
هؤلاء من يشغل الحس بالبحور فقط ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما أدرك ويرى عن أنهم  
يرون الصور متشخصة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال



والاشارة وغيبه هؤلاء عن الحس أخف من الاولين والعالم أبو الغرائب \* وأما الزجر وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سحر طائر أو حيوان والفكر فيه بعدم غيبه وهي قوة في النفس تبعث على الخرص والفكر فيما زجر فيه من مرئى أو مسموع وتكون قوته المخيلة كما قدمناه قوية فيبيعنها في البحث مستعيناً بما رآه أو سمعه فيؤديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة المخيلة في النوم وعند ركود الخواس تتوسط بين المحسوس المرئى في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا \* وأما المجانين فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد أفرجهم غالباً وضعف الروح الحيوانى فيها فتكون نفسه غير مستغرقة في الخواس ولا منغمسة فيما يشغلها في نفسها من ألم النقص ومرضه وربما زاجها على التعلق به روحانية أخرى شيطانية تشبث به وتضعف هذه عن ممانعتها فيكون عنه التخييل فاذا أصابه ذلك التخييل أما لفساد مزاجه من فساد في ذاتها أو لزاجة من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جله فادرك لمحمة من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصر فيها الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يجي الكذب في هذه المدارك \* وأما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذى يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويبدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا تحصيل هذه الامور) وقد تكلم عليها المسعودى في مروج الذهب فاصادف تحقيقاً ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل أنه كان بعيداً عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من أهله ومن غير أهله وهذه الادراكات التى ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد كان العرب يفرعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليغترفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب أهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق من انما بن نزار واسطخ بن مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا بالجحمة ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة ابن مضر وما أخبراه به من ملك الحبشة للين وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة الحمديّة في قريش ورؤيا الموبدان التى أولها اسطيخ لما بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فأخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في أشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داوئي \* فأنك ان داوئتي لطبيب  
وقال الآخر

جعلت لعراف اليمامة حكمه \* وعراف نجدان هما شفياني  
فقالا شفاك الله والله مالنا \* بما حلت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابلق الاسدي (ومن هذه المدارك  
الغيبية) ما يصدر لبعض الناس عند مفارقة البقطة والتباسه بالنوم من الكلام على  
الشيء الذي يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الأمر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادئ  
النوم عند مفارقة البقطة وذهاب الاختيار في الكلام فيستكلم ~~كك~~ كأنه مجبول على  
النطق وغايته أن يسمعه ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة رؤسهم  
وأوساط أبدانهم كلام بمثل ذلك \* ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين أنهم قتلوا  
من سجنهم أشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب أمورهم في أنفسهم  
فأعلموهم بما يستشع \* وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك أن آدميا إذا  
جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه أربعين يوما يغذى بالتين والجوز حتى  
يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشئون رأسه فيخرج من ذلك الدهن فحين يجف عليه  
الهواء يجيب عن كل شيء يسئل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من  
مناكير أفعال السحرة لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني \* ومن الناس من  
يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعا بامانة  
جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التي تلونت بها النفس ثم تغذيتها بالذكور  
لترداد قوة في نشئها ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع أنه  
إذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون  
ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على المغيبات ومن  
هؤلاء أهل الرياضة السحرية يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات  
والتصرفات في العوالم وأكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا خصوصا بلاد  
الهند ويسمون هنالك الحوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم  
في ذلك غريبة \* وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وعربية عن هذه المقاصد المذمومة  
وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكلية ليحصل لهم أدواق أهل العرفان  
والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية بالذكور فيها تم وجهتهم  
في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكور كانت أقرب الى العرفان بالله واذا  
عريت عن الذكور كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف

لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من أول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لقصد التصرف والاطلاع على الغيب وأخسرها صفة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من أثر العرفان للعرفان فقد قال الثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لاشياء سواء واذا حصل أثناء ذلك ما يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم و~~كثير~~ منهم يقر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فإساسة وكشفا وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شئ من ذلك بنكر في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وأبو محمد بن أبي زيد المالكي في آخرين فرار من التباس المجزة بغيرها والمعول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدى فهو ~~كاف~~ \* وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للحسابه من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه ياسارية الجبل وهو سارية بن زعيم كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوحات ونور طمع المشركين في معتزك وهم بالانضمام وكان بقرية جبل يتجهز اليه فرفع لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فناداه ياسارية الجبل وسمعه سارية وهو بمكانه ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله أيضا لأبي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنها في شأن ما نحلها من أوسق التمر من حديقته ثم نبهها على جذاه لتخوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هم ما أخوالنا وأختنا فقال انما هي أسماء فمن الأخرى فقال ان ذابطن بنت خارجة أراها جارية فكانت جارية وقع في الموطأ في باب ما لا يجوز من النحل ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين وأهل الاقتداء الآن أهل التصوف يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المرید اذا جاء للمدينة النبوية يسلب حاله مادام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق

(فصل) ومن هؤلاء المريدين من المتصوفة قوم بهيل معنوهون أشبه بالجائنين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع أنهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشئ فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء أنهم على شئ من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتيه من



يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها وإذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بمشائها من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي ينط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يشتد بها فطره ويعرف أحوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا ميز أحوال معاشه واستقامة منزله لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش والاستحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاؤه الله بعباده للمعرفة على شيء من التكليف واذا صح ذلك فاعلم أنه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويلتحقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها أن هؤلاء البهائم يتبدلهم وجهة ما لا يخلون عنها أصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا يتبدلهم وجهة أصلا ومنها أنهم يخلقون على البهائم أقول نسايتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب

(فصل) وقد يزعم بعض الناس أن هناك دارا للغيب من دون غيبة عن الحس فأنهم المنجمون القائلون بالدالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على التأثير النجومية وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد حدث يقف به الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله ان شاء الله وهو لو ثبت فغايبه حدس وتخمين وليس مما ذكرناه في شيء \* ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا الاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها علمهم وحصول هذه الصناعة أنهم صيروا من السقط أشكال ذات أربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيهم ما فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت أزواجا كلها أو أفرادا كلها فشكلا وان كان الفرد فيهما في مرتبة واحدة فقط فأربعة أشكال وان كان الفرد في مرتبتين فستة أشكال وان كان في ثلاثة مراتب فأربعة أشكال جاءت

٩٥  
سبعة عشر شكلا ميزوها كلها بأسمائها وأنواعها الى سعود ونحوس شأن الكواكب  
وجعلوا الهاسنة عشر يتا طبيعيتهم بزعمهم **و** كما أنها البروج الاثنا عشر التي للفلك  
والاوتاد الاربعة وجعلوا الكل شكل منها يتا وخطوطا ودلالة على صنف من  
موجودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فن النجامة ونوع  
قضائه الا أن أحكام النجامة مستندة الى أوضاع طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما  
مستندها أوضاع **تكمية** وأهواء اتفاقية ولا دليل يقوم على شيء منها ويزعمون  
أن أصل ذلك من النبوة القديمة في العالم وربما نسبوها الى دانيال أو الى ادريس  
صلوات الله عليهم ما شأن الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيتهما ويحتجون بقوله صلى  
الله عليه وسلم كان نبي يتخط فن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية  
خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل لديه لأن معنى الحديث كان نبي يتخط فيأتيه  
الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في أن يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فن وافق  
خطه ذلك النبي فهو ذلك أي فهو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبي  
الذي كانت عادته أن يأتيه الوحي عند الخط وأما إذا أخذ ذلك من الخط مجزأ من غير  
موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله أعلم \* فاذا أرادوا استخراج مغيب  
بزعمهم عمدوا الى قرطاس أو رمل أو دقيق فوضعوا النقطة سطورا على عدد المراتب  
الاربعة ثم **ك**روا ذلك أربع مرات فتبي ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقطة  
أزواجا ويضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان أو فردا في مرتبة على الترتيب فتبي  
أربعة أشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها أربعة أشكال أخرى من جانب  
العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلهما من الشكل الذي بازائه وما يجتمع منهما من زوج  
أو فرد فتكون ثمانية أشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها  
باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين أيضا من زوج أو فرد فتكون أربعة  
أخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك  
تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر  
ثم **ي**حكون على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعودة والنحوسة بالذات  
والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على أصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريبا  
وكرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التكاليف واشتهر فيها الاعلام من  
المتقدمين والمتأخرين وهي كما رأيت تحكم وهوى والتحقيق الذي ينبغي أن يكون  
نصب فكره أن الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من  
البشر المفظوفين على الرجوع عن عالم الحس الى عالم الروح ولذلك يسمى المنجمون هذا

الصنف كلهم بالزهرين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في أصل مواليدهم على  
ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من أهل هذه الخاصية وقصد  
به هذه الامور التي ينظر فيها من النقط أو العظام أو غيرها اشغال الحس لترجع النفس  
الى عالم الروحانيات لحظة ما فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات  
والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه  
الصناعة وأنها تفيد ذلك فهدر من القول والعمل والله يهدي من يشاء \* والعلامة  
لهذه الفطرة التي فطر عليها أهل هذا الادراك الغيبي أنهم عند توجيههم الى تعترف  
الكائنات بغيرهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالشأوب والتمطط ومبادئ الغيبة عن  
الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف رجودها فيهم فمن لم توجد له هذه  
العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تفتيق كذبه

(فصل) ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطورا الاول  
الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما  
زعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط  
يجعلونها كالمصابد لاهل العقول المستضعفة واستأذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون  
وولع به الخواص \* فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النيم وهو  
مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في  
المتحاربين من الملوك وهو أن تحسب الحروف التي في اسم أحدهما بحسب الجمل  
المصطلح عليه في حروف أبجد من الواحد الى الالف آحادا وعشرات ومئين وألوفاً فإذا  
حسبت الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك ثم اطرح كل واحد منهما  
تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب  
الابجير فان كان العددين مختلفين في الكمية وكانا معاً زوجين أو فردين معاً فصاحب  
الاقل منهما هو الغالب وان كان أحدهما زوجاً والاخر فرداً فصاحب الاكثر هو  
الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معاً زوجان فالمطلوب هو الغالب وان  
كان معاً فردين فالمطلوب هو الغالب ويقال هنالك بيتان في هذا العمل اشتهرا بين  
الناس وهما

أرى الزوج والافراد يسموا قلها \* وأكثرها عند التخالف غاب  
ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوى \* وعند استواء الفردي غاب طالب  
ثم وضعوا المعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانوناً معروفاً عندهم في طرح  
تسعة وذلك أنهم جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي ا



الدالة على الواحد وى الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و ق  
الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و ش الدالة على الالف لانها واحد  
في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر  
حروف أبجد ثم رتبوا هذه الاحرف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية  
وهي ايقش ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث وأسقطوا  
مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر حروف أبجد فكان مجموع حروف الاثنين  
في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي ب الدالة على اثنين في الآحاد و ل الدالة  
على اثنين في العشرات وهي عشرون و ر الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان  
وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة  
على ثلاثة فنشأت عنها كلمة جلس وكذلك الى آخر حروف أبجد وصارت تسع  
كلمات نهاية عدد الآحاد وهي ايقش بكر جلس دمت هنت وصح زعد حفظ  
طضع مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عدد الذي هي في مرتبته فالواحد  
لكلمة ايقش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة جلس وكذلك الى  
التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا أرادوا طرح الاسم بتسعة نظروا كل  
حرف منه في أى كلمة هو من هذه الكلمات وأخذوا عدد ما كانه ثم جمعوا الاعداد  
التي يأخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل  
عنها والاخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين بما  
قدمناه . والسرى هذا القانون بين وذلك أن الباقي من كل عقد من عقود الاعداد  
ب طرح تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت  
أعداد العقود كأنها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين  
وكها اثنان وكذلك الثلاثة والثلثون والثلثمائة والثلاثة الالف كلها ثلاثة ثلاثة  
فوضعت الاعداد على التوالى دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة  
على أصناف العقود في كل كلمة من الآحاد والعشرات والمئين والالف وصار عدد  
الكلمة الموضوع عليها نائبا عن كل حرف فيها سواء دل على الآحاد والعشرات  
أو المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها الى آخرها  
كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه  
من شيوخنا يرى أن الصحيح فيها كلمات أخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها  
ويفعلون بها في الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه بالآخرى سواء وهي هذه أرب يسقل  
جزاط مدوص هف تحذن عش خغ ثضظ تسع كلمات على توالى العدد

قوله والالوف فيه  
نظر لان الحروف  
ليس فيها ما يزيد عن  
الالف كما سبق في  
كلامه اه

ولكل كلمة منها عدد دها الذي في مرتبة فيها الثلاثي وان رباعي والثلاثي وليست  
جارية على أصل مطرد كما تراه ~~لكن~~ كان شياً وخنايفاً لو لم يكن شيخ المغرب  
في هذه المعارف من السيميا وأسرار الحروف والنجامة وهو أبو العباس بن البناء  
ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في طرح حساب النيم أصح من العمل  
بكلمات ايقش والله أعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة الى برهان  
ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معزى الى ارسطو وعند المحققين  
لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد ذلك بذلك تصفحه ان كنت  
من أهل الرسوخ اه ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون  
الزايحة المسماة بزايحة العالم المعزوة الى أبي العباس سيدي أحمد السبكي من  
أعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة عمرا كش ولعه دأبي يعقوب  
المنصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يولعون  
بإفادة الغيب منها بعملها المعروف بالمغوز فيحرضون بذلك على حل رمزه وكشف  
غامضه وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية  
للافلال والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم  
وكل دائرة مقسومة بأقسام فلكها اما البروج واما العناصر أو غيرهما وخطوط  
كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة  
فمنها برشوم الزمام التي هي أشكال الاعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب  
لهذا العهد ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزايحة وبين الدوائر أسماء  
العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول متكرر البيوت المتقاطعة  
طولا وعرضا شتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحد وثلاثين في الطول  
جوانب منها معمورة البيوت تارة بالعدد وأخرى بالحروف وجوانب خالية  
البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العامة  
من الخالية وحقها في الزايحة آيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة  
تضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايحة الا أنهم من قبيل  
الانغاز في عدم الوضوح والجلاء وفي بعض جوانب الزايحة بيت من الشعر  
منسوب لبعض أكابر أهل الحدثن بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اشيلية  
كان في الدولة الممتونية ونص البيت

قوله برشوم أي  
موضوع برشوم بنهم  
الراء جمع رشم بالنش  
المجعة اه

بياض بالاصل

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن \* غرائب شك ضبطه الجده مثلا  
وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه

الزايرة وغيرها فاذا أرادوا استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا  
 ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها  
 وعمدوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكتشف فيها بالبرج الطالع من أوله مارا الى المركز  
 ثم الى محيط الدائرة قبله الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله الى  
 آخره والاعداد المرسومة بينهم ما يصيرونها حروفا بحسب الجمل وقد ينقلون آحادها  
 الى العشرات وعشراتهما الى المئين وبالعكس فيهما كما يتضميه قانون العمل عندهم  
 ويضعونهم مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتشف بالبرج  
 الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من أوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى  
 المحيط ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم  
 يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب  
 المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج وأسسه عندهم  
 هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الأس عند أهل صناعة الحساب  
 فانه عندهم البعد عن أول المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمونه الأس الاكبر  
 والدور الاصل ويدخلون بما تجتمع لهم من ذلك في بيوت الجدول عن قوانين معروفة  
 وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى  
 ويقابلون بماعدهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال  
 وماعدها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في  
 كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور يعاودون ذلك بعدد الادوار المعينة عندهم  
 لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتوافق على التوالي فتصير كلمات منظومة في  
 بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب  
 المتقدم حسبما نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة \*  
 وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهاقون على استخراج الغيب منها بتلك الاعمال  
 ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة  
 الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر لك أن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وانما  
 المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى  
 يكون الجواب مستقيما وموافقا للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تفسير  
 الحروف المجمعة من السؤال والادوار والدخول في الجدول بالاعداد المجمعة من  
 ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف من الجدول بذلك وطرح أخرى  
 ومعاودة ذلك في الادوار المعدودة ومقابلته ذلك كله بحروف البيت على التوالي غير



مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على تناسب بين هذه الاشياء فيقع له  
 معرفة المجهول فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول على المجهول من المعانوم  
 الخاص للنفوس وطريق الحصول سمي من أهل الرياضة فانها تقييد العقل قوة على  
 القياس وزيادة في الفكر وقد مرّ تعليل ذلك غير مرة ومن أجل هذا المعنى ينسبون  
 هذه الزايرة في الغالب لأهل الرياضة فهي منسوبة للسبقي ولقد وقفت على أخرى  
 منسوبة لتسهل بن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغربية والمعاناة العجيبة  
 والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوما يظهر لي انما هو المقابلة بحروف  
 ذلك البيت ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه اننا وجدنا أعمالا أخرى  
 لهم في مثل ذلك أسقطوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراهم عند  
 الكلام على ذلك في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا  
 العمل ونفوذهم الى المطلوب فيستكبر صحتها ويحسب أنها من التخيلات والايهامات  
 وأن صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين أثناء حروف  
 السؤال والافتاء ويضع تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يحسب بالبيت  
 ويوهم أن العمل جاء على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد جل عليه القصور  
 عن فهم التناسب بين الموجودات والمعدومات والتفاوت بين المدارك والعقول  
 وان كان من شأن كل مدارك انكار ما ليس في طوقه ادراكه ويكفي في رد ذلك  
 مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحدس القطعي فانها جاءت بعمل مطرد وقانون  
 صحيح لا مريبة فيه عند من ييسر ذلك ممن له ذكاء وحدس واذا كان كثير من المعايير  
 في العدد الذي هو أوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفائها  
 فما ظنك بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها فلنذكر مسألة من المعايير يتضح لك  
 بها شيء مما ذكرنا مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل بازا ~~كل~~  
 درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي أخذت واشتر بها طائرا ثم اشتري بالدراهم  
 كلها طورا وبسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم فجوابه أن تقول هي  
 تسعة لأنك تعلم أن فلوس الدراهم أربعة وعشرون وأن الثلاثة ثمنها وأن عدة أثمان  
 الواحد ثمانية فاذا جمعت الثمن من الدراهم الى الثمن الآخر فكان كله ثمن طائر فهي  
 ثمانية طيور عدة أثمان الواحد وتزيد على الثمانية طائرا آخر وهو المشتري بالفلوس  
 المأخوذة أولا وعلى سعره اشترت بالدراهم فتسكون تسعة فأنت ترى كيف خرج  
 لك الجواب المضمر بسر التناسب الذي بين اعداد المسئلة والوهم أول ما يلقي اليك هذه  
 وأمثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهر أن التناسب بين

الامور هو الذي يخرج مجهولها من معلودها وهذا انما هو في الواقعات الحاصلة  
في الوجود والعلم وأما الكائنات المستقبلة اذ لم تعلم أسباب وقوعها ولا ينبت  
لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في  
الزايحة كلها انما هي في استخراج الجواب من ألفاظ السؤال لانها كما رأيت  
استنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر وسر ذلك انما هو  
من تناسب بينهما يطالع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تيسر عليه  
استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام آخر من حيث موضوع  
ألفاظه وتراكيبه على وقوع أحد طرفي السؤال من نفي أو اثبات وليس هذا من المقام  
الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه  
الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وأنتم لا تعلمون

### ﴿الفصل الثاني﴾

في العمران البشري والامم الحشوية والقبائل وما عرض في ذلك  
من الاحوال وفيه اصول وتمهيدات

### ﴿فصل في ان احوال البشر والضرطية﴾

﴿اعلم﴾ \* أن اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف فحلتهم من المعاش  
فإن اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل  
الحاجي والكمالي ففهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من يتحمل  
القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لتأجها واستخراج فضلاتها  
وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متسع لما  
لا يتسع له الخواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان  
اختصاص هؤلاء بالبدو وامراضهم بالهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في  
حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفاء انما هو بالمقدار الذي يحفظ  
الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت  
أحوال هؤلاء المتحايين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم  
ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الاقوات  
والملابس والتأثق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للنحضر ثم زيد  
أحوال الرفه والدعة ففجئ عوائد الترف البالغة مبالغها في التأثق في علاج

القوت واستجدادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديبا  
وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها والانتباه في  
الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غاياتها فيتخذون القصور والمنازل  
ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويحتفلون في استجدادة  
ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون وهو لا يهم الحضر ومعناه  
الحاضرون أهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من يتحل في معاشه الصنائع ومنهم  
من يتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمي وأرفه من أهل البدولان أحوالهم زائدة  
على الضروري ومعاشهم على نسبة ربحهم فقد تين أن أجيال البدو والحضر  
طبيعية لا بد منهم ما كفلناه

﴿فصل في أن جيل العرب في الخلقة طبيعي﴾

٢

قد قدمنا في الفصل قبله أن أهل البدو هم المتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام  
على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الاقوات والملابس والمساكن  
وسائر الاحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كالي يتخذون البيوت  
من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والجارة غير منجدة انما هو قصد الاستغلال  
والكن لا ما وراءه وقد يأوون الى الغيران والكهوف وأما أقواتهم فيمتثلون بها  
يسيرا بعلاج أو بغير علاج البتة الامامسته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة  
والقيام بالفلح كان المقام به أعلى من الطعن وهو لا سكن المداشر والقرى والجبال  
وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم طعن في  
الاغاب لا رتياد المسارح والمياه لحيو اناتهم فالتقلب في الارض أصلح بهم ويسمون  
شاوية ومعناه القائمون على الشاء والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح  
الطيبة وهو لا مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والصقالبة وأما من كان  
معاشهم في الابل فهم أكثر طعننا وأبعد في القفر مجالا لان مسارح التلول ونباتها  
وشجرها لا يستغني بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه  
المحقة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرار من أذى البرد الى دفاء هوائه وطلب  
لما خض الساج في رماله اذا الابل أصعب الحيوان فصلا ومخاضا وأحوجها في ذلك  
الى الدفاء فاضطروا الى ابعاد النجعة وربما اذنتهم الحامية عن التلول أيضا فأوغلوا  
في القفار نفرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك أشد الناس توحشا وينزلون من أهل  
الخواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمقتسر من الحيوان العجم وهو لا هم



العرب وفي معناهم طعون البربر وذنابته بالمغرب والاكراد والتركمان والترك بالمشرق  
الا أن العرب أبعد من شدة بدوهم لأنهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء  
يقومون عليها وعلى الشياه والبقر معها فقد تبين لك أن جيل العرب طبيعي لا بد منه في  
العمران والله سبحانه وتعالى أعلم

### ٣ فصل في أن البدو أقدم من الحضرة سابق عليه وأن البادية أصل العمران والامصار مدد لها

قد ذكرنا أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه  
وأن الحضرة المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك  
أن الضروري أقدم من الحاجتي والكمال وسابق عليه لأن الضروري أصل والكمال  
فرع ناشئ عنه فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لأن أقل مطالب الانسان  
الضروري ولا ينتهي الى الكمال والترف الا اذا كان الضروري حاصلا لا نفشونة  
البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية للبدو يجرى اليها وينتهي بسعيه  
الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج  
الى الدعة وأمكن نفسه الى قياد المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم  
والحضرى لا يتشوق الى أحوال البادية الا للضرورة تدعوه اليها أو لتقصير عن  
أحوال أهل مدينته ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أنا اذا قفنا  
أهل مصر من الامصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو والذين بناحية ذلك المصير  
وفي قراهم وأنهم أبسر وافسكنوا المصرو وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضرة وذلك  
يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها ففهمه ثم  
ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فرب حى أعظم من حى  
وقبيلة أعظم من قبيلة ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمرا من مدينة فقد تبين  
أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار وأصل لها بما أن وجود المدن  
والامصار من عوائد الترف والدعة التى هى متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية  
والله أعلم

### ٤ (فصل في أن اهل البدو أقرب الى الخير من اهل الحضرة)

وسببه ان النفس اذا كانت على القطرة الاولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها  
ويطبع فيها من خيرا وشرا قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة  
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وبقدر ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعه  
عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبق الى نفسه عوائد

الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر  
 اذا سبقت اليه أيضا عوائد واهل الحضرة اكثر ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد  
 الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير  
 من مذمومات الخلق والشر وبعثت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم  
 من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم فتجد الكثير منهم يقدعون  
 في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم واهل محارمهم لا يصدتهم عنه وازع  
 الحشمة لما أخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالفواحش قولوا وعملوا واهل البدو  
 وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا أنه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء  
 من أسباب الشهوات والذوات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها  
 وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى اهل الحضرة أقل  
 بكثير فهم أقرب الى النظرة الاولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء المالكات بكثرة  
 العوائد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضرة وهو ظاهر وقد توضح فيما  
 بعد أن الحضرة هي نهاية العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن  
 الخير فعدتين أن اهل البدو أقرب الى الخير من اهل الحضرة والله يحب المتقين  
 ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الجراح لمعة بن الاكوع وقد  
 بلغه أنه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي في البدو فاعلم أن الهجرة افترضت أول الاسلام  
 على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه  
 ويظاهرونه على أمره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لأن اهل  
 مكة يمسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم  
 من بادية الاعراب وقد كان المهاجرون يستعينون بالله من التعرب وهو سكنى البادية  
 حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص عند  
 مرضه بمكة اللهم أمض لا صحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ومعناه أن يوفقهم  
 لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدوا بها وهو من  
 باب الرجوع على العقب في السعي الى وجهه من الوجهه وقيل إن ذلك كان خاصا  
 بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقله المسلمين وأما بعد الفتح وحين  
 كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله انبياءه بالعصمة من الناس فإن الهجرة ساقطة حينئذ  
 لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط انشاؤها عن يسلم بعد الفتح  
 وقيل سقط وجوبها عن أسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على أنها بعد الوفاة

ساقطة لأن العصاة افترقوا من يومئذ في الآفاق وانتشروا ولم يبق الا فضل السكنى  
بالمدينة وهو هجرة فقول الحاج لسلمة حين سكن البادية ارتدت على عقبيك  
تعربت نعي عليه في ترك السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو  
قوله ولا تردهم على أعقابهم وقوله تعربت اشارة الى أنه صار من الاعراب الذين  
لا يهاجرون وأجاب سلمة بانكار ما ألزمه من الامرين وأن النبي صلى الله عليه وسلم  
أذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمه وعناق أبي بردة أو يكون الحاج  
انما نعي عليه ترك السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة وأجابه سلمة بأن  
اعتناهم لاذن النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأفضل فآثره به واختصه الالمعنى  
علمه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلا على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لأن  
مشروعية الهجرة انما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة  
البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله  
سبحانه أعلم وبه التوفيق

### ❦ (فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضرة) ❦

والسبب في ذلك أن أهل الحضرة ألقوا جنوبهم على مهد الراحة والدعة وانغمسوا  
في النعيم والترف ووككوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم الى واليهم  
والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستنابوا الى الاسوار التي  
تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم فلا تهيجهم هبة ولا ينقر لهم صيد فهم غارون  
آمنون قد ألقوا السلاح ونقلت على ذلك منهم الاجيال وتزولوا منزلة النساء والولدان  
الذين هم عيال على أبيئهم حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعية وأهل  
البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم  
عن الاسوار والابواب فأمعن بالمدافعة عن أنفسهم لا يكملونها الى سواهم  
ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفقون عن كل جانب في الطرق  
ويتجافون عن المبعوع الاغرار في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب ويتوجسون  
للنبات والهيئات ويتفردون في القفر والبيداء مدلين بآسهم واثقين بأنفسهم قد صار  
لهم البأس خلقا والشجاعة بحجة يرجعون اليها متى دعاهم داع أو استنفروهم صارخ  
وأهل الحضرة مهما خالطوهم في البادية أو صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون  
معهم شيئا من أمر أنفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات  
وموارد المياه ومشارع السبل وببذلك ما شرحناه وأصله أن الانسان ابن عوائده



وما لوفه لا ابن طبيعته ومن اجبه فالذي ألفه في الاحوال حتى صار خلقا ومملكة  
وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجملة واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق  
ما يشاء

٦ (فصل في ان معاقبة اهل الحضرة للحكام مفيدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم) \*

وذلك أنه ليس كل أحد مالك أمر نفسه اذ الرؤساء والامراء المالكون لامر الناس  
قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب أن يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان كانت  
الملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها حكم ولا يمنع وصدا كان من تحت يدها مدلين  
بما في أنفسهم من شجاعة أو جبن واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم الادلال جبهة  
لا يعرفون سواها وأما اذا كانت الملكة وأحكامها بالقهر والسطوة والاخافة فتمكسر  
حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المنفعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس  
المضطهدة كما بينه وقد نهى عمر سعد ارضى الله عنهما عن مثلها لما أخذ زهرة بن  
حوية سلب الجالنوس وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفا من الذهب وكان اتبع  
الجالنوس يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه فانترعه منه سعد وقال له هلا انتظرت في  
اتباعه اذني وكتب الى عمر يستأذنه فنكتب اليه عمر تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما  
صلى به وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه وتفسد قلبه وأمنى له عمر سلبه وأما  
اذا كانت الاحكام بالعقاب فذهبة للبأس بالكلمة لان وقوع العقاب به ولم  
يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سورة بأسه بلا شك وأما اذا كانت  
الاحكام تأديبية وتعليمية وأخذت من عهد الصبا أثرت في ذلك بعض الشيء لم يراه على  
الخافة والانقياد فلا يكون مدلا يأسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب أهل البدو  
أشد بأسا ممن تأخذ الاحكام وتجد أيضا الذين يعاونون الاحكام وملكتهما من لدن  
مرباهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم  
كثيرا ولا يكان يدفعون عن أنفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة  
العلم المتبحرين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم والتأديب في  
مجالس الوقار والهيبة فيهم هذه الاحوال وذاهبا بالمنفعة والبأس ولا تستنكر  
ذلك بما وقع في الصحابة من أخذهم بأحكام الدين والشرعية ولم ينقص ذلك من بأسهم  
بل كانوا أشد الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمون عنه دينهم  
كان وازعهم فيه من أنفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم  
صناعي ولا تأديب تعليمي انما هي أحكام الدين وآداب المتلقة نقلا يأخذون أنفسهم

بهم إيمانهم من عقائد الإيمان والتصديق فلم تزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تتخذها أظفار التأديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لأدبه الله حرصا على أن يكون الوازع لكل أحد من نفسه ويقينا بأن الشارع أعلم بمصالح العباد ولما ناقص الدين في الناس وأخذوا بالأحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس إلى الحضارة وخلق الانقياد إلى الأحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين أن الأحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لأن الوازع فيها أجنبي وأما الشرعية فغير مفسدة لأن الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الأحكام السلطانية والتعليمية مما تؤثر في أهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكه منهم بمعانئهم في وليدهم وكهولهم والبدو بعزل عن هذه المنزلة لبدهم عن أحكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن أبي زيد في كتابه في أحكام المعلمين والمتعلمين أنه لا ينبغي للمؤدب أن يضرب أحدا من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة أسواط نقله عن شريح القاضي واحتج به بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحي من شأن الغط وأنه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغط أن يكون دليلا على ذلك أبعد عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

قوله بحكمة بفتح  
الحاء والكاف هـ

### ٧ \* (فصل في أن مكنتي البدو لا يكون الالقبائل أهمل المعصية) \*

\* (اعلم) \* أن الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناها للنجدين وقال فالهمها فجورها وتقواها والشر أقرب الخلال إليه إذا أهمل في مرعى عوائده ولم يهذب الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجحيم الغفير الآمن وفقه الله ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه امتدت يده إلى أخذه الآن يصدمه وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجدد \* ذاعفة فلعله لا يظلم

فأما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة أن يمتد بعضهم على بعض أو يعدو عليه فهم مكبحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم إلا إذا كان من الحاكم بنفسه وأما العدو الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الأسوار عند الغنلة أو الغرة ليلا أو العجز عن المقاومة نهارا أو يدفعه ذيادة الحماية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة وأما أحياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوفا والتمسك وأما حلالهم فأنما يذود عنها من خارج حامية الحلي من انجباهم

وقتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية  
وأهل نسب واحد لانهم بذلك تشمت ثوبكم ويخشى جانبهم اذ نغرة كل أحد على  
نسبه وعصبية أهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنغرة على ذوى أرحامهم  
وقربائهم موجودة في الطبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتغظم رهبة  
العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا  
لأبيه لئن أكله الذئب ونحن عصابة انا اذ انحاسرون والمعنى أنه لا يتوهم العدو ان  
على أحد مع وجود العصبية له وأما المتفردون في انسابهم فقل أن تصيب أحد منهم  
نغرة على صاحبه فاذا أظلم الحق بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة  
لنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقدرين من أجل ذلك على سكنى القفر  
لما أنتم حينئذ طعمة لمن يلبتهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التي  
محتاج للمدافعة والحماية فبمثلها تبين لك في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة أو إقامة  
ملك أو دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طبائع البشر من  
الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه آنفا فتخذه اما ما تقتدى به فيما  
نورده عليك به والله الموفق للصواب

### ٨ (فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه)

وذلك أن صلة الرحم طبعية في البشر الا في الاقل ومن صلتها النغرة على ذوى القربى  
وأهل الارحام أن ينالهم ضيم أو تصيهم هلكة فان القريب يجذب في نفسه غضاضة  
من ظلم قريبه أو العداء عليه ويودل ويحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة  
طبيعية في البشر مذك كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المناصرين قريبا جدا  
بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بعجز دها  
ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فرماتنوسى بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل  
على النصرة لذوى نسبه بالامر المشهور منه فرار من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه  
من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والخلق اذ نغرة كل أحد على  
أهل ولانه وحلقه لللفة التي تلحق النفس من اهتضام جاراتها وقرباها ونسبها بوجه  
من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا  
منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابكم ما تصلون به  
أرحامكم بمعنى أن النسب انما فائدة هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع  
المناصرة والنغرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب أمر وهمي لاحقيقة له



ونفعه انما هو في هذه الوصلة والالتحام فاذا كان ظاهرا واضحا جل النفوس على طبيعتها من المغرة كما نلناه واذا كان انما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته وصار الشغل به مجانا ومن أعمال الله والمنهى عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى أن النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل المعلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانفتحت النغرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حيث تدوا لله سبحانه وتعالى أعلم

٩ فصل في ان المخرج من النسب انما يوجد للثمة وعشرين

في القفر من العرب ومن في معنائهم

وذلك لما اختصوا به من كد العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتاجها ورعايتها والابل تدعوهم الى النوح في القفر لرعيها من شجرة وتاجها في رماله كما تقدم والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم الفأو عادة وريت فيه أجيالهم حتى تمكنت خلقا وجبله فلا ينزع اليهم أحد من الامم أن يساهمهم في حالهم ولا يأنس بهم أحد من الاجيال بل لو وجد واحد منهم السبيل الى القرار من حاله وأمكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكثانة وثقيف وبنو أسد وهذيل ومن جاورهم من خراعة لما كانوا أهل شظف ومواطن غريزات زرع ولا ضرع وبعدوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب \* وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الحصب للمراعي والعيش من جيرة كهلان مثل نخم وجذام وغسان وطبي وقضاعة واياها فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلف عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط \* قال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا هذا اي ما لحق هؤلاء العرب أهل الارياض من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصيبة فكثير الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لا طراح العرب أمر النسب وانما كان لاختصاصهم

بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند  
أمرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة  
وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية  
بثورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

### ١٠ (فصل في اختلاط الانساب كيف يقع)

\* (اعلم) \* أنه من المبين أن بعضا من أهل الانساب يسقط الى أهل نسب آخر بقربة  
اليهم أو حلف أو ولاء أو لفرا من قومه بجمالية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعتد منهم  
في ثمراته من النغرة والقود وحل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب  
فكأنه وجدلانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء الاجريان أحكامهم وأحوالهم  
عليه وكأنه التحم بهم ثم انه قد ينسب الى النسب الاول بطول الزمان ويذهب أهل العلم به  
فيختار على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم بآخرين في  
الجاهلية والاسلام والعرب والعجم \* وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر  
وغيرهم تبين لك شيء من ذلك ومنه شأن بجيلة في عرجة بن هرثة لما ولده عمر عليهم فسأله  
الاعفاء منه وقالوا هو فينا لزيق أي دخيل واصبق وطلبوا أن يولى عليهم جري فأسأله  
عمر عن ذلك فقال عرجة صدقوا يا أمير المؤمنين انا رجل من الازد أصبت دما في قومي  
ولحقت بهم وانظر منه كيف اختلط عرجة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم حتى  
ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم برشائحه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنسى  
بالجملة وعدهم بكل وجه ومذهب فانهم واعتبر برسر الله في خليقته ومثل هذا كثير  
لهذا العهد ولم قبله من العهود والله الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه

### ١١ (فصل في ان الرياسة لا تنال في نصابها المخصوص من اصل العصبية)

\* (علم) \* أن كل حي أو بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة تنسبهم العام  
ففيهم أيضا عصبية أخرى لانساب خاصة هي أشد التحام من النسب العام  
لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو اخوة بنى أب واحد لا مثل بنى العم  
الاقربين أو الابعدين فهؤلاء قعد بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم  
من العصاب في النسب العام والنغرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل  
النسب العام الا أنها في النسب الخاص أشد تقرب للحممة والرياسة فيهم انما  
تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت الرياسة انما تكون  
بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصاب ليقع الغلب

(١١) هذا الفصل

ساقط من النسخ

الفاسية وموجود

في النسخة

التونسية واثباته

أولى لي مطابق كلامه

أول الفصل ١٢

٥١

بها وتم الرئاسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين أن الرئاسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب  
المخصوص أهل الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الاخرى النازلة  
عن عصابتهم في الغلب لما تمت لهم الرئاسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم  
الى فرع ولا تنتقل الا الى الاقوى من فروعه لما قلناه من سر الغلب لان الاجتماع  
والعصبة بمشابه المزاج للمتكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت العناصر  
فلا بد من غلبة أحدها والالم يتم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبة ومنه  
تعين استمرار الرئاسة في النصاب المخصوص بها كما قررناه

## ١٢ (فصل في ان الرئاسة على اهل العصبة لا تكون في غير نسبهم)

وذلك أن الرئاسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبة كما قدمناه فلا بد في  
الرئاسة على القوم أن تكون من عصبة غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة لان كل عصبة  
منهم اذا أحست بغلب عصبة الرئيس لهم أقروا بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم  
بالجملة لا تكون له عصبة فيهم بالنسب انما هو ملصق لزيق وغاية التعصب له بالولاء  
والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة واذا فرضنا أنه قد التحم بهم واختلط وتنسب  
عهده الاقل من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرئاسة قبل هذا  
الانحمام أو لاحد من سلفه والرئاسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد  
تعين له الغلب بالعصبة فالأولية التي كانت لهذا الماصق قد عرفت فيها التصاقه من غير  
شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرئاسة حيث مذف كيف تنقلت عنه وهو على حال  
الاصاق والرئاسة لا بد وأن تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبة  
وقد يشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب الى انساب يلهمجون بها اما  
لخصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق  
فمنزعون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يقعون فيه  
أنفسهم من القدر في رياستهم والطمع في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد فمن  
ذلك ما يدعيه زناثة بجملة أنهم من العرب ومنه ادعاء أولاد رباب المعروفين بالجزائريين من  
بنى عامر أحد شعوب زغبة أنهم من بنى سليم ثم من الشريد منهم لحق جدتهم بنى عامر  
نجار يصنع الخرجان واختلط بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الجازي  
\* ومن ذلك ادعاء بنى عبد القوي بن العباس بن توجين أنهم من ولد العباس بن عبد  
المطلب زغبة في هذا النسب الشريف وغلط باسم العباس بن عطية أبي عبد القوي  
ولم يعلم دخول أحد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ أول دولتهم على دعوة  
العلويين أعدائهم من الادارسة والعبديين فكيف يسقط العباس الى أحد من شيعة

قوله الخرجان  
يكسر الخاء جمع  
خرج بفتح الخاء  
نحس الموقى اه



العلوين \* وكذلك ما يدعيه أبناء زيان ملوك تلمسان من بنى عبد الواحد أنهم من  
ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم  
الزناقي أنت القاسم أي بنو القاسم ثم يدعون أن القاسم هذا هو القاسم بن ادريس أو  
القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه فتر من مكان سلطانه  
مستجير بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم  
فانه كثيرا لوجود في الادارة فتوهموا أن قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين  
لذلك فان منالهم للملك والعزة انما كان بعصيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية  
ولاشي من الانساب وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم  
ويشتهر حتى يبعد عن الرد \* ولقد بلغني عن يغمراسن بن زيان مؤثر سلطانهما أنه لما  
قبل له ذلك أنكره وقال بلغته الزناقية ما معناه أما الدنيا والملك فلنأخذ بسيفنا لا بهذا  
النسب وأما نفعه في الآخرة فردوا الى الله وأعرض عن التقرب اليه بذلك \* ومن  
هذا الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بنى يزيد من زغبة أنهم من ولد أبي بكر الصديق رضي  
الله عنه وبنو سلامة شيوخ بنى يديل من توجين أنهم من سليم والزواودة شيوخ رياح  
أنهم من أعقاب البرامكة وكذا بنو مهني أمراء طلي بالمشرق يدعون فيما بلغنا أنهم من  
أعقابهم وأمثال ذلك كثير ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما  
ذكرناه بل تعين أن يكونوا من صريح ذلك النسب وأقوى عصبياته فاعتبره واجتنب  
المغالط فيه ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان  
المهدي لم يكن من منبت الرياسة في هرمة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتهاره بالعلم  
والدين ودخول قبائل المصامدة في دعوته وكان مع ذلك من أهل المنابت المتوسطة  
فيهم والله عالم الغيب والشهادة

### ١٣ فصل في ان البيت والشرف بالامالة والحقيقة لا بال

العصية ويكون لغيرهم بالمجاز والنسب

وذلك أن الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت أن يعد الرجل في آبائه  
أشرفا من ذكوره وبنين تكون له بولادتهم اياه والاتساب اليهم تجلة في أهل جلدته لما  
وقر في نفوسهم من تجلة لمنه وشرفهم بخلالهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن  
قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا  
فقهوا فغنى الحسب راجع الى الانساب وقدينا أن ثمرة الانساب وفائدها انما هي  
العصية للفرقة والتناصر فحث تكون العصية مرهوبة ومحشمة والمنبت فيها زكي  
محبي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعيد الاشرف من الاء زائد في  
فائدها فيكون الحسب والشرف أصيلا في أهل العصية لوجود ثمرة النسب وتفاوت

البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصية لانه سرها ولا يكون للمنفردين من أهل  
الامصار بيت الابا لجازوان توههم وفزعرف من الدعاوى واذا اعتبرت الحسب في أهل  
الامصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفا في خلال الخير ومخالطة أهله مع  
الركون الى العافية ما استطاع وهذا ما غار لسر العصية التي هي ثمرة النسب وتعيد  
الآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لعلاقة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين  
على طريقة واحدة من الخير وسالكه وليس حسباً بالحقيقة وعلى الاطلاق وان ثبت  
أنه حقيقة فيهما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى  
وقد يكون للبيت شرف أول بالعصية والخلال ثم ينسلطون منه لذهابها بالاضارة  
كما تقدم ويحتلطون بالعمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم  
من أشرف البيوتات أهل العصائب وليسوا منها في شيء لذهاب العصية جملة وكثير من  
أهل الامصار الناشئين في بيوت العرب أو النجم لا أول عهدهم موسوسون بذلك وأكثر  
ما رشح الوسواس في ذلك لبني امير ايل فانه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالنبت  
أولا لما تعدد في سلفهم من الانبياء الرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى  
صاحب ملتهم ومثريعتهم ثم بالعصية ثانيا وما آتاهم الله به من الملك الذي وعدهم  
به ثم انسلطوا من ذلك أجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في  
الارض وانفردوا بالاستعباد للكفر الآفا من السنين وما زال هذا الوسواس مصاحبا  
لهم فتجدهم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من  
سبط يهوذا مع ذهاب العصية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة وكثير من  
أهل الامصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصية يذهب الى هذا الهذيان \*  
وقد غلط أبو الوليد بن رشد في هذا الماذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب  
المعلم الاقول والحسب هو أن يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه  
وليت ثمري ما الذي يتقعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم تكن له عصاية يرهب بها جانبها  
وتحمل غيرهم على القبول منه فكانه أطلق الحسب على تعدد الآباء فقط مع أن  
الخطابة انما هي استمالة من تؤثر استمالاته وهم أهل الحل والعقد وأما من لا قدرة  
له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا يستمال هو وأهل الامصار من  
الحاضر بهذه المشابة الا أن ابن رشد ربي في جيل وبلد لم يمارسوا العصية ولا آنسوا  
أحوالها فبقى في أمر البيت والحسب على الامر المشهور من تعدد الآباء على الاطلاق  
ولم يراجع فيه حقيقة العصية وسرها في الخليقة والله بكل شيء عليم اهـ

٤ فصل في ان البيت والشرف لله والى اهل الامطناع انما هو بمو اليهم لا بالنسب ابيهم

وذلك أنا قد علمنا أن الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصية فاذا اصطنع  
 اهل العصية قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي والتعصوا به كما قلناه  
 ضرب معهم أولئك الموالي واصطنعوا بنسبهم في تلك العصية ولبسوا جلدها كأنها  
 عصيتهم وحصل لهم من الانتظام في العصية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله تعالى  
 عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحاف وليس  
 نسب ولادته ينافع له في تلك العصية اذ هي مباينة لذلك النسب وعصية ذلك النسب  
 مفعولة لذهاب سرتها عند التحامه بهذا النسب الآخر وفقدانه اهل عصيته فيصير  
 من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الآباء في هذه العصية كان له بينهم شرف وبيت  
 على نسبه في ولايتهم واصطناعهم لا يتجاوز الى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل  
 حال وهذا شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ في ولاه  
 الدولة وخدمتها وتعددا لآباءه في ولايتها ألا ترى الى موالي الازال في دولة بني العباس  
 والى بني برمك من قباهم وبني نوبخت كيف أدرهم البيت والشرف وبنوا المجد  
 والاصالة بالرسوخ في ولاه الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتا  
 وشرفا بالانتساب الى ولاه الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا والى كل دولة  
 وخدمها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والاصالة في اصطناعها  
 ويضمحل نسبه الاقدم من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في اصالته ومجده وانما الاعتبار  
 نسبة ولانه واصطناعه اذ فيه سر العصية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقا  
 من شرف مواليه وبنائه من بنائهم فلم ينفعه نسب ولادته وانما بنى مجده نسب الولاء  
 في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبه الاول في لحمة عصيته ودولته  
 فاذا ذهب وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصيته وانقاع  
 بالشاية لوجودها وهذا حال بني برمك اذا المنقول أنهم كانوا اهل بيت في الفرس من  
 سدة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاه بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما  
 كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فهو توسوس به  
 النفوس الجاحدة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان أكرمكم عند الله أتقاكم  
 والله ورسوله أعلم

### ١٠ (فصل في ان نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء)

\* (اعلم) \* أن العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لامن ذواته ولا من أحواله  
 فالملكوّنات من المعدن والنبات وجميع الحيونات الانسان وغيره كائنه فاسدة



بالمعانية وكذلك ما تعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ  
 ثم تدرس وكذا الصنائع وأما الهما والحسب من العوارض التي تعرض للادميين  
 فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من أهل الخليقة شرف متصل في آباءه من لدن  
 آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السرفيه  
 وأول ~~شكل~~ شرف خارجية كما قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة  
 والابتذال وعدم الحسب ومعناه أن كل شرف وحسب فعده سابق عليه شأن كل  
 محدث ثم ان نهاية في أربعة آباء وذلك ان باني المجد عالم بما عاناه في بنيائه ومحافظ على  
 الخلال التي هي أسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لآبائه قد جمع منه ذلك وأخذ  
 عنه الا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعين له ثم اذا جاء الثالث كان  
 حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع  
 قصر عن طريقته جملة وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم أن  
 ذلك البنين لم يكن بمعاناة ولا تكلف وانما هو أمر واجب لهم منذ أول النشأة بمجرد  
 اتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان  
 حدوئها ولا سببها ويتوهم أنه النسب فقط فيربأ بنفسه عن أهل عصيته ويرى الفضل  
 له عليهم وثوقا بما يرى فيه من استتباعهم وجهلا بما أوجب ذلك الاستتباع من الخلال  
 التي منها التواضع لهم والاخذ بجماع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينغصون عليه  
 ويحتقرونه ويدلون منه سواء من أهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب  
 للاذعان لعصيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتتم فروع هذا وتذوي  
 فروع الاول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك ~~وكذا~~ في بيوت القبائل والامراء  
 وأهل العvisية أجمع ثم في بيوت أهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت أخرى  
 من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واشترط  
 الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والافقدي ثرا البيت من دون الاربعة ويتلاشى  
 وينهدم وقد يتصل أمرها الى الخامس والسادس الا أنه في انحطاط وذهاب واعتبار  
 الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقلد وهادم وهو أقل ما ~~يكن~~  
 وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم  
 انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم  
 اشارة الى أنه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه أنا الله ربك طائق غيوره طالب  
 بذنوب الآباء للبنين على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على أن الاربعة الاعقاب غاية  
 في الانساب والحسب \* ومن كتاب الانعاني في أخبار عزيز الغواني أن كسرى

قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال بأي شيء قال من كان له  
ثلاثة آباء متواليمة رؤساء ثم اتصل ذلك بكال الرابع قال بيت من قبيلته وطلب ذلك فلم  
يجده الا في آل حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس وآل ذي الجدين بيت شيبان  
وآل الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المنعري  
من بني عجم فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائريهم وأقعد لهم الحكام والعدول  
فصام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقربائمه من النعمان ثم بسطام بن قيس بن  
شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا ونثروا فقال كسرى كلهم سيد  
يصلح لموضعه وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم ومعهم  
بيت بني الذبيان من بني الحرث بن كعب بيت البقي وهذا كله يدل على أن الاربعة  
الآباء نهاية في الحسب والله أعلم

### ١٦ (فصل في ان الاعمى الوحشية قد رعى التغلب من سواها)

\*(اعلم)\* أنه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم  
كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر فهم أقدر على التغلب وانتراع  
ما في أيدي سواهم من الاعمى بل الجيل الواحد يختلف أحواله في ذلك باختلاف الاعصار  
فكلما نزلوا الارياف وتغذوا النعيم والفوايد الخصب في المعاش والنعيم نقص  
من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبدوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم  
بدواجن الطيأ والبقر الوحشية والجراد ازال توحشها بمخالطة الأدميين وأخصب  
عشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدّة حتى في مشيتها وحسن أديها  
وكذلك الآدمي المتوحش اذا أنس وألف وسببه أن تكون السجاياء والطبائع انما هو  
عن المألوفات والعوائد اذا كان الغلب للام انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من  
هذه الاجيال أعرق في البداوة وأكثر توحشا كان أقرب الى التغلب على سواها اذا  
تقارب في العدد وتكافأ في القوة والعصية وانظر في ذلك شأن مضر مع من قبلهم من  
حبيروكمه لان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين أرياف العراق  
ونعيمه لما بقي مضر في بداوتهم وتغذاهم الا آخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم  
كيف أرهقت البداوة حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في أيديهم وانترعوه منهم وهذا  
حال بني طي وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تأخروا في باديتهم  
عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يتلبسوا بشيء من دنياهم كيف أمسكت حال البداوة  
عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلفها مذهب الترف حتى صاروا أغلب على الامر منهم وكذا

كل حي من العرب يلي نعيمًا وعيشًا خصبًا دون الحي الآخر فإن الحي المبندى يكون أغلب له وأقدر عليه إذا تكافأ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

### ١٧ (فصل في ان الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك)

وذلك لانه قد منان العصبية به ان تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجمع عليه وقد منان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحاكم يزعجهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم تلك العصبية والالم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرياسة لان الرياسة انما هي سودد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة طلب ما فوقها فاذ بلغ رتبة السودد والاتباع ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتسبغها وتلجم جميع العصبيات فيها وتضيقها كأنها عصبية واحدة كبرى والواقع الافتراق المنضى الى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ثم اذا حصل التغلب تلك العصبية على قومها طلبت بطبيعتها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها فان كافأتها أو مانعتها كانوا اقنالا وأنظارا ولكل واحدة منهما التغلب على حوزتها وقومها شأن القبائل والامم المتفرقة في العالم وان غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضا وزادتها قوة في التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الناية الاولى وأبعد وهكذا دائما حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة فان أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك أجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة وانما قارن حاجتها الى الاستظهار بأهل العصبيات انتظمتها الدولة في أوليائها تستظهر بها على ما يعين من مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبد وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس ولصنهاجة وزناتة مع كرامة وابني جمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية وأنها اذا بلغت الى غاية حصول للقبيلة الملك انما بالاستبداد أو بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وان عاقها عن بلوغ الغاية عوائق كما نبينه ووقف في مقامها الى أن يقضى الله بأمره



## ١٨ فصل في ان من عواقب الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقدارها وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصصة بمقدار غلبها واستطهار الدولة بهم فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذهن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يستوفون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تنسهم آمالهم الى شيء من منازع الملك ولا أسبابه انما هممتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بذهاب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأنيق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعوا اليه من نواجع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتعمدون فيما آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن سائر الامور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتستقص عصبيتهم وبسالتهم في الاجيال بعدهم يتعاقبوا الى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون انشراحهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق في النعيم كسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتمتع بالامم سواهم فقد تبين أن الترف من عواقب الملك والله يوفق ما حكم من يشاء

## ١٩ (فصل في ان من عواقب الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم)

وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كسر ان لسورة العصبية وشدها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فصار عوا المذلة حتى يحجزوا عن المدافعة ومن يحجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها كيف يحجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها اقواما جبارين واننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها أي يخرجهم الله تعالى منها بضرب من قدرته غير عصبيتنا تكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لحوا وارتركبوا العصيان وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا وما ذلك الا لما آتسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في نفسهم بها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد ومارعوا من الذل للقبط أحقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع أنهم لم يؤمنوا حتى الايمان بما أخبرهم به موسى من

أن الشأم لهم وأن العالة الذين كانوا بأريهاء فرستهم بحكم من الله قدر لهم  
 فأقصروا عن ذلك وهجزوا تعويلا على ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما  
 حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم  
 الله بالتيه وهو أنهم تاهوا في قفر من الأرض ما بين الشأم ومصر أربعين سنة لم يأووا  
 فيها عمران ولا نزلوا مصر ولا خالطوا بشرا كما قصه القرآن لغظة العالة بالشأم  
 والقبط بمصر عليهم العجز عن مقاومة كازعموه ويظهر من مساق الآية ومفهودها  
 أن حكمه ذلك التيه مقصودة وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل  
 والقهر والقوة وتخلقوا به وأفسدوا من عصيتهم حتى ذنأ في ذلك التيه جيل آخر  
 عزيز لا يعرف الأحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصابة أخرى اقتدروا  
 بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك أن الأربين سنة أقل مما يأتي فيها فاعجل  
 ونشأة جيل آخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا أوضح دليل على شأن العصية وأنها هي  
 التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من فقد ما عجز عن جميع ذلك  
 كله ويطبق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فإن القبيل  
 الغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لأن في المغارم والضرائب  
 ضيما ومذلة لا تحتملها النفوس الآية الا اذا استوتت من القتل والتلف وان  
 عصيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصيته لا تدفع عنه الضيم  
 فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة عما تقة كما قد مناه ومنه  
 قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة المحراث في بعض دور الانصار  
 ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على أن المغرم موجب للذلة  
 هذا الى ما يصعب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت  
 القبيل بالمغارم في ربة من الذل فلا تعامعن لها بل اك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط  
 من يزعم أن زناتة بالمغرب كانوا شايبة يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من  
 الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة  
 وانظر فيما قاله شهر براز ملك الباب ابي عبد الرحمن بن ربيعة لما أطل عليه وسأل شهر براز  
 أمانه على أن يكون له فقال أنا اليوم منكم يدي في أيديكم وصعري معكم فرحبا بكم  
 وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر اليكم والقيام بما تحبون ولا تذولونا بالجزية  
 فتوهنونا العدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فإنه كاف

لما كان الملك طبيعياً للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان  
أقرب الى الخلال الخير من خلال الشر بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لأن الشر  
انما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه وأما من حيث هو انسان فهو الى الخير  
وخلاله أقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو انسان لانها خاصة للانسان  
لا للحيوان فاذا كان خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذا الخير هو المناسب  
للسياسة وقد ذكرنا أن المجد له أصل ينبت عليه ويتحقق به حقيقة وهو العصية  
والعشير ورفع يتم وجوده وبكماله وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصية فهو غاية  
لقرونها ومقدماتها وهي الخلال لأن وجوده دون ممانته كوجود شخص مقطوع  
الاعضاء أو ظهوره عربا بين الناس واذا كان وجود العصية نقط من غير احتمال  
اختلال الجيدة نقصا في أهل البيوت والاحساب فما ظنك بأهل الملك الذي هو غاية  
الكل بمجد ونهاية لكل حسب وأيضا فالسياسة والملك هي كفالة الخلق وخلافة لله في  
العباد لتنفيذ أحكامه فيهم وأحكام الله في خلقه وعباده انما هي بالخير ومراعاة  
المصالح كما تشهد به الشرائع وأحكام البشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف  
قدرة الله سبحانه وقدره فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذا فاعل سواء فمن  
حصلت له العصية الكفيلة بالقدره وأرست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام  
الله في خلقه فقد تم بالخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية  
لذلك وهذا البرهان أو ثبوت من الاول وأصح معنى فقد تبين أن خلال الخير شاهدة بوجود  
الملك لمن وجدت له العصية فاذا نظرنا في أهل العصية ومن حصل لهم الغلب على كثير  
من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفوع  
الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم  
والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في سون الاعراض ونعظيم الشر بعة  
واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يحدثونه لهم من فعل أو ترك وحسن  
الظن بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر  
والمشايع وتوقيرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف  
المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم والانقياد للحق والتموضع للمسكين  
واسماع شعوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى  
أسبابها والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد وأمثال ذلك علمنا أن هذه  
خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أو على  
العموم وأنه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسيب لعصيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم



ولا وجد عبثا منهم والملك أنسب المراتب والخيرات لعصبيتهم فعلمنا بذلك أن الله تآذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك إذا تآذن الله بانقراض الملك من أمة جعلهم على ارتكاب المذمومات وانصال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص الى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعم بعلمهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر ذلك وتبعه في الامم السابقة تجدد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) أن من خلال الكمال التي يتنافس فيها القبائل أو لولا العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والاشراف وأهل الاحساب وأصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك أن اكرام القبائل وأهل العصبية والعشائر لمن يتباهضهم في الشرف ويجاذبهم حب العشير والعصبية ويشاركهم في اتساع الجاه أمر طبيعي يتحمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه والخافة من قوم المكرم أو التماس مثلها منه وأما أمثال هؤلاء ممن ليس لهم عصبية تتق ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتحعض القصد فيهم أنه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لأن اكرام أقتاله وأمثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظرائه واکرام الطارين من أهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للعباد اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تتم المنفعة بما في أيديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من أهل عصبية انما وهم للسياسة العامة وهي الملك وأن الله قد تآذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها وهذا كان أول ما يذهب من القبيل أهل الملك إذا تآذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فإذا رأى يتسه قد ذهب من أمة من الامم فاعلم أن الفضائل قد أخذت في الذهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له والله تعالى أعلم

(فصل في انه اذا كانت الامة حسيمة كان ملكها اوسع)

وذلك لانهم أقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم يتنزلون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب وزناتة ومن في معناهم من الاكراد والتركمان وأهل اللثام من

صنهاجة وأيضا فهو لاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد يجفون  
اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فلم هذا لا يقتضون على ملكة قطرهم  
وما جاورهم من البلاد ولا يفتقون عند حدود أقطارهم بل يطفرون الى الاقاليم البعيدة  
ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكي في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما بويع  
وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الجواز ليس لكم بدار الا على الفجعة ولا يقوى  
عليه أهله الا بذلك أين القراء المهاجرون عن موعد الله سيروا في الارض التي وعدكم  
الله في الكتاب أن يورثكموها فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر  
ذلك أيضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التباينة وجير كيف كانوا يخطون من  
اليمين الى المغرب مرة وإلى العراق والهند أخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم  
وكذا حال الملتزمين من المغرب لما نزعوا الى الملك طفروا من الاقليم الاول ومجاالتهم منه  
في جوار السودان الى الاقليم الرابع والخامس في ممالك الاندلس من غير واسطة  
وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم أوسع نطاقا وأبعد من مراكزها  
نهاية والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

٢٢ فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امته فلا بد من  
عوده الى شعب آخر منها ما دامت لهم العصبية

والسبب في ذلك أن الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم من سائر الامم  
سواهم فيتعين منهم المباشرون للامر الحاملون لاسرير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم  
لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المراجعة والغيرة التي تجدد أنوف كثير  
من المتطاولين للرتبة فاذا تعين أولئك القائمون بالدولة انغمسوا في النعيم وغرقوا في  
بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك الجيل وأنفقوهم في وجوه الدولة  
ومذاهبها وبقي الذين بعدوا عن الامر وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي  
شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف وأسبابه فاذا استولت على  
الاولين الايام وأباد غصراء هم الهرم فطجنتهم الدولة وأكل الدهر عليهم وشرب بها  
أرهم النعيم من حدهم واشتفت غريزة الترف من مائهم وبلغوا غاييتهم من طبيعة  
المقتن الانساني والتغلب السياسي (شعر)

كدود القز ينسج ثم يفنى \* بمرکز نسجه في الانعكاس

كانت حينئذ عصبية الآخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر محفوظة وشارتهم  
في الغلب معلومة فتسموا مالهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من

جنس عصبيتهم وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر ويصير اليهم  
وكذا يتفق فيهم مع من بقي أيضا منتبذا عنه من عشائرتهم فلا يزال الملك ملجأ في  
الامة الا أن تنكسر سورة العصية منها أو يفنى سائر عشائرها سنة الله في الحياة  
الدنيا والآخرة عنه مدبرك للمتقين واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقرض ملك  
عاد قام به من بعدهم اخراهم من عمود ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ومن بعدهم  
اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم التبابعة من حمير أيضا ومن بعدهم الاذواء  
كذلك ثم جاءت الدولة لمصر وكذا الفرس لما انقرض أمر الكينية ملك من بعدهم  
الساسانية حتى تأذن الله بانقراضهم أجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقراض أمرهم  
وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالغرب لما انقرض أمر مغراوة وكلمة  
الملوك الاول منهم رجع الى صنهاجة ثم الممسين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من  
شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه وأصل هذا كله انما يكون بالعصية  
وهي متفاوتة في الاجيال والملك يخلفه الترف ويذهب به كما سذكره بعد فاذا انقرضت  
دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصية مشاركة لعصيتهم التي عرفها التسليم  
والانقياد وأونس منها الغلب لجميع العصيات وذلك انما يوجب في النسب القريب  
منهم لان تفاوت العصية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه أو بعد حتى اذا  
وقع في العالم تبدل كبير من تحويل ملة أو ذهاب عمران أو ما شاء الله من قدرته فحينئذ  
يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذي يأذن الله بقيامه بذلك التبدل كما وقع لمصر حين  
غلبوا على الامم والدول وأخذوا الامر من أيدي أهل العالم بعد أن كانوا مكبوحين  
عنه أحقابا

٢٣ فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالاقه بالغالب في شعاره ونزبه

ونكته وسائر احواله وعوائده

والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظره  
بالكمال بما وقر عنه مداه من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي  
انما هو لكمال الغالب فاذا غالط بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانحلت جميع  
مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء ولما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب  
لها ليس بعصية ولا قوة بأس وانما هو بما انحلت من العوائد والمذاهب تغالط أيضا  
بذلك عن الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يتشبه به أبدا بالغالب في ملبسه  
ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر احواله وانظر ذلك في



الابناء مع آبائهم - كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم  
وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله زى الحمامة وجند السلطان في  
الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها  
فيسرى اليهم من هذا التشبه والافتداء - حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع أمم  
الجلالقة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم  
وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر  
من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامر لله \* وتأمل في هذا  
مترقولهم العامة على دين الملك فانه من باب انه اذا الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون  
به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الابناء بابائهم والمتعلمين بعلمهم والله العليم الحكيم وبه  
سبحانه وتعالى التوفيق

٢٤ (فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء)

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك أمرها عليها  
وصارت بالاستعجاب آله لسواها وعالة عليهم فيقصرا لامل وبضعف التماسل والاعتماد  
انما هو عن جرة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب  
الامل بالتكاسل وذهب ما يدعوا اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب  
الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المدافعة عن  
أنفسهم بما خضع الغلب من شوكتهم فأصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة لكل آكل  
وسواء كانوا حصلوا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن  
الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته  
وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شبع بطنه وري كبدته وهذا موجود في أخلاق  
الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تنافدا اذا كانت في ملكة  
الادميين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن  
يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قدماء  
العالم كثرة ولما فئت حاميتهم في أيام العرب بقي منهم كثيراً كثير من الكثير يقال  
ان عدداً أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفاً منهم سبعة  
وثلاثون ألفاً ربابيت ولما اتصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم  
الا قليلاً ودثروا كأن لم يكونوا ولا تحسبن أن ذلك لظلم نزل بهم أو عدوان شملهم  
فلكة الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره

وصار آلة تغير، ولهذا انما تدعى للرق في الغالب أمم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه أو من يرجو بانظامه في ربة الرق حصول رتبة أو افادة مال أو عز كما يقع لممالك الترتل بالشرق والعلاج من الجلالة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يملكونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٢٥ (فصل في ان العرب لا يتخلون الاعلى السماط)

وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدر واعليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى متبعهم بالفقر ولا يذهبون الى المزاخفة والمحاربة الا اذا دفعوا بذلك عن أنفسهم فكل معقل أو مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم بأوعار الجبال بمنجاة من عينهم وفسادهم لانهم لا يتسمنون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر وأما البساط متى اقتدروا عليها بفقدها ان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لا كلهم يردون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولة عليهم الى أن يصبح أهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الأيدي وانحراف السياسة الى أن يقرض عمرانهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا رب غيره

٢٦ (فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب)

والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام موائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبله وكن عندهم ملذوذ المأفقه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالجبر مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه أثافي للقدرة فينقلونه من المباني ويخربونهم اعليه ويعتونه لذلك والخشب أيضا انما حاجتهم اليه ليعمر وابه خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك فصار طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران هذا في حالهم على العموم وأيضا فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حتى ينتهون اليه بل كلما امتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملا بطلت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وأيضا فلا نهم

يتلقون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعماهم لا يرون لها قيمة ولا قسطا من  
الاجر والتمن والاعمال ك كما سئذ كرهى أصل المكاسب وحقبة قتها واذا فسدت  
الاعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقبضت الأيدي عن العمل  
وابذع السالكين وفسد العمران وأيضا فانهم ليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس  
عن المفاسد ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما يأخذونه من أموال الناس غيبا  
أو مغرما فاذا اتوا صالوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعدهم من تسديد أحوالهم  
والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المفاسد وبعما فرفضوا العقوبات  
في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والحباية والاستكثار منها كما هو شأنهم وذلك  
ليس بجفن في دفع المفاسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم  
في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنهم فوضى دون حكم والفوضى  
مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعة للانسان  
لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك أقول الفصل وأيضافهم متنافسون  
في الرياسة وقتل أن يسل أحد منهم الامر اغيره ولو كان أباه أو أخاه أو ك كبير عشيرته  
الافى الاقل وعلى كره من أجل الحباية في تعدد الحكم منهم والامراء وتختلف الأيدي  
على الرعية في الحباية والأحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على  
عبد الملك لما سأله عن الججاج وأراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال  
تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة  
كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فالين قرارهم  
خراب الاقلام من المصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس  
أجمع والشأم لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جازا اليها بنو هلال وبنو سليم  
منذ أقول المائة الخامسة وتمرسوا بها الثلثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها واعدت  
بساتينها خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي كاه عمرانا تشهد بذلك  
آثار العمران فيه من المعالم وقنايل البناء وشواهد القرى والمد اشروا الله يرث الارض  
ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٧ فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة

او ولاية او اثر عظيم من الدين على المجلة

والسبب في ذلك أنهم لم يخلقوا التوحش الذي فيهم أصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض  
للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم فاذا كان



٤

الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة  
منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشعرون من الدين المذهب للغلظة والانفة  
الوازع عن التماسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام  
بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق ويأخذهم بحمودها ويؤلف كلمتهم  
لاظهار الحق ثم اجتمعهم وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك أسرع الناس  
قبول الحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتهم من ذميم الاخلاق  
الاما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المنتهي لقبول الخير ببقائه على الفطرة  
الاولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل مولود  
يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

٢٨ (فصل في ان العرب ابداء الامم عن سياسة الملك)

والسبب في ذلك أنهم أكثر بداءة من سائر الامم وأبعد مجالا في القفر وأغنى عن  
حاجات التلؤلؤ وحبوبهم الاعتقادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم  
فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يلا فهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم غالبا  
للعصية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم ورتلهم من نعمهم لئلا يختل  
عليه شأن عصيته فيكون فيها هلاكا وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي  
أن يكون السائس وازعا بالقهر والام تستقيم سياسته وأيضافان من طبيعتهم كما  
قدمناه أخذ ما في أيدي الناس خاصة والتجاني عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع  
بعضهم عن بعض فاذا ملكوا أمة من الامم جعلوا غاية ما يسكنهم الاتقاع بأخذ ما في  
أيديهم وتركوها مساوي ذلك من الاحكام بينهم وربما جعلوا العقوبات على المفاسد في  
الاموال حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل القوائد فلا يكون ذلك وازعا وربما يكون  
باعثا بحسب الاغراض الباعثة على المفاسد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه  
فتتمو المفاسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها فوضى مستطيلة  
أيدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شأن الفوضى كما قدمناه  
فبعثت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب  
طباعهم وتبدلها بصيغة دينية تحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من أنفسهم  
وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدواهم في الملة لما  
شيد لهم الدين أمر السياسة بالشريعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا  
وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم كان رسمه اذ ارأى

المسلمين يجتمعون للصلاة يقول كل عمر كم يدى يعلم الكلاب الآداب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة أجيال نبذوا الدين ففسدوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع أهل الدولة يبعدهم عن الانقياد واعطاء النصفه فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ولما ذهب أمر الخلافة وانحى رسمها انقطع الامر بجملة من أيديهم وغلب عليهم الهجم دونهم وأقاموا بادية في قنارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لاحد من الامم في الحقيقة ما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد وعود والعـ مالة وجبر والابادة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنى أمية وبني العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى أصلهم من البداوة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ما له وغايته الاتخرب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يؤتى ما يشاء

### ٢٩ (فصل في ان البدوى من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار)

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البدو وانما وجد لديهم في مواطنهم أمور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم بالكلية من نجار وخياط وحذاء مثال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدنانير والدرهم مفقودة لديهم وانما بأيديهم أعواضهم من مغل الزراعة وأعيان الحيوان أو فضلاته ألباناً واوراراً وأشعاراً واهاباً مما يحتاج اليه أهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدرهم الا أن حاجتهم الى الامصار في الضرورى وحاجة أهل الامصار اليهم في الحاجى والكلى فهم محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فنادوا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم محتاجون الى أهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوه الى ذلك وطالبوهم به وان كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لملك وان لم يكن في المصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض أهل على الباقين والا نقص عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعى في مصالحه اما طوعا يبذل المال لهم ثم يدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقين

فيضطر الباقين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات أخرى لان كل الجهات معمور بالسدوا الذين غلبوا عليها ومنعواهم عنهم فلا يجد هؤلاء ملجأ الاطاعة المصروفة بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر فوق عباده وهو الواحد الاحد القهار

الفصل الثالث من الكتاب الاول  
في الدول العامة والملوك والخلافة والمرتبة السلطانية وما يعرض  
في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

١ (فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقيل والعصبة)

وذلك انما قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبة لما فيها من النغرة والتدامر واستقامة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتم على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذات النفسانية فيه التنافس غالباً وقل أن يسلمه أحد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع الا بالعصبة كما ذكرناه انما وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تهديد الدولة منذ قولها وطال أمدرى باهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيل بعد جيل فلا يعرفون ما عمل الله أول الدولة انما يدركون أصحاب الدولة وقد استحكمت صيغتهم ووقع التسميم لهم والاستغناء عن العصبة في تهديد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من أوله وما لقي أولهم من المتاعب دونه وخصوصاً أهل الاندلس في نسيان هذه العصبة وأثرها الطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبة بما تلاشى وطنهم وخللهم من العصابات والله قادر على ما يشاء وهو بكل شئ عليم وهو حسبنا نعم الوكيل

٢ (فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تنفخ عن العصبة)

والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للغلبة وان الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة في أهل النصاب الخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت النفوس شأن الاولوية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة لرياسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا حينئذ في أمرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها



كتاب الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا أمر ما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على  
 العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها ويصكون استظهارهم حينئذ على سلطاتهم  
 ودولتهم المخصوصة اما بالموالي والمصطنعين الذين نشؤا في ظل العصبية وغيرها واما  
 بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبني العباس فان  
 عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك  
 انما كان بالموالي من العجم والترک والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم الاولياء  
 على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدوا أعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم  
 وملسكوها وصار الخلائق في حكمهم ثم انقرض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم  
 فصاروا في حكمهم ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التتار فقتلوا الخليفة ومحو اسم  
 الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة أو ما قبلها واستمرت  
 لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر ثغور افريقية وربما تنزى  
 بتلك الثغور ومن نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى  
 تأذن الله بانقرضت الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحو  
 آثارهم وكذا دولة بني امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك  
 الطوائف على أمرها واقتسموا اخطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانزى  
 كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بأنفه وبلغهم شأن العجم مع الدولة  
 العباسية فقلقبوا بألقاب الملك ولبسوا اشارة وأمنوا بمن ينقض ذلك عليهم أو يغيره  
 لان الاندلس ليس بداعصائب ولا قبائل كما سذكروا واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف  
 مما يزدني في أرض اندلس \* أسماء معتصم فيها ومعتضد  
 ألقاب مملكة في غير موضعها \* كالهرجكي اتفا خصورة الاسد

فاستظهروا على أمرهم بالموالي والمصطنعين والطراء على الاندلس من أهل العدو  
 من قبائل البربر وزناتة وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين  
 ضعفت عصبية العرب واستبد ابن أبي عامر على الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل  
 واحد منها بجانب من الاندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم  
 يزالوا في سلطنتهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المرابطون أهل العصبية القوية من لمتونة  
 فاستبدلوا بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدر واعي مدافعهم لفقدان  
 العصبية لديهم فبهذه العصبية يكون تمهيد الدولة وحمايتها من أولها وقد ظن  
 الطرطوشي أن حامية الدول باطلاقهم الجند أهل العطاء المفروض مع الاهله ذكر  
 ذلك في كتابه الذي سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول تأسيس الدول العامة في أولها

وانما هو مخصوص بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما أدرك الدولة عند هزمها وخلق جدتها ورجوعها الى الاستظهار بالموالي والصنائع ثم انى المستخدين من ورائهم بالاجر على المدافعة فانه انما أدرك دول الطوائف وذلك عند اختلال دولة بنى أمية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل أمير بقطره وكان في ايلة المستعين بن هود وابنه المظفر أهل سر قسطة ولم يكن بقي لهم من أمر العصبة شئ لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثائة من السنين وهلاكهم ولم ير الاسطوانات استبداد الملك عن عشائره قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصبة فهو لذلك لا ينازع فيه ويستعين على أمره بالاجراء من المرتزة فأطلق الطرطوشى القول في ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ أول الدولة وأنه لا يتم الا لاهل العصبة فتعطن أنت له وافهم سر الله فيه والله يؤتى ملكه من يشاء

### ٣ ﴿فصل في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكى دولة تستغنى عن العصبة﴾

وذلك أنه اذا كان لعصبة غلب كثير على الامم والاجيال وفي نفوس القائلين بأمره من أهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتوا عليه وقاموا بأمره وظاهروه على شأنه وعنوا بتمهيد دولته يرجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يد أعياصه وجزاءه لهم على مظاهرتهم باصطفاهم لرتب الملك وخططه من وزارة أو قيادة أو ولاية تغرولوا يطمعون في مشاركته في شئ من سلطانه تسليما لعصبيته وانقياد المما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية استقرت في الأذعان لهم فلوراموها معه أو دونه لزلزلت الارض زلزالها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيدين بافريقية ومصر لما انتبذ الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسعوا الى طلبهم من أيدي بنى العباس بعد أن استحكمت الصبغة ابنى عبد مناف لبني أمية أولا ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بأمرهم البرابرة مرة بعد أخرى فأوربة ومغيلة للادارسة وكامة وصنهاجة وهوارة للعبيدين فشيروا دولتهم ومهدوا بعصائهم أمرهم واقطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين يمتد الى أن ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلامية شق الابلية وهؤلاء البرابرة القائلون بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون للعبيدين أمرهم مذعنون ملكهم وانما كانوا يتنافسون

في الرتبة عندهم خاصة تسليما لحاصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكم من  
الغلب لقريش ومضر على سائر الامم فلم يزل الملك في أعقابهم - ثم الى أن انقرضت دولة  
العرب بأسرها والله يحكم لامعقب الحكمة

٤ (فصل في ان الدول العامة الاستيلاء العظيم الملك صلوات الله عليه من نبوة او دعوة حق)

وذلك لأن الملك انما يحصل بالتغلب والتغلب انما يكون بالعصبة واتفاق الاهواء  
على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى  
لو أنفق ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم - وسرته أن القلوب اذا تداعت الى  
أهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفساد الخلاف واذا انصرفوا الى الحق  
ورفضت الدنيا الباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهته فذهب التنافس وقل  
الخلاف وحسن التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما تبين  
لك بعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لأرب سواه

٥ (فصل في ان الدعوة الدينية تزيده الدولة في اصلها)

قوة على قوة العصبة التي كانت لها من عدد

السبب في ذلك كما قدمناه أن الصبغة الدينية تذهب بالتناقص والاسد الذي في أهل  
العصبة وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء  
لأن الوجهة واحدة المطلوب متساو عندهم وهم مستيتون عليه وأهل الدولة التي هم  
طالبوها وان كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل  
فلا يقاومونهم وان كانوا أكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم  
من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت  
جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر وجوع فارس  
مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجوع هرقل على ما قاله الواقدي أربع مائة ألف فلم  
يقف للعرب أحد من الجانيين وهزموهم وغلبوهم الى ما بأيديهم واعتبر ذلك أيضا في  
دولة الممونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقف ومهم في العدد  
والعصبة أو يشف عليهم - ثم الآن الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار  
والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت  
كيف ينقض الامر ويصير الغلب على نسبة العصبة وحدها دون زيادة الدين فتغلب  
الدولة من كان تحت يدها من العصائب المكافئة لها أو الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم  
بمضاعفة الدين لقوتها ولو كانوا أكثر عصبة منها وأشد بداءة واعتبر هذا في الموحدين



مع زناة لما كانت زناة أبدى من المصامدة وأشد توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صبغتها وتصاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا على زناة أولوا واستبغواهم وان كانوا من حيث العصبية والبداءة أشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زناة من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه منهم والله غالب على أمره

﴿ فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم ﴾

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وماحب كتاب خلع النعلين في التصوف تار بالاندلس داعياً إلى الحق وسمى أصحابه بالمرباطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلاً لشغل المتونة بما دأبهم من أمر الموحدين ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عنه أنه فلم يلبث حين استولى الموحدون على المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من معه بجهنم أو كس وأمكنهم من ثغره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرباطين ومن هذا الباب أحوال الثواقف الذين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيراً من المتحليين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الامراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف ورجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتشبهون بهم من الغوغاء والدماء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأما من يهلكون في تلك السبيل مأزرين غير مأجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما أمر به حيث يكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزعزحها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه انما أجرى الامور على مستقر العادة والله حكيم عليم فاذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محقق قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما ان كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك لانه أمر الله لا يتم الا برضاه واعاقته والاخلاص

له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وأول ابتداء هذه  
 النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الأمين وأبطال المأمون بنجراسان عن  
 مقدم العراق ثم عهد لعل بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف بنو العباس عن  
 وجه النكير عليه وتداعو للقيام وخلع طاعة المأمون والاستبدال منه وبويع  
 إبراهيم بن المهدي فوق الهرج ببغداد وانطلقت أيدي الزعرة بهما من الشطار  
 والحريية على أهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلأت أيديهم من نهاب  
 الناس وباعوها علانية في الأسواق واستعدى أهلها الحكام فلم يعدوهم فتوافر أهل  
 الدين والصلاح على منع الفساق وكف عاديهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد  
 الدريوس ردعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقتل أهل  
 الزعارة فغلبهم وأطلق يده فيهم بالضرب والتكبير ثم قام من بعده رجل آخر من سواد  
 أهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصاري ويكنى أبا حاتم وعلق مصحفه في عنقه  
 ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى  
 الله عليه وسلم فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فن دونهم  
 ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع  
 الخفارة لأولئك الشطار وقال له خالد الدريوس أنا لأعجب على السلطان فقال له سهل  
 لكي أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائننا من كان وذلك سنة إحدى ومائتين  
 وجهز له إبراهيم بن المهدي العساكر فغلبه وأسره وانحل أمره سريرا وذهب ونجا  
 بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم بأقامة الحق ولا  
 يعرفون ما يحتاجون إليه في أقامته من العصية ولا يشعرون بعقبة أمرهم وما آل  
 أحوالهم والذي يحتاج إليه في أمر هؤلاء المداواة أن كانوا من أهل الجنون وأما  
 التكبير بالقتل أو الضرب أن أحدثوا هرجا وأما إذاعة السخرية منهم وعدهم من جملة  
 الصفاعين وقد يتسبب بعضهم إلى الفاطمي المنتظر ما بأنه هو أو بأنه داع له وليس مع  
 ذلك على علم من أمر الفاطمي ولما هو وأكثرا المتكئين مثل هذا تجدهم موسوسين  
 أو مجانين أو ملبسين بطلبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلات بها جوانحهم وعجزوا عن  
 التوصل إليها بشئ من أسبابها العادية فيحسبون أن هذا من الأسباب البالغة بهم  
 إلى ما يؤملونه من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع إليهم القتل بما  
 يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد كان لأول هذه المائة خروج بالسوس  
 رجل من المتصوفة يدعى التوبذري عمد إلى مسجد ماسة بساحل البحر هناك وزعم أنه  
 الفاطمي المنتظر تلبس على العامة هنالك بمأملات قلوبهم من الحدثن بانتظاره

هنالك وان من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فتهافت عليه طوائف من غامة البربر  
تهافت الفراش ثم خشى رؤسائهم اتساع نطاق الفتنة فدرس اليه كبير المصامدة  
يومئذ عمر السكسيوى من قتله في فراشه وكذلك خرج في غمارة أيضا لأول هذه  
المائة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيته الاوولون من سفهاء  
تلك القبائل وغمارهم وزحف الى بادس من أمصارهم ودخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوما  
من ظهور دعوته ومضى في الهالكين الاولين وأمثال ذلك كثير والغلط فيه من  
الغفلة عن اعتبار العصية في مثلها وأما ان كان التلييس فأحرى أن لا يتم له  
أمر وأن يوءبائه وذلك جزاء الظالمين والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لارب غيره  
ولا معبود سواه

٧ \* (فصل في ان كل دولة لها حصنة من الممالك والادطان لالتزيم عليها) \*

والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائلين بها الممهدين لها لا بد من توزيعهم  
حصصا على الممالك والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتهم من العدو وامضاء  
أحكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فإذا توزعت العصابات كلهم على الثغور  
والممالك فلا بد من نفاد عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغرا  
للدولة وتحمل لوطنها ونطاقا لمركز مملكتها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على  
ما بيدها بقي دون حامية وكان موضعالاتها زالا الفرصة من العدو والمجاور  
ويعود وبال ذلك على الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة  
وما كانت العصابة موفورة ولم يتقدعددها في توزيع الحصص على الثغور والنواحي  
بقي في الدلة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينفصح نطاقها الى غاية والعله الطبيعية  
في ذلك هي قوة العصبة من سائر القوى الطبيعية وكل قوة يصدر عنها  
فعل من الافعال فشاها ذلك في فعلها والدولة في مركزها أشد مما يكون في الطرف  
والنطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية مجزت وأقصرت عماء راءه شان  
الاشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدوائر المنفسحة على سطح الماء من  
النقر عليه ثم اذا أدركها الهرم والضعف فانما تأخذ في التناقص من جهة الاطراف  
ولا يزال المركز محفوظا الى أن يتأذن الله بانقراض الامر بجملة فحينئذ يكون انقراض  
المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تصحبل  
لوقتها فان المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملاك انه يزم  
جميع الاطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المدائن فلما غلب المسلمون



على المدائن انقرض أمر فارس أجمع ولم ينفع يزجر دما بقي بيدهم من أطراف ممالكه  
والعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبيهم  
المسلمون بالشام تحيزوا الى مركزهم بالقسطنطينية ولم يضربهم انتزاع الشام من أيديهم  
فلم يزل ملكهم متصلا بها الى أن تأذن الله بانقراضه ونظر أيضا شأن العرب أول  
الاسلام لما كانت عصائبهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق  
ومصر لاسرع وقت ثم تجارزوا ذلك الى ما وراء من السند والحيشة وافريقية  
المغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك الثغور ونزلوها حامية ونفذ  
عددهم في تلك الدوزيعات أقصروا عن الفتوحات بعد وانهى أمر الاسلام ولم  
يتجاوز تلك الحدود ومنها تراجعت الدولة حتى تأذن الله بانقراضها وكذا كان حال  
الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة وعند نفاد عددهم  
بالتوزيع ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

٨ (فصل ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة)

والسبب في ذلك أن الملك انما يكون بالعصبة وأهل العصبة هم احامية الذين يزلون  
بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها فاما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل  
عصابتها أكثر كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانها وكان ملكها أوسع لذلك واعتبر ذلك  
بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة  
تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف وعشرة آلاف من مضر وخطان  
مابين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا للطلب ما في أيدي  
الامم من الملك لم يكن دونه حتى ولا وزير فاستبجى حتى فارس والروم أهل الدولتين  
العظيمتين في العالم لعهدهم والترك بالشرق والافريقية والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس  
وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك بأقصى الشمال واستولوا  
على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة منهاجدة والموحدين مع العبيدين قبلهم لما  
كان قبيل كرامة القائمين بدولة العبيدين أكثر من منهاجدة ومن المصامدة كانت  
دولتهم أعظم فلكوا افريقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زفانة  
لما كان عددهم أقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم  
عن عدد المصامدة منذ أول أمرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد زفانة بنى  
مرين وبني عبد الواد لما كان عدد بنى مرين لا أول ملكهم أكثر من بنى عبد الواد كانت  
دولتهم أقوى منها وأوسع نطاقا وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد أخرى \* يقال ان

عدد بنى مرين لاقل ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بنى عبد الواد كانوا ألفا الا أن الدولة بالرقة وكثرة التابع كثرت من أعدادهم وعلى هذه النسبة في أعداد المتغلبين لاقل الملك يكون اتساع الدولة وقوتها وأما طول أمدها أيضا فعلى تلك النسبة لأن عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدول انما هو بالعصية فاذا كانت العصية قوية كان المزاج تابع لها وكان أمد العمر طويلا والعصية انما هي بكثرة العدد ووفوه كما قلناه والسبب الصحيح في ذلك أن النقص انما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت بمالكها كثيرة كانت أطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر أزمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون أمدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان أمدها أطول الدول لابنو العباس أهل المركز ولا بنو أمية المستبدون بالاندلس ولم ينقص أمر جميعهم الا بعد الأربعمئة من الهجرة ودولة العبيديين كان أمدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صفهجة دونهم من لدن تقليد معز الدولة أمر افريقية بماكين بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحدين لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهما كذا نسب الدول في أعمارها على نسبة القائمين بها سنة الله التي قد خلت في عبادته

### ٩ ( فصل في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قران تحكم فيها دولة )

والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء وان وراء كل رأي منها وهوى عصية تمنع دونها فيكثر الاتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصية لأن كل عصية ممن تحت يدها تنظر في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ أول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاقل الذي كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الافرنجية شيئا وعادوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الاثنان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بدين الخوارج مرات عديدة قال ابن أبي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فبا بعده وهذا معنى ما نقل عن عمران افريقية مغرقة لقلوب أهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حامية من فارس والروم والكافة دهما أهل مدن وأمصار

فلما غلبهم المسلمون على الامر وانتزعوهم من أيديهم لم يبق فيها عمانع ولا مشاق والبربر  
قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكلهم بادية وأهل عصابات وعشائر وكل هلك  
قبيلة عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والردة فطال أمر العرب في تهمة  
الدولة بوطن افرريقية والمغرب وكذلك كان الأمر بالشام لعهد بني اسرائيل كان  
فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم ويونان  
والعمالقة واكر يكش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا  
في العصبية فصعب على بني اسرائيل تهديد دولتهم ورسوخ أمرهم واضطرب عليهم  
الملك مرة بعد أخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه  
ولم يكن لهم ملك موطن سائر أيامهم إلى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم  
عند الجلاء والله غالب على أمره وبعكس هذا أيضا الاوطان الخالية من العصبية  
يسهل تهمة الدولة فيها ويكون سلطانها أرواحا لقلعة الهرج والانتفاض ولا تحتاج  
لدولة فيها إلى كثير من العصبية كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذهى خلوا  
من القبائل والعصبية كأن لم يكن الشام معدنهم كما قلنا فلك مصر في غاية الدعة  
والرسوخ لقلعة الخوارج وأهل العصابات انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك  
الترك وعصائهم يغلبون على الامر واحدا بعد واحد وينتقل الامر فيهم من منبت  
إلى منبت والخلافة مسماة للعباسي من أعقاب الخلفاء يغيرون كذا شأن الاندلس  
لهذا العهد فان عصبية ابن الأجر سلطانهم لم تكن لاول دولتهم بقوة ولا كانت كرات  
انما يكون أهل بيت من بيوت العرب أهل الدولة الاموية بقوا من ذلك القلة وذلك أن  
أهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منهم وملكهم البربر من لمتونة والموحدين  
سماوا ملكتهم وثقلت وطأتهم عليهم فأشربت القلوب بغضاهم وأمكن الموحدون  
والسادة في آخر الدولة كثير من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار به على شأنهم  
من تلك الحضرة مراكش فاجتمع من كان بقي بها من أهل العصبية القديمة معادن من  
بيوت العرب تتجافى بهم المنبت عن الحاضرة والامصار بعض الشيء ورسخوا في العصبية  
مثل ابن هود وابن الأجر وابن مردئش وأمثالهم فقام ابن هود بالامر ودعا بدعوة  
الخلافة العباسية بالمشرق وحمل الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا اليهم  
العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالامر بالاندلس ثم سما ابن الأجر بالامر وخالف  
ابن هود في دعوته فدعا هؤلاء ابن أبي حفص صاحب افرريقية من الموحدين وقام  
بالامر وتناوله بعصاية قليلة من قرابته كانوا يسمون الرؤساء ولم يحتج لاكثر منهم لقلعة  
العصائب بالاندلس وأنهم سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يجيز



اليه البحر من أعياص زناتة قصار و امعه عصبية على المشاغرة والرباط ثم سما صاحب  
المغرب من ملوك زناتة أمل في الاستيلاء على الاندلس فصار أولئك الاعياص عصابة  
ابن الأحمر على الامتناع منه الى أن تأذل أمره ورسخ وألفته النفوس وعجز الناس  
عن مطالبة وورثه أعقابه لهذا العهد فلا تظن أنه بغير عصابة قليل كذلك وقد كان  
مبدؤه بعصابة إلا أنهم اقليله وعلى قدر الحاجة فان قطر الاندلس لقليلة العصابات  
والقبائل فيه يغني عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غني عن العالمين

### ١٠ (فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد)

وذلك أن الملك كما قدمناه انما هو بالعصبية والعصبية متألفة من عصابات كثيرة تكون  
واحدة منها أقوى من الأخرى كلها فتغلبها وتستولى عليها حتى تصيرها جميعا في ضمنها  
وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسرهم أن العصبية العامة للقبيل  
هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقدتين في موضعه  
ان العناصر اذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج أصلا بل لا بد أن تكون واحدة  
منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتوَلِّفها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع  
العصابات وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم أهل بيت  
ورياسة فيهم ولا بد أن يكون واحد منهم رئيسا لهم غالباً عليهم فيتعين رئيسا للعصبيات  
كلها لغلب منبته لجمعها واذا تعين له ذلك من الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والافتة  
فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استباعتهم والتحكم فيهم ويحيى خلق  
التأله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لنفسه الكل  
باختلاف الحكام لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فتجد حينئذ أنوف العصبيات  
ويفلج شكائهم عن أن يسموا الى مشاركتهم في التحكم وتقرع عصبيتهم عن ذلك  
وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر لاناقة ولا جلا فينفرد بذلك المجد  
بكلية ويدفعهم عن مساهمته وقد يتم ذلك للأول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا للثاني  
والثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها الا أنه أمر لا بد منه في الدول سنة الله  
التي قد دخلت في عبادته والله تعالى أعلم

### ١١ (فصل في ان من طبيعة الملك الرف)

وذلك أن الأمة اذا تغلبت وملاكت ما بأيدي أهل الملك قبلها كثير ياشهوا ونعمتها  
فتكبر عواندهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته  
ويذهبون الى اتباع من قبلهم في عواندهم وأحوالهم وتصير لتلك النوافل عواند

ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية ويتفخرون في ذلك ويفخرون فيه غيرهم من الامم في أكل الطيب ولبس الاثيق وركوب الفاره وينبغي خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى أن يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة أن تبغها بحسب قوتها وعوائد من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى أعلم

## ١٢ (فصل في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون)

وذلك أن الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايةها الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضى السعي اليها (قال الشاعر)

عجبت لسعي الدهريني وبينها \* فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك أقصر واعن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فينبون القصور ويحجرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون بأحوال الدنيا ويؤثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في أحوال الملابس والمطاعم والآنية والفرش ما استطاعوا وبالفن ذلك ويورثونه من بعدهم من أجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى أن يتأذن الله بأمره وهو خير الحاكمين والله تعالى أعلم

## ١٣ فصل في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الافراد بالمجد وحصول الترف

والدعة اقبلت الدولة على الهرم

وبيانه من وجوه \* الاول أنها تقتضي الافراد بالمجد كما قلناه ومهما كان المجد مشتركين العصابة وكان سعيهم له واحدا كانت همهم في التغلب على الغير والذب عن الخوزة اسوة في طموحها وقوة شكائهم ومرماهم الى العز جميع وهم يستطيبون الموت في بناء مجدهم ويؤثرون الهلكة على فسادهم واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصيتهم وكبح من أعنتهم واستأثروا بالاموال دونهم فتسكسوا عن الغزو وفشل ربحهم ورعوا المذلة والاستعباد ثم ربي الجيل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء أجرا من السلطان لهم على الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواء وقبل أن يستأجروا أحد نفسه على الموت فيصير ذلك وهما في الدولة وخضدا من الشوكة وتقبل به على مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بذهاب البأس من أهلها \* الوجه الثاني أن طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمناه فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يني دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والمترف يستغرق عطاه بترفه ثم

يزداد ذلك في أجيالهم المتأخرة الى أن يقصر العطاء كله عن الترف وعوائده وتمسكهم  
الحاجة وقطالهم ملوكهم يحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجسدون ولا يهتجون  
فيوقعون بهم العقوبات ويتزعمون ما في أيدي الكثر منهم يستأثرون به عليهم  
أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن إقامة أحوالهم ويضعف  
صاحب الدولة يضعفهم وأيضا اذا كثرت الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصرا عن  
حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم  
حتى يستدخلهم وينزع عليهم والحماية مقداره ما معلوم ولا تزيد ولا تنقص وان زادت بما  
يستحدث من المكوس فيصير مقداره ما بعد الزيادة محددا فاذا وزعت الحماية على  
الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد عما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم  
نقص عدد الحماية حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر  
مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحماية وثالثا ورابعا الى أن يعود العسكر الى  
أقل الأعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها  
من الدول أو من هو تحت يديها من القبائل والعصائب ويأذن الله فيها بالفناء الذي  
كتبه على خليقته وأيضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر  
والفسافة وعوائدها كما يأتي في فصل الحضارة فتذهب منهم خلال الخير التي كانت  
علامة على الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر فيكون علامة  
على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك في خليقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب  
وتتضعع أحوالها وتنزل بها أمراض من منة من الهرم الى أن يقضى عليها \*  
الوجه الثالث أن طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه واذا اتخذ والدعة والراحة  
مألفا وخلقاصار لهم ذلك طبيعة وجبله شأن العوائد كلها وإلا فها فتربى أجيالهم  
الحادثه في غضارة العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون  
عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود الافتراس وركوب البداوة  
وهذا به القفر فلا يفرق بينهم وبين السوق من الحضرة في الثقافة والشارة فتضعف  
جمايتهم ويذهب بأسهم وتخذش وكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس به من  
ثياب الهرم ثم لا يزالون يتلقون بعوائد الترف والحضارة والسكون والدعة ورقة  
الحاشية في جميع أحوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة  
وينسجون عنها شيئا فشيئا وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى  
يعودوا على الاعلى حامية أخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدول التي أخبارها  
في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك كحيحان من غير رية وربما يحدث في الدولة اذا



طرقها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشيعة من غير  
جلادتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة  
الشدائد من الجوع والشظف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه  
أن يطررها حتى يأذن الله فيها بأمره وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فإن غالب  
جندها الموالي من الترك فتتخير ملوكهم من أولئك المماليك المجلوبين اليهم فرسانا  
وجندا فيكونون أجرا على الحرب وأصبر على الشظف من أبناء المماليك الذين كانوا  
قبلهم وروا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافر ببيعة  
فإن صاحبها كثيرا ما يتخذ أجناده من زناته والعرب ويستكثر منهم ويترك أهل الدولة  
المتعولين للترف فتستجبد الدولة بذلك عمرا آخر سالما من الهرم والله وارث الارض  
ومن عليها

#### ١٤ (فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كاللأشخاص)

اعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الاطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة  
وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات  
فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون أعمار بعض أهل القرانات مائة تامة وبعضهم  
خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرانات عند الناظرين فيها وأعمار هذه  
الملة ما بين الستين إلى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة  
وعشرون إلا في الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شأن نوح  
عليه السلام وقليل من قوم عاد وعود وأما أعمار الدول أيضا وإن كانت تختلف بحسب  
القرانات الآن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص  
واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غاية قال  
تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ولهذا قلنا أن عمر الشخص الواحد هو  
عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه في حكمة التيه الذي وقع في بني اسرائيل وأن المقصود  
بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل آخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه فدل على  
اعتبار الاربعين في عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد وانما قلنا أن عمر الدولة  
لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لأن الجيل الاول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونتها  
وتوحشها من شظف العيش والبسالة والاقتراس والاشتغال في المجد فلا تزال بذلك  
سورة العصبية محفوظة فيهم فخذهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم  
مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفع من البداوة إلى الحضارة ومن

الشغل الى الترف والخصب ومن الاشتغال في المجد الى انفراد الواحد به وكسل  
 الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتسكسرسورة العصبية  
 بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجليل  
 الاقول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد ومرامهم  
 في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلمة وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على  
 رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول أو على ظن من وجودها فيهم  
 وأما الجيل الثالث فينسبون عهد البداوة والخشونة كان لم تكن ويفقدون حلاوة  
 العز والعصبية بما هم فيه من ملذعة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تنكوه من  
 النعيم وغضارة العيش فيصبرون عيالا على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين  
 للمدانة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون  
 على الناس في الشارة والزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم  
 في الاكثر اجبن من النسوان على ظهورها فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مسدافته  
 فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ويستكثر  
 بالموالى ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب  
 الدولة بما حلت فهذه كآزاه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلقها ولهذا كان  
 انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في أن المجد والحسب انما هو في أربعة آباء  
 وقد أتينا الفيه ببرهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المقدمات  
 فتأمل قلن تعدد وجه الحق ان كنت من أهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة  
 عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدد الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله  
 أو بعده الا ان عرض لها عرض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصل  
 مستوليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء المطالب لما وجد مدافعا فاذا جاء أجلهم  
 لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزايد  
 الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجري على السنة الناس في المشهور أن عمر  
 الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصح لك عدد الآباء في عمود  
 النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استربت في عددهم  
 وكانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعند كل مائة من السنين ثلاثة من  
 الآباء فان نفدت على هذا القياس مع نفود عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل  
 فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وان زادت بمثل فقد سقط واحد وكذلك  
 تأخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك فتأمل تجد في الغالب صحيحا

والله يقدر الليل والنهار

١٥ (فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة)

اعلم أن هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصية  
وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الاقتراس ولا يكون ذلك غالبا الامع البداوة فطور  
الدولة من أولها بداوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الاحوال والحضارة انما  
هي تفرغ في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ  
والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فكل واحد منها  
صنائع في استجداته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكرر باختلاف  
ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعيم بأحوال الترف وما تلون به من  
العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه  
للكل وأهل الدول أبدأ يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم  
فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان  
الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبناءهم ولم يكونوا لذلك العهد  
في شئ من الحضارة فقد حكى أنه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبون رقا وعثروا على  
الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحا وأمثال ذلك فلما استعبدوا أهل  
الدول قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم الماهرة في أمثال  
ذلك والقومة عليه أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم  
من اتساع العيش والتفنن في أحواله فباعوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة  
والترف في الاحوال واستجداد المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة  
والفرش والابنية وسائر الماعون والخرثى وكذلك أحوالهم في أيام المباشرة  
والولائم وليالي الاعراس فانوا من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله السعدي  
والطبري وغيرهما في اعراس المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها  
لحاشية المأمون حين وافاه في خطبتها الى داره بقم الصلح وركب اليها في السفين  
وما أنفق في املاكها وما فتحها المأمون وأنفق في عرسها تنفق من ذلك على العجب  
فنه أن الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذي حضره حاشية المأمون فنثر  
على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملثونة على الرقاع بالضياع والعقار مسوغة لمن  
حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما آذاه اليه الاتفاق والبحت وفرق على الطبقة  
الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم



كذلك بعد أن اتفق في مقامة المأمون بداره أضعاف ذلك ومنه أن المأمون أعطاها  
في مهر خاليله زفافها ألف حصاة من البياقوت وأوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة  
من وهو رطل وثلاثون وبسط لها فرشاً كان الحصر منهن مائة وثمانون مكالاً بالدر  
والبياقوت وقال المأمون حين رآه قاتل الله أبانواس **ك**أنه أبصر هذا حيث يقول  
في عمدة الخمر

كان صغرى وكبرى من فواقعها \* حسباء در على أرض من الذهب  
وأعدت دار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة وأربعين بغلام مدة عام كامل ثلاث  
مرات في كل يوم وفي الحطب للمبتلين وأوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت وأرسل إلى  
النواية بأحضار السفن لأجزة الخواص من الناس بدجلة من بغداد إلى قصور  
الملك بمدينة المأمون لحضور الوليمة فكانت الحركات المعدة لذلك ثلاثين ألفاً أجازوا  
الناس فيها أخريات نهارهم وكثير من هذا وأمثاله وكذلك عرس المأمون بن ذي  
النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد أن كانوا كلهم في الطور  
الأول من البداوة عاجزين عن ذلك جله لفقدان أسبابه والقائمين على صناعته في  
غضاضتهم وسداجتهم يذكر أن الحجاج أولم في اختتان بعض ولده فاستحضر بعض  
الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس وقال أخبرني بأعظم صنيع شهدته فقال له نعم أيها  
الأمير شهدت بعض مرازمة كسرى وقد صنع لاهل فاوس صنيعاً أحضر فيه صحاف  
الذهب على أخونة الفضة أربعاً على كل واحد وتحملة أربع وصائف ويجلس عليه  
أربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا أربعهم المائدة بصحافها ووصائفها فقال الحجاج  
يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس وعلم أنه لا يستقل بهذه الأبهة وكذلك كان  
\* ومن هذا الباب أعطية بني أمية وجوائزهم فأنما كان أكثرها الأبل أخذوا  
بمذاهب العرب وبدادتهم ثم كانت الجوائز في دولة بني العباس والعباسيين من بعدهم  
ما علمت من أحوال المال وتخون الثياب وأعداد الخيل بمراكبها وهكذا كان شأن  
كثامة مع الأغلبة بأفريقية وكذلك شأن زنادة مع الموحدية مع ملوك الطوائف  
بالاندلس والموحدين كذلك شأن زنادة مع الموحدية وهلم جرا تنتقل الحضارة من  
الدول السالفة إلى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى أمية وبني  
العباس وانتقلت حضارة بني أمية بالاندلس إلى ملوك المغرب من الموحدية وزنادة  
لهذا العهد وانتقلت حضارة بني العباس إلى الديلم ثم إلى الترك ثم إلى السلجوقية ثم إلى  
الترك المماليك بمصر والترك العراقيين وعلى قدر عظم الدولة يكثر شأنها في الحضارة  
إذا مور الحضارة من توابع الترف والترفع من توابع الثروة والنعمة والثروة والنعمة

قوله وثلاثون الذي  
في كتب اللغة  
ان المن رطل وقيل  
رطلان ولم يوجد في  
النسخة التونسية  
الثلاثون اهـ

الحركات بالفتح  
جمع حراقة سفينة  
فيها مرامي نار يرمى  
بها العدو وهي متار

من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه أهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله  
فاعتبره وتفهمه وتأمله تجده صحيحا في العمران والله وارث الارض ومن عليه ما هو  
خير الوارثين

١٦ (فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها)

والسبب في ذلك أن القبيل اذا حصل لهم الملك والترف كثرت النسل والولد والعمومية  
فكثرت العصاية واستكثروا أيضا من الموالى والصنائع وربيت أجبا لهم في جو ذلك  
النعيم والرفه فازدادوا بهم عدد الى عدد هم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصاب  
حينئذ بكثرة العدد اذا ذهب الجليل الاول والثاني وأخذت الدولة في الهرم لم تستقل  
أولئك الصنائع والموالى بأنفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها لانهم ليس لهم من  
الامر شيء انما كانوا اعيالا على أهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل  
الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا  
بما وقع في الدولة العربية في الاسلام كان عدد العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة  
وخسين ألفا وما يقاربهم من مضروقطان ولما بلغ الترف مبالغته في الدولة وتوفر نعمتهم  
توفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالى والصنائع بلغ ذلك العدد الى أضعافه يقال  
ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة ألف ولا يعد مثل هذا العدد أن  
يكون صحيحا اذا اعتبرت حاميهم في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند  
الحاملين سرير الملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودي أحصى بنو العباس بن  
عبد المطلب خاصة أيام المأمون للانفاق عليهم فكانوا ثلاثين ألفا بين ذكران وإناث  
فانظر مبالغ هذا العدد لاقول من مائتي سنة واعلم أن سببه الرفه والنعيم الذي حصل  
للدولة وربى فيه أجبا لهم والاف عدد العرب لاقول النفع لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله  
الخالق العليم

١٧ (فصل في احوال الدولة واختلاف احوالها وخلقها بما باختلاف الاطوار)

(اعلم) أن الدولة تتمثل في أطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في  
كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع  
بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة  
أطوار الطور الاول طور الطفول بالبغيه وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك  
وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور راسوة  
قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا يتفردونهم

بشئ لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تنزل بعد بحالها الطور  
 الثاني طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكنهم عن التطاول  
 للمساهمة والمشاركة ويكرن صاحب الدزلة في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال  
 واتخاذ الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك لجدع أنوف أهل عصبية وعشيرته  
 المقاسمين له في نسبه الضاربين في الملك مثل سهمه فهو يدافعهم عن الأمر ويصدّهم  
 عن موارد ويردّهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه حتى يقرّ الأمر في نصابه ويفرد أهل  
 بيته بما ينبغي من مجده فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب  
 الأمر أو أشدّ لأن الأولين دافعوا لأجانب فكان ظهراً لهم على مدافعتهم ثم أهل  
 العصبية بأجمعهم وهذا يدفع الأقارب لا يظهرون على مدافعتهم إلا الأقل من الأبعد  
 فيركب صعباً من الأمر الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك  
 مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ  
 وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها وتشديد المباني  
 الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهيكل المرتفعة واجازة الوفود من  
 أشرف الأمم ووجوه القبائل وبث المعروف في أهله هذا مع التوسعة على صنائعه  
 وحاشيته في أحوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وادرار أوزاقهم وانصافهم في  
 أعطيائهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشكّتهم وشارائهم ثم  
 الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور آخر أطوار  
 الاستبداد من أصحاب الدولة لأنهم في هذه الأطوار كلها مستقلون بأرائهم بانون اعزهم  
 موضعون الطرق لمن بعدهم الطور الرابع طور القنوع والمسالمة ويكون صاحب  
 الدولة في هذا قائماً بما ينبغي أولوه سلماً لا تنظاره من الملوك واقتاله مقلد للماضين من  
 سائمه فيتبع آثارهم حذر النعل بالنعل وبقية طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء ويرى  
 أن في الخروج عن تقليد هم فساد أمره وأنهم أبصر بما ينوون من مجده الطور الخامس  
 طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفاً لما جمع أولوه في  
 سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطائنه وفي مجالسه واصطناع أخذان السوء  
 وخضراء الدمن وتقليد هم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها ولا يعرفون  
 ما يأتون ويذرون منها مستفسد الكبار الأولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغوا  
 عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضطجعين من جنده بما أنفق من أعطيائهم في شهواته ووجب  
 عنهم وجه مباشرته وتفقده فيكون مخرباً لما كان سلفه يؤسسون وهاهنا ما كانوا  
 يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمر



الذى لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معبره الى أن تنقرض كما نبينه في الاحوال التى  
تسردها والله خير الوارثين

### ١٨ (فصل فى ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها فى اصلها)

والسبب فى ذلك أن الآثار انما تحدث عن القوة التى بها كانت أولا وعلى قدرها  
يكون الاثر فمن ذلك مباني الدولة وهما كلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة  
فى أصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعل واجتماع الايدى على العمل والتعاون فيه فاذا  
كانت الدولة عظيمة فسيحج الجوانب كثيرة الممالك والراعايا كان الفعل كثير من جذا  
وحشروا من آفاق الدولة وأقطارها فتم العمل على أعظمها كله ألا ترى الى مصانع  
قوم عاد وعود وما قصه القرآن عنهم ما وانظر بالمساهدة ايوان كسرى وما اقتدر  
فيه القرس حتى انه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فسكاه عنه وشرع فيه ثم أدركه  
الجزوقصة استشارته ليحيى بن خالد فى شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء  
لا تستطيع أخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء فى السهولة تعرف من ذلك  
بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بنى أمية بقرطبة والقنطرة  
التي على واديها وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة فى القناة الراكبة  
عليها وآثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة للاميان  
تعلم منه اختلاف الدول فى القوة والضعف واعلم أن تلك الافعال للاقدمين انما كانت  
بالهندام واجتماع الفعل وكثرة الايدى عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع  
ولا تنوهم ما تنوهم العامة ان ذلك لعظم أجسام الاقدمين عن أجسامنا فى أطرافها  
وأقطارها فليس بين البشر فى ذلك كبير بون كما تجد بين الهياكل والآثار ولقد ولع  
القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وعود والعمالقة فى ذلك أخبارا عريقة  
فى الكذب من أغربها ما يحكون عن عوج بن عناق رجل من العمالقة الذين قاتلهم  
بنو اسرائيل فى الشام زعموا أنه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه الى  
الشمس ويزيدون الى جهلهم بأحوال البشر الجهل بأحوال الكواكب لما اعتقدوا  
أن للشمس حرارة وأنها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحر هو الضوء وأن الضوء  
فما قرب من الارض أكثر لا انعكاس الاشعة من سطح الارض بمقابلته الاضواء  
فتتضاعف الحرارة هنالاجل ذلك واذا تجاوزت مطارج الاشعة المنعكسة فلا حر  
هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجارى السحاب وان الشمس فى نفسها لا حارة ولا باردة  
وانما هو جسم بسيط معنى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره من  
العمالقة أو من الكنعانيين الذين كانوا فريسة بنى اسرائيل عند فتحهم الشام

قوله ابن عناق  
الذى فى القاموس  
فى باب الجيم عوج  
ابن عوج بالواو  
والشهور على  
أسنة الناس عنق  
بالتون اه

وأطوال بني إسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريية من هياكلنا يشهد لذلك أبواب  
بيت المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على اشكالها ومقادير أبوابها  
وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار وانما مشار غلطهم في  
هذا أنهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل  
بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصرفوه الى قوة الاجسام وشدة بها بعظم هياكلها  
وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة من عمال المستند له  
الا التحكم وهو أن الطبيعة التي هي جملة للأجسام لما برأ الله الخلق كانت في تمام  
الكرة ونهاية القوة والكمال وكانت الاعمار أطول والاجسام أقوى لكمال تلك  
الطبيعة فان طر والموت انما هو بالخلال انقوى الطبيعة فاذا كانت قوية كانت  
الاعمار أزيد فكان العالم في أولية نشأته تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص  
لنقصان المادة الى أن بلغ الى هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت  
الانحلال وانقراض العالم وهذا رأى لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية  
ولاسبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين وأبوابهم وطرقهم فيما أحدثوه  
من البنين والهياكل والديار والمساكن كديار غودا المنحوتة في الصلدم من الصخر يوتا  
صغارا وأبوابها ضيقة وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى أنها ديارهم ونهى عن  
استعمال مياهم وطرح ما يحن به وأغرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا  
أنفسهم الآن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم وكذلك أرض عاد ومصر والشام  
وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قرناه ومن آثار الدول أيضا حالها في الاعراس  
والولائم كما ذكرناه في ربيعة بوران وصنيع الججاج وابن ذى النون وقد مر ذلك كله ومن  
آثارها أيضا عطايا الدول وأنها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو أشرفت على الهرم  
فان الهمم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغايتهم للناس والهمم لا تزال  
مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتبر ذلك بجواز ابن ذى يزن لو قد قرئ كيف  
أعطاهم من أرتال الذهب والفضة والاعبد والوصائف عشرين عشرين ومن كرش  
العنبر واحدة وأضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبدا المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن  
خاصة تحت استبداد فارس وانما حمله على ذلك هممة نفسه بما كان اقومه التبابعة من  
الملك في الارض والغلب على الامم في العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون  
بافر يقية أيضا اذا أجازوا الوفاء من أمراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال  
أحمالا والكساء تحونا ملوأة والحملات جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك  
أخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجوائزهم ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا ماعدا

فانما هو الولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفده يوم أو بعض يوم وأخبارهم  
في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي  
الكاتب قائد جيش العبيدين لما ارتحل الى فتح مصر استعد من القيروان بألف حمل  
من المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط أحمد بن محمد بن عبيد  
الحديد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نقلته من  
جراب الدولة \* (غلات السواد) \* سبع وعشرون ألف درهم مرتين وثمانمائة  
ألف درهم ومن الحال النجراوية مائة تاحلة ومن طبر الحتم مائة وأربعون رطلا  
\* (كنكر) \* أحد عشر ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم \* (كوردجله) \*  
عشرون ألف درهم وثمانية دراهم \* (حلوان) \* أربعة آلاف درهم  
مرتين وثمانمائة ألف درهم \* (الاهواز) \* خمسة وعشرون ألف درهم مرة ومن  
السمرقند ثلاثون ألف رطل \* (فارس) \* سبعة وعشرون ألف درهم ومن  
ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ومن الزيت الاسود عشرون ألف رطل \* (كرمان) \*  
أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومائة ألف درهم ومن المتاع اليمني خمسمائة ثوب  
ومن القز عشرون ألف رطل \* (مكران) \* أربعة مائة ألف درهم مرة \* (السند  
وما يليه) \* أحد عشر ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم ومن العود الهندي  
مائة وخمسون رطلا \* (بجستان) \* أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن الثياب  
المعينة ثلاثمائة ثوب ومن الفانيد عشرون رطلا \* (خراسان) \* ثمانية وعشرون  
ألف درهم مرتين ومن نقر الفضة ألفانقرة ومن البرازيل أربعة آلاف ومن  
الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون ألف ثوب ومن الاهليلج ثلاثون ألف رطل  
\* (جرجان) \* اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن الابريس ألف شقة \* (قودس) \*  
ألف ألف مرتين وخمسمائة ألف من نقر الفضة \* (طبرستان والروبان ونهاوند) \*  
ستمائة ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرس الطبري ستمائة قطعة ومن  
الاكسية مائة ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الحمامات  
ثلثمائة \* (الري) \* اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن العسل عشرون  
ألف رطل \* (همدان) \* أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وثلثمائة ألف ومن  
رب الرمانين ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل (ما بين البصرة والكوفة)  
شجرة آلاف ألف درهم مرتين وسبع مائة ألف درهم \* (ماسبدان والدينار) \* أربعة  
آلاف ألف درهم مرتين \* (شهرزور) \* ستة آلاف ألف درهم مرتين وسبع مائة  
ألف درهم \* (الموصل وما إليها) \* أربعة وعشرون ألف ألف درهم مرتين ومن

قوله والدينار  
الظاهر انها الدينور  
وفي الترجمة التركية  
ماسبدان وربان اه



العسل الأبيض عشرون ألف رطل \* (اذربيجان) \* أربعة آلاف ألف درهم مرتين \* (الجزيرة وما يليها من أعمال الغرات) \* أربعة وثلاثون ألف درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف ذق ومن البزاة عشرة ومن الأكسية عشرون \* (ارمنية) \* ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلا ومن المسايح السورماهي عشرة آلاف رطل ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ومن المهرة ثلاثون \* (قنسرين) \* أربع مائة ألف دينار ومن الزيت ألف حمل \* (دمشق) \* أربع مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار \* (الاردن) \* سبعة وتسعون ألف دينار \* (فلسطين) \* ثلاثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل \* (مصر) \* ألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار \* (برقة) \* ألف ألف درهم مرتين \* (افريقية) \* ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون \* (اليمن) \* ثلثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار سوى المتاع \* (الحجاز) \* ثلاثمائة ألف دينار انتهى \* وأما الاندلس فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها أن عبد الرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقناطر خمسمائة ألف قنطار \* ورأيت في بعض تواريق الرشيد أن الممول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتضيق حوصلتك عند ملئمة الممككات فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادربالانكار وليس ذلك من الصواب فان أحوال الوجود والعمران متناوئة ومن أدرك منها رتبة سفلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن إذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعباسيين وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لا شك فيه بالذي نشاهد من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها وجدنا بينها وبيننا وهو ما بينهما من التفاوت في أصل قوتها وعمران مما لا يمكنها فالا تاركها اجارية على نسبة الأصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها إذ كثير من هذه الأحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والمتواتر وفيها المعايير والمشاهد من آثار البناء وغيره فخذ من الأحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها وضعفها وخطامتها أو ضعفها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة وذلك أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف

قوله ومن البزاة  
الحق في التركية ومن  
السكك عشرة  
صناديق هـ

يا بن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق  
واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل  
بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوهر وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب  
المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن  
رحلته وما رأى من العجائب بمالك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب  
الهند ويأتى من أحواله بما يستغرب السامعون مثل أن ملك الهند اذا خرج الى  
السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر  
تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس  
كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحفل منجنيقات على  
الظهر ترمى بها سكاثر الدراهم والدنانير على الناس الى أن يدخل ابوانه وأمثال هذه  
الحكايات فتناجي الناس بتكذيبه \* واقعت أيامه مذويز السلطان فارس بن  
وردار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته انكارا خبار ذلك الرجل لما  
استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك أن تستنكر مثل هذا  
من أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزيرا  
اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل  
عن اللحم الذي كان يتغذى به فقال له أبوه هذا لحم الغنم فقاتل وما الغنم فيصنفها له  
أبوه بشيائها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول أين الغنم من  
الفأر وكذا في لحم الابل والبقر اذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات الا الفار فيحسبها  
كلها أبناء جنس الفار وهذا كثيرا ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في  
الزيادة عند قصد الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن  
مهيئاً على نفسه ومميزاً بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما  
دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق  
فان نطاقه أوسع شئ فلا يفرض حداً بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة  
التي للشيء فاننا اذا نظرنا أصل الشئ وجنسه وصفته ومقدار عظمته وقوته أجرينا الحكم  
من نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علماً  
وأنت أرحم الراحمين والله سبحانه وتعالى أعلم

كان ابتداء رحلته  
ابن بطوطة سنة  
٧٢٥ وانتهى بها  
سنة ٧٥٤ وهي  
عجيبية ومختصرة  
تجويد كرايس اهـ

١٩ (فصل في استظهار صاحب الدلالة على قومه واهل عصبيته بالموالي والمهملين)

(اعلم) أن صاحب الدولة انما يتم أمره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهور أثره على شأنه

وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم من يقلد أعمال مملكتهم ووزارة دولته وجباية أمواله لأنهم أعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساعدوه في سائر مهماته هذا مادام الطور الاول للدولة كما قلناه فاداء الطور الثاني وظهور الاستبداد عنهم والانفراد بالمجوداد فاعلم عنه بالراح صاروا في حقيقة الامر من بعض أعدائه واحتجاج في مدافعهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى أولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب اليه من سائرهم وأخص به قربا واصطناعا وأولى ايشارا وجاهالما أنهم يستمتعون بدونه في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والرتبة التي ألفوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بزيد التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل مال الكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به انفسه وتكون خالصة له دون قومه من ألقاب المملكة لأنهم حينئذ أولياءه الأقربون ونصاؤه المخلصون وذلك حينئذ مؤذن باهتمام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها الفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع في برئها من هذا الداء لأنه ماضى يتأكد في الاعقاب الى أن يذهب رسما واعتبر ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولاية أعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار وأمثالهم من رجالات العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها أيضا برجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد بالمجود كبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة للجهم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني طاهر ثم بنو بويه وموالي الترك مثل بغاوصيف ونامش وبالكاء وابن طولون وأبنائهم وغير هؤلاء من موالى الجهم فتكون الدولة لغير من مهدها والعز لغير من اجتلبه سنة الله في عباده والله تعالى أعلم

### ٢٠ (فصل في احوال الموالى والمصطنعين في الدول)

اعلم أن المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديهم وحديثهم في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك أن المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناسل في ذوى الارحام والقربى والتخاذل في



الاجانب والبعداء كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق أو بالحلف تتزل منزلة ذلك لان  
 أمر النسب وان كان طبيعياً فانما هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو  
 العشرة والمدافعة وطول الممارسة والحمية بالمربي والرضاع وسائر أحوال الموت  
 والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر وهذا ما شاهد بين الناس  
 واعتبر مثله في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من  
 الوصلة تتزل هذه المنزلة وتوصف كد اللحمة وان لم يكن نسب فثمرات النسب موجودة  
 فاذا كانت هذه الولاية بين القبيل وبين أوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقتها  
 أو شجوعها أقدم ونسبها أصح ونسبها أوضح لوجهين أحدهما أنهم قبل الملك اسوة في حالهم  
 فلا يميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فيتزلون منهم منزلة ذوى قرابتهم وأهل  
 أرحامهم واذا اصطنعوه بعد الملك كانت مرتبة الملك حمزة للسيد عن المولى ولاهل  
 القرابة عن أهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه أحوال الرياسة والملك من تميز الرتب  
 وتفاوتها فتميز حالهم ويتزلون منزلة الاجانب ويكرن الالتحام بينهم أضعف والتناصر  
 لذلك أبعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك \* الوجه الثاني أن الاصطناع  
 قبل الملك يبعد عهده عن أهل الدولة بطول الزمان ويخفى شأن تلك اللحمة ويظن بهم في  
 الاصل كثر النسب فيقوى حال العصية وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى في  
 معرفته الا كثر فتيين اللحمة وتميز عن النسب فتضعف العصية بالنسبة الى الولاية  
 التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل  
 حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده أشد التماساً به وأقرب قرابة اليه ويتزل منه منزلة  
 أبنائه واخوانه وذوى رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه  
 لا يكون له من القرابة واللحمة ما للاولين وهذا ما شاهد بالعيان حتى ان الدولة في آخر  
 عمرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل  
 الدولة لقرب العهد حينئذ باوليتهم ومشاركة الدولة على الانقراض فيكونون منخطين  
 في مهاوى الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن  
 أوليائهم الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعتريهم في أنفسهم من العزة على صاحب الدولة  
 وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره قبيله وأهل نسبه لتأكد اللحمة منذ العصور  
 المتطاولة بالمربي والاتصال بأبائه وسلف قومه والانتظام مع كبراء أهل بيته فيحصل لهم  
 بذلك دالة عليه واعتزاز فيناظرهم بسببها احب الدولة ويعبدل عنهم الى استعمال  
 سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريباً فلا يلبغون رتب المجد ويقتون  
 على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في أواخرها وأكثر ما يطلق اسم الصنائع

والاولياء على الاولين وأما هؤلاء المحرّتون فخدم وأعوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شيء وكيل

٢١ (فصل فيما مرض في الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه)

إذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القائم بالدولة وانفرد رابه ودفعوا سائر القبيل عنه وتداوله بنوهم واحد بعد واحد بحسب الترشيع فربما حدث التغلب على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم وسببه في الاصل ثرو لاية صبي صغير أو مضغف من أهل المنبت يترشح للولاية بعهد أبيه أو بترشيح ذويه وخواله ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه أو قبيله ويورى بحفظ أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوها الهاترف أحواله ويسميه في مراعيها متى أمكنه وينسبه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد أن حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرير واعطاء الصفقة وخطاب التحويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحل والربط والامر والنهي ومباشرة الاحوال الملوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والمال والتغور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى أن تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويؤثر به عشيرته وأبناءه من بعده كما وقع لبنى بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالمشرق والمغرب بن أبي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجور المغلب لشأنه فيحاول على الخروج من رتبة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب على أيدي المتغلبين عليه اما يقتل أو يرفع عن الرتبة فقط الا أن ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا أخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل أن تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة أبناء الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولة وألفوا أخلاق الدايات والأظفار وربوا عليهم فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انما همهم في القنوع بالأنهية والتفنن في اللذات وأنواع الترف وهذا التغلب يكون للموالى والمصطنعين عند استبداد عشير الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضرورى كما قد مناه وهذا من مرضان لابرء للدولة منهما الا في الاقل النادر والله يوفقى ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

٢٢ (فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركون في اللقب الخاص بالملك)

وذلك أن الملك والسلطان حصل لاواه مذكور الدولة بعصبة قومه وعصبيته التي

استتبعهم حتى استحكمتم له واقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها  
 انحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا التغلب وان كان صاحب عصية من قبيل الملك أو  
 الموالي والصنائع فعصيته مندرجة في عصية أهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في  
 الملك وهو لا يحاول في الاستبداد انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع ثمراته من  
 الامر والنهي والحل والعقد والابرار والنقض يوهم فيها أهل الدولة أنه منصرف عن  
 سلطانه منقذ في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك وشاراته  
 وألقابه جهده ويبعد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في  
 استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان وأولوهم على أنفسهم عن القبيل منذ أقول  
 الدولة ومغاط عنه بالنيابة ولوقع من لشي من ذلك لنفسه عليه أهل العصية وقبيل  
 الملك وحاولوا الاستثارة دونه لانه لم تستحكم له في ذلك صبغة تحملهم على التسليم له  
 والانقياد ليهلك لا قول وهله وقد وقع مثل هذا العبد الرحمن بن الناصر بن المنصور بن  
 أي عامر حين سما الى مشاركة هشام وأهل بيته في لقب الخلافة ولم يقنع بما قنع به أبوه  
 وأخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم المتابعة فطلب من هشام خليفته أن  
 يعهده بالخلافة فنفس ذلك عليه بنومر وان وسائر قریش وباعوا لابن عم الخليفة  
 هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة العامريين  
 وهلاك المؤيد خليفة ثم واستبدل منه سواه من أعيان الدولة الى آخرها واختلت  
 من اسم ملكهم والله خير الوارثين

قوله لنفسه بفتح  
 اللام والهمزة  
 وكسر الفاء يقال  
 نفس عليه الشيء  
 كفتح الميم يره أهلا  
 له كما في القاموس

### ٢٣ (فصل في حقيقة الملك وامتنافه)

الملك منصب طبيعي للانسان لا ما قد ينشأ أن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم  
 الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة  
 الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته يأخذها من صاحبه  
 لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمانعها الاخر عنها  
 بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المقتضى الى  
 المقاتلة وهي تؤدي الى الهرج وسفك الدماء وازهاب النفوس المقتضى ذلك الى انقطاع  
 النوع وهو مما خصه البارئ سبحانه بالحفاظة فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع  
 بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى  
 الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من العصية لما قد مناه من أن  
 المطالبات كلها والمدافعات لانتم الابالعصية وهذا الملك كما تراه منصب شريف تتوجه



نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شئ من ذلك الا بالعصيات كما امر  
والعصيات متقاوة وكل عصية فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرتها  
وليس الملك لكل عصية وانما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويحجب الاموال  
ويبعث البعوث ويحصى الثغور ولا تكون فوقه يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته  
في المشهور فنقصرت به عصيته عن بعضها مثل حماية الثغور أو جباية الاموال أو  
بعث البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة  
الاغالبية بالقيروان والملك العجم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصيته أيضا عن  
الاستعلاء على جميع العصيات والضرب على سائر الايدي وكان فوقه حكم غيره فهو  
أيضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهؤلاء مثل امراء النواحي ورؤساء الجهات الذين  
تجملهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المتسعة النطاق أعني توجد ملوك  
على قومهم في النواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جعلتهم مثل صنهاجة مع  
العبيدين وزناتة مع الامويين تارة والعبيدين تارة أخرى ومثل ملوك الهيم في دولة  
بنى العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع الفرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك  
الطوائف من القرص مع الاسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده  
والله القاهر فوق عباده

### ٢٤ (فصل في ان ارباب المدة ضربا بالملك ومفسدا في الاكثر)

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحه  
وجهه أو عظم جثمانه أو اتساع عمله أو جودة خطه أو ثقب ذهنه وانما مصلحة لهم فيه  
من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي نسبة بين  
منتسبين لحقيقة السلطان انه الملك للرعية القائم في امورهم عليهم فالسلطان من له  
رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث اضافته لهم هي التي تسمى الملكية  
وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكية وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من  
السلطان على اتم الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت  
سيئة متعسفة كان ذلك ضرا عليهم واهلا كالهم ويعود حسن الملكية الى الرفق فان  
الملك اذا كان قاهرا باطشيا بالعقوبات منقبعا عن هورات الناس وتعديد ذنوبهم شملهم  
الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فخلقوا به او فسدت بضائرهم  
وأخلاقهم وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات  
وربما أجمعوا على قتله لذلك فتنفسد الدولة ويخرب السبيل وان دام أمره عليهم وقهره

فندت العصبية لما قلناه أولاً وفسد السياج من أصله بالمجزع الحماية وإذا كان  
 رفيقاً بهم متجاوزاً عن سيئاتهم استناموا إليه ولا ذوابه وأشر بواجبه واستماوا دونه  
 في محاربة أعدائه فاستقام الأمر من كل جانب وأما توابع حسن الملكة فهي النعمة  
 عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم  
 فنجله الرفق بهم والنظر إليهم في معاشهم وهي أصل كبير في التحبب إلى الرعية واعلم  
 أنه قلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظاً شديداً الذكاء من الناس وأكثر ما يوجد  
 الرفق في الغفل والمتغفل وأقل ما يكون في اليقظ أنه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ  
 نظره فيما وراء مداركهم وإطلاعه على عواقب الأمور في مبادئها بالمعينة فيهلكون  
 لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيرا على سير أضيء فكم ومن هذا الباب اشتراط الشارع  
 في الحاكم قلة الإفراط في الذكاء وما أخذه من قصة زياد بن أبي سفيان لما عزلته عمر عن  
 العراق وقال لم عزلتني يا أمير المؤمنين ألمجزأ من الخيانة فقال عمر لم أعزلك لواحده منهم  
 ولكني كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس فأخذ من هذا أن الحاكم لا يكون مفرطاً  
 الذكاء والكيس مثل زياد بن أبي سفيان وعمر بن العاصي لما يتبع ذلك من التعسف  
 وسوء الملكة وجمال الوجود على ما ليس في طبعه كما يأتي في آخر هذا الكتاب والله خير  
 المالكين وتتر من هذا أن الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لأنه إفراط في  
 الفكر كما أن البلادة إفراط في الجود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية  
 والحمود هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج  
 والخبث وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات  
 الشيطان فيقال شيطان ومتشيطان وأمثال ذلك والله يحلق ما يشاء وهو العليم القدير

### ٢٥ (فصل في معنى الخلافة والامانة)

لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر وقد قضاه التغلب والقهر  
 اللذان هما من آثار الفضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن  
 الحق بحقيقة عن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم لجهلهم في الغالب على ما ليس في  
 طوقهم من أغراضه وشهوته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف  
 منهم فتعسر طاعته لذلك وتجب العصبية المفضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يرجع  
 في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكفاية وينقادون إلى أحكامها كما  
 كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم وإذا دخلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب  
 أمرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله في الذين خلوا من قبل فإذا كانت هذه القوانين

مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلاء وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل إذا غايتهم الموت والفناء والله يقول أخسبتم أنما خلقناكم عبثا فآلتمصود بهم انما هو دينهم المفضي بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فجاءت الشرائع بمحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطة بنظر الشارع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في مراعاة خور وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها مذموم أيضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور لان الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو غيب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ذلك أو غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي أعمالكم ترد عليكم وأحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع جل الكافة على الاحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعي هو جل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسبب اسى هو جل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هي جل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخرية والدنيوية الراجعة اليها اذا احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نوردكم عليكم من بعد والله الحكيم العليم

## ٢٦ (فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه)

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة وامام فاما تسميته اماما فتشبه بابامام الصلاة في اتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فأجاز به بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي لا تدمين في قوله تعالى اني



جاعل في الارض خليفة وقوله جعلكم خلافة الارض ومنع الجمهور منه لان معنى  
 الآية ليس عليه وقد نهى أبو بكر عنه لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان الاستخلاف انما هو في حق الغائب وأما الحاضر فلا  
 ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان  
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته باذروا الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه  
 وتسليم النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في  
 عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض  
 الناس الى أن مدرك وجوبه العقل وأن الاجماع الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل  
 فيه قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم  
 منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فمال يكن الحاكم الوازع  
 أفضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد  
 الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في  
 البشر وقد نبهنا على فساد وان احدى مقدماته أن الوازع انما يكون بشرع من الله  
 تسلم له الكفاية تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة الملك  
 وقهر أهل الشوكة ولو لم يكن شرع كافي أمم الجوس وغيرهم عن ليس له كتاب ولم تبلغه  
 الدعوة أو نقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل  
 فادعاهم أن ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير  
 صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء أهل الشوكة أو بامتناع الناس  
 عن التنازع والتظالم فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على أن  
 مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قد مناه وقد شد بعض الناس فقال  
 بعدم وجوب هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الامم من المعتزلة وبعض  
 الخوارج وغيرهم والواجب عنده هؤلاء انما هو امضاء أحكام الشرع فاذا واطأت  
 الامة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء  
 مجبوجون بالاجماع والذي جعلهم على هذا المذهب انما هو القرار عن الملك ومذاهبه  
 من الاستطالة والتغلب والاستماتة بالدينا المارأوا الشريعة متمثلة بدم ذلك والنبي  
 على أهله ومريغة في رفضه واعلم أن الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما  
 ذم المفاصد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك أن في هذه مفاصد  
 محظورة وهي من توابعه كما أثني على العدل والصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه  
 وأوجب بازائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذا انما وقع الذم للملك على صفة

وحال دون حال اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكيفية لدعاية الضرورة اليها وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهم ما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يغنيكم شيئا لانكم موافقون على وجوب اقامة أحكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصية والشوكة والعصية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما فرت عنه واذا تقررت أن هذا النصب واجب باجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار أهل العقد والخل فتعين عليهم نصيبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم \* وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الخواص والاعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل واختلاف في شرط خامس وهو النسب القرشي فأما اشتراط العلم فظاهر لانه انما يكون منفذا لأحكام الله تعالى اذا كان عالما بما اوامره يعلمها لا يصح تقديمه لاهل ولا يكفي من العلم الا أن يكون مجتهدا لان التقليد ناقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال وأما العدالة فلانه منصب ديني يتظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها وفي انتفاءها لبدع الاعتقادية خلاف وأما الكفاية فهو أن يكون جرياً على اقامة الحدود واقحام الحروب بصيرها كفيل يحمل الناس عليها عارفا بالعصية وأحوال الدهاء قوي باعلى معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الأحكام وتدبير المصالح وأما سلامة الخواص والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فاقده من الاعضاء في العمل كفقد الدين والرجلين والاثمين فتشترط السلامة منها كلها التأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان غائبين في المنظر فقط كفقده احدى هذه الاعضاء فتشترط السلامة منه شرط كمال ويلحق بفقده ان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف بجله بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الجبر باستيلاء بعض أعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاقة فينتقل النظر في حال هذا المستولي فان جرى على حكم الدين والعدل وحيد السياسة جازا قراره والاستنصار المسلمون بن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى يتفقد فعل الخليفة

وأما التسبب القرشي فلا جماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على  
 الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عباد وقالوا منكم أمير ومنكم أمير بقوله صلى الله  
 عليه وسلم الأئمة من قريش وبأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصانا بأن نحسن إلى  
 محسنكم وتجاوز عن مسيئتهم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فنجوا  
 الانصار ورجعوا عن قولهم منكم أمير ومنكم أمير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة  
 سعد لذلك وثبت أيضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في هذا الحكي من قريش وأمثال  
 هذه الأدلة كثيرة إلا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف  
 والنعيم وبما أفقتهم الدولة في سائر أقطار الارض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة  
 وتغلبت عليهم الاعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى  
 ذهبوا إلى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه  
 وسلم اسمعوا وأطيعوا وان ولي عليكم عبد حبشي ذو زينة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك  
 فإنه خرج مخرج التمثيل والفرض لا المبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر  
 لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليت له ولما دخلتني فيه الظنة وهو أيضا لا يفيد ذلك لما  
 علمت أن مذهب الصحابي ليس بحجة وأيضا فولي القوم منهم وعصية الولا حاصله السلام  
 في قريش وهي الفائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها  
 كأنها مفقودة في ظنه عدل إلى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من  
 النسب المفيد للعصية كما ذكر ولم يبق الا صراحة النسب فرآه غير محتاج اليه اذا الفائدة  
 في النسب انما هي العصية وهي حاصله من الولا فكان ذلك حراما من غير رضي الله  
 عنه على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا ملحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن  
 القائلين بنفي اشتراط القرشية القاضي أبو بكر الباقلاني لما أدركه عليه عصية قريش  
 من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فأسقط شرط القرشية  
 وان كان موافقا لرأي الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء بعدهم وبقي الجمهور على  
 القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد  
 عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقرى بها على أمره لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب  
 العصية فقد ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك أيضا إلى  
 العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع \* ولتسلكم الآن  
 في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام  
 الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا  
 بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على



التبر بوصوله النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وروان ~~كانت~~ تلك الوصلة  
موجودة والتبر لئبها حاصل لكن التبر ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد  
اذن من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيةها واذا سبرنا وقسمنا لم  
نجد لها الاعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة  
بوجودها صاحب المنصب قد سكن اليه الملة وأهلها ويتنظم حبل اللفة فيها وذلك  
أن قريشا كانوا عصبة مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة  
بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم  
فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بجماعتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر  
غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكثرة فتتفرق الجماعة  
وتختلف الكلمة والشارع يحذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع النزاع والشنات  
بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم  
قادرون على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراذلهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم  
ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها فاشتراط نسبهم القرشي في هذا  
المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا  
انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فأذن عن لهم سائر العرب وانقادت  
الامم سواهم الى أحكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات  
واستقر بعد ها في الدولتين الى أن اضجع أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم  
ما كان لقريش من ~~العصبة~~ الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس أخبار العرب  
وسيرهم وتفظن لذلك في أحوالهم \* وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السيرة وغيره  
فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع النزاع عما كان لهم من العصبية والتغلب  
وعلمنا أن الشارع لا يخص الاحكام بحيل ولا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك انما هو من  
الكفاية فرددناه اليها وطردها العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود  
العصبية فاشتدنا في القائل بما مور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبية  
على من معها العصرها ليستبعوا من سواهم وتجتهد مع الحكمة على حسن الحماية ولا يعلم  
ذلك في الاقطار والآفاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت  
عامة وعصبية العرب كانت واقية بهم فغلبوا سائر الامم وانما يخص هذا العهد دكل  
قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا  
لانه سبحانه انما جعل الخليفة ناسبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم  
ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا لمن له قدرة عليه ألا ترى

قوله الامام الخطيب  
هو الفخر الرازي قاله  
نصره

ما ذكره الامام ابن الخطيب في شأن النساء وانهم في كثير من الاحكام الشرعية جعنان  
تعالل رجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن  
لهن من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل أحد فيها  
قام على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم  
بامرأة أو جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفا للامر  
الوجودي والله تعالى أعلم

(فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة)

٢٧

(اعلم) ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من  
الخلق والسلف على اتباع علي وبنيه رضى الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين  
عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة وتعين القائم بها  
بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى  
الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من البكائر والصغائر  
وان علموا رضى الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها  
ويؤثرونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقله الشريعة بل أكثرها  
موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص  
عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه  
الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله  
أقضاكم علي ولا معنى للامامة الا القضاء بأحكام الله وهو المراد بأولى الامر الواجبة  
طاعتهم بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم والمراد الحكم  
والقضاء ولهذا كان حكاية قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من  
يبايعني علي روحه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا علي ومن الخفي  
عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت  
فانه بعث بها أولا بابكر ثم أوحى اليه ليلقه رجل منك أو من قومك فبعث عليا ليكون  
القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وأيضا لم يعرف أنه قدم أحد اعلى علي  
وأما أبو بكر وعمر فقدم عليهم ما في غزاتين أسامة بن زيد وعمر بن العاصي أخرى  
وهذه كلها أدلة شاهدة بتعين علي للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو  
بعيد عن تأويلهم ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه  
وكذلك تتفصل منه الى من بعده وهو لا هم الامامية ويتبرئون من الشيخين حيث لم

يقدموا عليها ويأبى عهدهم بمقتضى هذه النصوص ويغمصون في امامتهم ما ولا يلتفت  
 الى نقل القدح فيهم ما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه  
 الادلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا  
 الوصف موضعه وهؤلاء هم الزيدية ولا يترئون من الشيخين ولا يغمصون في امامتهم  
 مع قولهم بأن عليا أفضل منهم لكنهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل ثم  
 اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة  
 بالنص عليهم واحد بعد واحد على ما ذكر بعد هؤلاء يسمون الامامية نسبة الى  
 مقالتهم باشتراط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي أصل عندهم ومنهم من ساقها في  
 ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ ويشترط أن يكون الامام منهم عالما زاهدا  
 جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب  
 وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر أخاه محمدا الباقر على اشتراط  
 الخروج في الامام فيلزمه الباقر أن لا يكون أبوهما زين العابدين اماما لانه لم يخرج ولا  
 نعرض للخروج وكان مع ذلك ينسب عليه مذاهب المعتزلة وأخذها باها عن واصل بن  
 عطاء فلما تناظر الامامية زيد في امامة الشيخين ورأوه يقول بامامتهم ما ولا يترأ منهم ما  
 رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين  
 على اختلافهم في ذلك الى أخيهما محمد بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى  
 كيسان مولا وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركناها اختصارا ومنهم طوائف  
 يسمون الغلاة تجاوزوا واحد العقل والايمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة اما على انهم  
 بشر انصفوا بصفات الألوهية أو ان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالخلول  
 يوافق مذهب النصاري في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار  
 من ذهب فيه الى ذلك منهم ويخط محمد بن الحنفية المحتار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك  
 عنه فصرخ بلغيته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن  
 بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقلت  
 روحه الى امام آخر اكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتنازع ومن هؤلاء الغلاة من  
 يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوز الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم  
 الواقفية فبعضهم يقول هو حتى لم يت إلا أنه غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك  
 بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق  
 في سوطه وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وأنه في جبل رضوى من أرض الحجاز وقال

شاعرهم



ألا ان الأئمة من قریش \* ولادة الحق أربعة سواء  
 عليّ والثلاثة من بنيہ \* هم الاسباط ليس بهم خفاء  
 فسيط سبط ايمان ورث \* وسبط غيبته ~~مكرر~~ بلاه  
 وسبط لا يذوق الموت حتى \* يقود الجيش يقدمه اللواء  
 تغيب لا يرى فيهم زمانا \* برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثني عشرية منهم يزعمون أن الثاني عشر من  
 أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحلة  
 وتغيب حين اعتل مع أمته وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملا الأرض عدلا  
 يشيرون بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم الى الآن ينتظرونه  
 ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب يباب هذا السرداب وقد  
 قدموا ~~مكرر~~ كما فيهم تغفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفذون  
 ويرجعون الامر الى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هؤلاء الواقعية  
 يقول ان الامام الذي مات يرجع الى حياته الدنيا ويستهديون لذلك ما وقع في القرآن  
 الكريم من قصة أهل الكهف والذي مر على قرية وقيل بنى اسرائيل حين ضرب  
 بعظام البقرة التي أمر وايدبحها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق  
 المعجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هؤلاء السيد الحيدري ومن  
 شعره في ذلك

إذا ما المرء شاب له قد زال \* وعلمه المواصل بالخطاب  
 فقد ذهبت بشاشته وأودى \* فقم يا صاح نيك على الشباب  
 الى يوم تثوب الناس فيه \* الى دنياهم وقبل الحساب  
 فليس بعائد ما فات منه \* الى أحسب الى يوم الاياب  
 أدين بأن ذلك دين حق \* وما أنا في النشور بنى ارياب  
 كذا قاله أخبر عن أناس \* حيوا من بعد درس في التراب

وقد كفنا أمونة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة فانهم لا يقرولون بها ويطلون احتجاجاتهم  
 عليها وأما الكيسانية فساقوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه أبي هاشم  
 وهؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده الى أخيه علي ثم الى ابنه الحسن بن  
 علي وآخرون يزعمون أن أباهاشم لما مات بأرض السراة منصرفا من الشام أوصى الى  
 محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام وأوصى  
 ابراهيم الى أخيه عبد الله ابن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو الى أخيه عبد الله

أبي جعفر الملقب بالمنصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحد بعد واحد الى  
 آخرهم وهذا مذهب الهاشمية الثمانين بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان  
 ابن كثير وأبو سلة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية وربما يعضدون ذلك بأن حقهم  
 في هذا الامر يصل اليهم من العباس لانه كان حيا وقت الوفاة وهو أولى بالوراثة بعضية  
 العمومة وأما الزيدية فساقوا الامامة على مذنبهم فيها وأنهم باختيار أهل الحل  
 والعقد لآل النص فقالوا بالامامة على ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين  
 العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا الى  
 الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية بالامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى  
 خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن  
 السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالهادي وجاءته عساكر المنصور  
 فقتل وعهد الى أخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم  
 المنصور عساكره فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله  
 وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم الى أن الامام بعد محمد بن عبد الله النفس  
 الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم  
 بالطالقان فقبض عليه وسبق الى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من  
 الزيدية أن الامام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله  
 في قتاله مع المنصور ونفذوا الامامة في عقبه واليه انتسب دعي الزنج كما نذكره في  
 أخبارهم وقال آخرون من الزيدية أن الامام بعد محمد بن عبد الله أخوه ادريس  
 الذي فر الى المغرب ومات هناك وقام بأمره ابنه ادريس واختط مدينة فاس وكان من  
 بعده عقبه ملوك المغرب الى أن انقرضوا كما نذكره في أخبارهم وبقى أمر الزيدية بعد  
 ذلك غير منظم وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن  
 اسمعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذا الدعوة  
 في الديلم الناصر الاطروش منهم وأسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن  
 عمر وعمر أخو زيد بن علي فكانت لبنية بطبرستان دولة وتوسل الديلم من نسبهم الى الملك  
 والاستبداد على الخلفاء يبعداد كما نذكر في أخبارهم وأما الامامية فساقوا الامامة  
 من علي الرضا الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى أخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين العابدين ثم  
 الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افرقوا فرقة ساقوها الى  
 ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه موسى  
 الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الاثني عشر وقولهم بغيته الى آخر

الزمان كما مرنا في الاسماعيلية فقالوا يا امامة اسمعيل الامام بالنص من أبيه جعفر وفائدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل أبيه انما هو بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى صلوات الله عليهم ما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستمر وتكون دعائه ظاهرين اقامة للعبادة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في كرامة وتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في أخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسمعيل ويسمون أيضا بالباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن أي المستور ويسمون أيضا المجدية لما في ضمن مقالهم من الاتحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الحاشية وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى أن توزعها الهلاليين ملوك الترك بمصر وملوك الترك بالعراق فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني \* وأما الاثنا عشرية فربما خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لوفاة أخيه الاكبر اسمعيل الامام في حياة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد اليه المأمون ومات قبله فلم يتم له أمر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه محمد الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر الذي قد مناه قبل وفي كل واحدة من هذه المقالات الشيعية اختلاف كثير الا أن هذه أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعها فعليه بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما ففيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

(فصل في انقلاب الخلافة الى الملك)

٢٨

اعلم أن الملك غاية طيبة للعصية ليس وقوه عنم باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصية اذا المطالبة لا تتم الا بها كما قدمناه فالعصية ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ثم وجدنا الشارع قد دهم العصية وندب الى اطراحها وتركها فقال ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية

قوله عبية الجاهلية  
قال المجد والعبية  
وبالكسر الكبير  
والفخر والخوة اه  
صحيح



وغرها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم  
 ووجدناه أيضا قد ذم الملك وأهله ونهى على أهله أحوالهم من الاستمتاع بالخلق  
 والاسراف في غير القصد والتسكيب عن صراط الله وانما حض على الالفة في الدين  
 وحذر من الخلاف والفرقة \* واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية  
 للآخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال  
 البشر أو يندب إلى تركها مهاله بالكلمة أو اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ  
 عليها بالكلمة انما قصده تصريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير  
 المقاصد كلها حقا وتجدد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته إلى الله  
 ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها  
 فهجرته إلى ما هاجر إليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الإنسان فإنه لو زالت  
 منه قوة الغضب لفقدته الانتصار للحق وبطل الجهاد وأغلا كلمة الله وانما يذم الغضب  
 للشيطان وللأغراض الذميمة فإذا كان الغضب لذلك كان مذموما وإذا كان  
 الغضب في الله ولله كان ممدوحا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات  
 أيضا ليس المراد إبطالها بالكلمة فإن من بطلت شهوته كان نقصا في حقه وانما المراد  
 تصريفها فيما أبيع له باسماله على المصالح ليكون الإنسان عبدا متصرفا طوعا أو امر  
 الإلهية وكذا العصبية حيث ذمها الشارع وقال لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم فانما  
 مراده حيث تكون العصبية على الباطل وأحواله كما كانت في الجاهلية وأن يكون  
 لأحد غريبا أو حق على أحد لأن ذلك محжан من أفعال العقلاء وغير نافع في الآخرة  
 التي هي دار القرار فاما إذا كانت العصبية في الحق واقامة أمر الله فأمر مطلوب ولو  
 بطل لبطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها إلا بالعصبية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما  
 ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه  
 لما فيه من التغلب بالباطل وتصريف الأدميين طوعا أو اغراض والشهوات كما قلناه  
 فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس أنه لله وللجهلهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن  
 ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله عليه رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي  
 لما علم من نفسه أنه يعزل عن الباطل في النبوة والملك \* ولما لقي معاوية عشرين  
 الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه إلى الشام في أبيه الملك وزيه من العديد والعدة  
 استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية فقال يا أمير المؤمنين أنا في ثغرتي جاء العدو وبنا  
 إلى مباهاة من بينة الحرب والجهاد حاجة فبكت ولم يخطئه لما احتج عليه بقصد من  
 مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك من أصله لم يقنعه هذا الجواب في تلك

الكسروية واتصالها بل كان يحترض على خروجه عنها بالجملة وانما أراد عرس  
 بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغى  
 وسلول سبله والغفلة عن الله فواجبه معاوية بأن القصد بذلك ليس كسروية فارس  
 وباطلهم وانما قصدهم اوجه الله فسكت وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك  
 وأحواله ونسيان عوائده حذرا من التباسه بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم استخلف أبا بكر عن الصلاة اذ هي أهم أمور الدين وارتضاه الناس للخلافة  
 وهي حل الكافة على أحكام الشريعة ولم يجز للملك ذلك لما أنه مظنة للباطل  
 ونحوه يومئذ لاهل الكفر وأعداء الدين فقام بذلك أبو بكر ما شاء الله متبعاً سنن صاحبه  
 وقاتل أهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاقبض أئمة وقاتل الامم  
 فغلبهم وأذن للعرب في انتزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم  
 ثم ضارت الى عثمان بن عفان ثم الى علي رضي الله عنهما والكل متبرؤن من الملك  
منكم عن طريقه وأكذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبدعوة  
 العرب فقد كانوا بعد الامم عن أحوال الدنيا وترفعها لامن حيث دينهم الذي يدعونهم  
 الى الزهد في النعيم ولامن حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش  
 وشظفاه الذي ألفوه فلم تكن أمة من الامم أسغب عيشاً من مضرب لما كانوا بالجواز في  
 أرض غير ذات زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياق وحجوب البعدها  
 واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يطاولون الى خصبها ولقد كانوا  
 كثيراً ما يأكلون العقارب والخنفاق ويفخرون بأكل العلحز وهو وبر الابل يمهونه  
 بالجحارة في الدم ويطنخونه وقر يما من هذا كانت حال قريش في مطاعهم ومساكنهم  
 حتى اذا اجتمعت عصية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه  
 وسلم زحفوا الى أم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعد الصديق  
 فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزحرت بحار الرفه لديهم م حتى كان الفارس  
 الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون ألفاً من الذهب وأنحوها فاستولوا من ذلك  
 على ما لا يأخذه الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرقع ثوبه بالجلد  
وكان علي يقول يا صفرامو يا بيضاء غزى غزى وكان أبو موسى يتجافى عن أكل  
 الدجاج لانه لم يعهدا للعرب لقلته يومئذ وكانت المناخل مفقودة عندهم بالجملة وانما  
 كانوا يأكلون الخنطة بنخالها ومكاسهم مع هذا أتم ما كانت لاحد من أهل العالم قال  
 المسعودي في أيام عثمان اقضى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه  
 خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحمير

وغيرهما مائة ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير  
 بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة وكانت غلة طلحة  
 من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان على مربي  
 عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من  
 متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفا وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان  
 يكسر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة ألف دينار وبني الزبير داره  
 بالبصرة وكذلك بني بمصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بني طلحة داره بالكوفة وشيد  
 داره بالمدينة وبنهاها بالحص والاجر والساج وبني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق  
 ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرافات وبني المقداد داره بالمدينة  
 وجعلها محصنة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقارا وغير  
 ذلك ما قيمته ثلثمائة ألف درهم أهكلام المسعودي فكانت مكاسب القوم كما تراه ولم  
 يكن ذلك منه مباحا عليهم في دينهم اذ هي أموال حلال لانها غنائم وفيه ولم يكن تصرفهم  
 فيها باسراف انما كانوا على قصد في أحوالهم كما قلنا فلم يكن ذلك بقادح فيهم وان  
 كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانهما يرجع الى ما أشرنا اليه من الاسراف والخروج  
 به عن القصد واذا كان حالهم قصدا ونفقة تهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك  
 الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة  
 والغضاضة الى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلنا وحصل  
 التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم حكم ذلك الرفه والاستكثار من الاموال  
 فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق \*  
 ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهى مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق  
 والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض ديني أو لا يثار باطل أو لا تستعار حق كما قد  
 يتوهم متوهم وينزع اليه ملحد وانما اختلف اجتهادهم في الحق وسفه كل واحد  
 نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب عليا فلم يكن معاوية قائما  
 فيها بقصد الباطل انما قصد الحق وأخطأ والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت  
 طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه  
 وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على  
 طريقة معارضة في اقتناء الحق من أتباعهم فاعصوا وصوبوا عليه واستماتوا دون ولو  
 جملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في افتراق الكلمة  
 التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان عمر بن



عبد العزيز رضي الله عنه يقول اذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر لو كان لي من الامر شيء  
لوليت الخلافة ولو اراد أن يعهد اليه لفعل ولكنه كان يخشى من بني أمية أهل الحل  
والعقد لما ذكرناه فلا يقدر أن يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كله انما جعل عليه  
منازع الملك التي هي مقتضى العصية فالملك اذا حصل وفرضنا أن الواحد انفرد به  
وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك تكبير عليه ولقد انفرد سليمان وأبوه  
داود صلوات الله عليهم بملك بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به  
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة  
بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا  
عليه مع أن ظنهم كان به صالحا ولا يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن  
ليعهد اليه وهو يعتقدهما كان عليه من الفسق حاشا لله لمعاوية من ذلك وكذلك كان  
مروان بن الحكم وابنه وان كانوا لو كانوا لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة  
والبغي انما كانوا متحيزين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة فتحهم على بعضها مثل  
خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من  
الاتباع والاعتداء وما علم السلف من أحوالهم فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك  
وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين وعد التهم معروفة ثم تدرج الامر  
في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز  
فنزح الى طريقة الخلفاء الاربعة والعجوبة جهده ولم يمس لم يمس ثم جاء خلفهم واستعملوا  
طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري  
القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعو عليهم  
افعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة بمكان  
وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان  
منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر الى بينهم فأعطوا الملك والترفع حقه وانغمسوا  
في الدنيا وباطلها ونسوا الدين وراءهم ظهروا فأنذ الله بحربهم وانتزع الامر من  
أيدي العرب بجله وأمكن سواهم منه والله لا يظلم مثقال ذرة ومن تأمل سير هؤلاء  
الخلفاء والملوك واختلافهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى  
المسعودي مثله في أحوال بني أمية عن أبي جعفر المنصور وقد حضر عومته وذكروا  
بني أمية فقال أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي بما صنع وأما سليمان فكان همه بطنه  
وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عيمان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل بنو أمية  
ضابطين لما همذاهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسخيمهم

معالي الأمور ورفضهم دنياهم حتى افضى الامر الى انسابهم المترفين فكانت همهم  
فصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باس تدراجه وأمناء لكره مع  
اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم  
الله العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة ثم استحضر عبد الله بن مروان فقص عليه  
خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضه فأرأى أيام السفاح قال أقت مله انتم أناني ملككم  
فقعده على الارض وقد بسطت له فرش ذات قيمة فقالت له ما منعك من القعود على  
ثيابنا فقال اني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لم  
تشر بون الخروهي محترمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال  
فلم تطون الزرع بدوابكم والفساد محترم عليكم قلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا يجملهم  
قال فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محترم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا  
الملك وانتصروا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا فأطرق ينكت  
بيده في الارض ويقول عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه الى وقال  
ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم ما حرم الله عليكم وأنتم ما عنه نهيتهم وظلمتم  
فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم والله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا  
خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم يلبدي فينا الى معكم وانما الضيافة ثلاث فترقوا  
ما احتجت اليه وارتحل عن أرضي فتعجب المنصور وأطرق فقد تبين لك كيف انقلبت  
الخلافة الى الملك وأن الامر كان في أوله خلافة ووازع كل أحد فيها من نفسه وهو  
الدين وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وان أفضت الى هلاكهم وحدثهم دون الكافة  
فهذا عثمان لما حصر في الدار جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمرو ابن جعفر  
وأما لهم يريدون المدافعة عنه فأبى ومنع من سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة  
وحفظا للالفة التي بها حفظ الكامة ولو أدى الى هلاكه وهذا على اشار عليه المغيرة  
لاول ولايته باستبقاء الزبير ومعاوية وطلمحة على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته  
وتتقق الكامة وله بعد ذلك ما شاء من أمره وكان ذلك من سياسة الملك فأبى فرار من  
الغش الذي ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد أشرت عليك بالامس  
بما أشرت ثم عدت الى نظري فعملت أنه ليس من الحق والنصيحة وأن الحق فيما رأيته  
أنت فقال على لا والله بل أعلم أنك نصحتني بالامس وغششتني اليوم ولكن منعتي مما  
أشرت به ذائد الحق وهكذا كانت أحوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا \* فلا ديننا بقي ولا مازقع

فقد رأيت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحريم الدين

قوله عبد الله  
كذا في النسخة  
التونسية وبعض  
الفاطمية وفي بعضها  
عبد الملك وأظنه  
تصحيفا قاله نصير

ومذاهبه والجرى على منهاج الحق ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب  
عصية وسيفاً وهـ كذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر  
الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق  
الا اسمها وصار الامر ملكاً بجمنا وحررت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت في  
أغراضها من القهر والتغلب في الشهوات والملاذ وهـ كذا كان الامر لولد عبد  
الملك وان جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصية العرب  
والخلافة والملك في الطورين ملتبس ببعضهما ببعض ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها  
بذهاب عصية العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم وبقي الامر ملكاً بجمنا كما كان  
الشأن في ملوك العجم بالشرق يدينون بطاعة الخليفة تبركا والملك بجميع ألقابه  
ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهارة مع  
العبيدين ومغراوة وبني يقرن أيضاً مع خلفاء بني أمية بالاندلس والعبيدين بالقيروان  
فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أو لا ثم التبتت معانيها واختلطت ثم انفرد  
الملوك حيث افترقت عصيته من عصية الخلافة والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد  
القهار

البيعة بفتح الموحدة  
أما بكسر هاء على  
وزن شبيعة بسكون  
الياء فيهما فهي  
من عبد العنصرى اهـ

### ٢٠٩ (فصل في معنى البيعة)

اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة كذا أن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له  
النظر في أمر نفسه وأموار المسلمين لا ينازع في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من  
الامر على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا أيدهم في يده  
تأكيده للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة  
مصافحة بالأيدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث  
في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحينما ورد هذا اللفظ ومنه  
بيعة الخلفاء ومنه أيمان البيعة كان الخلفاء يستخلفون على العهد ويستوعبون  
الايمان كلها لذلك نسمي هذا الاستيعاب أيمان البيعة وكان الاكرام فيها أكثر وأغلب  
ولهذا لما أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط عين الاكرام أنكرها الولاة عابه ورأوها  
قادرة في أيمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه وأما البيعة  
المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك كسروية من تقبيل الارض أو اليد  
أو الرجل أو الذيل أطلق عليهم اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان  
هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى



صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصالحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في  
الاصل لما في المصالحة لكل أحد من التنزل والابتدال المنافين للرياسة وضوء  
المنصب الملوكي الا في الاقل من يقصد التواضع من الملوكة فيأخذ به نفسه مع خواصه  
ومشاهير أهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه أكيد على الانسان  
معرفة لما يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون أفعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من  
أفعالك مع الملوكة والله القوى العزيز

### ٣٠ (فصل في ولاية العهد)

اعلم اننا قد منّا الكلام في الامامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وأن حقيقة النظر في  
مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو وليهم الامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتبع  
ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويتقون  
بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الامة على  
جوازه وانعقاده اذ وقع بعهد أبي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب وأجازوه  
وأوجبوا على أنفسهم طاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى  
الى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين فقوض بعضهم الى بعض  
حتى أفضى ذلك الى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على  
عثمان وعلى علي فآثر عثمان بالبيعة على ذلك لما وافقته اياه على لزوم الاقتداء بالشيوخ  
في كل ما يعين دون اجتهاده فانه قد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملا من  
الصحابة حاضرون للاولى والثانية ولم ينكروا أحد منهم ندل على أنهم متفقون على  
صحة هذا العهد عارفون بمشروعيتها والاجماع حجة كما عرف ولا يهتم الامام في هذا الامر  
وان عهد الى ابيه أو ابنه لانه مأمون على النظر لهم في حياته وأولى أن لا يحتمل فيها تبعة  
بعد مماته خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد أولن خصص التهمة بالولد دون الوالد  
فانه بعيد عن الظنة في ذلك كله لاسيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من اثار مصلحة  
أو توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك رأسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان  
فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعا معاوية لا يشارا بنه يزيد بالعهد  
دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل  
الحل والعقد عليه حينئذ من بني امية اذ بنو أمية لم يرضون سواهم وهم عصاة  
قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها  
وعدل عن الفاضل الى المفضل حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم

عند الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعد الله وصحبه مائعة من سوى ذلك وحضوراً كبار الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دأبل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذ العزة في قبول الحق فانهم كلهم أجل من ذلك وعد الله لهم مائعة منه وفرا رعبه الله بن عمر من ذلك انما هو محمول على تورعه من الدخول في شيء من الامور بما كان أو محظوراً كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح والمنصور والمهدي والرشد من بني العباس وأمثالهم ممن عرفت عد الله وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايشاء انسابهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشاأهم غير شأن اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً فعند كل أحد زارع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكوا كل من يسهو الى ذلك الى وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتج الى الوازع السلطاني والعصيان فلو عهد الى غير من يرتضيه الا صبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سر يعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف \* سأل رجل علياً رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال لان أبا بكر وعمر كانوا الواسين على مثلي وأنا اليوم والى على مثلك يشيروا الى وازع الدين أفلا ترى الى المأمون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف أنكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبادعوا العجمه ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبيل وتعدد الثوار والخوارج ما صككاد أن يصطلم الامر حتى يادر المأمون من خراسان الى بغداد ودرأمرهم لمعاهده فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصيات وتختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطف من الله بعباده وأما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن تحسن فيه النية ما أمكن خوفاً من العيب بالمنصب الدينية والملك لله يؤتبه من يشاء \* وعرض هنا أمور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها \* فالاول منها ما حدث في يزيد من الفسق أيام خلافته فإياك أن تظن بمعاوية رضي الله عنه أنه علم ذلك من يزيد فانه أعدل من ذلك وأفضل بل كان يعدله أيام حياته في سماع

الغناء وينها عنه وهو أقل من ذلك وكانت مذاهبتهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد  
ما حدث من الفسق اختلف الصحابة حينئذ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض  
بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في  
ذلك ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لأن شوكة  
يزيد يومئذ هي عصاية بني أمية وجهور أهل الحل والعقد من قريش وتستبمع عصبية  
مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا نطاق مقاومتهم فأقصر وعان يزيد بسبب ذلك  
وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه وهذا كان شأن جهو المسلمين والكل مجتهدون  
ولا ينكر على أحد من الفريقين فقاصد هم في البر وتجرى الحق معروفة وفقضنا الله  
للاقتداء بهم \* والامر الثاني هو شأن العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدينه  
الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو أمر لم يعص ولا نقله أحد من أئمة النقل  
والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس لكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك  
فدليل واضح على أنه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال  
إن أعهد فقد عهد من هو خير مني يعني أبابكر وإن أترك فقد ترك من هو خير مني يعني  
النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي للعباس رضي الله عنهما حين دعاه  
للدخول إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه عن شأنهما في العهد فأبى علي من ذلك  
وقال إنه إن منعنا منهم فلا نطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل على أن عليا علم أنه لم يوص  
ولا عهد إلى أحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من أركان الدين كما  
يزعمون وليس كذلك وانما هي من المصالح العامة المفوضة إلى نظر الخلق ولو كانت من  
أركان الدين لكان شأنها شأن الصلاة ولكان يستخلف فيها كما استخلف أبابكر في الصلاة  
ولكان يشتهر كما اشتهر أمر الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة أبي بكر بقياسها على  
الصلاة في قواهم ارتضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينتنا أفلا نرضاه لدينا ناديل  
على أن الوصية لم تقع ويدل ذلك أيضا على أن أمر الامامة والعهد بهما لم يكن مهما كما  
هو اليوم وشأن العصبية المراجعة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ  
بذلك الاعتبار لأن أمر الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تأليف القلوب  
عليه واستماتة الناس دونه وذلك من أجل الأحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور  
الملائكة لتصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة تتلى عليهم فلم  
يحتاج إلى مراعاة العصبية لما نزل الناس من صبغة الانقياد والاذعان وما يستفزعهم  
من تتابع المعجزات الخارقة والأحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوا  
منها ودهشوا من متابعتها فكان أمر الخلافة والملك والعهد والعصبية وسائر هذه



الانواع من درجاني ذلك القبيل كما وقع فلما انحسر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات  
 ثم بقضاء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت الخوارق  
 وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوائد فيما ينشأ عنها من  
 المصالح والمقاسد وأصبح الملك والخلافة والعهد بدبهم مامهما من المهمات الا كيدة كما  
 زعموا ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم  
 غير مهمة فلم يعمد فيها ثم تدرجت الاهمية زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت  
 الضرورة اليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا يباينون في الفعل  
 والتركة كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الامور للائمة على الحماية  
 والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشأ  
 الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها \* والامر الثالث شأن  
 الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين فاعلم أن اختلافهم انما يقع في  
 الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتمدة والمجتهدون  
 اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم  
 يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة  
 ولا يتعين المخطئ منها والتأنيم مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وان كل  
 مجتهد مصيب فأحرى بنفي الخطأ والتأنيم وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين  
 انه خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذي وقع من ذلك في  
 الاسلام انما هو واقعة على مع معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع  
 يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك فأما واقعة علي فان الناس كانوا عند مقتل عثمان  
 مفتريقين في الامصار فلم يشهدوا بيعة علي والذين شهدوا فخنهم من بايع ومنهم من توقف  
 حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر وأسامة بن زيد والمغيرة بن  
 شعبه وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة  
 وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخزوم وقضالة بن عبيد  
 وأمثالهم من أكابر الصحابة والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته أيضا الى الطلب  
 بدم عثمان وتركوا الامر فوضي حتى يكون شوري بين المسلمين لمن يولونه وظنوا به على  
 هوادة في السكوت عن نصر عثمان من قاتليه لافي الممالأة عليه فحاش لله من ذلك  
 ولقد كان معاوية اذا صرح بعلامته انما يتوجهها عليه في سكوتة فقط ثم اختلفوا بعد  
 ذلك فرأى علي أن بيعته قد انعدت ولزمت من تأخر عنها باجماع من اجتمع عليها  
 بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وأرجأ الامر في المطالبة بدم

عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيمكن حينئذ من ذلك ورأى الآخرون  
 أن بيعته لم تنعقد لا فتراق الصحابة أهل الحل والعقد بدلاً فاق ولم يحضر الا قليل  
 ولا تكون البيعة الا باتفاق أهل الحل والعقد ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم أو من  
 القليل منهم وأن المسلمين حينئذ فوضي في طالبون أو لا بد من عثمان ثم يجتمعون على امام  
 وذهب الى هذا معاوية وعمر بن العاصي وأم المؤمنين عائشة والزبير وابنه عبد الله  
 وطليحة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن كان على  
 رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة علي بالمدينة كما ذكرنا الا أن أهل العصر  
 الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين أجمعين وتصويب رأيه  
 فيما ذهب اليه وتعين الخطا من جهة معاوية ومن كان على رأيه وخصوصاً طليحة  
 والزبير لا تتقاضهما على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التأييم عن كل من الفريقين  
 كالشأن في المهتمدين وصار ذلك اجماعاً من أهل العصر الثاني على أحد قولي أهل  
 العصر الأول كما هو معروف واقد سئل على رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال  
 والذي نفسي بيده لا يموت أحد من هؤلاء وقلبه نقي الا دخل الجنة يشير الى الفريقين  
 نقله الطبري وغيره فلا يقنع عندك ريب في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك  
 فهم من علمت وأقوالهم وأفعالهم انما هي عن المستندات وعدالتهم مفروغ منها عند  
 أهل السنة الا قولاً للمعتزلة فيمن قاتل علياً لم يلتفت اليه أحد من أهل الحق ولا عرج  
 عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان  
 واختلاف الصحابة من بعده وعلمت أنها كانت قسنة ابتلى الله بها الامة بينما المسلمون  
 قد أذهب الله عدوهم وملكهم أرضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم  
 بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم  
 يستكثروا من محبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبتهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا  
 بخلافه مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجفاء والعصية والتفاخر والبعد عن سكينة  
 الايمان واذا بهم عند استفعال الدولة قد أصبحوا في ملكة المهاجرين والانصار من  
 قريش وكثانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب السابقين الاقواين الى الايمان  
 فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرة  
 ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة  
 والازد من اليمن وتميم وقيس من مضر فصاروا الى الغرض من قريش والانفة عليهم  
 والقريش في طاعتهم والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم  
 بالعجز عن السرية والعدل في القسم عن السوية وفشت القالة بذلك وانتهت الى

المدينة وهم من علمت فأعظموه وأبلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له الخبر  
 بعث ابن عمرو ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وأمثالهم فلم ينكروا على الامر شيئاً  
 ولا رأوا عليهم طعناً وأدوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن من أهل الامصار وما زالت  
 الشناعات تنمو ورحى الوليد بن عتبة وهو على الكوفة يشرب الخمر وشهد عليه جماعة  
 منهم وحدثه عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من أهل الامصار يسألون عزل العمال وشكوا  
 الى عائشة وعلى والزبير وطليحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك ألسنتهم  
 بل وقد سعيده بن العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولاً ثم  
 اتفق الخلاف بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونعموا عليه امتناعه عن العزل  
 فأبى إلا أن يكون على جرحه ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من أفعاله وهو متمسك  
 بالاجتهاد وهم أيضاً كذلك ثم تجتمع قوم من الغوغاء وجاءوا الى المدينة يظهر  
 طلب النصفة من عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من البصرة والكوفة  
 ومصر وقام معهم في ذلك على وعائشة والزبير وطليحة وغيرهم يحاولون تسكين  
 الامور ورجوع عثمان الى رأيهم وعزل لهم عامل مصر فأنصرفوا قليلاً ثم رجعوا وقد  
 لبسوا بكتاب مدلس يزعمون أنهم اتقوه في يد حامله الى عامل مصر بأن يقتلهم  
 وحلف عثمان على ذلك فقالوا امكث من مروان فإنه كاتبك فخلف مروان فقال عثمان  
 ليس في الحكم أكثر من هذا فحاصروه بداهه ثم يتوه على حين غفلة من الناس  
 وقتلوه وانفتح باب الفتنة فلكل من هؤلاء عذر فيما وقع وكلاههم كانوا مهتمين بأمر الدين  
 ولا يضيعون شيئاً من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع على  
 أحوالهم وعالم بهم ونحن لا نظن بهم الا خيراً لما شهدت به أحوالهم ومقالات الصادق  
 فيهم \* وأما الحسين فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعثت شيعة  
 أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره فرأى الحسين أن الخروج على  
 يزيد متعين من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنهم من نفسه بأهليته  
 وشوكته فأما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة وأما الشوكة فغلط يرجع الله فيها  
 لأن عصية مضر كانت في قريش وعصية قريش في عبد مناف وعصية عبد مناف انما  
 كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك أول  
 الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد الملائكة لضمرة  
 المسلمين فأغفلوا أمورهم وذهب عصية الجاهلية ومنازعها ونسيت ولم يبق الا  
 العصية الطبيعية في الحماية والدفاع يتوقع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين  
 فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم



بعض الشيء للعوائد فعادت العصية كما كانت ولمن كانت وأصبحت مضراً طوعاً لبني  
 أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل (فقد) تين لك غلط الحسين إلا أنه في أمر  
 ديني لا يضرم الغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه وكان  
 ظنه القدرة على ذلك ولقد عدله ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية أخوه  
 وغيره في مسيره إلى الكوفة وعلوا غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما أَرَادَهُ الله  
 وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالجواز ومع يزيد بالشأم والعراق ومن  
 التابعين لهم فإنا نأثرون الخروج على يزيد وإن كان فاسقاً لا يجوز لما ينشأ عنه من الهزج  
 والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا أنكروا عليه ولا أنعموه لأنه مجتهد وهو  
 أسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثير هؤلاء بمخالفة الحسين وعودهم  
 عن نصره فانهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين  
 يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلا على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله  
 وأبا سعيد الخدري وأنس بن مالك وسهل بن سعد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكر  
 عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعله أنه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن  
 اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط أن تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وإن  
 كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يجد الشافعي والمالكي الحنفى على شرب  
 النبيذ واعلم أن الأمر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وإن كان خلافاً عن  
 اجتهادهم وإنما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه ولا تقول إن يزيد وإن كان فاسقاً ولم يجوز  
 هؤلاء الخروج عليه فأفعاله عندهم صحيحة واعلم أنه انما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان  
 مشروعا وقاتل البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الإمام العادل وهو مفقود  
 في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لنفسه  
 والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على  
 حق أيضاً واجتهاد وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في  
 كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده وهو غلط  
 حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه في امامته  
 وعدله في قتال أهل الآراء \* وأما ابن الزبير فإنه رأى في منامه ما رآه الحسين ووطن  
 كما طن وغلظه في أمر الشوككة أعظم لأن بني أمية لا يقاتلون بني أمية في جاهلية  
 ولا إسلام والقول بتعين الخطأ في جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي لا سبيل  
 إليه لأن الإجماع هنا لك قضي لنا به ولم نجد ههنا \* وأما يزيد فعين خطأه فسقه  
 وعبد الملك صاحب ابن الزبير أعظم الناس عدالة وناهيك بعد الله احتجاج مالك

بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالجواز مع أن الكثير من الصحابة كانوا يرون أن بيعته ابن الزبير لم تنعقد لانه لم يحضرها أهل العقد والحل كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهم - ما والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قرناه بجي على قواعد الفقه وقوانينه مع أنه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحيزه الحق - هذا هو الذي ينبغى أن تعمل عليه أفعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الأمة وإذا جعلناهم عرضة للقدح فن الذي يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقول خيرا للناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين أو ثلاثا ثم يفسدوا الكذب فجعل الخيرة وهي العدالة مختصة بالقرن الأول والذي يليه فإياها أن تعود نفسك أو لسانك التعرض لاحد منهم - ولا يشوش قلبك بالريب في شيء مما وقع منهم - والتمس لهم مذهب الحق وطرقه ما استطعت فهم أولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا أو قتلوا الا في سبيل جهاد أو اظهار حق واعتقد مع ذلك أن اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الأمة ليقتدى كل واحد عن يحتماره منهم ويجعله امامه وهاديه وذليله فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه وأكوانه واعلم أنه على كل شيء قدير واليه المرجأ والمهيمن والله تعالى أعلم

### ٣٢ (فصل في الخطط الدينية المختلفة)

لما تبين أن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف في الامرين أما في الدين فمقتضى التكليف الشرعية الذي هو أمور بتبليغها وحمل الناس عليها وأما سياسة الدنيا فمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري وقد قدمنا أن هذا العمران ضروري للبشر وأن رعاية مصالحه كذلك لا يفسدان أهملت وقد من أن الملك وسطوته كاف في حصول هذه المصالح نعم انما تكون أكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه أعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينقرد اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة ووظائف تابعة تتعين خططا وتوزع على رجال الدولة ووظائف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك أمره ويحسن قيامه بسلطانه وأما المنصب الخلافى وان كان الملك يندرج تحتهم هذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الدينى يختص بخطط ومراتب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فان ذكر الآن الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع

الى الخطط الملوكية السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وداخله فيها العموم نظر الخلافة وتصرّفها في ما تراحوال الملة الدينية والدينية وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم فاما امامة الصلاة فهي ارفع هذه الخطط كلها وارفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فلا نرضاه لديننا فلو لا أن الصلاة ارفع من السياسة لم يصح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم أن المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معتمدة للصلوات المشهودة وأخرى دونها مختصة بقوم أو محله وليست للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة فأمرها راجع الى الخليفة أو من يفوض اليه من سلطان أو وزير أو قاض فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق الاولى والاستحسان ولثلايقات الرعايا عليه في شئ من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا \* وأما المساجد المختصة بقوم أو محله فأمرها راجع الى الخيران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان وأحكام هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروف في كتب الفقه ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانية للمأوردي وغيره فلا يطول بذكرها ولقد كان الخلفاء الاولون لا يقلدونها لغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصدهم لذلك في أوقاتها يشهد ذلك بما شرّتهم لها وأنهم لم يكونوا يستخفون فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية من بعدهم استثنوا رايها واستعظاما لرتبتها \* يحكى عن عبد الملك أنه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي الاعن ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان في تأخير فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم وديارهم استنابوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويعا فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعباسيين صدر دولتهم \* وأما الفتيا والخليفة تفصح أهل العلم والتدريس ورد الفتيا الى من هو أهل لها واعاته على ذلك ومنع من ليس أهلها وازجره لانهم امن مصالح المسلمين في أديانهم فحبب عليه مراعاتهم الثلاث تعرض لذلك من ليس له بأهل فيضل الناس والمدرس



الاتصاف بتعليم العلم وبشبه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام  
 التي للسلطان الولاية عليهم او النظر في أئمتها كما مر فلا بد من استئذانه في ذلك وان كانت  
 من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على أنه ينبغي أن يكون لكل أحد من  
 المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنع عن التعدي لما ليس له بأهل فيضل به المستهدى  
 ويضل به المسترشد وفي الأثر أجزؤكم على الفتيا أجزؤكم على جرائم جهنم فالسلطان  
 فيهم لذلك من النظر ما توجب المصلحة من اجازة أو رد \* وأما قضاء فهو من الوظائف  
 الداخلة تحت الخلافة لانه منه نصب الفصل بين الناس في الخصومات حسم اللداعي  
 وقطع التنازع الا أنه بالاحكام الشرعية المتأقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من  
 وظائف الخلافة ومن درجاني عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بأنفسهم  
 ولا يجعلون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره وفوضه فيه عمر رضي الله  
 عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحاً بالبصرة وولى أبا موسى الأشعري  
 بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه الأحكام القضاة وهي  
 مستوفاة فيه يقول أما بعد فان القضاء فرضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدى  
 اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذه وأس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك  
 حتى لا يطمع شريف في خيفك ولا يياس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين  
 على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الاصلح أحل حراماً وحرم حلالاً ولا يمنعك  
 قضاء قضيتك أمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق  
 فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل القهم القهم فيما تلج في  
 صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرهما  
 واجعل ان ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه  
 والا استعملت القضية عليه فان ذلك أنفي للشك وأجلى للعماء المسلمون عدول بعضهم  
 على بعض الا مجلوداً في حدة أو مجزاً عليه شهادة زوراً وطنيناً في نسب أو ولاء فان الله  
 سبحانه عفا عن الايمان وذراً بالبينات واياك والعلق والخبر والتأقف بالخصوم فان  
 استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى  
 كتاب عمرو انما كانوا يقدون القضاء لغيرهم وان كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة  
 العامة وكثرة أشغالها من الجهاد والفتوح وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن  
 ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العناية فاستحقوا القضاء في الوقعات بين الناس واستخلفوا  
 فيه من يقوم به تخفيفاً على أنفسهم وكانوا مع ذلك انما يقدونه أهل عصبيتهم بالنسب  
 او الولاء ولا يقدونه لمن بعد عنهم في ذلك \* وأما أحكام هذا المنصب وشروطه فمعرفة

في كتب الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية الا ان القاضي انما كان له  
 في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع اهام بعد ذلك امورا اخرى الى التدريج  
 بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضاء آخر الامر  
 على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق الماسة للمسلمين بالنظر في  
 اموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه وفي وصايا المسلمين  
 وأوقافهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء على رأى من رآه والنظر في مصالح  
 الطرقات والابنية وتصحيح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم  
 بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوابع  
 ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة متميزة  
 من سطوة السلطنة ونسفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة ترفع الظالم من  
 الخصمين وتزجر المتعدي وكأنه يعض ما يحجز النضاة أو غيرهم عن امضائه ويكون نظره  
 في البيئات والتقارير واعتماد الامارات والقرائن وتأخير الخكم الى استجلاء الحق  
 وحل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود وذلك أوسع من نظر القاضي \* وكان  
 الخلفاء الاقلون يباشرونهم بأنفسهم الى أيام المهتدي من بنى العباس وربما كانوا  
 يجعلونها لقضاة منكم كما فعل عمر رضي الله عنه مع قاضيه أبي ادريس الخولاني وكما فعله  
 المأمون يحيى بن أسكنم والمعتمد لاجد بن أبي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي  
 قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان يحيى بن أسكنم يخرج أيام المأمون بالطائفة  
 الى أرض الروم وكذا منذ بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بنى امية بالاندلس  
 فكانت تولية هذه الوظائف انما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له من وزير مفوض  
 أو سلطان متغلب وكان أيضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة العباسية  
 والاموية بالاندلس والعباسيين بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي  
 وظيفة اخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن  
 احكام القضاء قليلا فيجعل للثمة في الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل  
 ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير  
 والتأديب في حق من لم يته عن الجريمة ثم تنوسى شأن هاتين الوظيفتين في الدول التي  
 تنوسى فيها أمر الخلافة فصار أمر المظالم راجعا الى السلطان كن له تفويض من الخليفة  
 أو لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة  
 حدودها وباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول حاكم يحكم  
 فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالى وتارة

باسم الشرطة وبقي قسم التعازير وإقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعا فجمع ذلك  
 للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد  
 على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن أهل عصبة الدولة لأن الامر لما كان خلافة دينية  
 وهذه الخططة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الأمن أهل عصبيتهم من العرب  
 ومواليهم بالخلف أو بالرق أو بالاصطناع ممن يوثق بكفايته أو غناؤه فيما يدفع اليه \*  
 ولما انقضى شأن الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكا أو سلطانا صارت هذه  
 الخططة الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لأنها ليست من ألقاب الملك ولا من مراسمه ثم خرج  
 الامر كله من العرب وصار الملك لسواهم من أم الترك والبربر فازدادت هذه الخططة  
 الخلافية بعد اعنائهم بنحماها وعصبيتها وذلك أن العرب كانوا يرون أن الشريعة  
 دينهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأحكامه وشرائعه نجاتهم بين الامم وطريقهم  
 وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها جانباً من التعظيم لما كانوا بالملة فقط فصاروا يقتلونها  
 من غير عصابتهم ممن كان تأهل لها في دول الخلفاء السالفة وكان أولئك المتأهلون لما  
 أخذهم ترف الدول منذمئين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا  
 بالحضارة في عوائد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن أنفسهم وصارت هذه الخططة في  
 الدول الملوكية من بعد الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في أهل الامصار  
 ونزل أهلها عن مراتب العزلة فقد الاهلية بأنسابهم وما هم عليه من الحضارة فلحقهم  
 من الاحتقار ما لحق الحضرة المنغمسين في الترف والدعة البعداء عن عصبة الملك  
 الذين هم عيال على الحامية وصار اعتبارهم في الدولة من أجل قيامها بالملة وأخذها  
 بأحكام الشريعة لما أنهم الحاملون للأحكام المقنون بها ولم يكن ايتارهم في  
 الدولة حينئذ كراما لذواتهم وانما هو لما يتلج من التجمل بكانهم في مجالس الملك  
 لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شيء وأن حضروه فحضور  
 رسمي لاحقة وراءه اذ حقيقة الحل والعقد انما هي لأهل القدرة عليه من لا قدرة له  
 عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى الفتاوى منهم  
 فنعم والله الموفق وربنا يظن بعض الناس أن الحق فيما وراء ذلك وأن فعل الملوك  
 فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه  
 وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم أن ذلك ليس كما ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجري  
 على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء  
 لا تقضى لهم شيء من ذلك لأن الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب عصبة  
 يقتدر بها على حل أو عقد أو فعل أو ترك وأما من لا عصبة له ولا يملك من أمر نفسه شيئا



ولامن حمايتها وانما هو عيال على غيره فأى مدخل له في الشورى أو أى معنى يدعو  
الى اعتبارها فيها اللهم الاشوراء فيما يعلمه من الاحكام الشرعية فوجوده في الاستفتاء  
خاصة وأما شوراه في السياسة فهو بعيد عنها فقد انه العصبية والقيام على معرفة  
أحوالها وأحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الملوك والامراء الشاهدة لهم بجميل  
الاعتقاد في الدين وتعظيم من يتسبب اليه بأى جهة انتسب وأما قوله صلى الله عليه  
وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم أن الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احتق به انما جلاوا  
الشريعة أقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها  
على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية أكابرهم ولا يتصفون الا بالاقل منها وفي بعض  
الاحوال والسلف رضوان الله عليهم وأهل الدين والورع من المسلمين جلاوا الشريعة  
اتصافا بها وتحققا بآدابها فمن جملها اتصافا وتحققا دون نقل فهو من الوارثين مثل أهل  
رسالة القشيري ومن اجتمع له الامر ان فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء  
التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء على اثرهم واذا انفرد  
واحد من الامة بأحد الامرين فالعابد أحق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعابد لأن  
العابد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب أقوال ينصها علينا في  
كيفية العمل وهؤلاء أكثر فتهاءعصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم  
(العدالة) \* وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصرفه وحقيقة هذه  
الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعابهم تحملا عند الاشهاد  
وأداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملا كهـم وديونهم  
وسائر معاملاتهم وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبرائة من الجرح  
ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها ومن جهة  
احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل  
هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض  
العدول وصار الصنف القائمون به كأنهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة  
من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح أحوالهم والكشف عن  
سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق  
الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه اذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت  
الفائدة في تعيين من تحقق عدالة على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباها الاحوال  
واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبينات المؤثقة فيعولون غالباً في الوثوق  
بما على هذا الصنف ولهم في سائر الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس

المران بكسر الميم  
التمر والاعتقاد  
على الشيء اهـ

عليها في عاهدتهم أصحاب المعلومات للشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه  
 اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي  
 اخت الجرح وقديت واران ويفترقان والله تعالى أعلم \* (الحسبة والسكة) \* أما  
 الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض  
 على القائم بأمر المسلمين يعين لذلك من يراه اهلاله فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان  
 على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزرو ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح  
 العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الخالين وأهل السفن من  
 الاكثار في الخمر والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بدمها وازالة  
 ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في  
 الابلاغ في ضربهم للصبيان المعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداد بل له  
 النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوى  
 مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله  
 أيضا حل الماطلين على الانصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم  
 وكأنها أحكام ينزه القاضي عنها لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه  
 الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير  
 من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخله في  
 عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار  
 نظره عاما في أمور السياسة اندرجت في وظائف الملك وافردت بالولاية

\* (وأما السكة) \* فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها  
 من الغش أو النقص ان كان يتعامل بها عددا أو مائة معلق بذلك ويوصل اليه من جميع  
 الاعتبار ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخلوص برسم  
 تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على  
 الدينار بعد أن يقتدروا بغيره عليه بالمطرق حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون  
 علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف  
 أهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية  
 وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا وقف أهل أفق أو قطر على غاية من التخليص وقفوا  
 عندها وسعوا اماما وعمارا يعتبرون به نقودهم وينتقدونها بماثلته فان نقص عن  
 ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار  
 فتندرج تحت الخلافة وقد كانت تندرج في عموم ولاية القاضي ثم أفردت لهذا

العهد كما وقع في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية تتكلم عليهم في أماكنها بعد وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت بطلانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويدرجون أحكامه غالباً في السلطانيات وكذلك انقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة أو الحق في بيت المال قد بطلت لدور الخلافة ورسمها وبالجمله قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصير في الامور كيف يشاء

### ٣٣ فصل في اللقب باسم المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء

وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك الى أن هلك فلما بويع لعمر بعده اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنهم استقلوا هذا اللقب بكثرة وطول اضافته وانه يتزايد فيما بعد دائماً الى أن ينتهي الى الهجنة ويذهب منه التمييز بتعدد الاضافات وكثرها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب الى ما سواه مما يناسبه ويدعي به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فاعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لامارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان أول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر يقول أين أمير المؤمنين وسمعها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه انه والله أمير المؤمنين حقاً فدعوه بذلك وذهب لقبه في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سنة لا يشاركهم فيها أحد سواهم سائر دولة بني أمية ثم ان الشيعة خصوصاً علياً باسم الامام زعموا له بالامامة التي هي أخت الخلافة وتعرضوا بمذهبهم في أنه أحق بالامامة الصلاة من أبي بكر لما هو بمذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ماداموا يدعون لهم في الخفاء حتى اذا استولوا على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده الى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس فانهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعاء له وعقدوا الرايات للعرب على



أمره فلما هلك دعى أخوه السفاح بأمر المؤمنين وكذا الرافضة بأفريقية فأنهم مازالوا  
يدعون أئمتهم من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا  
أيضا يدعونه بالامام ولا يسمونه أبي القاسم من بعده فلما استوسق لهم الامر دعوا من  
بعدهما بأمر المؤمنين وكذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمر المؤمنين  
ادريس الأصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمر المؤمنين  
وجعلوه معة لمن يملك الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز  
الدولة وأهل الملة والمفتح وازداد لذلك في عنقوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء  
يتميز به بعضهم عن بعض لما في أمير من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا  
لاسمائهم الاعلام عن امتنانها في السنة السوقة وصون الهاء عن الابدال فتلقبوا  
بالسفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد الى آخر الدولة واقفي أثرهم في ذلك  
العبيديون بأفريقية ومصر وتجا في بنو أمية عن ذلك بالمشرق قبلهم من الغضاضة  
والسذاجة لأن العربوية ومنازعهم لم تفارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة  
الى شعار الحضارة وأما بالاندلس فتلقبوا كسلفهم مع ما علموه من أنفسهم من القصور  
عن ذلك بالقصور وعن ملك الحجاز أصل العرب والملة والبعث عن دار الخلافة التي هي  
مركز العصية وأنهم انما منعوا بامارة القاصية أنفسهم من مهالك بني العباس حتى  
اذا جاء عبد الرحمن الداخل الآخر منهم وهو الناصر بن محمد بن الأمير عبد الله بن محمد  
ابن عبد الرحمن الاوسط لا قبل المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجز  
واستبداد الموالي وعيبتهم في الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبيد  
الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وأفريقية وتسمى بأمر المؤمنين وتلقب  
بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهب اتقن عنه ولم يكن لا بانه وسلف قومه  
واستمر الحال على ذلك الى أن انقرضت عصية العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب  
الموالي من العجم على بني العباس والصنائع على العبيديين بالقاهرة وصنما حاجة على  
أمرافريقية وزانة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على أمر بني أمية  
واقسموه وافترق أمر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والشرق في  
الاختصاص باللقاب بعد أن تسموا جميعا باسم السلطان \* فأما ملوك المشرق  
من العجم فكان الخلفاء يخصوصونهم باللقاب تشريفة حتى يستشعر منها انقيادهم  
وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة  
ونصير الدولة ونظام الملك وبيها الدولة وذخيرة الملك وأمثال هذه وكان العبيديون  
أيضا يخصوصون بها أمرافريقية فلما استبدت وعلت الخلافة قنعوا بهذه اللقب

وتجافوا عن ألقاب الخلافة أدباً معها وعدوا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين  
المستبدّين كما قلناه قبل ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على  
الملك وعلا مكانهم في الدولة والسطان وتلاشت عصية الخلافة وانحسرت بالجملة  
إلى انتقال الألقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور زيادة على ألقاب يختصون بها  
قبل هذا الانتقال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاء والاصطناع بما أضافوها إلى الدين  
فقط فيقولون صلاح الدين أسد الدين نور الدين \* وأما ملوك الطوائف بالاندلس  
فاقتسموا ألقاب الخلافة وتوزعوا القوة استبدادهم عليهم إجماعاً كانوا من قبيلها وعصبيتها  
فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبي شرف ينعي عليهم  
مما رزاهه دني في أرض اندلس \* أسماء معتمد فيها ومعتمد  
ألقاب مملكة في غير موضعها \* كالمهر يضحك انتفاخ صورة الأسد

وأما من هاجه فاقصروا على الألقاب التي كان الخلفاء العبيديون يلقبون بها للتبويه  
مثل نصير الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما أدالوا من دعوة العبيديين بدعوة  
العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهد هافنسوا هذه الألقاب  
واقصروا على اسم السلطان وهكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم يتكلموا شيئاً من  
هذه الألقاب إلا اسم الساطان جرياً على مذاهب البداوة والغضاضة ولما حكي رسم  
الخلافة وتعالى دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ذلك الملقب بملك  
العدوتين وكان من أهل الخير والاقتداء نزعته به همته إلى الدخول في طاعة  
الخليفة تكملاً لمراسم دينه فخاطب المستظهر العباسي وأوفد عليه ببيعة عبد الله  
ابن العربي وابنه القاضي أبابكر من مشيخة أسيلية يطلبان توليته إياه على المغرب  
وتقايده ذلك فالتقوا إليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعاراً بهم في أبوسه  
ورتبته وخاطبه فيه بأمر المؤمنين تشرى فإله واختصاصاً فالتقوا إليه ويقال أنه  
كان دعى له بأمر المؤمنين من قبل أدب مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه  
المرابطون من انتقال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على أثرهم داعياً إلى الحق  
أخذوا مذاهب الأشعرية ناعياً على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك  
التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف من مذهب  
الأشعرية وسمى أتباعه الموحدين تعريضاً بذلك النكبر وكان يرى رأى أهل البيت في  
الامام المعصوم وأنه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالامام  
أولاً لما قلناه من مذهب الشيعة في ألقاب خلفائهم وأردف بالمعصوم إشارة إلى  
مذهبه في عصمة الامام وتنزهه عند أتباعه عن أمير المؤمنين أخذوا مذاهب المتقدمين

من الشيعة ولمافيها من مشاركة الاغنيار والولدان من أعقاب أهل الخلافة يؤدّد  
بالمشرق ثم انتحل عبد المؤمن وليّ عهد هذه القبة بأمير المؤمنين وجرى عليه من بعده  
خلفاء بني عبد المؤمن وآل أبي حفص من بعدهم استثنى رايه عن سواهم لما دعا اليه  
شيخهم المهدي من ذلك وأنه صاحب الامر وأولياؤه من بعده كذلك دون كل  
أحد لا تنفاه عصبية قریش ولا شيهاف كان ذلك دأبهم ولما انتقض الامر بالمغرب  
وانتزعه زنانة ذهب أولهم مذاهب البداوة والسذاجة واتباع ملتونة في انتحال  
اللقب بأمير المؤمنين أدبامع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها لبني عبد المؤمن أولا  
وابني أبي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بأمير المؤمنين وانتحلوه  
لهذا العهد تبلاغا في منازع الملك وتقيما لمذاهبه وسماته والله غالب على أمره

### ٣٤ (فصل في شرح اسم البابو البطر كن في الملة النصرية واسم اللوهم عند اليهود)

(اعلم) أن الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على أحكامها وشرائعها ويكون  
كالخليفة فيهم للنبي فيما جاء به من التكليف والفروع الانسانية أيضا بما تقدم من  
ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم  
ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها  
مشروعا وعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا أو كرها اتخذت فيها  
الخلافة والملك اتوجه الشوكة من القائمين بها اليها معا وأما ما سوى الملة الاسلامية  
فلم تكن دعوتهم عادة ولا الجهاد عندهم مشروعا الا في المدافعة فقط فصارا قائما بأمر  
الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولا امر غير  
ديني وهو ما اقتضته اهم العصبية لمافيها من الطلب للملك بالطبع لما قد مدناه لانهم غير  
مكفين بالتغلب على الامم كما في الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون بأقامة دينهم في خاصتهم  
ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليهم انخروا ربهم امة سنة  
لا يعتنون بشيء من أمر الملك انما هم اقامة دينهم فقط وكان لقائهم به بينهم يسمى  
الـكـوهـن كأنه خليفة موسى صلوات الله عليه يقيم لهم أمر الصلاة والقربان  
ويشترطون فيه أن يكون من ذرية هرون صلوات الله عليه لان موسى لم يعقب ثم  
اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يولون أحكامهم  
العمامة والكوهن أعظم منهم رتبة في الدين وأبعد عن شغب الاحكام واتصل ذلك  
فيهم الى أن استحكمت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة للملك فغلبوا الكنعانيين على  
الارض التي أورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات



الله عليه فخاربتهم أمم الفاسطين والكنعانيين والارمن وأردن وعمان ومأرب ورياستهم  
 في ذلك راجعة الى شيوخهم وأقاموا على ذات نحو من أربع مائة سنة ولم تكن لهم  
 صولة الملك وضجر بنو اسرائيل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من أنبيائهم  
 أن يأذن الله لهم في عليك رجل عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلستين ثم  
 ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهم ما واستفعل المسكة وامتد الى الحجاز ثم أطراف  
 اليمن ثم الى أطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه  
 بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احدهما بالجزيرة والموصل  
 للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والسام لبني يهوذا وبنيامين ثم غلبهم بختنصر ملك  
 بابل على ما كان بأيديهم من الملك أولا الاسباط العشرة ثم ثانيا لبني يهوذا وبيت  
 المقدس بعد اتصال ملكهم نحو ألف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمات  
 دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق الى أن ردهم بعض ملوك الكيانية من افرس  
 الى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم  
 على الرسم الاول للكهنة فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندرونيون على الفرس  
 وصار اليهود في ملكهم ثم فشل أمر اليونانيين فاعتزاليهود عليهم بالعصبية الطبيعية  
 ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمناي  
 وقاتلوا يونان حتى انقضى أمرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت أمرهم ثم رجعوا الى  
 بيت المقدس وفيها بنو هيردوس اصهار بني حشمناي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة  
 ثم افتكحوها عنوة وأخشوا في القتل والهدم والتخريب وخربوا بيت المقدس  
 وأجلوهم عنها الى رومة وماوراءها وهو الخراب الثاني للمسجد ويسمونه اليهود  
 بالخلوة الكبرى فلم يقيم لهم بعدها ملك لفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة  
 الروم ومن بعدهم يقيم لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن \* ثم جاء المسيح  
 صلوات الله وسلامه عليه بمناجاةهم به من الدين والنسخ ليعض أحكام التوراة  
 وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابراء الاكاه والابرص واحياء الموتى واجتمع  
 عليه كثير من الناس وآمنوا به وأكثرهم الحواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر  
 وبعث منهم رسلا الى الآفاق داعين الى الله وذلك أيام أوغسطس أول ملوك  
 القيصرية وفي مدة هيردوس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناي اصهاره  
 فحسد اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملكهم ملك القيصرية أوغسطس بغريبه به  
 فأذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من أمره واقترق الحواريون شيعا ودخل  
 أكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم قنزل برومة دار

ملك القياصرة ثم كتبوا الانجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى الانجيل في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطيني وكتب لوقا منهم الانجيل باللطيني الى بعض أكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم الانجيل له برومة وكتب بطرس الانجيل باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع أنها ليست كلها وحيا صر قابل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها يسدا قلمي نطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها من شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة أسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا وأسفار الملوك أربعة وسفر بنيامين وكتب المقايين لابن كربون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومن امير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقة من الحواريين نسخ الانجيل الاربع وكتب القتاليقون سبع رسائل وثامنها الايريكسيس في قصص الرسل وكتاب بولس أربع عشرة رسالة وكتاب اقليم نطس وفيه الاحكام وكتاب أبوغالميس وفيه رؤيا يوحنا ابن زبدي واختلف شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم أهلها ثم تركها أخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغى الى أن جاء قسطنطين وأخذهم واستقروا عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه البطرل وهوريس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعدد عنه من أمم النصرانية ويسمونه الاسقف أي نائب البطرل ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويقيمهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب وأكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية الى أن قتله نيروز خامس القياصرة فيمن قتل من البطارق والاساقفة ثم قام بنجلا فته في كرسى رومة اريوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرل وهو أول البطاركة فيها وجعل معه اثني عشر قسا على أنه اذا مات البطرل يكون واحدا من اثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان أمر البطاركة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعدينهم وعقائدهم واجتمعوا بانيقية أيام قسطنطين

تصريح الحق في الدين واتفق الثمانية وعشرون أساقفتهم على رأي واحد في الدين  
فكتبوه وسموه الامام وصبروه أصلا ليرجعون اليه وكان فيما كتبوه أن البطرك القائم  
بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقسيسة كما قرره حنا نيسا تلميذ مرقس وأبطلوا ذلك  
الرأي وانما بقية قدم عن ملا واختيار من أئمة المؤمنين ورؤسائهم فبقى الامر كذلك ثم  
اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات في تقريره ولم يحتفوا في  
هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطرك وكان  
الاساقفة يدعون البطرك بالاب أيضا تعظيما له فأتته الاساقفة في انصارهم متطاولا يقال  
آخرها بطركية هرقل بالاسكندرية فأرادوا أن يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم  
فدعوه البابا ومعناه أبو الآباء وظهر هذا الاسم أول ظهوره بمصر على ما زعم جر جيس  
ابن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه  
كرسي بطرس الرسول كما قدمنا فلم يزل سمة عليه الى الآن ثم اختلفت النصرانية في دينهم  
بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية  
كل على صاحبها فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى أن استقرت  
لهم ثلاثة طوائف هي فرقةهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملككية واليعقوبية  
والنسطورية ولم نر أن نسخدم أوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهم في الجملة  
معروفة وكلها كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال  
ولا استدلال انما هو الاسلام أو الجزية أو القتل ثم اختلفت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك  
رومة اليوم المسمى بالبابا على رأي الملككية ورومة للأفرنجية وملكهم قائم بتلك الناحية  
وبطرك المعاهد بن بمصر على رأي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشة  
يدينون دينهم ولبطرك مصر فيهم أساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هناك واختص  
اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا تسمى البعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه  
اللفظة بيا من موحدين من أسفل والنطق بها متخمة والثانية مشددة ومن مذاهب  
البابا عند الأفرنجية أنه يحضهم على الانقياد الملك واحد يرجعون اليه في اختلافهم  
واجتماعهم يخرجون افتراق الكلمة ويتحرى به العصية التي لافوقها منهم لتكون  
يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرذور وحرفه الوسط بين الذال والطاء المجتمعتين  
ومباشرة يضع التساج على رأسه للبركة فيسمى المتوج ولعله معنى لفظة الانبرذور وهذا  
مختص ما وردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن والله يضل من  
يشاء ويهدي من يشاء



اعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمانة قلاقله من الاستعانة بأبناء جنسه  
 وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة فإظنك بسياسة نوعه ومن  
 استرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج إلى حياية الكافة من عدوهم بالمداخلة عنهم  
 وإلى كف عدوان بعضهم على بعض في أنفسهم بأهضاء الأحكام الوازنة بينهم وكف  
 العدوان عليهم في أموالهم بإصلاح سبلتهم وإلى جعلهم على مصالحهم ومآثمهم به  
 البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعاش والمكاييل والموازين حذرا من  
 التطفيف وإلى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش وإلى سياستهم  
 بما يريد منهم من الانقياد له والرضا بمقاصده منهم وانفرادهم بالمحددونهم فيتحمّل من  
 ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب قال بعض الأشراف من الحكماء لمعاناة نقل  
 الجبال من أماكنها أهون على من معاناة قلوب الرجال ثم إن الاستعانة إذا كانت بأولى  
 القربى من أهل النسب أو التربية أو الاصطناع القديم للدولة كانت أكمل لما يقع في  
 ذلك من مجانسة خلقهم بخلقهم فتمت المشاكلة في الاستعانة قال تعالى واجعل لي وزيرا  
 من أهلي هرون أخى أشد به أزرى وأشرك في أمرى وهو أمان يستعين في ذلك  
 بسيفه أو قلمه أو رأيه أو معارفه أو بحجابه عن الناس أن يزدجوا عليه فيستغلوه عن  
 النظر في مهماتهم أو يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفايته في ذلك واضطلاعه  
 فلذلك قد توجده في رجل واحد وقد تفرق في أشخاص وقد يفرع كل واحد منها إلى  
 فروع كثيرة كالقلم يفرع إلى قلم الرسائل والمخاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات وإلى  
 قلم المحاسبات وهو صاحب الجباية والعطاء وديوان الجيش وكالسيف يفرع إلى  
 صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور\* ثم اعلم أن الوظائف  
 السلطانية في هذه الملة الإسلامية مندرجة تحت الخلافة لا تحت منصب الخلافة على  
 الدين والدنيا كما قدمناه فالأحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة  
 منها في سائر وجوه العموم تعلق الحكم الشرعي بجميع أفعال العباد والفقهاء  
 ينظرون في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها استبداد على الخلافة وهو معنى  
 السلطان أو نعوياضها وهو معنى الوزارة عندهم كما يأتي وفي نظره في الأحكام  
 والأموال وسائر السياسات مطلقا أو مقيدا أو في موجبات العزل إن عرضت وغير ذلك  
 من معاني الملك والسلطان وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة  
 أو جباية أو ولاية لا بد للفقهاء من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من انسحاب حكم  
 الخلافة الشرعية في الملة الإسلامية على رتبة الملك والسلطان الآن كلامنا في وظائف  
 الملك والسلطان ورتبته انما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصها

من أحكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا يحتاج الى تفصيل أحكامها الشرعية مع أنها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل كتاب القياضي أبي الحسن الماوردي وغيره من أعلام الفقهاء فان أردت استيفاءها فعليك بمطالعتهما هنالك وانما تركنا في الوظائف الخلافية وأقرناها بالميز بينا وبين الوظائف السلطانية فقط لا لتحقيق أحكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا وانما استكمل في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق

\* (الوزارة) \* وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة مأخوذة تمام من الموازنة وهي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كادنا في أول الفصل أن أحوال السلطان ونصرتاته لا تعدو أربعة لانها إما أن تكون في أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق وللهذا العهد بالغرب وإما أن تكون في أمور مخاطبته لمن يعد عنه في المكان أو في الزمان وتنفيذه الاوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وإما أن تكون في أمور جباية المال وإتفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزير بهذا العهد بالمشرق وإما أن يكون في مدافعة الناس ذوى الحاجات عنه أن يزدحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبه فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه وكل خطة أو رتبة من رتب الملك والسلطان فاللهما يرجع الآن الارتفاع منهما ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذ هو يقتضى مباشرة السلطان دائماً ومشاركته في كل صنف من أحوال ملكه وإما ما كان خاصاً ببعض الناس أو ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الأخرى كقيادة ثغراً أو ولاية جباية خاصة أو النظر في أمر خاص كحسبة الطعام أو النظر في السكة فان هذه كلها تنظر في أحوال خاصة فيكون صاحبها تبعاً لأهل النظر العام وتكون رتبته من رتبة لا وثيك وما زال الأمر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الأمر خلافاً فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأى والمفاوضة فيه فلم يكن زواله اذ هو أمر لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويناقضهم في مهماته العامة والخاصة ويخص مع ذلك أبواباً بـ كسر بخصوصيات أخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقبصر والنجاشي يسمون أبا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين

المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداجة الاسلام وكذا عمر مع أبي بكر وعلي وعثمان مع عمر  
وأما حال الجباية والاتفاق والحسبان فلم يكن عندهم رتبة لأن القوم كانوا عرباء أميين  
لا يحسنون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب أهل الكتاب أو أفرادا  
من موالى العجم ممن يجيده وكان قليلافهم وأما أشرافهم فلم يكونوا يجيدونه لأن الأمية  
كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال المخاطبات وتنفيذ الأمور لم تكن عندهم رتبة  
خاصة للأمية التي كانت فيهم والأمانة العامة في كتمان القول وتأديته ولم يخرج  
السياسة إلى اختياره لأن الخلافة إنما هي دين ليست من السياسة الملكية في شيء  
وأيا فلم تكن الكتابة صناعة فيمتجدد للخليفة أحسنها لأن الكل كانوا يعبرون عن  
مقاصدهم بأبلغ العبارات ولم يبق إلا الخط فكان الخليفة يستدب في كتابته من عظماء  
من يحسنه \* وأما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم فكان محظورا بالشرعية فلم  
يفعلوه فلما انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء يبدئ  
به في الدولة شأن الباب وسدّه دون الجمهور بما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال  
الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمر بن العاص وغيرهم مع ما في فتحه من  
ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسماه الحاجب  
وقد جاء أن عبد الملك لما ولي حاجبه قال له قد وليتك حجابة بابي إلا عن ثلاثة المؤذن  
للصلاة فإنه داعي الله وصاحب البريد فأمر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم  
استفعل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في أمور القبائل والعصائب واستلأفهم  
وأطلق عليه اسم الوزير وبقي أمر الحسبان في الموالى والذميين واتخذ للسجلات كاتب  
مخصوص حوطة على أسرار السلطان أن تشترقفسد سياسته مع قومه ولم يكن بمثابة  
الوزير لأنه إنما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام  
أذا اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك أرفع رتبهم يومئذ هذا  
في سائر دولة بني أمية فكان النظر للوزير عا مافي أحوال التدبير والمفاوضات وسائر  
أمر والحجيات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض العطاء لاهله  
وعبر ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستفعل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم  
شأن الوزير وصارت إليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعيين مرتبته في الدولة وعنت  
لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما احتاج إليه  
خطته من قسم الاعطيات في الجند فاحتاج إلى النظر في جمعه وتفريقه وأضيف إليه  
النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل اصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما  
كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذباع



والشباع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعاً لخطى السيف والقلم وسائر معاني الوزارة  
والمعارضة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة الى عموم نظره  
وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الجبائية التي هي القيام على  
الباب فلم تكن له لاستنكافه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على  
السلطان وتعاور فيها الاستبداد الوزارة مرة والسلطان أخرى وصار الوزير اذا استبد  
محتاجا الى استنابة الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية ونجى على حالها كما تقدم  
فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائما على نفسه  
والى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار  
الامر للملوك العجيم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لاولئك المتغلبين أن يتحلوا ألقاب  
الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب لانهم خول لهم فسموا بالامامة  
والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الامراء وبالسلطان الى ما يحل به به  
الخليفة من ألقابه كما تراه في ألقابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها بالخليفة في  
خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت  
صناعة يتحلها بعض الناس فامتنعت وترفع الوزراء عنها لذلك ولانهم يحجم وليست تلك  
البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت  
خادمة للوزير واختص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع اليها ويده مع  
ذلك عالية على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل امانيا وأستبداد واستمر الامر على  
هذا ثم جاءت دولة التركة آخر ايام مصر فراء وأن الوزارة قد ابتذلت وترفع أولئك عنها  
ودفعها لمن يقوم بها الخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصارت هروسة  
ناقصة فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار  
صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقي اسم  
الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجبائية \* وأما دولة بني  
أمية بالاندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافا  
وأفردوا لكل صنف وزيرا فجعلوا الحسبان المال وزيرا وللتربيل وزيرا وللنظر في  
حوائج المتظلمين وزيرا وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيرا وجعل لهم بيت يجلسون  
فيه على فرش منضدة لهم ويتقدون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفردوا للتردد  
بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم مباشرة السلطان في كل وقت فارتفع  
مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت  
خطة الحاجب ومرتبتهم على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف يتحلون لقبها

فأكثرهم يومئذ يسمى الحجاب كما ذكره ثم جاءت دولة الشيعة باقر يقية والقبروان  
وكان للقائمين بهار سوخ في البداوة فاعقلوا أمر هذه الخطط أولاً وتنقيح أسمائها حتى  
أدركت دولتهم الحضارة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم في وضع أسمائها كما تراهم في  
أخبار دولتهم \* ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك أغفلت الأمر أولاً للبداوة  
ثم صارت إلى احتمال الأسماء والألقاب وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة  
الأمويين وقلدوها في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان  
في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم  
والآداب التي تلزم في الكون بين يديه ورفعوا خطة الحجابة عنه ماشاءوا ولم يزل الشأن  
ذلك إلى هذا العهد وأما في دولة الترك بالمشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على  
حدود الآداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه  
الدويدار ويضربون إليه استتباع كآب السر وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات  
السلطان بالقاصية وبالخاضرة وحالهم على ذلك لهذا العهد والله مولى الأمور لمن يشاء  
\* (الحجابة) قد قدمنا أن هذا الملقب كان مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن  
يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتح لهم على قدره في مواقفه  
وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط من رئاسة لها إذا الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا  
كانت سائر أيام بني العباس وإلى هذا العهد فهي بمصر من رئاسة لصاحب الخطة العليا  
المسمى بالنائب \* وأما في الدولة الأموية بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان  
عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت في دولتهم  
رفيعة غاية كما تراهم في أخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على  
الدولة اختص المستبد باسم الحجابة لشرفها فكان المنصورين أبي عامر وأبناؤه كذلك  
ولما بدوا في مظاهر الملك وأطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها  
وكانوا يعدونها شرفاً لهم وكان أعظمهم مدكاً بعد احتمال الألقاب الملك وأسمائها لا بد له  
من ذكر الحجاب وذى الوزارتين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة  
السلطان عن العامة والخاصة وبذى الوزارتين على جمعه لخطى السيف والقلم ثم لم يكن  
في دول المغرب باقر يقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التي كانت فيهم وربما يوجد في دولة  
العبيدين بمصر عند استعظامها وحضارتها إلا أنه قليل \* ولما جاءت دولة الموحدين  
لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى احتمال الألقاب وتميز الخطط وتعيينها بالأسماء  
الآخر فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير فكانوا أولاً يخصون بهذا الاسم السكاك  
المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كابن عطية وعبد السلام الكومي وكان له

مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب  
الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم يومئذ  
(وأما بنو أبي حفص باقر بقية) فكانت الرياسة في دولتهم أولا والتقديم لوزير الرأى  
والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود  
العساكر والحروب واختص الحساب والديوان برتبة أخرى ويسمى متوليها بصاحب  
الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الاموال  
ويعاقب على التفريط وكان من شرطه أن يكون من الموحدين واختص عندهم القلم  
أيضا بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعل القوم ولا  
الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزين  
بداره الى قهرمان خاص بداره في أحواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء  
وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرها ما وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه  
في ذلك على أهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما أضافوا اليه كتابة العلامة على  
السجلات اذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على  
ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين  
أهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدلالة السيف والحرب ثم الرأى والمشورة فصارت  
الخطبة أرفع الرتب وأوعبها للخطط ثم جاء الاستبداد والجريمة من بعد السلطان الثاني  
عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس على نفسه وأذهب آثار الجبر  
والاستبداد بذهاب خطة الجباية التي كانت سما اليه وبأشراؤه كلها بنفسه من  
غير استعانة بأحد والامر على ذلك لهذا العهد

\* (وأما دولة زناتة بالمغرب) \* وأعظمها دولة بني مرين فلا أثر لاسم الحاجب عندهم  
وأما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحساب والرسائل راجعة الى  
من يحسنها من أهلها وان اختصت ببعض البيوت المصطنعين في دولتهم وقد تجمع  
عندهم وقد تفرق وأما باب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى  
صاحبها بالمزاور ومعناه المقدم على الجنادة المتصرفين باب السلطان في تنفيذ أوامره  
وتصرف عقوباته وانزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك  
فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامه راجع اليه فكانهم اوزارة  
صغرى

\* (وأما دولة بني عبد الواد) \* فلا أثر عندهم لشي من هذه الالقاب ولا تميز الخطط  
لبداوة دولتهم وقصورها وانما يخصون باسم الحاجب في بعض الاحوال منفذ



الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني أبي حفص وقد يجمعون له الحسابان  
والسجل كما كان فيها عملهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها  
منذ أقول أمرهم

\* (وأما أهل الأندلس لهذا العهد) \* فالخصوص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال  
السلطان وسائر الأمور المالية يسمونه بالوكيل وأما الوزير فكان الوزير الأمانة قد يجمع  
له الترسل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خط العلامة  
كما غيرهم من الدول

\* (وأما دولة الترك بمصر) فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة  
وهم الترك ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم  
تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة وفي العامة على الإطلاق وللنائب  
التولية والعزل في بعض الوظائف على الأحيان ويقطع القلبيل من الأرزاق ويثبتها  
وتنفذ وأمره كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب  
الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع اليهم واجبار من أبي الانقياد للحكم  
وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الأموال في الدولة  
على اختلاف أصنافها من خراج أو مكس أو جزية ثم في قصر يفها في الانقادات  
السلطانية أو الجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل في سائر الأعمال المباشرة  
لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم ومن عوائدهم أن  
يكون هذا الوزير من صنف القبط القائمين على ديوان الحسبان والجباية لا يختص بهم  
بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الأحيان لأهل الشوكة  
من رجالات الترك أو أبناءهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الأمور ومصر فيها  
بحكمته لا اله الا هو رب الأولين والآخرين

### ﴿ ديوان الأعمال والجبايات ﴾

اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات  
وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم  
وصرف أعطياتهم في إباناتهم والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومة تلك  
الأعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهدي تفاصيل ذلك في الدخل  
والخرج مبني على جز كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى  
ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها \* ويقال إن

أصل هذه التسمية أن كسرى نظر يوماً الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم  
كانهم يحاذون فقال ديوانه أي مجانبين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت  
الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقبل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال  
المتضمن للقوانين والحسابات وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية سمي الكتاب بذلك  
لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والخفي وجمعهم لما شذو وتفرق  
ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فابتناول اسم الديوان كتاب الرسائل  
ومكان جلوسهم بباب السلطان على ما يأتي بعد وقد تفرده هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر  
في سائر هذه الاعمال وقد يفر دكل صنف منها بناظر كما يفر في بعض الدول النظر في  
العساكر واقطاعاتهم وحسبان اعطياتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة  
وما قرره أولوها \* واعلم أن هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند تمكن الغلب  
والاستيلاء والنظر في اعطاف الملك وفنون التمهيد وأقل من وضع الديوان في الدولة  
الاسلامية عمر رضي الله عنه يقال لسبب مال أتى به أبوهريرة رضي الله عنه من  
البحرين فاستكثروا وتعبوا في قسمه فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق  
فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام يدقون فقبل منه عمر وقيل بل  
أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم بغيبة من  
يغيب منهم فان من تخلف أخل بكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديوانا وسأل  
عمر عن اسم الديوان فعبّر له ولما اجتمع ذلك أمر عقيم بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل  
وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب  
الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب  
هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب ان ذلك كان في  
الحرم سنة عشرين \* وأما ديوان الخراج والجبایات فبقي بعد الاسلام على ما كان  
عليه من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من  
أهل العهد من القريش ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل  
القوم من غضاضة البداهة الى رونق الحضارة ومن سدا جة الامة الى حذق الكتابة  
وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسبان فأمر عبد الملك سليمان بن  
سعد والى الاردن لعهد هذه أن ينقل ديوان الشام الى العربية فأكمل له سنة من يوم  
ابتدائه ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير  
هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم \* وأما ديوان العراق فأمر الجراح كاتبه صالح  
ابن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية ولحق ذلك عن زاذان فروخ كاتب

الخراج قبله ولما قتل زادن في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف الخراج صالحا  
 هذا مكانه وأمره أن ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم ذلك كتاب  
 الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ثم جعلت  
 هذه الوظيفة في دولة بني العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شأن بني برمك  
 وبني سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة \* وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من  
 الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش أو بيت المال في الدخل والخرج وتعيين النواحي  
 بالصلح والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يـ<sup>كون</sup> وشروط الناظر فيها والكتاب  
 وقوانين الحسابات فأمر راجع الى كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هناك  
 وليست من غرض كتابنا وانما نتكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام  
 فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثلثة أركان له لان الملك لا بد له من الجند  
 والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان في أمر السيف وأمر  
 القلم وأمر المال فينفرد صاحبها بذلك يحجز من رئاسة الملك وكذلك كان الامر في دولة  
 بني أمية بالاندلس والطوائف بعدهم \* وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما  
 يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الاموال وجمعها وضبطها وتعبق نظر  
 الولاية والعمال فيها ثم تنفذها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال  
 وكان رعاياها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها \* ولما استبد بنو أبي حفص  
 بافريقية وكان شأن الجالية من الاندلس فقدم عليهم أهل البيوتات وفيهم من كان  
 يستعمل ذلك في الاندلس مثل بنى سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين بنى  
 أبي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس  
 ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها أهل الحسبان والكتاب وخرجت عن  
 الموحدين ثم لما استغلظ أمر الحاجب ونفذ أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل  
 هذا الرسم وصار صاحبه مرؤسا للحاجب وأصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرئاسة  
 التي كانت له في الدولة \* وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج مجموع  
 لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع الى ديوانه ونظره  
 معقب بنظر السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحسابان في الخراج والعطاء هذه  
 أصول الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة  
 للسلطان \* وأما هذه الرتبة في دولة الترك فتشتمل على ديوان العطاء يعرف بناظر  
 الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة  
 للدولة وهو أعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال عندهم يتنوع



التي رتب كثيرة لانفساح دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الاموال والجبایات عن  
أن يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر  
العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولى من موالى السلطان  
وأهل عصيته وأرباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويجتهد جهده في  
في متابعتها ويستبي عندهم استاذ الدولة وهو أحد الامراء الاكابر في الدولة من الجند  
وأرباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة الى الاموال  
والحسابان مقصورة النظر على أمور خاصة مثل ناظر الخصاص وهو المباشر لاموال  
السلطان الخاصة به من اقطاعه أو سهمانه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس  
من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الامير استاذ الداروان كان الوزير من الجند  
فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه ونظر الخصاص تحت يد الخازن لاموال السلطان من  
مما يملكه المسمى خازن الدار لاختصاص وظيفته بمجال السلطان الخاص \* هذا  
بيان هذه الخطة بدولة الترتل بالمشرق بعدما قدمناه من أمرها بالمغرب والله مصرف  
الامور لارب غيره

### ❖ ديوان الرسائل والكتابة ❖

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغنائه كثير من الدول عنها رأسا كما في الدول  
العريقة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وانما أكد  
الحاجة اليها في الدولة الاسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد  
فصار الكتاب يؤدى كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكاتب  
للامير يكون من أهل نسله ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمرء الصحابة بالشأم  
والعراق اعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم لما فسد اللسان وصار صناعة اختص عن  
يحسنه وكانت عند بني العباس رفيعه وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقه ويكتب في  
آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته  
يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند  
طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها  
علامته أولا أو آخر اعلی حسب الاختيار في محلهما وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة  
بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد  
وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة بالحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها  
فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم بعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة

الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم  
العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة اتباعا لماسلف من أمرها فصار الحجاب  
يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويختاره من صيغ الانفاذ ما شاء فيما أمر  
الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان  
مستبدا بأمره فاعلم على نفسه فبرسم الامر للكاتب ليضع علامته \* ومن خطط  
الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله  
ويوقع على القصص المرفوعة اليه أحكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان بأمر  
لفظ وأبلغه فاما أن تصدر كذلك واما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد  
صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه وقد كان  
جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة الى صاحبها فكانت  
توقعه تنافس البلاغة في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى  
قبل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول \* واعلم أن صاحب  
هذه الخطة لابد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل الرواة والحكمة منهم وزيادة  
العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك  
ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على  
الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر اليه في الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من  
البلاغة وأسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى أرباب السبوف لما  
يقضي به طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لاجل سداجة العصبية فيختص  
السلطان أهل عصبية بخطط دولته وسائر رتبة فيقلد المال والسيف والكتابة منهم  
فأما رتبة السيف فتستغنى عن معاناة العلم وأما المال والكتابة فيضطر الى ذلك للبلاغة  
في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من هذه الطبقة ما دعت اليه الضرورة  
ويقلدونه الا أنه لا تكون يد آخر من أهل العصبية غالبية على يده ويكون نظره متصرفا  
عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فان الكتابة عندهم وان كانت لصاحب  
الانشاء الا أنه تحت يد أمير من أهل عصبية السلطان يعرف بالدو يدار وتعويل  
السلطان ووثوقه به واستنماسته في غالب أحواله اليه وتعويله على الاخر في أحوال  
البلاغة وتطبيق المقاصد وكتمان الاسرار وغير ذلك من توابعها \* وأما الشروط  
المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من أصناف  
الناس فهي كثيرة وأحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب  
وهي أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقمكم وأرشدكم فان

الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين  
 ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء وصرقهم في صنوف  
 الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم فجعلكم  
 معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروءات والعلم والرزانة بكم ينظم  
 للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وينجح انكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم  
 لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الامنكم فوقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي  
 بها يسمعون وابصارهم التي بها يصرون والسنن التي بها ينطقون وايديهم التي بها  
 يبطشون فامة بكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما اضافه من  
 النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها اخرج الى اجتماع خلال الخير  
 المحموده وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي  
 في هذا الكتاب من صفتكم فان الكتاب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي  
 يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما في موضع الحلم فهما في موضع الحكم مقداما  
 في موضع الاقدام مجابا في موضع الاجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف  
 كتوما للاسرار وفيما عند الشدائد دعا اليها ياتي من النوازل يضع الامور مواضعها  
 والطوارق في اماكنها قد نظرت في كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه اخذ  
 منه بقدر ما يكفي به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل  
 وروده وعاقبة ما يصد عنه قبل صدوره فيعدل لكل امر عذته وعماده ويهي لكل وجه  
 هيئته وعادته فتناقصوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين  
 وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف السننكم ثم اجدوا  
 الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب  
 والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه هممكم ولا تضيعوا  
 النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودينها  
 وسفاسف الامور ومحارها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن  
 الدناءة وآربؤوا بانفسكم عن السعاية والتميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر  
 والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلية من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في  
 صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو اليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم  
 وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويشوب اليه  
 امره وان اقعس اجدانكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه  
 وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من



اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في  
الشغل محمدا فلا يبصر فيها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه  
وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب  
أسرع منه الى القراء وهو لَكُمْ أفسد منه لها فقد علمت أن الرجل منكم اذا صاحبه من  
يذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقه له من وفائه وشكره  
واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جراه لحقه ويصدق ذلك تبعا  
له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ماله فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم  
في حالة الرخاء والشدّة والحرم والمواساة والاحسان والسرّاء والضراء فنعمت  
الشيمة هذه من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم أو صير  
اليه من أمر خلق الله وعباله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على  
الضعيف رقية وللمظلوم منصف فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بهياله ثم ليكن  
بالعدل حاكما ولا اشراف مكرما وللفق موفرا وللبلاء عامرا وللعريّة متألّفا وعن  
أذا هم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سمعلات خراجة واستقضاء حقوقه  
رفيقا واذا صاحب أحدكم رجلا فليختبر خلّقه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانها على  
ما يوافق من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بأطف حيلة وأجل  
وسيلة وقد علمت أن سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها  
فان كانت رموحا لم يهجمها اذا ركبها وان كانت شجوبا اتقاها من بين يديها وان خاف  
منها شرودا توقاها من ناحية وأسها وان كانت حرونا قم برفق هواها في طرقها فان  
استمرت عطفها يسير افساس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن  
ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكتاب لفضل أدبه وشريف  
صنعيته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاولة من الناس وينظره ويفهم عنه  
أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس  
البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطايا الا بقدر ما يصيرها اليه  
صاحبها الرأكب عليها الا فارفقوا رجلكم الله في النظر واعلموا ما أمكنكم فيه من  
الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن يهيموه النبوة والاستئصال والجفوة ويصير منكم  
الى الموافقة وتصيروا منه الى المواخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في  
هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه ونباله وخدمه وغير ذلك من فنون  
أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحسبون في  
خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا

على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرناه لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف  
وسوء عاقبة الترف فانهم ما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهم ولا سيما  
الكتاب وأرباب الآداب وللأمور أشباهها وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على  
مؤتلف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير وأضحها محجة  
وأصدقها حجة وأجدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل  
لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصده الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه  
وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفوعة  
للساغل عن اكثاره وليضرب الى الله في صله توفيقه وامداده بتسديده مخافته وقوعه  
في الغلط المضرب يده وعقله وآدابه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذي برز من  
جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه  
أو مقالته الى أن يكلفه الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله  
غير خاف ولا يقول أحد منكم انه أبصر بالأمور وأجمل لعب التدبير من مرافقه في  
صناعته ومصاحبه في خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رعى بالعجب  
ورأى ظهره ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجل في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين  
أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تركية لنفسه ولا يكثر على  
أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته  
والتذلل لعزته والتحدث بنعمته (وأنا أقول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه  
النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغزة كلامه بعد الذي فيه من ذكر  
الله عز وجل فلذلك جعلته آخره ونعمته به تولا نا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما  
يتولى به من سبق علمه بإسعاده وارشاده فان ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة  
الله وبركاته اهـ \* (الشرطة) \* ويسمى صاحبها بهذا العهد باقرية الحاكم وفي  
دولة أهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك الوالي وهي وظيفة مرؤسة لصاحب  
السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الاحيان وكان أصل وضعها في  
الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدائها أو لانهم الحدود بعد استيفائها  
فان التهم التي تعرض في الجرائم لا تنظر للشرع الا في استيفاء حدودها والسياسة النظر  
في استيفاء موجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القرائن لما توجه به  
المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم به هذا الاستبداء وباستيناء الحدود بعده اذا  
تبرزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة ورجعوا اليه النظر في الحدود والدماء  
باطلاق وأفردوها من نظر القاضي ونزها هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء

الخاصة من مواليتهم ولم تكن عامة التسمية في طبقات الناس انما كان حكمهم على  
الدهماء وأهل الريب والضرب على أيدي الرعاء والفجرة ثم عظمت بناهتها في دولة  
بنى أمية بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغيرة وجعل حكم الكبرى  
على الخاصة والدهماء وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على  
أيديهم في الظلمات وعلى أيدي أقاربهم ومن اليهم من أهل الجاه وجعل صاحب  
الصغرى مخصوصا بالعامة ونصب لصاحب الكبرى كرسي يباب دار السلطان ورجال  
يتبوئون المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها الا في تصرفه وكانت ولايتها لا كبر من  
رجال الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابة \* وأما في دولة الموحدين بالمغرب  
فكان لها حظ من التنويه وان لم يجعلوها عامة وكان لا يليها الا رجال الموحدين  
وكبارهم ولم يكن له التحكم على أهل المراتب السلطانية ثم فسد اليوم منصبها  
وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين \* وأما  
في دولة بني مرين لهذا العهد بالمشرق فولايتها في بيوت من مواليتهم وأهل اصطنائهم  
وفي دولة الترك بالمشرق في رجال الترك أو أعقاب أهل الدولة قبلهم من الكرد  
يتخبرونهم لها في النظر بما ينظرونهم من الصلابة والمضاء في الاحكام لقطع مواد  
الفساد وحسم أبواب الذعارة وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعهم مع اقامة  
الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب  
الليل والنهار وهو العزيز الجبار والله تعالى أعلم

\* (قيادة الاساطيل) \* وهي من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وافريقية  
ومرؤسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في  
عرفهم الملقب بتفخيم اللام منقولاً من لغة الافرنجة فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما  
اختصت هذه المرتبة بملك افريقية والمغرب لانهم جميعاً على ضفة البحر الرومي من  
جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى الاسكندرية الى  
الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجة والصقالبة والروم الى بلاد  
الشام أيضاً يسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة الى أهل عدوته والساكنون  
بسياف هذا البحر وسواحلهم من عدوته يعانون من أحوالهم لا تعانيناهم من أمم  
البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي  
وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله  
ولما أسف من أسف منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى  
المغرب أجازوا في الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من أيديهم



أمرها وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسيطلة وجلولا ومروناق وشرشال  
وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبيع الاساطيل  
لحربه مشكونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفاقيه  
معروفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن  
العاصي رضي الله عنه ما أن صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق  
ضعيف ودود على عود فأوعز حينئذ بجمع المسلمين من ركوبه ولم يركبه أحد من العرب  
الامن افتات على عمر في ركوبه ونال من عقاب كما فعل بعرجة بن هرثة الازدي سيد  
بجيلة لما اغراه عمان فبلغه غزوه في البحر فأنكر عليه وعنفه أنه ركب البحر لا غزوه ولم  
يزل الشأن ذلك حتى اذا كان لعهد معاوية أذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على  
أعدائه والسبب في ذلك أن العرب كانوا البداءة بهم لم يكونوا أول الامر مهرة في ثقافته  
وركوبه والروم والافرنجة لما رستم أحواله ومر باهم في التقلب على أعدائه مرنوا  
عليه وأحكموا الدرية بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشيخ سلطانهم وصارت أمم العجم  
خولاهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من  
النوايسة في حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا  
بصراهم فشرهوا الى الجهاد فيه وأنشؤا السفن فيه والشواني وشحنوا الاساطيل  
بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واختصوا  
بذلك من ممالكهم وغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية  
والمغرب والاندلس وأوعز الخليفة عبد الملك الى حسان بن النعمان عامل افريقية  
باتخاذ دار الصناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان  
فتح صقلية أيام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد أسد بن القرات شيخ  
الفتيا وفتح قوصرة أيضا في أيامه بعد أن كان معاوية بن حديج أغزى صقلية أيام معاوية  
ابن أبي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتح على يد ابن الاغلب وقائده أسد بن القرات  
وكانت من بعد ذلك اساطيل افريقية والاندلس في دولة العبيدين والامويين  
تتعاقب الى بلادهم في سبيل القسنة فنجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب  
وانتهى أسطول الاندلس أيام عبد الرحمن الناصر الى مائتي مركب وأنحوها  
وأسطول افريقية كذلك مثله أو قريبا منه وكان قائد الاساطيل بالاندلس ابن رماحس  
ومرفؤها للمحط والاقلاع بجاية والمريه وكانت اساطيلها مجمعة من سائر الممالك من كل  
بلد تتخذ فيه السفن أسطول يرجع نظره الى قائد من النوايسة يدبر أمر حربه وسلاحه  
ومقاتلته ورئيس يدبر أمر جريته بالريح أو بالمجاديف وأمر ارسائه في مرفئه فاذا

اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل أو غرض سلطانى مهمم عسكرت برقتها المعلوم  
وشحنها السلطان برجاله وانجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى  
طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظرون أيامهم بالفتح  
والغنمة وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع  
جوانبه وعظمت صواتهم وساطاتهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل بأساطيلهم بشئ  
من جوانبه وامتنوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح  
والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل سيورقة ومنورقة  
ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم  
والافرنج وكان أبو القاسم الشيعى وأبناءؤه يغزون أساطيلهم من المهديّة جزيرة  
جنوة فتسلب بالظفر والغنمة وافتتح مجاهد العامرى صاحب دانية من ملوك  
الطوائف جزيرة سردانية في أساطيلهم سنة خمس وأربعمائة وارتجعها النصارى لوقتها  
والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيهم  
جائية وذهابة والعساكر الاسلامية تجيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير  
المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتحنن في عمالكم كما وقع في  
أيام بنى الحسين ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيدين وانحازت امم النصرانية  
بأساطيلهم الى الجانب الشمالى الشرقى منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر  
الرومانية لابعادونها وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الاسد على فريسته وقد  
ملأت الاكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحررا فلم تسبح  
لنصرانية فيه ألواح حتى اذا أدركت الدولة العبيدية والاموية الفشل والوهن وطرقها  
الاعتلال مد النصارى أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة  
فملكوها ثم أخذوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا طرابلس وعسقلان وصور  
وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه  
كنيسة لاطهار دينهم وعبادتهم وغلبوا بنى خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس  
ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا المهديّة مقر ملوك العبيديين من يد أعقاب بلكين بن  
زبرى وكانت لهم في المائة الخامسة الكثرة بهذا البحر وضعف شأن الاساطيل في دولة  
مصر والشام الى أن انقطع ولم يعتنوا بشئ من أمره لهذا العهد بعد ان كان لهم  
به في الدولة العبيدية عناية تتجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه  
الوظيفة هنالك وبقيت بافر بقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربى  
من هذا البحر لهذا العهد موفورا لاساطيل ثابت القوة لم يحيفه عدو ولا كانت لهم به

كرتة فكان قائد الاسطول به لعهد لتونة بن ميمون رؤساء جزيرة قادس ومن أيديهم  
 أخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد  
 العدوتين جميعا \* ولما استفتحت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا  
 العدوتين أقادوا خطة هذا الاسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائد  
 أسطولهم أحمد الصقلي أصله من صديغار الموطنين بجزيرة جربة من سربوكش  
 أسره النصارى من سواحلها وربى عندهم واستخلصه صاحب صقلية وأنته كفايته  
 هلك وولى ابنه فأخطه ببعض النزعات وخشى على نفسه ولحق بتونس ونزل على  
 السيد بهامن بن عبد المؤمن وأجاز إلى مراکش فملقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن  
 بالبرية والكرامة وأجرل الصلة وقلده أمرا أساطيله فجلى في جهاد أمم النصرانية  
 وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين \* وانتهت أساطيل  
 المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه ولما قام  
 صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهدده باسترجاع ثغور الشام من يدا  
 النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبثائه تابعت أساطيلهم الكفرية  
 بالمدد تلك الثغور من كل ناحية قريية لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه  
 فأمدوهم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستقرار الغلب لهم في  
 ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعددت أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل  
 عن ممانعتهم هناك كما أشرنا إليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور  
 سلطان المغرب لعهدده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك  
 شيرز وكان ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا إلى  
 ملك المغرب طالبامدد الاساطيل لتجول في البحر بين أساطيل الكفرة وبين مرامهم  
 من أمداد النصرانية بثغور الشام وأحجبه كتابه إليه في ذلك من انشاء الفاضل  
 البيهقي يقول في افتتاحه فتح الله لسيدهنا أبواب المناج والميامن حسانا قلعه العماد  
 الاصفهاني في كتاب الفتح القدس فنقم عليهم المنصور تجافهم عن خطابه بأمر المؤمنين  
 وأسرها في نفسه وجلهم على مناهج البر والكرامة وردتهم إلى مرسلهم ولم يجبه إلى  
 حاجته من ذلك \* وفي هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل  
 للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عنابة الدول بمصر  
 والشام لذلك العهد وما بعده لشأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما  
 هلك أبو يعقوب المنصور واعتمدت دولة الموحدين واستوات أمم الجلالة على الأكثر  
 من بلاد الاندلس وأجلا المسلمون إلى سيف البحر وملكوا الجزائر التي بالجانب



الغربي من البحر الرومي قويته ربحهم في بسط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان أبي الحسن ملك زنادة بالمغرب فان أساطيله كانت عند مرأته الجهاد مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم ترأجت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصاري فيه الى دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر بأحواله وغلب الامر في لجته وعلى أعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الاقليين من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان أو قوة من الدولة تستجيب لهم أعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض مسلما وبقية الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهودا للمعاشاة تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستنبون الربح على الكفر وأهلهم من المشتهرين أهل المغرب عن كتب الحدثان أنه لا بد للمسلمين من الكثرة على النصرانية واقتتاح ما وراء البحر من بلاد الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين وهو حبيبنا ونعم الوكيل

### ٣٦ (فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول)

(اعلم) أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره الا أن الحاجة في أول الدولة الى السيف مادام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها كما ذكرناه ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدمناه فتحتمل الدولة الى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن أول الامر في تمهيد ما فيكون للسيف منزلة على القلم في الحالتين ويكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاها وأكثر نعمة وأسنى اقطاعا واما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها ببعض الشيء عن السيف لانه قد تمهد أمره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى نصريته وتكون السيوف مهمة في مضاجع اغمارها الا اذا تابت نائبة أو دعت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون أرباب الاقلام في هذه الحاجة أوسع جاها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر اليه ترددا في خلواته نجيا لانه حينئذ آتاه التي به ليس يظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطائه وتنقيف أطرافه والمباهاة

بأحواله ويكون الوزراء حيث تدوا أهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن باطن  
السلطان حذرين على أنفسهم من بوارده \* وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم  
للمصور حين أمره بالقدوم أما بعد فإنه مما حفظناه من وصايا الفرس أخوف  
ما يكون للوزراء إذا سكنت الدهماء سنة الله في عبادته والله سبحانه وتعالى أعلم

### ٣٧ (نصل في شارات الملك والرمطان الخامسة)

(اعلم) أن للسلطان شارات وأحوال تقتضيها الأبهة والبذخ فيختص بها وتميزها بها  
عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلقد كرمها هو مشتهر منها بما يبلغ المعرفة وفوق  
كل ذي علم عليم \* (الآلة) \* فن شارات الملك اتخذها الآلة من نشر الألوية والرايات  
وقرع الطبول والنفخ في الأبواق والقرون وقد ذكرنا أسطوفاً في الكتاب المنسوب إليه  
في السياسة أن السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب فإن الأصوات الهائلة لها تأثير في  
النفوس بالروعة ولعمري أنه أمر وجداني في مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه  
وهذا السبب الذي ذكره أرسطو أن كان ذكره فهو صحيح ببعض الاعتبار \* وأما  
الحق في ذلك فهو أن النفس عند سماع النغم والأصوات يدير كها القرح والطرب  
بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويسميت في ذلك الوجه الذي  
هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم بأنفعال الأبل بالخداء والخيل بالصفير  
والصريح كما علمت ويريد ذلك تأثيراً إذا كانت الأصوات مناسبة كما في الغناء وأنت تعلم  
ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى ولاجل ذلك اتخذ العجم في مواطن حروبهم  
الآلات الموسيقية لأطبل ولا بوقاً فيحرق المغنون بالسلطان في موكبه بالآلاتهم  
ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستماتة واقدراً ينافي حروب  
العرب من يتغنى أمام الموكب بالشعر ويطرب فتجيش هم الأبطال بما فيها ويسارعون إلى  
مجال الحرب وينبعث كل قرن إلى قرنه وكذلك زناتة من أمم المغرب يتقدم الشاعر  
عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة  
من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء ناصوكايت وأصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث  
عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنهم من الفرح والله أعلم \* (وأما) \*  
تكثر الرايات وتلوينها واطاقتها فالقصد به التحويل لألوانها ثروها يحدث في  
النفوس من التحويل زيادة في الاقدام وأحوال النفوس وتلوينها غريزة والله  
الخلاق العليم \* ثم إن الملوك والدول يحتلفون في اتخاذ هذه الشارات فمنهم مكثر  
ومنهم مقلل بحسب اتساع الدولة وعظمتها أما الرايات فأنها شعار الحروب من عهد

قوله الموسيقى وفي  
نسخة الموسيقى  
وهي صحيحة لأن  
الموسيقى بكسر  
القاف بين التحتين  
اسم للنغم والألحان  
وتوقعها ويقال  
فيها موسيقى  
ويقال لضارب  
الآلة موسيقار  
انظر أول سقينة  
الشيخ محمد شهاب

الخليفة ولم تزل الامم تعقد هافي مواطن الحروب والغزوات ولعهده النبي صلى الله عليه  
 وسلم ومن بعده من الخلفاء \* وأما قراع الطبول والنفخ في الابواق فكان المسلمون  
 لا قول الملة متجانين عنسه تنزهاعن غلظة الملك ورفض الاحوال واحتقار الابهت التي  
 ليست من الحق في شئ حتى اذا انقلبت الخلافة ملكا وتبجحوا زهرة الدنيا ونعيمها  
 ولا بسهم الموالي من النرس والروم أهل الدول السالفة وأروهم ما كان أو لئلك  
 يتحلونه من مذهب البذخ والترف فكان مما استحسنه اتخاذ الاكلة فأخذوها  
 وأذتر العمالهم في اتخاذها تنويها بالملك وأهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر  
 أو قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين أو العبيديين لواءه ويخرج الى بعثه  
 أو عمله من دار الخليفة أو داره في مواكب من أصحاب الرايات والالات فلا يميز بين  
 موكب العامل والخليفة الا بكثرة الالوية وقلتها أو بما اختص به الخليفة من الالوان  
 لرايته كما سواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سودا حزن على شهدائهم من بني  
 هاشم ونعيا على بني امية في قتلهم ولذلك سمو المسودة \* ولما اقرق أمر الهاشميين  
 وخرج الطالبيون على العباسيين في كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا  
 الرايات بيضا سمو المبيضة لذلك سائر أيام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك  
 العهد بالمشرق كالداغي بطبرستان وداغي صعدة أو من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم  
 كالقرامطة \* ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون  
 الخضرة فجعل رايته خضراء وأما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آلة  
 العبيديين لما خرج العزيز الى فتح الشام خمسمائة من البنود وخمسمائة من الابواق  
 وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يحتصوا بلون واحد بل وشوها  
 بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستمروا على الاذن فيها العمالهم حتى اذا  
 جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناة قصر والالة من الطبول والبنود على  
 السلطان وخطروها عن من سواه من عماله وجعلوا الهاموكا خاصا يتبع أثر السلطان  
 في مسيره يسمى الساقة وهم فيه بين مكثرو مقل باختلاف مذاهب الدول في ذلك فمنهم  
 من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو في دولة الموحدين وبني الاحرار  
 بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناة وقد بلغت في أيام السلطان  
 أبي الحسن فيما أدر كاه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة  
 بالذهب ما بين كبير وصغير ويأذنون للولاية والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة  
 صغيرة من الكتان بيضاء وطويل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك \* وأما دولة  
 الترك لهذا العهد بالمشرق في اتخذون أو لاراية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة



من الشعر يسمونها الشالش والجثروهي شعار السلطان عندهم ثم تعدد الرايات  
ويسمونها السناجق واحدها سنجق وهي الراية بلسانهم وأما الطبول فيبالغون في  
الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويبيعون لكل أميراً وقائداً عسكرياً أن يتخذ من  
ذلك ما يشاء الا الجثرة فانه خاص بالسلطان \* وأما الجلالقة لهذا العهد من أمم الافرنجة  
بالاندلس فأكثر شأنهم اتخاذاً للوية القليلة ذاهبة في الجوقصداومعها قرع الاوتار  
من الطنابير ونفخ الغيطات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقتهم في مواطن حروبهم  
هكذا يبلغنا عنهم وعن وراءهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السموات والارض  
واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين

\* (السري) \* وأما السري والمنبر والتخت والكرسي وهو أعواد منصوبة  
أو أرائك منصدة جلوس السلطان عليهم امر تفعا عن أهل مجلسه أن يساو بهم في  
الصعيد ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم وقد كانوا يجلسون على  
اسرة الذهب وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليهم ما وسلامه كرسي وسري من عاج  
مغشى بالذهب الا أنه لا تأخذ به الدول الا بعد الاستفعال والترف شأن الأبهة كلها كما  
قلناه وأما في أقول الدولة عند البداءة فلا يتشوقون اليه \* وأقول من اتخذ في الاسلام  
معاوية واستأذن الناس فيه وقال لهم اني قد بدت فأذنوا له فاتخذوا تبعه الملوك  
الاسلاميون فيه وصار من منازع الأبهة ولقد كان عمرو بن العاصي بمصر يجلس  
في قصره على الارض مع العرب ويأتيه المقوقس الى قصره ومعه سري من الذهب  
محمول على الايدي جلوسه شأن الملوك فيجلس عليه وهو أمامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما  
اعتقد معهم من الذمة واطراحاً لآبهة الملك ثم كان بعد ذلك لبي العباس والعباسيين  
وسائر ملوك الاسلام شرقاً وغرباً من الاسرة والمنابر والتخوت ما عفا عن الاكسرة  
والعباسية والله مقلب الليل والنهار

\* (السكة) \* وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد  
ينقش فيه صوراً وكلمات مقنونة ويضرب بها على الدينار والدرهم فتخرج رسوم تلك  
النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقود من ذلك الجنس في خلوصه  
بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح  
عليه فيكون التعامل به اعدوا وان لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزناً ولفظ  
السكة كان اسماً للطابع وهي الحديدية المتخذة لذلك ثم نقل الى أثرها وهي النقوش الماثلة  
على الدنانير والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي  
الوظيفة فصار علماً عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك انبهاً بتميز الخالص

من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بختم  
السلطان عليها تلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها  
تمائيل تكون مخصوصة بها مثل غزال السلطان لعهدا أو تمثيل حصن أو حيوان  
أو مصنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم \* ولما جاء  
الاسلام اغفل ذلك لسداجة الدين وبداوة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة  
وزناو كانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم يردونها في معاملتهم إلى الوزن  
ويتصارفون بها بينهم إلى أن تفاخس الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك  
وأمر عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدراهم وتميز  
المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدايني سنة خمس وسبعين ثم  
أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي  
ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك بخود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها  
ثم يوسف بن عمر بعده وقبل أول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق  
سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله  
وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها  
على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الاسلام ستة دنانق  
والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان  
السبب في ذلك أن أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال  
عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتجج إلى تقديره في الزكاة أخذ الوسط  
وذلك اثنا عشر قيراطا فكان المثقال درهما وثلاثة أسباع درهم وقيل كان منها  
البغلي ثمانية دنانق والطبري أربعة دنانق والمغربي ثمانية دنانق واليميني ستة  
دنانق فأمر عمر أن ينظر الأغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر  
دنانقا وكان الدرهم ستة دنانق وإن زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا وإذا نقصت ثلاثة  
أعشار المثقال كان درهما فلما رأى عبد الملك اقتضاها السكة لضمانة النقدين الجارين  
في معاملته المسلمين من الغش نعين مقدارها على هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه  
واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صور إلا أن العرب كان الكلام والبلاغة أقرب  
من الحيم وأظهرها مع أن الشرع ينهى عن الصور فلما فعل ذلك استقر بين الناس في  
أيام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في دوائر  
متوازية يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تعالى وتحميدها وصلاة على النبي  
وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا أيام العباسيين والعباسيين

والامويين وأما صنهاجة فلم يتخذ واسكة إلا آخر الامر اتخذها منصور صاحب بجاية  
 ذكر ذلك ابن حنبل في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ  
 سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه وعيلا  
 من أحد الجانبين تهليلا وتحميدا ومن الجانب الآخر كتابا في السطور باسمه واسم  
 الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكنتهم على هذا الشكل لهذا العهد  
 ولقد كان المهدي فيما ينقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع نعتة بذلك  
 المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون في ملاحهم عن دوائه وأما أهل المشرق لهذا  
 العهد فسكنتهم غير مة ترة وانما يتعاملون بالدينار والدرهم وزنا بالصنجات المقطرة  
 بعدة منها ولا يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة واسم السلطان  
 كما يفعله أهل المغرب ذلك تقدير العزيز العليم (ولتختم الكلام) في السكة بذكر حقيقة  
 الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما

وذلك أن الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق والامصار  
 وسائر الاعمال والشرع قد تعرض لذكرهما وعلق كثيرا من الاحكام بهما في الزكاة  
 والانسكة والحدود وغيرهما فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين في تقدير  
 تجري عليهم ما احكامه دون غير الشرعي منهما فاعلم أن الاجماع منعقد منذ صدر  
 الاسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة  
 مثاقيل من الذهب والاقية منه أربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار  
 ووزن المثقال من الذهب ثنتان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة  
 اعشاره خمسون حبة وخمس حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع فان الدرهم  
 الجاهلي كان بينهم على أنواع أجودها الطبري وهو ثمانية دوانق والبغلي وهو أربعة  
 دوانق فجعلوا الشرعي بينهم وهو ستة دوانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية  
 ومائة طبرية خمسة دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك  
 أو اجماع الناس بعده عليه كما ذكرناه ذلك الخطام في كتاب معالم السنن والماوردي  
 في الاحكام السلطانية وأنكره المحققون من المتأخرين لما يلزم عليه أن يكون الدينار  
 والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية  
 بهما في الزكاة والانسكة والحدود وغيرها كما ذكرناه والحق أنهم ما كانوا معلومين  
 المقدار في ذلك العصر بل ريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان  
 مقدارهما غير مشخص في الخارج وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدار  
 في مقدارهما ووزنهما حتى استعمل الاسلام وعظمت الدولة ودعت الحال الى



تخصه في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير وقارن ذلك أيام عبد الملك فشكل مقدارها ما وعينهم ما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهم ما السكة باسمه وتاريخها اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلصت ونقش عليها سكة وتلاشي وجودها فهذا هو الحق الذي لا محيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والافات ورجع الناس الى تصور مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية وأما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ابن حزم خالف ذلك وزعم أن وزنه أربعة وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردة المحققون وعدوه وهم ما وغلطا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم أن الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لاختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا

\* (الخاتم) \* وأما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك ولم يعرف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى قيصر فقبل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا أن يكون محتوما فاختار خاتما من فضة ونقش فيه \* محمد رسول الله \* قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله قال ويختم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس وكانت قبله الماء فلم يدرك قعرها بعد وادغم عثمان وتطير منه وصنع آخر على مثله وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه وذلك أن الخاتم يطلق على الالة التي تجعل في الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختم الامر اذا بلغت آخره وختم القرآن كذلك ومنه خاتم النبیین وخاتم الامر ويطلق على السداد الذي يستتبه الاواني والدينان وية قال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لان آخر ما يجدونه في شراهم ربح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين أو القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بأن سدادها من المسك وهو أطيب عرفا وذوقا من القار والطين المعهودين في الدنيا فاذا صح اطلاق الخاتم على هذه كلها صح

اطلاقه على أثرها الناسي عنها وذلك أن الخاتم اذا نقشت به كلمات أو أشكال ثم غمس  
في مداف من الطين أو مداد ووضع على صفح القرطاس بقي أكثر الكلمات في ذلك  
الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مر تسما  
فيه واذا كانت كلمات وارتمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا كان النقش على  
الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليمنى اذا كان النقش من الجهة اليسرى لان  
الخطم يقرب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمن أو يسار فيحتمل أن يكون  
الخطم بهذا الخاتم بغمسه في المداد أو الطين ووضعه على الصفح فتنتقش الكلمات فيه  
ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى همة ذلك المكتوب ونفوذه كأن الكتاب  
انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملغى ليس بتمام وقد يكون هذا الختم  
بالخط آخر الكتاب أو قوله بكلمات منتظمة من تحميد أو تسبيح أو باسم السلطان  
أو الامير أو صاحب الكتاب من كان أو شيء من نعوته يكون ذلك الخط علامة على  
صحة الكتاب ونفوذه ويسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى ختما تشبيها له بأثر الخاتم  
الاصفى في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم أى علامته وخطه  
الذي يتقدمها أحكامه ومنه خاتم السلطان أو الخليفة أى علامته قال الرشيد ليحيى  
ابن خالد لما أراد أن يستوزر جعفر أو يستبدل به من الفضل أخيه فقال لا ييهما يحيى  
يا أبت انى أردت أن أحول الخاتم من يمنى الى شمالي فكنى له بالخاتم عن الوزارة لما  
كانت العلامة على الرسائل والأكول من وظائف الوزارة لعهدهم ويشهد لصحة  
هذا الاطلاق ما نقله الطبرى أن معاوية أرسل الى الحسن عند مرأوده اياه فى الصلح  
صحيفة بيضاء ختم على أسفلها وكتب اليه أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها  
ما شئت فهو لك ومعنى الختم هنا علامة فى آخر الصحيفة بخطه أو غيره ويحتمل أن يختم  
به فى جسم لين فتنتقش فيه حروفه ويجعل على موضع الحزم من الكتاب اذا حزم  
وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو فى الوجهين آثارا الخاتم فيطابق عليه خاتم  
وأول من أطلق الختم على الكتاب أى العلامة معاوية لأنه أمر لعمر بن الزبير بن عبد  
زيد بالكوفة بمائة ألف ففتح الكتاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فأنكرها  
معاوية وطلب بها عمر وجبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك  
ديوان الخاتم ذكره الطبرى وقال آخره وحزم الكتب ولم تكن تحزم أى جعل لها  
السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب القامئين على انفاذ كتب السلطان والختم  
عليها اما بالعلامة أو بالحزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما  
ذكرناه فى ديوان الاعمال والحزم للكتب يكون اما بدس الورق كما فى عرف كتاب

المغرب وأما بلصق رأس الصحيفة على ما تنطوى عليه من الكتاب كما في عرف أهل  
المشرق وقد يجعل على مكان الدس أو الاصاق علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع  
على ما فيه فأهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويحتمون عليها بخاتم  
نقشت فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم  
على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضا قد غمس في مداف من الطين معد لذلك صبغه  
أحمر فيرسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم  
وكان يجلب من سيرا فيظهر أنه مخصوص به فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة  
أو النقش للسيد أو الخزم للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة  
العباسية ثم اختلف العرف وصار لمن إليه الترسيل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا  
في دول المغرب يعتقدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للأصبع فيستجيدون صوغه  
من الذهب ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والقيروزج والزمر وذو يلبسه السلطان  
شارة في عرفهم كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية  
والله مصرف الأمور بحكمه

\* (الطراز) \* من أبهة الملك والسلطان ومذهب الدول أن ترسم أسماءهم وأعلامات  
تحتص بهم في طراز أو أوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباخ أو الأبريسم تعتبر كتابة  
خطها في نسج الثوب الحاموسدي بخط الذهب أو ما يحالف لون الثوب من الخيوط  
الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناعات في تقدير ذلك ورضعه في صناعة نسجهم  
فتصير الثياب الملوكة معلة بذلك الطراز قصد التنويه بلباسهم من السلطان فن دونه  
أو التنويه بمن يختصه السلطان بلبوسه إذا قصد تشرييقه بذلك أو ولايته لوظيفة من  
وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك  
وأشكالهم أو أشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الإسلام عن ذلك بكتب  
أسمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى القال أو السجلات وكان ذلك في الدولتين من أبهة  
الأمور وأنعم الأحوال وكانت الدور المعدة لنسج أو أوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز  
لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في أمور الصباغ والآلة  
والحكاك فيها وأجراء أرزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشاركة أعمالهم وكانوا يقلدون ذلك  
لخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالاندلس  
والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيدين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم  
بالمشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه اضيق نطاقها في الاستيلاء  
وتعددت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليهما من أكثر الدول بالجملة \* ولما



جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بنى أمية أول المائة السادسة ولم يأخذوا بذلك أول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدى وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها أعقابهم آخر الدولة طرفا لم يكن بتلك النباهة وأما هذا العهد فأدركا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانهم وشمسوخهم مما جليلا لقنوه من دولة ابن الأحمر معاصرهم بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فأتى منه بلمحة شهادة بالآثر\* وأما دولة الترك بصر والشام لهذا العهد ففيه من الطرز تحرير آخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الآن ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويسمونه المزركش لفظة أعجمية ويرسم اسم السلطان أو الأمير عليه ويعتد بالصناعات لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللاتقة بها والله مقدر الليل والنهار والله خير الوارثين

### (الفساطيط والسباح)

اعلم أن من شارات الملك وترفيه اتخذها الاخبية والفساطيط والفازات من ثياب الكتان والصوف والقطن بجدل الكتان والقطن فيباهى بها في الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار وانما يكون الامر في أول الدولة في بيوتهم التي جرت عاداتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين من بنى أمية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف ولم تزل العرب لذلك العهد يادبن الا الاقل منهم فكانت أسفارهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وسائر حللهم واحيائهم من الاهل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحلل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الاخرى كشأن العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقية تحشد الناس على أثره أن يقيموا اذا ظعن ونقل أنه استعمل في ذلك الججاج حين أشار به روح ابن زنباع وقصته في اجراق فساطيط روح وخيامه لا قول ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الججاج بين العرب فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يأمر بواد السفهاء من احبيائهم بماله من العصبية الحائلة دون ذلك ولذلك اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بتغائه فيم ابعصيته وصرامته فلما تفتنت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبذخ

ونزلوا المدن والامصار واتقوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخلف  
الى ظهر الحافر اتخذوا للسكنى في أسفارهم ثياب الكنان يستعملون منها بيوتاً تحتلقة  
الاشكال مقدرة الامثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويحتملون فيها بأبلغ  
مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير والقائد للعساكر على فساطيطه وفازاته من  
بينهم سياجاً من الكنان يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان أهله أفر البالكاف  
التي بين الكاف والقاف ويحتص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره \* وأما في  
المشرق فيتخذ كل أمير وان كان دون السلطان ثم جنت الدعة بالنساء والولدان الى  
المقام بقصورهم ومنازلهم فخف لذلك ظهرهم وتقاربت الساح بين منازل العسكر  
واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسيطة زهواً أنيقاً  
لاختلاف ألوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها وكذا  
كانت دولة الموحدين وزنانه التي أظلمنا كان سفرهم أول أمرهم في بيوت سكانهم قبل  
الملك من الخيام والقياطن حتى اذا أخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور  
عادوا الى سكنى الاخبية والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما أرادوه وهو من الترف  
بمكان الآن العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه  
الصيحة ولحقهم من الاهل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فيحتاج في ذلك الى  
تحفظ آخر والله القوي العزيز

### (المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة)

وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام  
\* فأما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتخذ سياجاً على الخراب فيحوزه  
وما يليه فأول من اتخذها معاوية بن أبي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة  
وقيل أول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما  
وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول  
الترف في الدول والاستفحال شأن أحوال الأئمة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول  
الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعدت الدول بالشرق وكذا بالاندلس  
عند انقراض الدولة الاموية وتعدت دملوك الطوائف وأما المغرب فكان بنو الاغلب  
يتخذونها بالقيروان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس  
بقاس بنو جاد بالقلعة ثم ملك الموحسون سائر المغرب والاندلس ومحوا ذلك الرسم  
على طريقة البسداوة التي كانت شعارهم ولما استفحلت الدولة وأخذت يحفظها من

الترف وجاء أبو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فالتخذ هذه المقصورة وبقيت من بعده  
سنة لملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عباده \*  
(وأما الدعاء على المنابر) في الخطبة فكان الشأن أولاً عند الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم  
فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضا عن أصحابه  
وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاصي لما بنى جامع مصر وأول من دعا للخليفة على المنبر  
ابن عباس دعا على رضي الله عنه ما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليهم أفاضل اللهم  
انصر علياً على الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد وبعد أخذ عمرو بن العاصي المنبر  
بلغ عمر بن الخطاب ذلك فصككت إليه عمر بن الخطاب أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت  
منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكتن بك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عتبك  
فغزمت عليك إلا ما كسرته فلما حدثت الآية وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة  
والصلاة استنابوا فيهم ما فكان الخطيب يشهد بذكر الخليفة على المنبر تنويهاً باسمه ودعاء  
له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولأن تلك الساعة مظنة للإجابة ولما ثبت عن السلف  
في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يفر بذلك فلما  
جاء الخجرو والابتداء صار المتغلبون على الدول كثيراً ما يشاركون الخليفة في ذلك  
ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الأمر إلى اختصاص  
السلطان بالدعاء له على المنبر دون من سواه وحظر أن يشاركه فيه أحد أو يسموا إليه  
وكثيراً ما يغفل الماهدون من أهل الدول هذا الرسم عندما تكون الدولة في أسلوب  
الغضاضة ومناحي البداءة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الأبهام  
والاجمال لمن ولي أمور المسلمين ويسمون مثل هذه الخطبة إذا كانت على هذا المنحى  
عباسية يعنون بذلك أن الدعاء على الاجمال انما يناول العباسي تقليد في ذلك لما  
سلف من الأمر ولا يحفلون بما وراء ذلك من تعيينه والتصريح باسمه \* يحكى أن  
يغمر اسن بن زيان ماهد دولة بني عبد الواد لما غلبه الأمير أبو زكريا يحيى بن أبي حفص  
على تلمسان ثم بدله في إعادة الأمر إليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر  
عمله فقال يغمر اسن تلك أعوادهم يذكرون عليها من شأوا وكذلك يعقوب بن عبد  
الحق ماهد دولة بني مر بن حضره رسول المستنصر الخليفة بنونس من بني أبي حفص  
وثالث ملوكهم يتخلف بعض أيامه عن شهود الجمعة فقبل له لم يحضر هذا الرسول  
كراهية لملو الخطبة من ذكر سلطان فآذن في الدعاء له وكان ذلك سبباً لاخذهم بدعوته  
وهكذا شأن الدول في بدايتها وتنتهي في الغضاضة والبداءة فاذا انتهت عمون  
سياستهم ونظروا في إعطاف ملكهم واستواسيات الحضارة ومعاني البذخ والآبهة



انتملوا جميع هذه السمات وتغنوا فيها وتجاروا الى غايتها وأنفوا من المشاركة فيها  
وجزعو امن افتقادها وخلود دولتهم من آثارها الم يستمان والله على كل شيء رقيب

### ٢٨ (فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها)

اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخلقة منذ برأها الله وأصلها ارادة  
انتقام بعض البشر من بعض وفيه عصب لكل منها أهل عصيته فاذ انذاروا لذلك  
وتواقفت الطائفتان احدهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع وكانت الحرب  
وهو امر طبيعي في البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر ما  
غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وهي في تهمة  
غالا قول ~~أكثر ما يجري~~ بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو  
العدوان أكثر ما يكون من الامم الوحشية الساكنين بالفقر والعرب والترك والتركان  
والاكراد وأشباههم لانهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم وممشاهم فيما بأيدي غيرهم ومن  
دافعهم عن مائة آذونه بالحرب لا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وانما همهم  
ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد  
والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمائعين اطاعتها هذه أربعة أصناف  
من الحروب الصنفان الاولان منها حروب بني وقتة والصنفان الاخيران حروب جهاد  
وعندل وصنف الحروب الواقعة بين الخلقة منذ أول وجودهم على نوعين نوع  
بالزحف صنف وفوق بالسكر والفر أما الذي بالزحف فهو قتال الجحيم كلهم على  
تعاقب أجنالهم وأما الذي بالسكر والفر فهو قتال العرب والبر من أهل المغرب  
وقتل الزحف أو ثق وأشد من قتال السكر والفر وذلك لان قتال الزحف قريب فيه  
الصفوف وتسوي كما تسوي القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو  
قد ما فذلك تكون أنبت عند المصارع وأصدق في القتال وأرهب للعدو لانه كالخائط  
الممتد والقصر المشيد لا يظمع في زائلته وفي التنزيل ان الله يحب الذين يقاتلون في  
سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص أي يشد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث المكرم  
المؤمن للمؤمن كالتيمن يشد بعضه بعضا ومن هنا يظهر لك حكمة إيجاب الثبات  
وتحريم التولي في الزحف فان المقصود من الصنف في القتال حفظ النظام كما قلناه فمن  
ولى العدو ظهره فقد أخل بالاصاف وبما يأم الهزيمة ان وقعت وصار كأنه جرحا على  
المسلمين أمكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة ونسبها الى الدين بخرق  
سياسة فعدو من الكيكر ويظهر من هذه الأدلة أن قتال الزحف أشد عند الشارع وأما

قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا أنهم  
 قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا ثابتا يلجئون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام  
 قتال الزحف كما ذكره بد ثم ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا  
 يقسمون الجيوش والعساكر أقساما يسمونها كراديس ويسوون في كل كرادوس  
 صفوفه وسبب ذلك أنه لما كثرت جنودهم الكثيرة البانعة وحشدوا من قاصية  
 النواحي استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب وراء وروا  
 مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لاجل النكراء وجهل  
 بعضهم ببعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر جوعا ويضعون المتعارفين بعضهم لبعض  
 ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها من سلطان  
 أو قائد في القلب يسمون هذا الترتيب التعبئة وهو مذکور في أخبار فارس والروم  
 والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي الملك عسكرا منفردا بصفوفه مقيم بقاتله  
 ورايته وشعاره ويسمونه المقدمة ثم عسكرا آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى  
 سمته يسمونه المئمة ثم عسكرا آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونه الميسرة ثم عسكرا  
 آخر من وراء العسكر يسمونه الساقة ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الاربع  
 ويسمون موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر أو على  
 مسافة بعيدة أكثرها ليوم واليومان بين كل عسكرين منها أركيفما أعطاه حال  
 العساكر في القلة والكثرة في نذر يكون الزحف من بعد هذه التعبئة وانظر ذلك في  
 أخبار الفتح وأخبار الدولتين بالمشرق وكيف كانت العساكر بعد عهد عبد الملك  
 تختلف عن رحيله لبعده المدى في التعبئة فاحتجج بان يوقفها من خلفه وعين لذلك  
 الحجاج بن يوسف كما أشيرنا اليه وكما هو معروف في أخباره وسمان في الدولة الاموية  
 بالاندلس أيضا كثير منه وهو مجهول في الدين لا نأمنه أدر كادولا قليلا العساكر لا تنتهي  
 في مجال الحرب الى التناكر بل أكثر الجيوش من التفتين معا يجهدهم ليدخله أرو  
 مدينة ويعرف كل واحد منهم قرته ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن  
 تلك التعبئة

(فصل) ومن مذاهب أهل المكر والفر في الحروب ضرب المصاف وراة عسكرهم من  
 الجمادات والحيوانات لعجم فيتخذونها ملجأ للنجاة في كرتهم وقرتهم يظلمون  
 نباتات المقاتلة ليكون أديم للعرب وأقرب الى الغاب وقد يفعل أهل الزحف أيضا  
 لينزدهم نباتا شدة فتد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون القيلة في الحروب  
 يملون عليها أبراجا من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح

والرايات ويصفونها وراهم في حومة الحرب كأنهم حصون فتقوى بذلك نفوسهم  
 ويردادونهم وانظر ما وقع من ذلك في القادسية وأن فارس في اليوم الثالث اشتدوا  
 بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب في الطوهم وبجوها بالسبوف على  
 خراطيمها فنفرت ونكصت على أعقابها إلى مرابطها بالمدائن فجفام عسكر فارس  
 لذلك وانهمزوا في اليوم الرابع \* وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثر المعجم  
 فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحفظ به من  
 خدمه وحاشيته وجنوده من هوزعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في أركان السير  
 ويحد به سياج آخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السير ويصير فته للمقاتلة وملجأ  
 للكر والفر وجعل ذلك الفرس أيام القادسية وكان رستم جالس فيها على سريره نصبه  
 للجلسة حتى اختلفت صفوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فتحول عنه إلى  
 الفرات وقتل \* وأما أهل الكرك والفر من العرب وأكثر الامم البدوية الرحالة  
 فيصفون لذلك ابلهم والظهر الذي يحمل طعائهم فيكون فته لهم ويسمونهم بالمجبودة  
 وليس أمة من الامم الا وهي تفعل ذلك في حروبها وتراه أوثق في الجولة وأمن من الغرة  
 والهزيمة وهو أمر مشاهد وقد أغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر  
 الحامل للإتقال والفساطيط يجعلونها ساقية من خلفهم ولا تغني غناء القبيلة والابل  
 فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للفرار في المواقف \* وكان  
 الحرب أول الاسلام كله زحفا وكان العرب انما يعرفون الكرك والفر لكن حملهم على  
 ذلك أول الاسلام أمران أحدهما أن عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون إلى  
 مقاتلتهم بمثل قتالهم الثاني أنهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما  
 رشح فيهم من الايمان والزحف إلى الاستماتة أقرب \* وأول من أبطل الصف في  
 الحروب وصار إلى التعبئة كراديس مروان بن الحارث في قتال الضمالة الخارجي  
 والحبيري بعده قال الطبري لما ذكر قتال الحبيري قولي الخوارج عليهم شيبان بن عبد  
 العزيز الشكري وبلقب أبا الدفاء وقتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل  
 الصف من يومئذ انتهى فتشوى قتال الزحف بأبطال الصف ثم تشوى الصف وراء  
 المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكانهم الخيام كانوا  
 يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم في لاجية فلما حصلوا على ترف  
 الملك وألفوا سكنى القصور والحواضر وتركوا شأن البادية والقفرنسوا لذلك عهد  
 الابل والظعان وصعب عليهم اتخاذها خلفوا النساء في الاسفار وحملهم الملك والترف  
 على اتخاذ الفساطيط والاخبية فاقصروا على الظهر الحامل للإتقال والابنية وكان

قوله للإتقال  
 والابنية مراده  
 بالابنية الخيام كما  
 يدل له قوله في  
 فصل الخندق  
 الآتي قريبا اذا  
 نزلوا وضربوا  
 أبنتهم اه



ذلك صفتهم في الحرب ولا يغني كل الغناء لانه لا يدعوا الى الاستمالة كما يدعوا اليها الاهل  
والمال فيصف الصبر من أجل ذلك وتصرفهم الهيئات وتحرم صفوفهم

(فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتأكد في قتال الكفر  
والفرصار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج في جندهم واختصاص بذلك لان  
قتال أهل وظنهم كله بالكفر والفر والفر والفر والفر والفر والفر والفر والفر والفر  
للمقاتلة أمامه فلا بد وأن يكون أهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات في الزحف  
والأجفأ على طريقه أهل المكرو والفر فانهزم السلطان والعساكر باجفأ لهم  
فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنداً من هذه الامة المتعوده للثبات في الزحف وهم  
الافرنج ويرتبون مصافهم المحدث بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر  
وانما استخفوا ذلك للضرورة التي أرينا كما من تحوّل الاجفأ على مصاف السلطان  
والافرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لان عادتهم في القتال الزحف فكانوا أقوم بذلك  
من غيرهم مع أن الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب والبربر  
وقتلهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذراً من مخالفتهم على المسلمين  
هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد أبدى ناسيبه والله بكل شئ عليم

(فصل) وبغنا أن أهم التركة لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم وأن تعبى الحرب  
عندهم بالمصاف وأنهم يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفاً وراء صف ويتربحون  
عن خيولهم ويفترغون سهامهم بين أيديهم ثم يتناضلون جلوساً وكل صف رده للذي  
أمامه أن يكسبهم العدو والى أن يتيأ النصر لأحدى الطائفتين على الأخرى وهي  
تعبية محكمة غريبة

(فصل) وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عند  
ما يتقاربون للزحف حذراً من معرفة البيات والهجوم على العسكر بالليل لما في ظلمته  
ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار وتجد النفوس في الظلمة ستر من  
عاره فاذا اتسأروا في ذلك أرحف العسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يحتفرون  
الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا أنبيتهم ويديرون الحفائر نطفاً عليهم من  
جميع جهاتهم حرصاً أن يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا وكانت للدول في أمثال  
هذا قوة وعلمه اقتداراً باحتشاد الرجال وجمع الأيدي عليه في كل منزل من منازلهم بما  
كانوا عليه من وفور العمران وخطامة الملك فلما خرب العمران وتبعه ضعف الدول  
وقلة الجنود وعدم الفعله نسي هذا الشأن بجله كانه لم يكن والله خير النادرين وانظر  
وصية على رضى الله عنه وتقرضه لأصحابه يوم صفين تجدد كثير من علم الحرب ولم يكن

أحد أبعصر به سامنه قال في كلام له فسؤرا صنفكم كالبيان المرصوص وقدموا  
الدارع وأخروا الخاسر وعضوا على الأضراس فإنه أنبي للسوف عن الهام والتوا  
على أطراف الرماح فإنه أصون للأسنة وعضوا الإبصار فإنه أربط للجاش وأسكن  
للقلوب واخفوا الأصوات فإنه أطرده للفتل وأولى بالوقار وأقيموا أرياتكم فلا  
تميلوها ولا تجعلوها الأبايدى شجعانكم استعينوا بالصدق والصبر فإنه بقدر الصبر  
ينزل النصر وقال الاشتري يومئذ يحترس الأزد عضوا على النواجذ من الأضراس  
واستقبلوا القوم بهمكم وشدوا شدة قوم موثورين بأرون بأثمهم وأخواهم حناقا  
على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم لتلايسهم وأبو ترو ولا يلحقهم في الدنيا عار  
وقد أثار إلى كثير من ذلك أبو بكر الصيرفي شاعر متونة وأهل الاندلس في كلمة يدح بها  
ناشقين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شهداها ويذكره بأمر الحرب في  
وصايا وندوات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا أيها الملاء الذي يتقنع \* من منكم الملك الهام الاروع  
ومن الذي غدر العدو به دجى \* فانقض كل وهو لا يستزعز  
تقضى الفوارس والطعان بصددها \* عنه ويدمرها الوفاء فترجع  
والليل من وضع الترائك انه \* صبح على هام الجيوش يلح  
أنى فزعتم يا بنى صنهاجة \* واليكم في الروع كان المنزع  
انسان عين لم يصبه منكم \* حزن وقلب أسلمته الاضلاع  
وصددتمو عن ناشقين وانه \* لعقابه لو ناء فيكم موضع  
ما أنتموا الا أسود خفية \* كل لكل كريمة مستطاع  
يا ناشقين أقيم جيشك عذره \* بالليل والغدر الذي لا يدفع

(ومنها في سياسة الحرب)

أهديك من أدب السياسة ما به \* كانت ملوك الفرس قبلك تواع  
لا أننى أدرى بها لكنها \* ذكرى تحض المؤمنين وتنفع  
والبس من الخلق المضاعفة التي \* وصى بها صنع الصنائع تباع  
والهند واني الرقيق فانه \* أفضى على الدلاص وأقطع  
واركب من الخيل السوابق عتة \* حصنا حصننا ليس فيه مدفع  
خندق عليك اذا ضربت محلة \* سبأين تتبع ضافرا وتتبع  
والواد لا تعبره وانزل عنده \* بين العدو وبين جيشك يقطع  
واجل مناجرة الجيوش عشيمة \* ووراء الصدق الذي هو أمانع

واذا تضايقت الجيوش بمعرك \* ضحك فأطراف الزمان توسع  
 واصدمه أول وهلة لا تكترث \* شيأ فإظهار النكول يضعضع  
 واجعل من اطلاع أهل شهامة \* للصدق فيهم شيمة لا تخدع  
 لا تسمع الكذاب جاء مرجفا \* لا رأى للكذاب فيما يصنع  
 قوله واصدمه أول وهلة لا تكترث البيت مخالف لما عليه الناس في أمر الحرب فقد  
 قال عمر لابن عبيد بن مسعود النقي لما ولده حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع  
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واشتر كهم في الأمر ولا تجبن تسرع حتى  
 تبين فأنهم الحرب ولا يصلح لها إلا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف وقوله  
 في أخرى أنه إن يمنعتني أن أؤمر سيطر الأسرعتني في الحرب وفي التسرع في الحرب إلا  
 عن بيان ضياع والله لولا ذلك لا أثر له لكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكث هذا  
 كلام عمر وهو شاهد بأن التناقل في الحرب أولى من الخفوف حتى تبين حال تلك الحرب  
 ولك عكس ما قاله الصيرفي إلا أن يريد أن الصدم بعد البيان فله وجه والله تعالى أعلم  
 (فصل) ولا وثوق في الحرب بالظفر وإن حصلت أسبابه من العدة والعديد وإنما  
 الظفر فيها والغلب من قبيل البخت الاتفاق وبيان ذلك أن أسباب الغلب في الأكثر  
 مجمعة من أمور ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكمال الأسلحة واستعدادها و كثرة  
 الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن أمور خفية  
 وهي أمان خدع البشر وحياتهم في الارجاب والتشايخ التي يقع بها التخاذل وفي  
 التقدم إلى الأمام كن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المتخلف لذلك وفي  
 الكمون في الغياض ومطمن الأرض والتواري بالكدي عن العدو حتى يتدأواهم  
 العسكر دفعة وقد تورطوا فيتلتمون إلى النجاة وأما مال ذلك وأما أن تكون تلك  
 الأسباب الخفية أموراً سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلتقي في القلوب فيستولى  
 الرهب عليهم م لا جأه فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة را م ثمرات الهزائم عن  
 هذه الأسباب الخفية لكثرة ما يعمل لكل واحد من الفريقين فيها حرصاً على الالب  
 الالب من وقوع التأثير في ذلك لأحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحرب  
 خدعة ومن أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة فقد تبين أن وقوع الغلب في  
 الحروب غالباً من أسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشتباة عن الأسباب الخفية هو  
 معنى البخت كما ترى موضعه فأعتبره وتفهم من وقوع الغلب عن الأمور السماوية  
 كما شرحتاه معنى قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالعرب مسيرة شهر وما وقع من غلبه  
 للمشركين في حياته بالعدد القليل وغاب المسلمين من بعده كذا في الفتوحات



فإن الله سبحانه وتعالى تكفل انبياءه بالقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فينهزموا معجزه لرسوله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في قلوبهم سببا للهزائم في الفتوحات الاسلامية كلها الا أنه خفي عن العيون \* وقد ذكر الطرطوشي أن من أسباب الغلب في الحروب أن تفضل عدة لفرسان المشاهير من لشجعان في أحد الجانبين على عدتهم في الجانب الآخر مثل أن يكون أحد الجانبين فيه عشرة أو عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب وأعاد في ذلك وأبدى وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قدمنا وليس بصحيح وإنما الصحيح المعترف في الغلب حال العصية أن يكون في أحد الجانبين عصابة واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الآخر عصابة متعددة لأن العصابة اذا كانت متعددة يقع بينهم من التخاذل ما يقع في الوجدان المتفرقين الفاسقين للعصية اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصابته واحدة لاجل ذلك ففهمه واعلم أنه أصبح في الاعتبار مما ذهب اليه الطرطوشي ولم يحمله على ذلك الانسيان شأن العصية في حلة وبلمدة وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة الى الوجدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصابة ولا نسبا وقد بنا ذلك أول الكتاب مع أن هذا أو مثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كشيء بالغيب ونحن قد قررنا لك الآن أن شيئا منها لا يعارض الاسباب الخفية من الحيل والخداع والامور السماوية من الرعب والخذلان الالهى فافهمه ونشهم أحوال الكون والله مقتدر الليل والنهار

(فصل) ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل أن تصادف موضعها في أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتهمين للفضائل على العموم وكثير من اشتهر بالشرف وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقا على صاحبها والسبب في ذلك أن الشهرة والصيت انما هما بالاخبار والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال لخنائها بالتلبيس والتصنع أو لجهل الناقل ويدخلها التقرب لاصحاب التجلة والمرتبة الديوية بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واتساع الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه أو ثروة أو يسوا في الاكثر اغنيين في الفضائل ولا منافسين في

أهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتمثل الشهرة عن أسباب خفية من هذه  
وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبحث كما تقرروا الله  
سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٣٩ (فصل في الجباية وسبب قلتها وكثرتها)

اعلم أن الجباية أقل الدولة تكون قليلة الزوائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة  
الزوائع قليلة الجملة والسبب في ذلك أن الدولة ان كانت على سنن الدين فليست  
الامغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الزوائع لان مقدار  
الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج  
وجميع المغارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن التغلب والعصية  
فلا بد من البداوة في أولها كما تقدم والبدادوة تقتضي المسامحة والموارمة وخفض  
الجناح والتجاني عن أموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في النادر فيقل لذلك  
مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الاموال من مجموعها واذ اقلت الزوائع  
والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتماد ويتزايد محصول الاعتباط  
بقلة المغموم واذا كثرت الاعتماد كثرت اعداد تلك الوظائف والزوائع فكثرت الجباية التي  
هي جلستها فاذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا بعد واحد واتصفوا  
بالكيس وذهب شر البدادوة والسداجة وخافها من الاغضاء والتجاني وجاء الملك  
الحنوف والحضارة الداعية الى الكيس وتخلق أهل الدولة حينئذ بخلق النخذلق  
وتكثرت عوائدهم وحوادثهم بسبب ما انعموا فيه من النعيم والترفع فيكثرون  
الوظائف والزوائع حينئذ على الرعايا والاكزة والفلاحين وسائر أهل المغارم ويزيدون  
في كل وظيفة ووزيعة مقدار اعطيا لشكر لهم الجباية ويضعون المصكوكس على  
المبايعات وفي الابواب كما نذكر بعد ثم تدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرج  
عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والاتفاق بسببه حتى تنقل المغارم على الرعايا  
وتنهضم وتصير عادة مفروضة لان تلك الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر أحد بمن  
زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما ثبت على الرعايا في الاعتماد لذهاب الامل من  
نفوسهم بقلة النفع اذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين غمرته وفائدته فتسقط كثير من  
الايدي عن الاعتماد بجهة تسقط بجهة الجباية حينئذ ينقص تلك الزوائع منها وربما  
يزيدون في مقدار الوظائف اذ اراوا ذلك النقص في الجباية ويحسبون جبر المانقص  
حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة الى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الاتفاق حينئذ

في الاعتماد وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة فيه فلا تزال الجملة في نقص  
ومقدار الوظائف والوظائف في زيادة لما يعتقده من جبر الجملة بها إلى أن يتقص  
العمران بذهاب الآمال من الاعتماد ويعود وبالذلك على الدولة لأن فائدة الاعتماد  
عائدة إليها وإذا فهمت ذلك علمت أن أقوى الأسباب في الاعتماد تقليل مقدار الوظائف  
على المعمرين ما أمكن فبذلك تنبسط النفوس إليه لثقتها بأدراك المنفعة فيه والله  
سبحانه وتعالى مالك الأمور كلها ويبيده ملكوت كل شيء

#### ٤٠ (فصل في ضرب المكوس واخر الدولة)

اعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم  
الترف وعوائده فيكون خراجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينئذ وفاء بأزيد منها  
بل يفضل منها كثير عن حاجتهم ثم لا تلبث أن تأخذ بيد الحضارة في الترف وعوائدها  
وتجبر على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج أهل الدولة ويكثر خراج  
السلطان خصوصا كثرة بلغة بنفقته في خاصته وكثرة عطائه ولا تفي بذلك الجباية  
فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج إليه الحامية من العطاء والسلطان من  
النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع أولا كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات  
والتدريج في عوائد الترف وفي العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابها  
عن جباية الأموال من الأعمال والقاصية فتقل الجباية وتكثر العوائد ويكثر بكثرتها  
أرزاق الجند وعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضربها على  
البياعات ويفرض لها قدر معلوما على الأثمان في الأسواق وعلى أعيان السلع  
في أموال المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بمادعاه إليه ترف الناس من كثرة العطاء  
مع زيادة الجيوش والحامية وربما يزيد ذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة فتكسب  
الأسواق لفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال  
ذلك يتزايد إلى أن تضجمل وقد كان وقع منه بأمصا المشرق في أخريات الدولة  
العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم وأسقط صلاح  
الدين أيوب تلك الرسوم جملة وأعاضها بآثار الخبز وكذلك وقع بالاندلس لعهد  
الطوائف حتى محارمه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكذلك وقع بأمصا الجريد  
بأقر بقية لهذا العهد حين استبقتهم رؤساؤها والله تعالى أعلم

#### ٤١ (فصل في أن التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفيدة للجباية)

اعلم أن الدولة إذا ضاقت جبايتها بما قد مناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر



الحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية  
فتمارة توضع المكوس على بيعات الرعايا وأسواقهم كما قد من ذلك في الفصل قبله وتارة  
بالزيادة في ألقاب المكوس ان كان قد استحدث من قبل وتارة بمقاسمة العمال والجباة  
وامتكال عظامهم لما يرون أنهم قد حصلوا على شئ طائل من أموال الجباية لا يظهره  
الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجباية لما يرون  
التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة أموالهم وأن الأرباح  
تكون على نسبة رؤس الأموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله  
في شراء البضائع والتعرض بها لحوالة الاسواق ويحسبون ذلك من ادراار الجباية  
وتكثير الفوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فأولا  
مضايقه الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك فان الرعايا  
متكاثرون في اليسار متقاربون ومزاجه بعضهم بعضا تنتهي الى غاية موجودهم  
أو تقرب واذا رافقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثيرا منهم فلا يكاد أحد منهم  
يحصل على غرضه في شئ من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم  
ان السلطان قد يتزع الكثير من ذلك اذا تعرض له غضا أو بأيسر عن أولي الجسد من  
يناقشه في شرائه فيجنس ثمنه على بائعه ثم اذا حصل فوائد الفلاحة ومغلها كله من  
زرع أو حرير أو عسل أو سكر أو غير ذلك من أنواع الغلات وحصلت بضائع التجارة  
من سائر الأنواع فلا ينتظرون به حوالة الاسواق ولا اتفاق البياعات لما يدعوههم اليه  
تكاليف الدولة فيكفون أهل تلك الاصناف من تاجر أو فلاح بشراء تلك البضائع  
ولا يرضون في أثمانها الا القيم وأزيد فيستوعبون في ذلك ناض أموالهم وتبقى تلك  
البضائع بأيديهم عروضا جامدة ويمكثون عطلا من الادارة التي فيها كسبهم ومعاشهم  
وربما تدعوهم الضرورة الى شئ من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق  
بأجنس عن وربما يتكرر ذلك على التاجر والفلاح منهم بما يذهب رأس ماله فيقعده  
عن سوقه ويتعد ذلك ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقه وفساد  
الأرباح ما يقبض آمالهم عن السعي في ذلك جله ويؤدي الى فساد الجباية فان معظم  
الجباية انما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس ونحو الجباية بها فاذا  
انقبض الفلاحون عن الفلاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جله أو دخلها  
النقص المتفاحش واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الأرباح  
القليلة وجدها بالنسبة الى الجباية أقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب له  
بحظ عظيم من الجباية فيما يعاينه من شراء أو بيع فانه من البعيد أن يوجد فيه من

المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسبها كلها حاصل من جهة الجباية ثم فيه التعرض لأهل عمرانه واختلال الدولة بفسادهم ونقصه فإن الرعايا إذا قعدوا عن تمييز أموالهم بالنلاحه والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلاف أحوالهم فأفهم ذلك وكان الفرس لا يملكون عليهم إلا من أهل بيت المملكة ثم يختارونه من أهل الفضل والدين والأدب والسخاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وأن لا يتخذ صنعة فيضر بحجراته ولا يتاجر فيجب غلاء الاسعار في البضائع وأن لا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا مصلحة \* واعلم أن السلطان لا ينبغي ماله ولا يدر موجوده إلا الجباية وأدراها انما يكون بالعدل في أهل الاموال والنظر لهم بذلك فبذلك تنبسط أموالهم وتنشر صدورهم فلا خذ في تمييز الاموال وتتميتها فتعظم منها جباية السلطان وأما غير ذلك من تجارة أو فلع فانما هو مضرة عاجلة للرعايا وفساد للجباية ونقص للعمارة وقد ينتهي الحال بهم ولأه المنسلخين للتجارة والفلاحة من الامراء والمتغلبين في البلدان انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من أربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونهم في وقتها لمن تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن وهذه أشد من الاولى وأقرب الى فساد الرعية واختلال أحوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف أعنى التجار والفلاحين لما هي صناعته التي نشأ عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال سريره اسيا مع ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها أجدد بنمو الاموال وأمرع في تمييزه ولا يفهم ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فيذبغى للسلطان أن يحذر من هؤلاء ويعرض عن سعياتهم المضرة بجبايته وسلطانه والله يلهمنا رشداً نفقسننا وينفعنا بصلاح الاعمال والله تعالى أعلم

٤٢ ( فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة )

والسبب في ذلك أن الجباية في أول الدولة تتوزع على أهل القبيل والعصبة بمقدار غنائمهم وعصبيتهم ولأن الحاجة اليهم في تهديد الدولة كما قلناه من قبل فريستهم في ذلك متجاف لهم عما يسعون اليه من الجباية مع تناقص عن ذلك بما هو يروم من الاستعداد عليهم فله عليهم عزه وله اليهم حاجة فلا يطير في سمدانه من الجباية الا الاقل من حاجته فتجد حاشيته لذلك وأذياه من الوزراء والكتاب والموالي مملقين في الغالب وجاههم متقلص لانه من جاء مخدومهم ونطاقه قد ضاق بمن يراجه فيه من أهل عصبيته فاذا

استفعلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قبض أيديهم  
عن الجبايات الامايطير لهم بين الناس في سب ما منهم وتقل حظوظهم اذ ذال لقله غنائمهم  
في الدولة بما انكسج من أعنتهم وصار الموالى والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة  
وتهميد الامر فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالجباية أو معظمها ويحتوى على الاموال  
ويحتجها للنفقات في مهمات الاحوال قدكثر ثروته وتغنى خزائنه ويتسع نطاق جاهه  
ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكتائب وحاجب ومولى  
وشرطي ويتسع جاههم ويقتنون الاموال ويتأثرون بها ثم اذا أخذت الدولة في الهرم  
بتلاشي العصية وفناء القبيل الماعدين للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى  
الاعوان والانصار لكثرة الخوارج والمنازعين والثوار وتوهم الانتقاض فصار  
خواجه لظهورائه وأعوانه وهم أرباب السيوف وأهل العصابات وأنفق خزائنه  
وحاصله في مهمات الدولة وقلت مع ذلك الجباية لما قدمنا من كثرة العطاء والانفاق  
فيقل الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال فيتقلص ظل النعمة والترفع عن الخواص  
والحجاب والكتاب يتقلص الجاه عنهم وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة  
صاحب الدولة الى المال وتنفق أبناء البطانة والحاشية ما تأثله آباؤهم من الاموال  
في غير سيدها من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه آباؤهم وسلفهم من  
المناسحة ويرى صاحب الدولة أنه أحق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه  
وبجاههم فيصطلها ويتزعمها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحد بعد واحد على نسبة رتبهم  
وتشكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها ورجاليتها وأهل الثروة  
والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مباني المجد بعد أن يدعه أهله ويرفعوه  
\* وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بنى قنطرة وبنى برمك وبنى سهل وبنى  
طاهر وأمثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها أيام الطوائف في بنى شهيد  
وبنى أبي عبدة وبنى حدير وبنى برد وأمثالهم وكذا في الدولة التي أدركاها العهد ناسنة  
الله التي قد خلت في عبادته

(فصل) ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم يترعون  
الى الفرار عن الرتب والتخلص من ربة السلطان بما حصل في أيديهم من مال الدولة  
الى قطر آخر ويرون أنه أهملهم وأسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغصلاط  
الفاحشة والالوهام المفسدة لاهوالهم ودينهم واعلم أن الخلاص من ذلك بعد  
الحصول فيه عسير يمنع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا يمكنه  
الرعية من ذلك طرفه عين ولا أهل العصية المزاجون له بل في ظهور ذلك منه هندم



للملكه واتلاف لنفسه بجارى العادة بذلك لان رتبة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند  
 استفعال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والجلال والتخلق  
 بالشر وأما اذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرتب  
 في دولته فقل أن يحلى بينه وبين ذلك أما أولا فلما يراه الملوكة أن ذويهم وحاشيتهم بل  
 وسائر رعاياهم مما اليك لهم مطالعون على ذات صدورهم فلا يسمحون بحل رتبته من  
 الخدمة ضنا بأسرارهم وأحوالهم أن يطلع عليها أحد وغيره من خدمته لسواهم ولقد  
 كان بنو أمية بالاندلس يمنعون أهل دولتهم من السفر لقرينة الحج لما يتوهمونه من  
 وقوعهم بأيدي بني العباس فلم يحج سائرا يأمهم أحد من أهل دولتهم وما أبيع الحج  
 لأهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شأن الاموية وجوعها الى الطوائف وأما  
 ثانيا فلأنهم وان سمحوا بحل رتبته هو فلا يسمحون بالتجاني عن ذلك المال لما يرون  
 أنه جزء من مالهم كما يرون أنه جزء من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جباهها تقوم  
 نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتقامه كما هو جزء من الدولة ينتفعون به ثم اذا  
 توهمنا أنه خلص بذلك المال الى قطر آخر وهو في النادر الاقل فتمتد اليه أعين الملوكة  
 بذلك القطر ويتزعونه بالارهاب والخوف تعريضا وبالقهرة بظاهر المايرون أنه مال  
 الجباية والدول وأنه مستحق للانفاق في المصالح واذا كانت أعينهم تمتد الى أهل الثروة  
 واليسار المتكسبين من وجوه المعاش فأحرى بها أن تمتد الى أموال الجباية والدول  
 التي تجد السبيل اليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان أبو يحيى ذكر يابن أحمد  
 اللحياني تاسع أو عاشر ملوك الحفصيين بافريقية الخروج عن عهدة الملك واللحق  
 بمصر فرار من طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغزو تونس فاستعمل اللحياني  
 الرحلة الى ثغر طرابلس يورى بتهيدته وركب السفين من هنالك وخلص الى  
 الاسكندرية بعد أن حمل جميع ما وجدته بيت المال من الصامت والذخيرة وباع كل  
 ما كان بخزائنها من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب واحتل ذلك كله الى مصر  
 ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع عشرة من المائة اثناسمة فأكرم نزله  
 ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيره شيئا فشيئا بالتعريض الى أن حصل عليها ولم يبق  
 معاش ابن اللحياني الا في جرايته التي فرض له الى أن هلك سنة ثمان وعشرين حسبا  
 نذكره في أخباره فهذا وأمثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما  
 يتوهمونه من ملوكهم من المعاطب وانما يخاصون ان اتفق لهم الخلاص بأنفسهم  
 وما يتوهمونه من الحاجة فغلط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف  
 في وجدان المعاش لهم بالخرابات السلطانية أو بالجباية في انتمال طرق الكسب من

التجارة والفلاحة والدول أنساب لكن  
 النفس راغبة اذا رغبته \* واذا ترذ الى قليل تقنع  
 والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق بمنه وفضله والله أعلم

٤٣ (فصل في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية)

والسبب في ذلك أن الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران  
 فاذا احتجب السلطان الاموال أو الجبايات أو فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ  
 ما بأيدي الحاشية والحامية وانقطع أيضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت  
 نفقاتهم بجهة وهم معظم السواد ونفقاتهم أكثر مادة الاسواق ممن سواهم فيقع  
 الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج  
 والجباية انما تكون من الاعمار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للقوائد  
 والارباح وببال ذلك عاند على الدولة بالنقص لقله أموال السلطان حينئذ بقله الخراج  
 فان الدولة كما قلناه هي السوق الاعظم أم الاسواق كلها وأصلها ومادتها في الدخل  
 والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فأجدر بما بعدهما من الاسواق أن يلحقها مثل  
 ذلك وأشد منه وأيضا فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه  
 اليهم فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية سنة الله في عباد

٤٤ (فصل في ان الظلم مؤذن بخراب العمران)

اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذهاب أموالهم في تحصيلها أو كتمانها  
 يرويه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم واذا ذهبت أموالهم في كتمانها  
 وحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون  
 انقباض الرعايا عن السعي في الاكساب فاذا كان الاعتداء كثيرا عامتا في جميع أبواب  
 المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال بجهة بدخوله من جميع  
 أبوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبه والعمران  
 ووفوره ونفاق أسواقه انما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين  
 وجائين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق  
 العمران وانتقضت الاحوال وابتدع الناس في الآفاق من غير تلك الالة في طلب  
 الرزق فيما خرج عن نطاقها خفف ساكن القطر وقلت دياره وخربت أمصاره واختل  
 باختلاله حال الدولة والسلطان لما أنما صورة للعمران تقسب بفساد مادتها ضرورة  
 وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن الموبدان صاحب الدين

عندهم أيام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن  
عائده على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك أصواتهم وسأله  
عن فهم كلامها فقال له ان يوما ذكر ابروم نكاح يوم أنى رأيتها شرطت عليه عشرين قرية  
من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت أيام الملك أقطعك ألف قرية  
وهذا أسهل مما قتبته الملك من غفاته وخلا بالموبدان وسأله عن مراده فقال له  
أيها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره  
ونهيته ولا تقوم للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال  
ولاسبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب  
بين الخليفة نصبه الرب وجعل له قيميا وهو الملك وأنت أيها الملك عمدت الى الضياع  
فانتزعتهم من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال وأقطعتم  
الحاشية والخدم وأهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع  
رسوخوا في الخراج لقرهم من الملك ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج  
وعمار الضياع فانتحلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم وآووا الى ما تعذر من الضياع  
فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقات الاموال وهلك الجنود والريعية  
وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك العظماء بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم  
الملك الا بها فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي  
الخاصة وردت على أربابها وحلوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوى  
من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباة الخراج  
وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك على مباشرة  
أموره بنفسه فحسنت أيامه وانتظم ملكه فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب  
للعمران وان عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتفاض ولا تنظر في ذلك  
الى أن الاعتداء قد يوجد بالمصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم  
أن ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المصر فلما كان المصر  
كبيرا وعمرانه كثيرا وأحواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص فيه بالاعتداء  
والظلم يسيرا لان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال  
في المصر لم يظهر أثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل  
خراب المصر ونجى الدولة الاخرى فترفعه بمجدها وتجبر النقص الذي كان خفيا فيه  
فلا يكاد يشعر به الا أن ذلك في الاقل النادر والمراد من هذا أن حصول النقص في  
العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما تقدمناه وباله عائدة على الدول



ولا تحسبن الظلم انما هو أخذ المال أو الملك من يدهما لكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ ملكاً أحداً وغصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه بخباة الاموال بغير حقها ظلمة را المعتدون عليه ظلمة والمتهبون لها ظلمة والممانعون لحقوق الناس ظلمة وغصب الاموال على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها الاذها به الآمال من أهله واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى اليه من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه موجودة فكان تحريمه مهما وأدلت من القرآن والسنة كثيراً أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر ولو كان كل واحد قادراً عليه لوضع بازائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازائه من المفسدات للنوع التي يقدر كل أحد على اقترافها من الزنا والقتل والسكر إلا أن الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع من أهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمه وتكرير الوعيد فيه عسى أن يكون الوازع فيه للقادر عليه في نفسه وما ربك بظلام للعبيد \* ولا تقول ان العقوبات قد وضعت بازاء الحرابة في الشرع وهي من ظلم القادر لان المحارب زمن حرابته قادر فان في الجواب عن ذلك طريقين احدهما أن تقول العقوبة على ما يقتضيه من الجنايات في نفس أو مال على ما ذهب اليه ~~كثير~~ وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة بجنايته وأما نفس الحرابة فهي خلو من العقوبة \* الطريق الثاني أن تقول المحارب لا يوصف بالقدرة لانا انما نعني بقدرة الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي المؤذنة بالخراب وأما قدرة المحارب فانما هي أخافة يجعلها ذريعة لاخذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعاً وسياسة فليست من القدر المؤذن بالخراب والله قادر على ما يشاء

(فصل) ومن أشد اظلامات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق وذلك أن الاعمال من قبيل المتمولات كما سنين في باب الرزق لان الرزق والكسب انما هو قيم أعمال أهل العمران فاذا مساعهم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسبهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعية المعتمدين في العمارة انما معاشهم ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك فاذا كفوا العمل في غير شأنهم واتخذوا سخرى في

معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متوكلهم قد دخل عليهم الضرر  
 وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك عليهم هم أفسد  
 آمالهم في العمارة وقعدوا عن السعي فيها جملة فأدى ذلك الى انتقاض العمران  
 وتخريبه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(فصل) فأعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس  
 بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه  
 الغصب والاكراه في الشراء والبيع وربما تفرض عليهم تلك الأثمان على النواحي  
 والتأجيل فيتعلمون في تلك الخسارة التي تلحقهم بماتخذهم المطامع من جبر ذلك بحالة  
 الاسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأبخس الأثمان وتعود  
 خسارة ما بين الصفتين على رؤس أموالهم وقد يعجز ذلك أصناف التجار المقيمين بالمدينة  
 والواردين من الآفاق في البضائع وسائر السوق وأهل الدكاكين في المأكول  
 والفواكه وأهل الصنائع فيما يتخذ من الآلات والموازين فتشمل الخسارة سائر  
 الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات وتجحف برؤس الاموال ولا يجدون عنها  
 وليجة الا القعود عن الاسواق لذهاب رؤس الاموال في جبرها بالارباح ويتشاغل  
 الواردون من الآفاق لشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك فتكسد الاسواق ويطل  
 معاش الرعايا لان عانتهم من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل  
 معاشهم وتنقص جباية السلطان أو تفسد لان معظمها من أوسط الدولة وما بعدها انما  
 هو من المكوس على البياعات كما قد مناه ويؤل ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران  
 المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدرج ولا يشعر به هذا ما كان بأعمال هذه الذرائع  
 والاسباب الى أخذ الاموال وأما أخذها مجبانا والعسودان على الناس في أموالهم  
 وحرمتهم ودمائهم وأسرارهم وأعراضهم فهو يفضي الى الخلل والفساد دفعة  
 وتنقض الدولة سرعاً بما ينشأ عنه من الهرج المنقضى الى الانتقاض ومن أجل هذه  
 المقاسد خطر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشراء وحظر أكل  
 أموال الناس بالباطل سدة الابواب المقاسد المفضية الى انتقاض العمران بالهرج  
 أو بطلان المعاش واعلم أن الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى  
 الاكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج  
 ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة يستمدون ألقاباً ووجوهاً يوسعون بها الجباية  
 لينفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج بسببه يكثر والحاجة الى أموال  
 الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يزيد الى أن تمنح دوائرهم ويذهب برؤسها ويقلها

## ٤٥ (فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وأنه يعظم عند السمر)

اعلم أن الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه لانه لا بد لها من العصية التي بها يتم أمرها ويحصل استيلائها والبداءة هي شعار العصية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط فالبداءة التي بها يحصل الغلب بعيدة أيضا عن منازع الملك ومذاهبه فاذا كانت الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبداءة والقرب من الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ عزه وصار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس للحديث مع أوليائه في خواص شؤنه لما يكثر حينئذ من بحاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن يبابه على من لا يأمنه من أوليائه وأهل دولته ويتخذ حاجباً له عن الناس يقيه يبابه لهذه الوظيفة ثم اذا استفعل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها ويرى عاجل تلك الخلق منهم بعض من مباشرهم فوق فيما لا يرضيهم فمخطوئه وصاروا الى حالة الانتقام منه فانفرد بعرفة هذه الآداب الخواص من أوليائهم وجبوا غير أولئك الخاصة عن لقاءهم في كل وقت حفظاً على أنفسهم من معاينة ما يخطئهم وعلى الناس من التعرض لعقابهم فصار لهم حجاب آخر أخص من الحجاب الاول يقضي اليهم منه خواصهم من الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الثاني يقضي الى محاسن الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الاول يكون في أول الدولة كما ذكرنا كما حدث لا يام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب جرياً على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف وكانت خلق الملك على ما يجب فيها فادعوا ذلك الى الحجاب الثاني وصار اسم الحاجب أخص به وصار يباب الخلفاء داران للعباسة دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في أخبارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث أخص من الاولين وهو عند محاولة الخمر على صاحب الدولة وذلك أن أهل الدولة وخواص الملك اذا نصبوا الابناء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فأول ما يبدؤ به ذلك المستبد أن يحجب عنه بطانة ابنه وخواص أوليائه يوهمه أن في مباشرتهم ما يخرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير ويعوده



ملا بسة أخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواه الى أن يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب الاً و آخر الدولة كما قد مناه في الجبر ويكون دليلاً على هرم الدولة ونفاذ قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لأن القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من أعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترشيع لذلك وحصول دواعيه ومباديه

### ٤٦ (فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين)

اعلم أن أقول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك أن الملك عند ما يستفحل ويبلغ أحوال الترف والنعيم الى غاية ما ويستبد صاحب الدولة بالمجد ويتفرد به بأنفس حينئذ عن المشاركة ويصير الى قطع أسبابها ما استطاع باهلال من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم ونزعوا الى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاعتذار والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم للدولة أو يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان أمرها حريزاً مجتهداً ونطاقها ممتد في الاتساع وعصية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينبض عرق من الخلاف سائر أياجه الا ما كان من بدعة الخوارج المستتمتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لزعمة ملك ولا رياسة ولم يتم أمرهم لمزاجتهم العصبية القوية ثم لما خرج الامر من بني أمية واستقل بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف وأذنت بالتقلص عن القاصية نزح عبد الرحمن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بهم ما لم يكن وافتطعها عن دولتهم وصير الدولة دولتين ثم نزح ادريس الى المغرب وخرج به وقام بأمره وأمر ابنه من بعده البربرية من أوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تقلصاً فاضطرب الاغالبية في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كرامة وصنهاجة واستولوا على افرريقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على الادارة وقسموا الدولة دولتين خريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب وأصلهم ومادتهم الاسلام ودولة بني أمية المجتدين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق ودولة العبيديين بافرريقية ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدولة الى أن كان انقراضها مقارباً وأوجعها

وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول أخرى وكان بالقاصية بنو ساسان فيما وراء  
النهر وخراسان والعلوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك إلى استيلاء الديلم على العراقيين  
وعلى بغداد والخلفاء ثم جاء السلجوقية فلما كوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم أيضا بعد  
الاستفحال كما هو معروف في أخبارهم وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب  
وأفريقية لما بلغت إلى غايتها أيام باديس بن المنصور وخرج عليه عمه حماد واقتطع  
ممالك العرب لنفسه ما بين جبل أوراس إلى تلمسان وماوية واختط القلعة بجبل  
كامة حمال المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم أشير بجبل تيطرى واستحدث مملكة  
أخر قسمها الملك آل باديس وبقى آل باديس بالقيروان وما إليها ولم يزل ذلك إلى أن انقرض  
أمرهم ما يجتمعوا وكذلك دولة الموحدين لما تقلص ظلها ثار باقر يرقية بنو أبي حفص  
فاستقلوا بهم واستحدثوا مملكة لا عقابهم بنوا حيا ثم لما استفحل أمرهم واستولى على  
الغاية خرج على الممالك الغربية من أعقابهم الأمير أبو بكر يحيى ابن السلطان أبي  
اسحق إبراهيم رابع خلفائهم واستحدث مملكة بجاية وقسنطينة وما إليها ورثه بنوه  
وقسموا به الدولة قسمين ثم استولى على كرسى الحضرة بنونس ثم انقسم الملك ما بين  
أعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد ينتهي الانقسام إلى أكثر من دولتين وثلاثة  
وفي غير أعين الملك من قومه كما وقع في ملوك الطوائف بالاندلس وملوك العجم  
بالمشرق وفي ملك صنهاجة باقر يرقية فقد كان لا آخر دولتهم في كل حصن من حصون  
أفريقية ثار مستقل بأمره كما تقدم ذكره وكذا حال الحرير والزاب من أفريقية  
قبيل هذا العهد كما ذكره وهكذا شأن كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض الهرم  
بالترف والدعة وتقلص ظل الغلب فيقسم أعينها أو من يغلب من رجال دولتها  
الأمر ويتعد فيها الدولة والله وارث الأرض ومن عليها

#### ٤٧ (فصل في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع)

قد قد من ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحد بعد واحد وبيننا أنها تحدث  
للدولة بالطبع وأنها كلها أمور طبيعية لها وإذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كان  
حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من  
الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي والأمور الطبيعية  
لا تتبدل وقد يتنبه كثير من أهل الدول عن له يقظة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم  
من عوارض الهرم ويظن أنه يمكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي الدولة وإصلاح  
مراجعتها عن ذلك الهرم ويحسبه أنه لحقتها بتقصير من قبله من أهل الدولة وغفلتهم

وليس كذلك فانهم أوطسعية للدولة والعوائد هي المانعة له من تلافها والعوائد منزلة طبيعية أخرى فان من أدرك منسلا أباه وأكتر أهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويتحلون بالذهب في السلاح والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والري والاختلاط بالناس اذ العوائد حينئذ تنفعه وتقي عليه مرتكبه ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في ساطانه وانظر شأن الانبياء في انكار العوائد ومخالفتها لولا التأييد الالهى والنصر السماوى وربما تكون العصية قد ذهبت فتكون الآية تعوض عن موقعها من النفوس فاذا أزيلت تلك الآية مع ضعف العصية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب أو هدام الآية فتدفع الدولة بتلك الآية ما أمكنها حتى ينقضى الامر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها ايماضه الخود كما يقع في الذبال المشتعل فانه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضه توهم أنها اشتعال وهى انطفاء فاعتبر ذلك ولا تعقل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب

#### ٤٨ (فصل في كيفية طروق الخلل للدولة)

اعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بد منهما فالأول الشوكة والعصية وهو المعبر عنه بالجند والثانى المال الذى هو قوام أولئك الجند واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والخلل اذا طرقت الدولة طرقتها في هذين الأساسين فلندكر أولا طروق الخلل في الشوكة والعصية ثم نرجع الى طروقه في المال والجباية واعلم أن تمهيد الدولة وتأسيسها كما قلناه انما يكون بالعصية وأنه لا بد من عصية كبرى جامعة للعصائب مستتبعة لها وهى عصية صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة طبيعة الملك من الترف وجدع أنوف أهل العصية كان أول ما يجدع أنوف عشيرته وذوى قرابه المقاسمين له في اسم الملك فيستبد في جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم ويأخذهم الترف أيضا أكثر من سوادهم لمكانهم من الملك والعز والقلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر ثم يصير القهر آخر الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الامر في قلب غيره منهم الى الخوف على ما كفيا أخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذى تعودوا الكثير منه فيهلكون ونفسد عصية صاحب الدولة منهم وهى العصية الكبرى التى كانت تجمع بها العصائب وتستتبعتها فتقتل عروتها وتضعف شكمتها وتستبدل عنها بالبطالة من موالى النعمة وصنائع الاحسان



وتتخذ منهم عصبية الا انها ليست مثل تلك الشدة الشكسية لفقدان الرحم والقربة  
منها وقد كان من شأن العصبية وقوتها انما هي بالقربة والرحم لما جعل الله في  
ذلك فينفرد صاحب الدولة عن العشير والانصار الطبيعية ويحس بذلك أهل العصاب  
الآخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطائنه تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم  
بالقتل واحد بعد واحد ويقتل الآخر من أهل الدولة في ذلك الاول مع ما يكون قد  
نزل بهم من مهلكة الترف الذي قد منافستولى عليهم الهلاك بالترف والقتل حتى  
يخرجوا عن صبغة تلك العصبية وينشوا بعزتها وشورتها ويصيروا أو جز على  
الحماية ويقولون لذلك فتقل الحامية التي تنزل بالاطراف والنفور فيتجاسر الرعايا على  
بعض الدعوة في الاطراف ويبادر الخوارج على الدولة من الاعيان وغيرهم الى تلك  
الاطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بما يباعه أهل القاصية لهم وأمنهم من  
وصول الحامية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضيق حتى تصير الخوارج  
في أقرب الاماكن الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدو اثنين أو ثلاثة  
على قدر قوتها في الاصل كما قلناه ويقوم بأمرها غير أهل عصبيتها لكن اذا عانا لاهل  
عصبيتها والغلبهم المعهود واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام انتهت أولا الى الاندلس  
والهند والصين وكان أمر بني أمية نافذا في جميع العرب بعصبية بني عبد مناف حتى  
لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة  
فقتل ولم يرد أمره ثم تلاشت عصبية بني أمية بما أصابهم من الترف فانقرضوا وجاء  
بنو العباس فغضوا من أعنة بني هاشم وقتلوا الطالبيين وشردوهم فانحلت عصبية عبد  
مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم أهل القاصية مثل بني الاغلب  
بافريقية وأهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام  
البربر بأمرهم ادعانا للعصبية التي لهم وأمناء تصلهم مقاتلة أو حامية للدولة فاذا  
خرج الدعوة آخر افيتمغلبون على الاطراف والقاصية وتحصل لهم هنالك دعوة ومملك  
تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك متى زادت الدولة تقلصا الى أن ينتهي الى المركز  
وتضعف البطانة بعد ذلك بتأخذ منها الترف فتلك وتضعف الدولة المنقسمة  
كلها وربما طال أمدها بعد ذلك فتستغنى عن العصبية بما حصل لها من الصبغة في  
نفوس أهل ايلاتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل أحد  
من الاجيال مبدأها ولا أوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فيستغنى بذلك  
عن قوة العصاب ويكفي صاحبها بما حصل لها في تهديد أمرها الاجراء على الحامية من  
جندى ومرزق وبعض ذلك ما وقع في النفوس عامة من التسليم فلا يكاد أحد أن

يتصور عصياناً أو خروجاً أو الجهور منكرون عليه مخالفون له فلا يقدر على التصدي  
 لذلك ولو جهد جهده وربما كانت الدولة في هذا الحال أسلم من الخوارج والمنازعة  
 لاستحكام صبغة التسليم والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة  
 ولا يمتثل في ضميرها انحراف عن الطاعة فيكون أسلم من الهرج والانتقاض الذي  
 يحدث من العصائب والعشائر ثم لا يزال أمر الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها  
 شأن الحرارة الغريزية في البدن العادم للغذاء إلى أن تنتهي إلى وقتها المقدور ولكل  
 أجل كتاب ولكل دولة أمد والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار \*  
 وأما الخلل الذي يتطرق من جهة المال فاعلم أن الدولة في أولها تكون بدوية كما مر  
 فيكون خلق الرفق بالرعايا والقصد في النفقات والتعفف عن الأموال فتتجافى عن  
 الأمعان في الجباية والتخلق والكيس في جمع الأموال وحسبان العمال ولاداعية  
 حينئذ إلى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة إلى كثرة المال ثم يحصل الاستيلاء  
 ويعظم ويستفعل الملك فيدعو إلى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان  
 وأهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك إلى أهل المصر ويدعو ذلك إلى الزيادة في  
 أعطيات الجند وأرزاق أهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات  
 وينتشر ذلك في الرعية لأن الناس على دين ملوكهم وعوائدهم ويحتاج السلطان  
 إلى ضرب المكوس على أثمن الببيعات في الأسواق لا إدراة الجباية لما يراه من ترف  
 المدينة الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو إليه من نفقات سلطانه وأرزاق جنده ثم تزيد  
 عوائد الترف فلا تنفي بها المكوس وتكون الدولة قد استفحلت في الاستطالة والقهر لمن  
 تحت يدها من الرعايا فتأتي أيديهم إلى جمع المال من أموال الرعايا من مكس أو تجارة  
 أو نقد في بعض الأحوال بشبهة أو بغير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسروا على  
 الدولة بما لحقها من الفشل والهرم في العصبية فتتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة  
 العطايا وكثرة الانفاق فيهم ولا تجد عن ذلك وليجة وتكون جباة الأموال في الدولة قد  
 عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بأيديهم وبما اتسع لذلك من  
 جاههم فيتوجه إليهم باحتجان الأموال من الجباية وتنفش السعاية فيهم بعضهم من  
 بعض للمنافسة والحقد فتعهم النكبات والمصادرات واحداً واحداً إلى أن تذهب  
 ثروتهم وتتلاشى أحوالهم ويفقد ما كان للدولة من الأبهة والجمال بهم وإذا اصطلمت  
 نعمتهم تجاوزتهم الدولة إلى أهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا  
 الطور قد لحق الشوكه وضعفت عن الاستطالة والقهر فتصرف سياسة صاحب الدولة  
 حينئذ إلى مداراة الأمور ببذل المال ويراه أرفع من السيف لقله غنائه فتعظم حاجته

الى الاموال زيادة على النفقات وأرزاق الجند ولا يغنى فيما يريد ويعظم الهرم بالدولة  
ويتجاسر عليها أهل النواحي والدولة تتحل عراها في كل طور من هذه الى أن تنفضي  
الى الهلاك وتتعرض من الاستيلاء الكل فان قصدها طالب انتزعها من أيدي  
القائمين بها والابقيت وهي تتلاشى الى أن تضمحل كالذبال في السراج اذا فنى زيتها  
وطفى والله مالك الامور ومدير الاكوان لا اله الا هو

### ٤٩ (فصل في حدوث الدولة وتجدد وكيف يقع)

اعلم أن نشأة الدول وبدايتها اذا أخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاص يكون  
على نوعين اما بأن يستبد ولاية الاعمال في الدولة بالقاصية عندما يتقلص ظلها عنهم  
فيمكن لملك واحد منهم دولة يستبد بها القومه وما يستقر في نصابه يرثه عنه  
أبناءؤه أو مواليه ويستفعل لهم الملك بالتدريج وربعاء راجحون على ذلك الملك  
ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على  
صاحبه ويتزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين أخذت دولتهم في الهرم وتقلص  
ظلمها عن القاصية واستبد بنو سامان بمراوراء النهر وبنو جدان بالموصل والشام وبنو  
طولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب ملكها في الطوائف الذين كانوا  
ولايتها في الاعمال وانقسمت دولها وملكوا كأثر ثوبها من بعدهم من قرابتهم أو مواليتهم  
وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم  
ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة أدر كها الهرم  
وتقلص ظلها عن القاصية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بأن يخرج على  
الدولة خارج ممن يجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما أشرنا  
اليه أو يكون صاحب شوكة وعصية كبير في قومه قد استفعل أمره فيسمو بهم الى  
الملك وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها  
من الهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالمطالبة الى أن يظفروا بها  
ويرنون أمرها كما يتبين والله سبحانه وتعالى أعلم

### ٥٠ (فصل في ان الدولة المستقرة انما تستولى على الدولة المستقرة بالمطالبة لا بالمشاجرة)

قد ذكرنا أن الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تقلص ظل  
الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قد مضى لان  
قصاراهم القنوع بما في أيديهم وهونهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة  
والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم واقية بها فان ذلك انما

قوله ويرنون في  
نسخة ويرنون من  
الرفو بالراء والقاء  
هـ



يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاه ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تتكرر وتصل الى أن يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجرة والسبب في ذلك أن الظفر في الحروب انما يقع كما قدمناه بأمور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع من أنفع ما يستعمل في الحرب وأكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكثر من هم أتباعه وأهل شوكة وان كان الاقربون من بطائنه على بصيرة في طاعته وموازرته الا أن الاخيرين أكثر وقد داخلهم الفشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض القصور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاوله حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فيضعف عقائده التسليم لها من قومه وتنبعث منهم الهمم اصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضا فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحكم لهم من الملك وتوسع من النعيم واللذات واختصوا به دون غيرهم من أموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الاسلحة وتعظم فيهم الابهة الملكية ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم اختيارا واضطرا رافيرهبون بذلك كله عدوهم وأهل الدولة المستجدة بمعزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة وأحوال الفقر والخصاصة فيسبق الى قلوبهم أوهم الرعب بما يبلغهم من أحوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من أجل ذلك فيصير أمرهم الى المطاوله حتى تأخذ المستقرة ما خذها من الهرم ويستحكم الخلل فيها في العصبية والجباية فيمنهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة سنة الله في عبادته وايضا فأهل الدولة المستجدة كلهم مباينون للدولة المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم مفارقون لهم ومنابذون بما وقع من هذه المطالبة وبطمعهم في الاستيلاء عليه فتمتلك المباعدة بين أهل الدولتين سترًا وجهرا ولا يصل الى أهل الدولة المستجدة خبر عن أهل الدولة المستقرة يصيبون منه غرة باطنا وظاهرا لانقطاع المداخل بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم في اجسام وينكفون عن المناجزة حتى يأذن الله بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها وفقر الخلل في جميع جهاتها واتضح لأهل الدولة المستجدة مع الايام ما كان يخفى منهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها ونقصوه من أطرافها فتنبعث همهم يدا

قوله غرة بكسر  
الغين أي غفلة اهـ

واحدة للمناجزة ويذهب ما كان بث في عزائمهم من التوهّمات وتنتهي المطاولة  
 إلى حدّها ويقع الاستيلاء آخرها بالمعاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها  
 حين قام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشرين  
 أو تزيد حينئذ تمّ لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند  
 ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما  
 انقضى أمر العلوية وسما الديلم إلى ملك فارس والعراقين فكثوا سنيين كثيرة يطاولون  
 حتى اقتطعوا اصهبان ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون أقام داعيتهم  
 بالمغرب أبو عبد الله الشيعي تبنى كرامة من قبائل البربر عشرين ويزيد تطاول بني  
 الاغلب بأفريقية حتى ظفروا واستولوا على المغرب كله وهو إلى ملك مصر فكثوا  
 ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها يجهزون إليها العساكر والاساطيل في كل وقت ومجيء  
 المدد لمدافعتهم برّا وبحرا من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والقيوم والصعيد  
 وتخطت دعوتهم من هنالك إلى الجاز وأقيمت بالحرمين ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب  
 بعسكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طنج من أصولها واختط  
 القاهرة فجاء الخليفة بعد المعز لدين الله ففرزها لستين سنة أو نحوها منذ استيلائهم على  
 الاسكندرية وكذا السلجوقية من أول الترتلما استولوا على بني سامان وأجازوا من وراء  
 النهر مكثوا نحوًا من ثلاثين سنة يطاولون بني سبكتكين بخراسان حتى استولوا  
 على دولته ثم زحفوا إلى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر وكذا  
 التتر من بعدهم خرجوا من المفازة أعوام سبع عشرة وستمائة فلم يتم لهم الاستيلاء  
 الا بعد أربعين سنة وكذا أهل المغرب خرج به المرابطون من لمتونة على ملوكهم من  
 مغراوة فطاولوهم سنين ثم استولوا عليه ثم خرج الموحدون بدعوتهم على لمتونة فكثوا  
 نحوًا من ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيم براكش وكذا بنو مرين من  
 زناتة خرجوا على الموحدين فكثوا يطاولونهم نحوًا من ثلاثين سنة واستولوا على فاس  
 واقتطعوا أعمالها من ملكهم ثم أقاموا في محاربتهم ثلاثين أخرى حتى استولوا على  
 كرسيم براكش حسبما نذكر ذلك كله في تواريخ هذه الدول فهكذا حال الدول  
 المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطاولة سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا  
 ولا يعارض ذلك بما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان استيلائهم على فارس  
 والروم ثلاث أو أربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم أن ذلك انما كان معجزة  
 من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرّها استماتة المسلمين في جهاد عدوّهم استبعادا  
 بالايمن وما أوقع الله في قلوب عدوّهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا

للعادة المقررة في مطاولة الدول المستجدة للمستقرة وإذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات لا يقياس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٥١ (فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات)

اعلم أنه قد تقررت لك فيما سلف أن الدولة في أول أمرها لا بد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في اياتها ما من الدين أن كانت الدعوة دينية أو من المكارمة والمجاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول وإذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران وأسبابه فتوفروا بكثرة التناسل وإذا كان ذلك كله بالتدريج فانما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل وفي انقضاء الجيدين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقولن انه قد مر لك أن أواخر الدولة يكون فيها الاجحاف بالرعايا وسوء الملكة فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاجحاف وان حدث حينئذ وقلت الجبايات فانما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين من أجل التدريج في الامور الطبيعية ثم ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه أما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الارض بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الاموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكاك الزرع غالباً وليس صلاح الزرع وغمره بمستمرة الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها محتلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبه الا أن الناس وانقون في أقواتهم بالاحتكاك فاذا فقد الاحتكاك عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه أو لو اخصاصة فهل كواو كان بعض السنوات والاحتكاك مفقود فشمل الناس الجوع وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيوانية وملابسه دائم فيسرى الفساد الى مزاجه فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأما مرضها مخصوصة بالرئة وان كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الجياعات في الامزجة وتعرض الابدان وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة



لما كان في أوائلها من حسن الملكة ورفقها وقلة المغرم وهو ظاهر ولهذه اثنين في موضعه من الحكمة أن تخلل الخلاء والفقر بين العمران ضروري ليكون تنويع الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح ولهذا أيضا فان الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير كصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله بقدر ما يشاء

## ٥٢ (فصل في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها امره)

اعلم أنه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكلم فيه وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعدم معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاته فحياة العباد في الآخرة والثانية انما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما سمعناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكم رأسا ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدينة الفاضلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير ثم ان السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وجهين أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة وقد أغناها الله تعالى عنها في الملة ولعهد الخلافة لان الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والآفات وأحكام الملك مندرجة فيها \* الوجه الثاني أن يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تامة وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لساير الملوك في العالم من مسلم وكافر الا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها اذا مجمعة من أحكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء من مراعاة الشوكة والعصية ضرورية والاقتداء فيها بالشرع أو لاثم الحكماء في آدابهم

والمولود في سيرهم ومن أحسن ما كتب في ذلك وأودع كتاب طاهر بن الحسين لابنه  
عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما ما كتب إليه أبوه طاهر كتابه  
المشهور عهد إليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب  
الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن  
الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة \* رخص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم)  
أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزاياه  
- خطه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك  
وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك  
الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن  
إليك وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده وأزمنك العدل فيهم والقيام  
بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبتهم والحقن لدمائهم والأمن  
لسرهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وسائر ذلك  
عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك  
عنه شاغل وأنه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوقفك الله عليه وليكن أول ما تنزم  
به نفسك وتنسب إليه فعلك المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات  
الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوابعها على سنتها من أسبغ الوضوء لها وافتتاح  
ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك  
ولتصرف فيه رأيك ونيتك واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك وأدب عليها  
فإنها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالآخذ بسنن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم والشاربة على خلائقه واقتراف أثر السلف الصالح من بعده  
واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما أنزل الله  
عز وجل في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وانتهام ما جاءت به الآثار عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تميلن عن العدل فيما أحبت أو  
كرهت لقريب من الناس أو أبعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عز  
وجل وأهملين به فان أفضل ما يترين به المرء النعمة في الدين والطلب له والحث عليه  
والمعرفة بما يقرب به إلى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد إليه والآمر  
به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة  
واجلاله ودرجاته العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير  
لامرك والهيبة لسلطانك والانسبة بك والثقة بعدك وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها

فليس تبي أين تفعا ولا أخص أمنا ولا أجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وكذا في دينك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والابر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد والاعانة والاستعانة من البر والسعي له اذا كان يطالب به وجه الله تعالى ومرضاته وموافقة أولياء الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويعص من الذنوب وأنت لن تحوط نفسك من قائل ولا تنصلح أمورك بأفضل منه فاته واهتد به تتم أمورك وترزق قدرتك ويصلح عامتك وخاصةك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك رعيته والتمس الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تهتم أحد من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم اثم فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارضضه فيهم بعنك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم ولا تتخذت عدو الله الشيطان في أمرك معمد افانه انما يكتفي بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم تبسو الظن بهم ما ينقص لذاذة عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرافة برعيته أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لامور الاولياء وحياطة الرعية والنظر في حوائجهم وحل مؤاتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيى للسنة واخلص نيتك في جميع هذا وتفرقة تقويم نفسك تفرقة من يعلم أنه مسؤول عما صنع ومجزي بما أحسن ومواخذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدنيا حرازا وعزا ورفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الاهدى وأقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تنهون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفریطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتتم لك امر وأنت اذا عاهدت ههنا فافؤف به واذا وعدت اخيرا فأنجزه واقبيل الحسنة وادفع بها وانمض عن عيب كل ذي عيب من رعيته واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وانفض أهل النيمة فان أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها تقرب الكذب والجراة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنيمة خاتم الان النيمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر واحبب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى



واعزاز أمره والتس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف  
 عنهم رأيك وأظهر برائك من ذلك لرعييتك وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم  
 وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وأثر الحلم والوقار  
 وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله وإياك أن تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء  
 فان ذلك سريع الى نقص الرأي وقلة اليقين لله عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه  
 واليقين واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه من يشاء ولن تجد تغير  
 النعمة وحلول النعمة الى أحد أسرع منه الى جهلة النعمة من أصحاب السلطان  
 والمبسوط لهم في الدولة اذا كفر وانعم الله واحسانه واستطالوا بما أعطاهم الله عز  
 وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرلك وكنوزك التي تذخر وتكثر البر  
 والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم  
 والاغانة للمهوفهم واعلم أن الاموال اذا اكتنرت وادخرت في الخزائن لا تنمو واذا  
 كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم نمت وزكت وصلمت به  
 العامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتمد فيه العز والمنفعة فليكن كنز خرائتك  
 تفريق الاموال في عمارة الاسلام وأهله ووفرمته على أولياء أمير المؤمنين قبلك  
 حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم فانك اذا فعلت  
 قرت النعمة لك واستوجبت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية أموال رعييتك  
 وخراجك أقدر وكن الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أساس لطاعتك وطب نفسا  
 بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقلك فيه وانما يبقى  
 من المال ما أنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأثبتهم عليه  
 وإياك أن تنسك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون  
 يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب  
 فان الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله واعتصم بالشكر وعلمه فاعقد ذلك الله خيرا  
 واحسانا فان الله عز وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن  
 ذنبا ولا تمالن حاسدا ولا ترجن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهنن عدوا ولا تصدقن  
 غاما ولا تأمنن عدوا ولا توالن فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مرثيا ولا تحقرن  
 انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تحلفن وعدا ولا  
 تذهبن نغرا ولا تطهرن غضبا ولا تباین رجاء ولا تمسین مرحا ولا تزكین سغيا ولا  
 تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للنمام عينا ولا تغمض عن ظالم رهبة منه أو محاباة  
 ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم

وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل  
 الرفه والجل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شئ أسرع فسادا  
 لما استقبلت فيه أمر رعيته من الشخ واعلم أنك اذا كنت حريصا كنت كثير  
 الاخذ قليل العظيمة واذا كنت كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعيته انما تعتقد  
 على محبتك بالكف عن أمروا لهم وترك الجور عليهم ووال من صفالك من أوليائك  
 بالاتصال اليهم وحسن العظيمة لهم واجتنب الشخ واعلم أنه أول ما عصى به الانسان ربه  
 وأن العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فأولئك هم  
 المفلحون فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظا ونصيبا وأيقن  
 أن الجود أفضل أعمال العباد فأعده لنفسك خلقا وارض به عملا ومذهبا وتفقد الجند  
 في دواوينهم ومكاتيبهم وأدر عليهم أوزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز  
 وجل بذلك فاقتهم فيمقوى لك أمرهم وتريد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانسراحا  
 وحسب ذى السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته راحة في عدله  
 وعظيمته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فذلك مكروه أحد البابين باستشعار  
 فضله الباب الآخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحا وصلاحا وفلاحا  
 واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس له به شئ من الامور لانه ميزان الله الذى  
 يعدل عليه أحوال الناس فى الارض وباقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح أحوال  
 الرعية وتأمين السبل وينتصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة  
 ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقم الدين ويجرى السنن  
 والشرائع فى مجاريها واشتدت فى أمر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لا قامة  
 الحدود وأقل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه  
 فى صحتك واسدد فى منطقتك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ فى الخجة ولا  
 يأخذك فى أحد من رعيته محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم وثبت وتأن وراقب وانظر  
 وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا  
 تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتها كالهيا بغير حقها  
 وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عز اورفعة ولاهله  
 توسعة ومنعة ولعدوه كبتا وغيظا ولاهله الكفر من معاديبهم ذلا وصغارا فوزعه  
 بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ولا تدفعن شيئا منه عن شريف لشرفه  
 ولا عن غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا ل أحد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه  
 فوق الاحتمال له ولا تكلف أمر فيه شطط واجل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك

أجمع لافتهم والزم ارضاء العامة واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما  
سمى أهل عملك رعيتك لأنك راعيتهم وقيمهم فخذ منهم ما أعطوك من عقوبتهم ونفذه في  
قوام أمرهم وصلاتهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أولى الرأي والتدبير والتجربة  
والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق  
اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك فلا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف  
فانك متى آثرته وقت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن  
الاحدونه في عملك واستجرت به المحبة من رعيتك وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات  
بيلدك وفشت العمارة بناحتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت  
أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من  
نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها  
ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتناقص فيها ولا تقدم عليهم شيئا تحمد عاقبة أمرك ان شاء الله  
تعالى واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك خبر عمالك ويكتب اليك بسيرهم  
وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاينا لا موره كلها واذا أردت أن تأمرهم  
بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت  
فيه حسن الدفاع والصنع فأمضه والافتوق عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم خذ  
فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في أمره وقد آناه على ما يهوى فأغواه ذلك وأعجبه فان لم  
يتنظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الخزم في كل ما أردت وباشره بعد  
عون الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وافرج من عمل يومك  
ولا تؤخره وأكثر مباشرته بنفسك فان لغد أموراً وحوادث تلهمك عن عمل يومك  
الذي أخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل  
يومين فيشغلك ذلك حتى ترضى منه واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت بدتك ونفسك  
وجعت أمر سلطانك وانظر احرار الناس وذوى الفضل منهم ممن بلوت صفاعطويتهم  
وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك فاستخلصهم وأحسن  
اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم  
حتى لا يجردوا واخلتهم منافرا وأفرد نفسك بالنظر في أموال الفقراء والمساكين ومن  
لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه أخفى مسئلة  
وكل بأمثاله أهل الصلاح في رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وخاللهم تنظر فيما يصلح  
الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء ويتأماهم وأرام لهم واجعل لهم أرزا قاسم بيت  
المال اقتداء بأمر المؤمنين أعزه الله تعالى في العطف عليهم والصله لهم ليصلح الله بذلك



عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة وأجر لأمراء من بيت المال وقدم حلة القرآن منهم  
والحافظين لا كثره في الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دوراتاً وبهم وقوا ما  
يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلى سرف  
في بيت المال واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانتهم لم تبرمهم وربما تبرم  
المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما يناله به مؤنة  
ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب  
الآجل كالذي يستغفر مما يقربه إلى الله تعالى وتلقس به رحمة وأكثر الأذن للناس  
عليك وأرهم وجهك وسكن حرأسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرتك ولن لهم  
في المسئلة والنطق واعطف عليهم بيجودك وفضلك وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب  
نفس والتماس للصنيعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فإن العطية على ذلك تجارة  
مرجحة إن شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل  
السلطن والرياسة في القرون الخالية والام البائدة ثم اعتصم في أحوالك كلها بالله  
سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وبأقامة دينه وكفايه  
واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من  
الاموال وما ينفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً وأكثر مجالسة العلماء  
ومشاورةهم ومخالطتهم وليكن هوذا اتباع السنن واقامتها وإيثار مكارم الاخلاق  
ومقاتلتها وليكن أكرم دخلاتك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً لم تمنعه هيبتك من انهاء  
ذلك اليك في ستر وأعلامك بما فيه من النقص فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك  
لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكباك فوقك لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل فيه  
بكيبه ومؤامره وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة ورعيته ثم فرغ لما يورد  
عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكررا النظر فيه والتدبير له فما كان  
موافقاً للعق والحزم فأمنه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفاً لذلك فأصرفه إلى  
المسئلة عنه والتثبت ولا تمن على رعيته ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من  
أحد إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين ولا تضع المعروف الاعلى ذلك  
وتفهم كتابي اليك وأسعن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره  
فإن الله عز وجل مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبته ما كان لله عز  
وجل رضا ولدينه نظاماً ولاهله عزاً وتمكيناً وللملة والنمة عدلاً وصلاً وأنا أسأل  
الله عز وجل أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك والسلام \* وحديث  
الاخباريون أن هذا الكتاب لما ظهر وشاع أمره أعجب به الناس واتصل بالمؤمن فلما

قرئ عليه قال ما أتى أبو الطيب يعني طاهر اشياً من أمور الدنيا والدين والتدبير  
والرأى والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم  
الخلافة الا وقد أحكمه وأوصى به ثم أمر المأمون فكتب به الى جميع العمال في  
النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه هذا أحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة  
والله أعلم

٥٣ (فصل في امراض الملوك وما ينزهب اليه الناس في شأنه وكشف الظواهر عن ذلك)

(اعلم) أن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على عمدة الاعصار أنه لا بد في آخر الزمان  
من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولون  
على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط  
الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل  
معه فيساعد على قتله ويأتي بالمهدي في صلواته ويحبسون في الباب بأحاديث خرجها  
الائمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار وللمتصوفة المتهكمين  
في أمر هذا الفاطمي طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على  
الكشف الذي هو أصل طرائقهم \* ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة في  
هذا الشأن وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم في انكارهم من المستند ثم نتبعه  
بذكر كلام المتصوفة ورأيهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة  
من الائمة خرجوا أحاديث المهدي منهم الترمذي وأبو داود والبرزاري وابن ماجه والحاكم  
والطبراني وأبو يعلى الموصلي وأسندوها الى جماعة من الائمة مائة مثل علي وابن عباس  
وابن عمرو وطخمة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة  
وثوبان وقرّة بن اياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحرث بن جزة بأسانيد ربما يعرض لها  
المنكرون كما نذكره الا أن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل  
فاذا وجدنا طعننا في بعض رجال الاسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي  
نطرق ذلك الى صحة الحديث وأوهن منها ولا نقول مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال  
الصحيحين فان الاجماع قد اتصل في الائمة على تلقيهم ما بالقبول والعمل بما فيه ما وفي  
الاجماع أعظم حياية وأحسن دفع وليس غير الصحيحين بمنايبتهم في ذلك فقد نجد مجالا  
للكلام في أسانيد ما نقل عن أئمة الحديث في ذلك \* ولقد توغل أبو بكر بن أبي  
خزيمة على ما نقل السهلي عنه في جمعه للأحاديث الواردة في المهدي فقال ومن  
أغرب الاسناد ما ذكره أبو بكر الاسكافي في فوائده الاخبار مسنداً الى مالك بن أنس

عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي  
فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما  
احسب وحسبك هذا غلو والله أعلم بصحة طريقه الى مالك بن أنس على أن أبا بكر  
الاسكاف عندهم منهم وضاع \* وأما الترمذي فخرج هو وأبو داود بسندهم ما الى  
ابن عباس من طريق عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة الى زر بن حبيش عن  
عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله  
ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه  
اسم أبي هذا لفظ أبي داود وسكت عنه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت  
عليه في كتابه فهو صالح وانفط الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل  
بيت يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ آخر حتى يلى رجل من أهل بيتي وكلاهما حديث حسن  
صحيح ورواه أيضا من طريق موقوفا على أبي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة  
وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلاهما  
صحيحة على ما أصلته من الاحتجاج بأخبار عاصم اذ هو امام من أئمة المسلمين انتهى  
الأن عاصم قال فيه أحمد بن حنبل كان رجلا صالحا قارئا للقرآن خيرا ثقة والاعمش  
أحفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف  
عليه في زر وأبي وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنهم ما وقال محمد بن سعد كان  
ثقة الا أنه كثير الخطأ في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد  
الرحمن بن أبي حاتم قلت لأبي ان أبا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم  
فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سي الحفظ وقال أبو حاتم محله عندى محل الصدق  
صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول النسائي وقال ابن حراش  
في حديثه نكرة وقال أبو جعفر العجلي لم يكن فيه الاسوء الحفظ وقال الدارقطني  
في حفظه شيء وقال يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردي الحفظ  
وقال أيضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن أبي النجود وفي الناس ما فيها وقال  
الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو حسن الحديث  
وان احتج أحاديث الشيخين أخرجه فنعول أخرجه مقررنا بغيره لأصلا والله أعلم  
وخرج أبو داود في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن القاسم  
ابن أبي مرة عن أبي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر  
الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وقطن بن خليفة وان  
وثقه أحمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا أن العجلي قال حسن



الحديث وفيه تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال أحمد بن عبد الله بن  
يونس كنا غزاة على قطن وهو مطروح لا نكتب عنه وقال مرة كنت أمرته وأدعه  
مثل الكلب وقال الدارقطني لا يحتج به وقال أبو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه  
الأسوء مذهبه وقال الجرجاني زائف غير ثقة انتهى وخرج أبو داود أيضا بسنده إلى  
علي رضي الله عنه عن مروان بن المغيرة عن عمر بن أبي قيس عن شعيب بن أبي خالد عن  
أبي اسحق النسفي قال قال علي ونظر إلى ابنه الحسن ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله  
صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في  
الخلق إلا الأرض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن أبي قيس عن مطرف بن طريف  
عن أبي الحسن عن هلال بن عمر سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج  
رجل من وراء النهر يقال له الحرث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن  
لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو  
قال اجابته سكت أبو داود عليه وقال في موضع آخر في هرون هو من ولد الشيعة وقال  
السليمان في فيه نظر وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس لا بأس به في حديثه خطأ وقال  
الذهبي صدق له أو هام وأما أبو اسحق الشيعي وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت أنه  
اختلف آخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذلك رواية أبي داود عن هرون بن المغيرة  
وأما السند الثاني فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجهولان ولم يعرف أبو الحسن  
الامن رواية مطرف بن طريف عنه انتهى وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة وكذا  
ابن ماجه والحاكم في المستدرک من طريق علي بن فضال عن سعيد بن المسيب عن أم  
سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ولفظ الحاكم  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة  
ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره وقد ضعفه أبو جعفر العقيلي وقال لا تابع علي بن فضال  
عليه ولا يعرف إلا به وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة من رواية صالح بن الخليل عن  
صاحب له عن أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل  
المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين  
الركن والمقام فيبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة  
فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينش  
رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم به ثمانية ظهور عليهم وذلك بعث كلب والخبيبة  
لم يشهد غنجة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة بينهم صلى الله عليه وسلم  
ويبقى الإسلام بجزائه على الأرض فيلبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه أبو

داود من رواية ابن الخليل عن عبد الله بن الحرث عن ام سلمة فتبين بذلك المجهول في الاسناد  
 الاول ورجالهم رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز وقد يقال انه من رواية قتادة عن  
 أبي الخليل وقاتدة مدلس وقد عنعنوه والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه  
 بالسماع مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذلك كر المهدى نعم ذكره أبو داود في أبوابه  
 وخرج أبو داود أيضا وتابعه الحاكم عن أبي سعيد الخدري عن طريق عمران القطان  
 عن قتادة عن أبي بصرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 المهدى مني أحلى الجبهة أفنى الأنف يلا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا  
 يلك سبع سنين هذا لفظ أبي داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدى من أهل  
 البيت أشم الأنف أفنى أجلى يلا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش  
 هكذا وبسط يساره وأصبعين من عينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا  
 حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه **هـ** وعمران القطان مختلف في الاحتجاج  
 به انما أخرج له البخاري استشهادا لأصلا وكان يحيى القطان لا يحدث عنه وقال  
 يحيى بن معين ليس بالقوى وقال مرة ليس بشئ وقال أحمد بن حنبل أرجو أن يكون  
 صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على أهل القبلة وقال  
 النسائي ضعيف وقال أبو عبيد الآجري سألت أبا داود عنه فقال من أصحاب الحسن  
 وما سمعت الا خيرا وسمعتة مرة أخرى ذكره فقال ضعيف أفتى في أيام ابراهيم بن عبد الله  
 ابن حسن يقتوى شديدة فيهما سفك الدماء وخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن  
 أبي سعيد الخدري عن طريق زيد العمى عن أبي صديق التاجي عن أبي سعيد الخدري  
 قال خشينا أن يكون بعض شئ حدث فسالنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان في  
 امتي المهدى يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا زيد الشاذلي قال قلنا وماذا قال سنين  
 قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدى أعطني قال فيجيء له في ثوبه ما استطاع أن يحمله  
 لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد روى من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون في امتي المهدى ان قصر فسبع والا  
 فتسع فتسم امتي فيه نعمة لم يسمعوها بمثلها قط تؤتى الأرض كلها ولا يتخر من شئ  
 والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدى اعطني فيقول خذ انتهي وزيد  
 العمى وان قال فيه الدارقطني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد أحمد انه  
 فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى الا أنه قال فيه أبو حاتم ضعيف يكتب حديثه  
 ولا يخرج به وقال يحيى بن معين في رواية أخرى لاشئ وقال مرة يكتب حديثه وهو  
 ضعيف وقال الجرجاني متماثل وقال أبو زرعة ليس بقوى واهى الحديث ضعيف

وقال أبو حاتم ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدى  
 عامة ما يرويه ومن يروى عنهم ضعفاء على أن شعبة قد روى عنه وأعل شعبة لم يرو عن  
 أضعف منه وقد يقال إن حديث الترمذي وقع تفسير المارواه مسلم في صحيحه من  
 حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكون في آخر أمتي خليفة يحثي  
 المال حثيا لا يعده عدا ومن حديث أبي سعيد قال من خلفائكم خليفة يحثي المال  
 حثيا ومن طريق أخرى عنهما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده  
 انتهى وأحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل يقوم على أنه المراد منها ورواه  
 الحاكم أيضا من طريق عوف الأعرابي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض جورا وظلما  
 وعدوانا ثم يخرج من أهل بيتي رجل يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال  
 فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم أيضا من طريق  
 سليمان بن عبيد عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها  
 ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعا وأثمانيا يعني سبعا وقال  
 فيه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه مع أن سليمان بن عبيد لم يخرج له أحد من الستة  
 لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد أن أحدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم أيضا من  
 طريق أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وأبي هرون العبدى عن أبي  
 الصديق الناجي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الأرض جورا  
 وظلما فيخرج رجل من عترتي فيملأ سبعا وتسعا فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت  
 جورا وظلما وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم وإنما جعله على شرط  
 مسلم لأنه أخرجه عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق وأما شيخه الآخر وهو أبو  
 هرون العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جدا متهم بالكذب ولا حاجة إلى بسط أقوال  
 الأئمة في تضعيفه \* وأما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو أسد بن موسى ويلقب بأسد  
 السنة وإن قال البخاري مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به أبو داود  
 والنسائي إلا أنه قال مرة أخرى ثقة لولم يصنف كان خيرا له وقال فيه محمد بن حزم منكر  
 الحديث ورواه الطبراني في معجمه الأوسط من رواية أبي الواصل عبد الحميد بن واصل  
 عن أبي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي أحد بني بهدلة عن أبي سعيد  
 الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من أمتي يقول  
 يستني ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرج الأرض بركتها وتغلا الأرض منه



قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل بيت المقدس وقال الطبراني فيه ورواه جماعة عن أبي الصديق ولم يدخل أحد منهم بينه وبين أبي سعيد أحدا إلا أبا الواصل فإنه رواه عن الحسن بن يزيد عن أبي سعيد انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الاسناد من روايته عن أبي سعيد ورواية أبي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات وأما أبو الواصل الذي رواه عن أبي الصديق فلم يخرج له أحد من الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه يروى عن أنس وروى عنه شعبة وعتاب بن بشر وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن أبي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبل فتية من بني هاشم فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما زال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال أنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيقولون بعدى بلاء وتشريدًا وتطريدًا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يهملونه فيقاتلون وينسرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعونهم إلى رجل من أهل بيتي فيملؤوها قسطا كما ملؤوها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج انتهى \* وهذا الحديث يعرف عند المحدثين بحديث الرايات ويزيد بن أبي زياد راويه قال فيه شعبة كان رفعا يعني يرفع الأحاديث التي لا تعرف من فوعة وقال محمد بن الفضل كان من كبار أئمة الشيعة وقال أحمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعيف وقال العجلي جائر الحديث وكان بآخره يلقي وقال أبو زرعة لين يكتب حديثه ولا يحتج به وقال أبو حاتم ليس بالقوى وقال الجرجاني سمعهم يضعفون حديثه وقال أبو داود لا أعلم أحدا ترك حديثه وغيره أحب إلى منه وقال ابن عدي هو من شيعه أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة قالوا كثرون على ضعفه وقد صرح الأئمة بضعف هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشئ وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال أبو قدامة سمعت أبا أسامة يقول في حديث يزيد عن ابراهيم في الرايات لو حلف عندى خمسين عينا أقسمه ما صدقته أهذا مذهب ابراهيم أهذا مذهب علقمة أهذا مذهب عبد الله وأورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهبي ليس بصحيح وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن

أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي من أهل البيت يصلح الله به  
 في ليلة نياسين العجلى وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه نظرو هذه  
 اللفظة من اصطلاحه قوية في التضعيف جدا وأورد له ابن عدي في الكامل والذهبي  
 في الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني  
 في معجمه الاوسط عن علي رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أمنا المهدي  
 أم من غيرنا يا رسول الله فقال بل مننا بنايختم الله كما بنا فتح ونايستنقذون من الشرك  
 ونايؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما بنا ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك قال  
 علي المؤمنين أم كافرون قال مفتون وكافر انتهى وفيه عبد الله بن لهيعة وهو  
 ضعيف معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو أضعف منه قال أحمد بن حنبل  
 روى عن جابر مننا كبيرو بلغني أنه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان ابن  
 لهيعة شيخا أحق بضعيف العقل وكان يقول علي في السحاب وكان يجلس معنفا فيبصر  
 سحابة فيقول هذا علي قد مر في السحاب وخرج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان قسنة يحصل الناس فيها  
 كما يحصل الذهب في المعدن فلا تنسبوا أهل الشام ولكن سبوا أشرارهم فان فيهم  
 الابدال يوشك أن يرسل على أهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم  
 الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خلدج من أهل بيتي في ثلاث رايات المكثري يقول بهم  
 خمسة عشر ألفا والمقل يقول بهم اثنا عشر ألفا ومارتهم امت امت يلقون سبع رايات  
 تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين ألفتهم  
 ونعمتهم وقاصيتهم ورأيهم اه وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال  
 ورواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه في روايته ثم يظهر الهاشمي  
 فيرد الله الناس الى ألفتهم الخ وليس في طريقه ابن لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكر  
 وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية أبي الطوفيل عن محمد بن  
 الحنفية قال كما عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال علي تهيات ثم عقد  
 بيده سبعاً فقال ذلك يخرج في آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله له  
 قوما قزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون الى أحد ولا يفرحون  
 بأحد دخل فيهم عتيتهم على عدة أهل بدر لم يسبقهم الا قولون ولا يدركهم الا خرون  
 وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال أبو الطوفيل قال ابن الحنفية  
 أتر يده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الأخشين قلت لا جرم والله ولا أدعها حتى  
 أموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما

قزع بضم أوله وفتح  
 الزاي ممنوع من  
 الصرف كآخر اه

هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارا الذهبي ويونس بن أبي اسحق ولم يخرج له ما  
 البخاري وفيه عمرو بن محمد العبقرى ولم يخرج له البخاري احتجا جابل استشهاده مع  
 ما ينضم الى ذلك من تشييع عمار الذهبي وهو وان وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم  
 النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني عن سفيان ان بنمر بن مروان قطع عرقويه  
 قالت في أي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه  
 في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد اليامي عن عكرمة بن عمار عن  
 اسحق بن عبد الله عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد  
 عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحزرة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي  
 انتهى وعكرمة بن عمار وان أخرج له مسلم فانما أخرج له متابعة وقد ضاع عنه بعض  
 وثقه آخرون وقال أبو حاتم الرازي هو مداس فلا يقبل الا أن يصرح بالسماع وعلي  
 ابن زياد قال الذهبي في الميزان لا ندرى من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد  
 ابن عبد الحميد وان وثقه يعقوب بن أبي شيبه وقال فيه يحيى بن معين ليس به بأس فقد  
 تكلم فيه الثوري قالوا لانه رآه يفتي في مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممن  
 خش عطاؤه فلا يحتج به وقال أحمد بن حنبل سعد بن عبد الحميد يدعى أنه سمع عرض  
 كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك وهو ههنا يغدأ لم يحج فكيف سمعها وجعله  
 الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في مستدركه من رواية مجاهد  
 عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس لو لم أسمع أنك مثل أهل  
 البيت ما حدثتكم بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في ستر لا أذكره لمن يكره قال فقال  
 ابن عباس منا أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذور ومنا المنصور ومنا المهدي  
 قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الأربعة فقال ابن عباس أما السفاح فربما قتل أنصاره  
 وعفا عن عدوه وأما المنذور أواره قال فانه يعطى المال الكثير ولا يتعاطم في نفسه  
 ويسكن القليل من حقه وأما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يرهب منه  
 عدوه على مسيرة شهر وأما المهدي الذي يعلأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأم من  
 البهائم السباع وتلقى الأرض أفلاذ كبدها قال قلت وما أفلاذ كبدها قال أمثال  
 الاسطوانة من الذهب والفضة اه وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه  
 وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه واسمعيل ضعيف وابراهيم  
 أبوه وان خرج له مسلم فالأكثر على تضعيفه اه وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل عندكم كبركم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى



واحد منهم حتى تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوهم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر  
 شيئا لا أحفظ قال فاذا رأيتوه فبايعوه ولو حجبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي اه  
 ورجاله رجال الصيحين الا ان فيه ابا قلابة الجرمي وذكر الذهب وغيره انه مدلس وفيه  
 سفيان الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهم مائة من ولم يصريح بالسمع  
 فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعي في آخر وقت خلط  
 قال ابن عدي حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقها عليها أحد ونسبوه الى التشيع  
 انتهى \* وخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحرث بن جزة الزبيدي من طريق ابن  
 لهيعة عن أبي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحرث بن جزة قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطاناه  
 قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرج الطبراني  
 في معجمه الاوسط أن ابن لهيعة ضعيف وأن شيخه عمر بن جابر أضعف منه وخرج البزار  
 في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ للطبراني عن أبي هريرة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم لم قال يكون في أمتي المهدي ان قصر فبيع والافئنان والاقسع تنعم فيها  
 أمتي نعمة لم ينعموا بمنزلها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تذخر الارض شيئا من النبات  
 والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي أعطني فيقول خذ قال الطبراني البزار  
 تفرد به محمد بن مروان العجلي زاد البزار ولا نعلم أنه تابعه عليه أحد وهو وان وثقه أبو  
 داود وابن حبان أيضا بما ذكره في الثقات وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس  
 به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة ليس عندي بذلك وقال عبد الله بن أحمد بن  
 حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدث بأحاديث وأنا شاهد لم نكتبها تركتها على عهد  
 وكتب بعض أصحابنا عنه كانه ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي  
 هريرة وقال حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى  
 يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق قال قلت وكم يملك قال  
 خمسا واثنين قال قلت وما خمس واثنين قال لا أدري اه وهذا السند وان كان  
 فيه بشير بن نهيك وقال فيه أبو حاتم لا يحتج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس ولم  
 يلتفتوا الى قول أبي حاتم لا يحتج به الا أن فيه رجاء بن أبي رجاء اليشكري وهو مختلف  
 فيه قال أبو زرعة ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو داود ضعيف وقال مرة صالح  
 وعلق له البخاري في صحيحه حديثا واحدا وخرج أبو بكر البزار في مسنده والطبراني  
 في معجمه الكبير والاوسط عن قرّة بن اياس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لتلأّن الارض جورا وظلما فاذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من أمتي اسمه اسمي

واسم أبيه اسم أبي يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تنفع السماء من قطرها  
 شيئا ولا الأرض شيئا من نباتها يلبث فيكم سبعا وأثمانيا وتسعا يعني سنين اه وفيه  
 دواو بن المحجي بن مجرم عن أبيه وهما ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن  
 ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والانصار وعلى  
 ابن أبي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحي العباس ورجل من الانصار  
 فأغلظ الانصاري للعباس فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس ويد علي وقال  
 سيخرج من صلب هذا حتى يملأ الأرض جورا وظلما وسيخرج من صلب هذا حتى يملأ  
 الأرض قسطا وعدلا فاذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي فانه يقبل من قبل المشرق  
 وهو صاحب راية المهدي اه وفيه عبد الله بن عمر العمي وعبد الله بن الهبة وهما  
 ضعيفان اه وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال ستكون قسنة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب حتى ينادي  
 مناد من السماء ان أميركم فلان اه وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا وايس  
 في الحديث تصريح بذكر المهدي وانما ذكره في أبوابه وترجمته استئناسا (فهذه) جملة  
 الاحاديث التي خترتها الاثمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم  
 يخلص منها من النقد الا القليل والاقول منه ور بما تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد  
 ابن خالد الجندی عن أبيان بن صالح بن أبي عياش عن حسن البصري عن أنس بن مالك  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا مهدي الا عيسى ابن مريم وقال يحيى بن معين في  
 محمد بن خالد الجندی انه ثقة وقال البيهقي تفرده محمد بن خالد وقال الحاكم فيه انه رجل  
 مجهول واختلف عليه في اسناده مرة يروي كما تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس  
 الشافعي ومرة يروي عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 مر سلا قال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن ابان بن أبي عياش وهو  
 متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف  
 مضطرب وقد قيل في أن لا مهدي الا عيسى أي لا يتكلم في المهدي الا عيسى بما ولون  
 بهم هذا التأويل رد الاحتجاج به أو الجمع بينه وبين الحديث وهو مدفوع بحديث  
 جريح ومثله من الخوارق \* وأما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم يحدسون  
 في شيء من هذا وانما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنها من نتائج المواجه  
 والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى  
 عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري  
 من الشيخين كما ذكرناه في مذاهبتهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت

التأليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون ألوهية الامام بنوع من الحلول  
 وآخرون يدعون رجعة من مات من الائمة بنوع التناسخ وآخرون منتظرون مجي من  
 يقطع بعونه منهم وآخرون منتظرون عود الامر في أهل البيت مستدين على ذلك بما  
 قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية  
 الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول  
 والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بألوهية الائمة وحلول الاله فيهم  
 وظهر منهم أيضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام  
 والمنقباء وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا مستند  
 طريقهم في لبس الخرقة أن عليا رضى الله عنه ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه  
 العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالحنيفة من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من  
 وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم أسوة في  
 طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم راحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها  
 مما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه وظهر منهم أيضا القول بالقطب  
 وامتلات كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في  
 الفاطمية المنتظر وكان بعضهم عليه على بعض ويلقنه بعضهم من بعض وكأنه مبني على  
 أصول واهية من الفريقين وربما استدل بعضهم بكلام المنجمين في القرائن وهو من  
 نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا وأكثر من تبكلم من  
 هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقا مغرب  
 وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبد الحق بن سبعين وابن أبي واطيل تليذه في شرحه  
 لكتاب خلع النعلين وأكثر كلماتهم في شأنه الغارز وأمثال وربما يصرحون في الأقل  
 أو يصرح مفسر وكلامهم وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن أبي واطيل أن النبوة  
 بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعمى وانها تعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة  
 الملك ثم يعود تجبر أو تكبر أو باطلا قالوا ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع  
 الامور الى ما كانت وجب أن يحيا أمر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافها ثم يعقبها  
 الدجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله يشيرون بهذا الموضع من شأن  
 النبوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي  
 لهذا الفاطمي والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال على أثره والكفر من بعد  
 ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل  
 النبوة قالوا ولما كان أمر الخلافة لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار



من لم يزاوِل علمه وجب أن تكون الامامة فيمن هو أخص من قريب النبي صلى الله عليه وسلم أما ظاهره كبنى عبد المطلب وأما باطنه من كان من حقيقة الآل والآل من إذا حضر لم يغيب من هو آله وابن العربي الحاتمي سماه في كتابه عنقاء مغرب من تأليفه خاتم الاولياء وكفى عنه بلبنة الفضة إشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابني بيتا وأكمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فأتا تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللبنة حتى أكلت البنيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويعملون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء أي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما كان خاتم الانبياء حائزاً للمرتبة التي هي خاتمة النبوة ~~فكفى~~ كفى الشارع عن تلك المرتبة الخاتمة بلبنة البيت في الحديث المذكور وهما على نسبة واحدة فيها فهي لبنة واحدة في التمثيل في النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين الرتبين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولبنة الفضة كناية عن هذا الولي الفاطمي المنتظر وذلك خاتم الانبياء وهذا خاتم الاولياء وقال ابن العربي فيما نقل ابن أبي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون من بعد مضى خ ف ح من الهجرة ورسم حروف ثلاثة يريد عددها بحساب الجمل وهو انهاء المجمة بواحدة من فوق ستمائة والفاء أخت القاف بثانين والجيم المجمة بواحدة من أسفل ثلاثة وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة وهي في آخر القرن السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر رجل ذلك بعض المقلدين لهم على أن المراد بتلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده وأن خروجه يكون بعد العشر والسبع مائة فانه الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث وثمانين وستمائة فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة قال وزعموا أن خروج الدجال يكون سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة من اليوم المحمدي وابتداء اليوم المحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى تمام ألف سنة قال ابن أبي واطيل في شرحه كتاب خلع النعلين الولي المنتظر القائم بأمر الله المشار اليه بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو بنبي وإنما هو ولي الله عليه روحه وحبيبه قال صلى الله عليه وسلم العالم في قومه كالنبي في أمته وقال علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل ولم تزل البشرية تتابع به من أقوال اليوم المحمدي الى قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت بتباشير المشايخ بتقريب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جزا قال وذكر الكندي أن هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويجتدد الاسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة

الاندلس ويصل الى رومية فيمقتضها ويسير الى المشرق فيفتحه ويفتح القسطنطينية  
ويصير له ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلموا الاسلام ويظهر دين الخليفة فان من  
صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت  
وقال الكندي أيضا الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتوح بها سور القرآن جلة  
عدد ها سبعمائة وثلاثة وأربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر  
فيصلح الدنيا وتمشي الشاة مع الذئب ثم يبق ملك المعجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة  
وستين عاما عدد حروف المعجم وهي ق ي ن دولة العدل منها أربعون عاما قال ابن  
أبي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فعنه لا مهدي تساوي هدايته ولايته  
وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا مدفوع بخديث جريح وغيره وقد جاء في الصحيح  
انه قال لا يزال هذا الامر قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة  
يعني قرشيا وقد أعطى الوجود أن منهم من كان في أول الاسلام ومنهم من سيكون  
في آخره وقال الخلافة بعدى ثلاثون أو احدى وثلاثون أو ستة وثلاثون وانقضاؤها  
في خلافة الحسن وأول أمر معاوية فيكون أول أمر معاوية خلافة أخيه ذابا وأهل  
الاسماء فهو سادس الخلفاء وأما سابع الخلفاء فعمر بن عبد العزيز والباقيون خمسة من  
أهل البيت من ذرية علي يؤيده قوله انك لذوق ريها يريد الائمة أي تلك خليفة في أولها  
وذريته في آخرها ويرى بما استدلل به هذا الحديث القائلون بالرجعة فالأول هو  
المشار إليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا هلك  
كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قبصر فلا قبصر بعده والذي نفسي بيده لتنفق  
كنوزهم ما في سبيل الله وقد اتفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي  
بهلك قبصر وينفق كنوز في سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية  
فنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة  
حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر أربعين وفي بعض  
الروايات سبعين وأما الاربعون فانهم ساءلته ومدة الخلفاء الاربعة الباقيين من أهله  
القائمين بأمرهم من بعده على جميعهم السلام قال وذكر أصحاب النجوم والقمرانات أن  
مدة بقاء أمره وأهل بيته من بعده مائة وتسعة وخمسون عاما فيكون الامر على هذا  
جاري على الخلافة وانعدل أربعين أو سبعين ثم تختلف الاحوال فتكون ملكا انتهى  
كلام ابن أبي واطيل وقال في موضع آخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر  
من اليوم انمهدي حين تضي ثلاثة أرباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحق  
في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القمرانات أنه اذا وصل القران الى الثور على رأس حضن

المضاد عند المغاوية  
بتسعين والصاد  
بستين قاله نصر  
اه معجزة

بمعرفة المضاد المعجزة والحاء المهمل يريد غانية وتسعين وستائة من الهجرة ينزل المسيح  
فيحكم في الارض ماشاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث أن عيسى ينزل عند المنارة  
البيضاء شرقي دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين من عفرتين صغراوين بمصرتين  
واضعنا كفيه على أجنحة الملكين لهلمة كأنما خرج من ديماس إذا طأطأ رأسه قطر  
وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ كثير خيلان الوجه وفي حديث آخر مربوع الخلق  
والى البيضاء والحرة وفي آخره يتزوج في الغرب والغرب دلوا البادية يريد أنه يتزوج  
منها وتلد زوجته وذكروا أنه بعد أربعين عاما وجاء أن عيسى يموت بالمدينة ويدفن الى  
جانب عمر بن الخطاب وجاء أن أبا بكر وعمر يحشران بين يمين قال ابن أبي واطيل  
والشعبة يقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمدات وعليه جل بعض المتصوفة  
حديث لامهدي الاعيسى أى لا يكون مهدي الا المهدي الذي نسبته الى الشريعة  
الحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الموسوية في الاتباع وعدم النسخ الى كلام من  
أمثال هذا يعينون فيه الوقت والرجل والمكان بأدلة واضحة وبحكمات مختلفة  
فإنه قضى الزمان ولا أثر لشي من ذلك فيرجعون الى تجديد رأى آخر متجمل كآثاره من  
مفهومات لغوية وأشياء تخيلية وأحكام نجومية في هذا انقضت أعمار الاول منهم  
والآخر \* وأما المتصوفة الذين عاصروا هم فأكثروا بشيرون الى ظهور رجل مجدّد  
لاحكام الله وحر اسم الحق ويحيون ظهوره لما قرب من عصرنا فبعضهم يقول من  
ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه بمعناه من جماعة أكبرهم أبو يعقوب الباذلي  
كبير الاولياء بالمغرب كان في أول هذه المائة الثامنة وأخبرني عنه حافده صاحبنا  
أبو يحيى زكريا عن أبيه أبي محمد عبد الله عن أبيه الولي أبي يعقوب المذكور هذا آخر  
ما اطلعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة وما أورده أهل الحديث من أخبار  
المهدي قد استوفينا جميعه ببلغ طاقتنا والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم  
دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكه عصية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم  
أمر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أريناها لك وعصية  
الفاطميين بل وقرئش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجدتهم آخرون قد  
استعلت عصيتهم على عصية قرئش الاماني بالجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين  
من بني حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم  
عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وأما رتبهم وأربابهم يبلغون ألاف من الكثرة فان صح  
ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا بأن يكون منهم ويؤايق الله بين قلوبهم في  
أتباعه حتى تتم له شوكه وعصية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها وأما على غير هذا



الوجه مثل أن يدعوا فاطمي منهم الى مثل هذا الامر في أفق من الافاق من غير عصبية  
ولاشوكة الا مجرد نسبية في أهل البيت فتلايم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين  
الصحيحة وأما ما تدعيه العادة والاعمار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك الى عقل  
يهديه ولا علم يفقيه فيجيبون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقلد الماشهر من ظهور  
فاطمي ولا يعلمون حقيقة الامر كما بيناه وأكثرا ما يجيبون في ذلك القاصية من الممالك  
وأطراف العمران مثل الزاب بافريقية والسوس من المغرب ونجد الكثير من ضعفاء  
البصائر يقصدون رباطا بما سئلوا كان ذلك الرباط بالمغرب من المثلثين من كدالة  
واعقادهم أنه منهم أو فائون بدعونه زعماء لا يستند لهم الا غربة تلك الامم وبعدهم على  
يقين المعرفة بأحوالها من كثرة أوقلة أو ضعف أو قوة ولبعد القاصية عن منال الدولة  
وخروجهما عن نطاقها فتقوى عندهم الاوهام في ظهوره هناك بخبر وجهه عن ربيعة الدولة  
ومنال الاحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك الا هذا وقد يقصد ذلك الموضع كثير  
من ضعفاء العقول للتلبس بدعوة عجيبة تمامها وسواسا وحقا وقتل كثير منهم أخبرني  
شيخنا محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج برباط ماسة لا قول المائة الثامنة وعصر السلطان  
يوسف بن يعقوب رجل من متكلى التصوف يعرف بالتوزيز نسبة الى توزر مصغرا  
وادعى أنه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من أهل السوس من ضالة وكزولة وعظم  
أمره وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم فهدس عليه السكسوى من قتله بياتا وانحل  
أمره وكذلك ظهر في غماره في آخر المائة السابعة وعشر التسعين منها وجعل يعرف  
بالعباس وادعى أنه الفاطمي واتبعه الدهماء من غماره ودخل مدينة فاس عنوة وحرق  
أسواقها وارتحل الى بلد المزمرة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا النمط وأخبرني  
شيخنا المذكور بغربية في مثل هذا وهو أنه صاحب في حجة في رباط العباد وهو مدفن  
الشيخ أبي مدين في جبل تلسان الماطل عليها رجلا من أهل البيت من سكان كربلاء كان  
متبوعا معظما كثير التلمذ والخدم قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات  
في أكثر البلدان قال وتأكدت الصحبة بيننا في ذلك الطريق فأنكشف لي أمرهم  
وأنهم انما جاؤا من موطنهم بكر بلا لطلب هذا الامر واتصال دعوة الفاطمي بالمغرب  
فلما عين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلسان قال لاصحابه ارجعوا  
فقد أرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا وبدل هذا القول من هذا الرجل على أنه  
مستبصر في أن الامر لا يتم الا بالعصبية المكانية لاهل الوقت فلما علم أنه غريب في ذلك  
الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها أحد من أهل المغرب  
استمكن أن يرجع الى الحق وأقصر عن مطامعه وبقي عليه أن يستيقن أن عصبية

المفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لاسمى في المغرب الآن التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القرية نزع من الدعاء الى الحق والقيام بالسنة لا يتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعه وأكثر ما يعنون باصلاح السابلة لما أن أكثر فساد الاعراب فيها لما قدمناه من طبيعة معاشهم فمأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا الآن الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما أن قبة المغرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب لا يعقلون في توبتهم واقبالهم الى مناحي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا عليها قبل المقربة ومنها توبتهم فمجد ذلك المتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمقين في فروع الاقتداء والاتباع انما دينهم الاعراض عن النهب والبغى وافساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم وشتان بين هذا الاجرم من اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا فاتفقا هما تمتنع لا تستحكم له صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن السابل على الجملة ولا يكثر ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعه فاذا هلك انحل أمرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من كهبة من سليم يسمى قاسم بن مرة بن أحمد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل آخر من بادية رباح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان أشد ديناً من الاقل وأقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب أمر تابعه كما ذكرناه حسبما يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها ويتحلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شيء من أمرهم انتهى

٥٤ (فصل في ابتدء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن سمي الجفر)

اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوف الى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول وتفاوتها والتطلع الى هذا طبيعة البشر محبوا لولون عليها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوقون الى الوقوف على ذلك في المنام والاعخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد في المدن صنفان من الناس يتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه فتعدهو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول

يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب وتطرق في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل وهو من المنكرات القاشية في الأمصار لما تقرر في الشريعة من ذم ذلك وأن البشر محجوبون عن الغيب الا من أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية أو أكثر ما يعتنى بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك في آما د دولتهم ولذلك انصرفت العناية من أهلي العلم اليه وكل أمة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يتحدثون أنفسهم بها وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل ذلك الحدثان وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد أخبروا بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لاشق وسطيح في تأويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن أخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تأويل سطيح لرؤيا الموبدان حين بعث اليه كسرى بهامع عبد المسيح وأخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في جيل البربر كهان من أشهرهم موسى ابن صالح من بني يفرن ويقال من غمرة وله كلمات حدثانية على طريقة الشعر برطانهم وفيها حدثنان كثير ومعظمه فيما يكون لزنانة من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين أهل الجليل وهم يزعمون تارة أنه ولي وتارة أنه كاهن وقد يزعم بعض من اعمهم أنه كان نبيا الآن تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله أعلم وقد يستند الجليل الى خبر الانبياء ان كان لعهدهم كما وقع لبني اسرائيل فان أنبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثل ما يعنونهم في السؤال عنه \* وأما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع الى بقاء الدنيا وامتدادها على العموم وفيما يرجع الى الدولة وأعمالها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثارا متولدة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بن اسرائيل مثل كعب الاحبار وروهب بن منبه وأمثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر ما تورة وتأويلات محفلة ووقع لبعضهم أمثالهم من أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله أعلم بالكشف بما كانوا عليه من الولاية وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الاولياء في ذريهم وأعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم أرلى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة وأما بعد صدر الملة وحين علق الناس على العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء الى اللسان العربي فأكثر معتقدهم في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وسائر الامور العائمة من القرانات وفي الموايد والمسائل وسائر الامور الخاصة من الطوالع لها



وهي شكل الفلك عند حدودها فلندكر الآن ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع لكلام  
 المتبحرين \* أما اهل الاثر فلهم في مدة الملل وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي  
 فانه نقل عن الطبري ما يقتضي أن مدة بقاء الدنيا منذ الملة خمسة مائة سنة ونقض ذلك  
 بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس أن الدنيا جمعة من جمع  
 الآخرة ولم يذكر لذلك دليلا وسرته والله أعلم بتقدير الدنيا بأيام خلق السموات والارض  
 وهي سبعة ثم اليوم بألف سنة لقوله وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال  
 وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجلكم في أجل من كان  
 قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار  
 بالسبابة والوسطى وقد رما بين صلاة العصر وغروب الشمس حين صيرورة ظل كل شيء  
 مثليه يكون على التقريب نصف سبع وكذلك وصل الوسطى على السبابة فتكون هذه  
 المدة نصف سبع الجمعة كلها هو خمسة مائة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لن يعجز  
 الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف  
 وخمسة مائة سنة وعن وهب بن منبه أنه خمسة آلاف وستة مائة سنة أعنى الماضي وعن  
 كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة قال السهيلي وليس في الحديثين ما يشهد بشئ  
 مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فأما قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم  
 فلا يقتضي في الزيادة على النصف وأما قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فالتام فيه الإشارة  
 الى القرب وأنه ليس بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي  
 الى تعيين مدة الملة من مدرك آخر لو ساعده التحقيق وهو أنه جمع الحروف المقطعة في  
 أوائل السور بعد حذف المكرر قال وهي أربعة عشر حرفا يجمعها قولك (ألم يسطع  
 نص حق كره) فأخذ عددها بحساب الجمل فكان سبعة مائة وثلاثة (١) أضافه الى  
 المنقضى من الالف الآخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يعد ذلك أن يكون  
 من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يعد لا يقتضي ظهوره ولا التعويل  
 عليه والذي حمل السهيلي على ذلك إنما هو ما وقع في كتاب السير لابن اسحق في حديث  
 ابني أخطب من أخبار اليهود وهما أبو ياسر وأخوه حيي حين سمعا من الاخراف  
 المقطعة الم وتأنوا لها على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت احدى وسبعين فاستقلا  
 المدة وجاء حيي الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره فقال المص ثم  
 استزاد المر ثم استزاد المر فكانت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال  
 قد أبس علينا أمرنا يا محمد حتى لا ندرى أقلبلا أعطيت أم كثيرا ثم ذهبوا عنه وقال لهم  
 أبو ياسر ما يدريكم لعله أعطى عددها كلها تسعمائة وأربع سنين قال ابن اسحق فنزل

(١) هذا العدد

غير مطابق كما

ان المترجم التركي

لم يطابق في قوله

٩٣٠ وانما

المطابق للحروف

المذكورة ١٦٩٣

وهو الموافق لما

سند كره عن

يعقوب الكندي

قاله نصره

قوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً اه ولا يقوم من القصة  
 دليل على تقدير الملة بهذا العدد لأن دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست  
 طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل ثم  
 انه قديم مشهور وروى قدم الاصطلاح لا يصير حجة وإيسر أبو ياسر وأخوه جني ممن يؤخذ  
 رأيه في ذلك دليلاً ولا من علماء اليهود لأنهم كانوا بادية بالجازع فلا عن الصنائع والعلوم  
 حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وانما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تتلقفه  
 العوام في كل ملة فلا ينهض للسهلي دليل على ما ادعاه من ذلك ووقع في الملة في حدثان  
 دولتها على الخصوص مسند من الآثار الجاهلي في حديث خرجته أبو داود عن حذيفة بن  
 اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن أبي مرزوم عن عبد الله بن فروخ  
 عن أسامة بن زيد اللبني عن أبي قبيصة بن ذؤيب عن أبيه قال قال حذيفة بن اليمان  
 والله ما أدرى أنسى أم نحاسه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
 فائدة فقه إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعداً الا قد سماه لنا باسمه واسم  
 أبيه وقبيلته وسكت عليه أبو داود وقد تقدم أنه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه  
 فهو صالح وهذا الحديث اذا كان صحيحاً فهو مجمل ويفتقر في بيان اجماله وتعيين مضمونه  
 إلى آثار أخرى يجوز أن أساندها وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير  
 هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة أيضاً قال قام رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فينا خطيباً فمات شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة الا حدث عنه  
 حفظه من حفظه ونسبه من نسبه قد علمه أصحابه هؤلاء اه ولفظ البخاري ما ترك شيئاً إلى  
 قيام الساعة الا ذكره في كتاب الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال صلى نبيا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى  
 قيام الساعة الا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسبه من نسبه اه وهذه الاحاديث كلها  
 مجعولة على ما ثبت في الصحيحين من أحاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من  
 الشارح صلوات الله وسلامه عليه في أمثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تدرجها  
 أبو داود في هذا الطريق شاذة منكرة مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله فقال ابن أبي  
 مرزوم في ابن فروخ أحاديثه منا كبر وقال البخاري يعرف منه وينكر وقال ابن عدي  
 أحاديثه غير محفوظة وأسامة بن زيد وان خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فانما  
 خرج له البخاري استشهاده اوضحه يحيى بن سعيد واحد بن حنبل وقال ابن حاتم يكتب  
 حديثه ولا ينجح به وأبو قبيصة بن ذؤيب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابي  
 داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر \* وقد يستندون في حدثان

الدول على الخصوص الى كتاب الجفر ويرحمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار  
والنجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنده واعلم أن كتاب الجفر  
كان أصله أن هرون بن سعيد العجلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب روي عنه جعفر  
الصادق وفيه علم ما يقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على  
الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذي  
يقع لمثلهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون العجلي  
وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب منه لأن الجفر في اللغة هو الصغير وصار هذا  
الاسم علما على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب  
المعاني مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم يتصل روايته ولا عرف عنه وانما  
يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحها دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه  
نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات وقد صح عنه أنه كان يحذر  
بعض قرابته بوقائع تكون لهم قصص كما يقول وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه  
وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فاطنك  
بهم علما ودينوا من الثبوت وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لقروعه الطيبة  
وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى أحد وفي أخبار  
دولة العبيدين كثير منه وانظر ما حكاه ابن الرقي في لقاء أبي عبد الله الشيعي لعبيد  
الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثاه به وكيف بعثاه الى ابن حوشب داعيته  
بالين فأمره بالخروج الى المغرب وبت الدعوة فيه على علم لقنه أن دعوته تتم هناك  
وان عبيد الله لما بنى المهدي بعد استفعال دولتهم باقر يقيم قال بنتها المعتصم بها  
الفواطم ساعة من نهار وأراهم موقف صاحب الجمار أبي يزيد بالمهدي وكان يسأل عن  
منتهى موقفه حتى جاءه الخبر بلوغه الى المكان الذي عينه جده عبيد الله فأيقن بالنظر  
وبرز من البلد فهزمه واتبه الى ناحية الزاب فظفر به وقتله ومثل هذه الاخبار عندهم  
كثيرة وأما المنجمون فيستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية أما في الامور  
العامة مثل الملك والدول في القرائن وخصوصا بين العلويين وذلك أن العلويين  
زحل والمشتري يقتربان في كل عشرين سنة مرة ثم يعودان الى برج آخر في تلك  
الثلثة من التثلث الايمن ثم بعده الى آخر كذلك الى أن يتكرر في الثلثة الواحدة ثلثي  
عشرة مرة تستوي بوجه الثلاثة في ستين سنة ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة ثم  
يعود ثالثة ثم رابعة فيستوي في الثلثة بثلثي عشرة مرة وأربع عودات في مائتين  
وأربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على التثلث الايمن وينقل من الثلثة الى



المثلثة التي تليها أعني البرج الذي يلي البرج الاخير من القران الذي قبله في المثلثة  
 وهذا القران الذي هو قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير ووسط فالصغير هو  
 اجتماع العلويين في درجة واحدة من القلوك الى أن يعود اليها بعد تسعمائة وستين سنة  
 مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثنتي عشرة مرة وبعدهما اثنين  
 وأربعين سنة ينتقل الى مثلثة أخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج وبعد  
 عشرين سنة يقتربان في برج آخر على تثلثه الايمن في مثل درجة أو دقائقه مثال ذلك  
 وقع القرن أول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من القوس وبعد  
 عشرين يكون في أول دقيقة من الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير ثم يعود  
 الى أول الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وعود القران وبعدهما اثنين وأربعين  
 ينتقل من النارية الى الترابية لانها بعد هذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية  
 ثم المائية ثم يرجع الى أول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير  
 يدل على عظام الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم الى قوم والوسط  
 على ظهور المتغلبين والطالبين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب  
 المدن أو عمارتها ويقع أثناء هذه القراءات قران الخمسين في برج السرطان في كل  
 ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع و برج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال فحل وهبوط  
 المريح فتهظم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج  
 وحركة العساكر وعصيان الجند والوباء والقحط ويدوم ذلك أو ينتهي على قدر  
 السعادة والخوسة في وقت قرانها على قدر تبسیر الدليل فيه قال جراس بن أحمد  
 الحاسب في الكتاب الذي ألفه لتنظيم الملك ورجوع المريح الى العقرب له أثر عظيم  
 في الملة الاسلامية لانه كان دليلها فالمولد النبوي كان عند قران العلويين ببرج  
 العقرب فلما رجع هناك حدث التشويش على الخلفاء وكثر المرض في أهل العلم والدين  
 ونقصت أحوالهم وربما انهدم بعض بيوت العبادة وقد يقال انه كان عند قتل علي  
 رضي الله عنه ومروان من بني أمية والمتوكل من بني العباس فاذا روعيت هذه  
 الاحكام مع أحكام القراءات كانت في غاية الاحكام وذكر شاذان البلخي أن الملة  
 تنتهي الى ثلثمائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال أبو معشر يظهر بعد  
 المائة والخمسين منها اختلاف كثير ولم يصح ذلك وقال جراس رأيت في كتب القدماء  
 أن المنجمين أخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيهم وأن دأبلهم الزهرة  
 وكانت في شرفها فسبق الملك فيهم أربعين سنة وقال أبو معشر في كتاب القراءات  
 القسمة اذا انتهت الى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القران

مع ذلك بـرج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبي  
ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقي من درجات شرف الزهرة وهي إحدى عشرة درجة  
يقرب من برج الحوت ومدته ذلك ستمائة وعشرين سنين وكان ظهور أبي مسلم عند انتقال  
الزهرة ووقوع القسمة قول الجمل ومحابب الحد المشترى وقال يعقوب بن اسحق  
الكندي ان مدة الملة تنتهي الى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند  
قران الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي إحدى عشرة  
درجة وثمان عشرة دقيقة ودقائقها ستون فيكون ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال وهذه  
مدة الملة باتفاق الحكماء وبعض هذه الحروف الواقعة في أول السور بحذف المكرر  
واعتباره بحساب الجمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي والغالب أن الأول هو  
مستند السهيلي فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هرمن افريد الحكيم عن مدة أردشير  
وولده ومولود الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى أطول السنين  
وأجودها أربع مائة وسبعاء وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل  
العرب فيملكون لأن طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها  
فدل أنهم يملكون ألف سنة وستين سنة وسأل كسرى أنوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم  
عن خروج الملك من فارس الى العرب فأخبره أن القائم منهم يولد لخمس وأربعين من  
دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري يغوص الى الزهرة وينتقل القران من الهوائية  
الى العقرب وهو ماني وهو دليل العرب فهذه الأدلة تقضي للملة بمدة دور الزهرة وهي  
ألف وستون سنة وسأل كسرى ابرويز أيوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر  
وقال نوفيل الرومي المنجم في أيام بني أمية ان ملة الاسلام تبقى مدة القران الكبير  
تسعمائة وستين سنة فإذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع  
الكواكب عن حيثها في قران الملة حينئذ ما أن يفترا العمل به أو يتجدد من الأحكام  
ما يوجب خلاف الظن قال جراس واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء  
والنار حتى تهلك سائر المكنونات وذلك عندما يقطع قلب الاسد أربعاء وعشرين درجة  
التي هي حد المربع وذلك بعد مضي تسعمائة وستين سنة وذكر جراس أن ملك زابلستان  
بعث الى المأمون بحكيمه ذوبان أتخفه به في هدية وأنه تصرف للمأمون في الاختبارات  
بحروب أخيه وبعد قد اللواء لظاهر وأن المأمون أعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم  
فأخبره بانقطاع الملك من عقبه واتصاله في ولد أخيه وأن العجمية تغلبون على الخلافة  
من الديلم في دولة تسعة وخمسين ويكون ما ير يده الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من  
شمال المشرق فيملكونه الى الشام والفراة وسيحون وسيملكون بلاد الروم ويكون

ما يريد الله فقال له المأمون من أين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن أحكام مصممين  
 دأهر الهندي الذي وضع الشطر نج قلت والترك الذين أشار إلى ظهورهم بعد الديلم هم  
 السلجوقية وقد انقضت دولتهم أول القرن السابع قال جراس وانتقال القرآن إلى  
 المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ليزدجرد وبعدها  
 إلى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخسين قال والذي في الحوت هو  
 أول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال وتحويل السنة  
 الأولى من القرآن الأول في المثلثات المائية في ثاني رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة  
 ولم يستوف الكلام على ذلك \* وأما مستند المنجمين في دولة على الخصوص فمن القرآن  
 الأوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لأن له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتهم من  
 العمران والقائمين بهامن الأمم وعدد ملوكهم وأسمائهم وأعمارهم ونحلهم وأديانهم  
 وعوائدهم وحروبهم كما ذكر أبو معشر في كتابه في القرانات وقد توجد هذه الدلالة من  
 القرآن الأصغر إذا كان الأوسط دالاً عليه فمن هذا يوجد الكلام في الدول \* وقد كان  
 يعقوب بن اسحق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع في القرانات السكائنة في الملة  
 كتاباً باسم الشيعية بالخفر باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال  
 حدثان دولة بنى العباس وأنها نهايته وأشار إلى انقراضها والحادثة على بغداد أنهم اتقع  
 في انتصاف المائة السابعة وأن بانقراضها يكون انقراض الملة ولم تقف على شيء من خبر  
 هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه ولا علمه غرق في كتبهم التي طرحها هلا كومات التتر  
 في دجله عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب جزء  
 منسوب إلى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر أنه وضع لابي عبد المؤمن لذكر  
 الأولين من ملوك الموحدون فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حدثانه  
 وكذب ما بعده وكان في دولة بنى العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحدثان  
 وانظر ما نقله الطبري في أخبار المهدي عن أبي بديل من أصحاب صنائع الدولة قال بعث  
 إلى الربيع والحسن في غزاتهم مامع الرشيد أيام أبيه فحتمت ما جوف الليل فاذا عندهما  
 كتاب من كتب الدولة يعني الحدثان واذا ممة المهدي فيه عشرين سنين فقلت هذا الكتاب  
 لا يخفى على المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعيم اليه نفسه  
 قالوا الحيلة فاستدعيت عنيسة الورق اقمولي آل بديل وقلت له انسخ هذه الورقة  
 واكتب مكان عشر أربعين ففعل فوالله لولا أني رأيت العشرة في تلك الورقة  
 والاربعين في هذه ما كنت أشك أنها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدثان الدول  
 منظوماً ومنثوراً ورجزاً ما شاء الله أن يكتبوه وبأيدى الناس متفرقة كثير منها وتسمى



الملاحم وبعضها في حدثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص وكلها  
منسوبة الى مشاهير من أهل الخليفة وليس منها أصل يعتمد على روايته عن واضعه  
المنسوب اليه فن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روى  
الراء وهي متداولة بين الناس وتحسب العائنة أنهما من الحدثان المام فيطلقون الكثير  
منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا أنها مخصصة بدولة متونة لأن  
الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها الاستيلاء عليهم على سبته من يدمو الى بنى حمود  
وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم يداهل المغرب أيضا قصيدة تسمى التبعية  
أولها

طربت وماذا لمنى طرب \* وقد يطرِب الطائر المغتضب

وما ذاك منى للهو أراء \* ولكن لتذكر بعض السبب

فريمان خمسمائة بيت أو ألف فيما يقال ذكر فيها كثير من دولة الموحدين وأشار  
فيها الى القاطمي وغيره وانظروا أنها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب أيضا ملحمة  
من الشعر الزجل منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها أحكام القرانات لعصره العلويين  
والتحسين وغيرهما وذكر ميثمة قتيلا بفاس وكان كذلك فيما زعموه وأوله

في صبغ ذا الازرق لشرفه خبارا \* فافهموا يا قوم هذى الاشارا

نجم زحل أخبر بذي العلاما \* وبذل الشكلا وهي سلاما

شاشية زرقا بدل العماما \* وشاش أزرق بدل الغرارا

يقول في آخره

قدم ذا التجنيس لانسان يهودى \* يصلب ببلدة فاس في يوم عيد

حتى يجيئه الناس من البوادي \* وقتله يا قوم على القراد

وأبيانه نحو الخمسمائة وهي في القرانات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم  
المغرب أيضا قصيدة من عروض المتقارب على روى الباء في حدثان دولة بنى أبي  
حفص بنونس من الموحدين منسوبة لابن الباروقال الى قاضي قسنطينة الخطيب  
الكبير أبو علي بن باديس وكان بصيرا بعمامة وله وله قدس في التنجيم فقال لي ان هذا ابن  
الاباريس هو الحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر وانما هو رجل خياط من  
أهل تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والذي رحمه الله تعالى ينشد هذه  
الايات من هذه الملحمة وبقى بعضها في حفظي مطلعها

عذيري من زمن قاب \* يغري ببارقه الاشنب

ومنها

ويبعث من جيشه قائدا \* ويبقى هنالك على مر قب  
فتأق الى الشيخ أخباره \* فيقبل كالجمل الاجرب  
ويظهر من عدله سيرة \* وتلك سياسة مستجلب  
ومنها في ذكر أحوال تونس على العموم

فأما رأيت الرسوم انمحت \* ولم يرع حق لذي منصب  
نخذي الترحل عن تونس \* وودع عالمها واذهب  
فسوف تكون بها قسنة \* تضيف العري الى المذهب  
ووقفت بالمغرب على ملحمة أخرى في دولة بني أبي حنص هؤلاء بتونس فيها بعد  
السلطان أبي يحيى الشهر عاشر ملوكهم ذكر محمد أخيه من بعده يقول فيها  
وبعد أبي عبد الله شقيقه \* ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل  
الا أن هذا الرجل لم يملكه ابعداً أخيه وكان يعني بذلك نفسه الى أن هلك ومن الملاحم في  
المغرب أيضا الملحمة المنسوبة الى الهوثي على لغة العامة في عروض البلاد التي أولها  
دعنى بدعى الهتان \* فترت الامطار ولم تفت  
واستقت كلها الويدان \* وأنى تملى وتغـدر  
البلاد كلها تروى \* فاوئى ماميل ما تدرى  
ما بين الصيف والشتوى \* والعام والربيع تجرى  
قال حين صحت الدعوى \* دعنى نبكى ومن عذر  
انا دى من دى الزمان \* ذا القرن اشتمت وترى

وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقصى والغالب عليها الواضع لانه لم يصح منها  
قول الاعلى تأويل تحرفه العامة أو الحارث فيه من يتعلمها من الخاصة ووقفت  
بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحامى فى كلام طويل شبه الغازل لا يعلم تأويله  
الا الله لخلله أوافق عديدة ورموز مغرزة وأشكال حيوانات تامة ورؤس مقطعة  
وتماثيل من حيوانات فريية وفي آخرها قصيدة على روى اللام والغالب أنها كلها غير  
صحيحة لانهم لم تنشأ عن أصل على من نجامة ولا غيرها وسمعت أيضا أن هنالك ملاحم  
أخرى منسوبة لابن سينا وابن عقبة وليس فى شئ منها دليل على الصحة لان ذلك انما  
يؤخذ من القرائن ووقفت بالمشرق أيضا على ملحمة من حدثان دولة التركة منسوبة  
الى رجل من الصوفية يسمى الباجر بى وكلاهما أغازل بالحروف أولها

ان شئت تكشف سر الجفر يا سائل \* من علم جفروصى والد الحسن  
فافهم وكن واعيا حفاو جلته \* والوصف فافهم كفعل الحاذق الفطن

قوله فاما رأيت  
أصله فان رأيت  
وبدأت ما وادعت  
فى ان الشرطية  
المحذوف فونها  
تخطا وفي نسخة  
فاما رأيت والاولى  
هى الموجودة فى  
النسخة التونسية  
طاله نصر الله

أما الذي قبل عصرى استأذركه \* لئلا تبنى أذكري من الزمن  
 بشهر يبرس يبقى بجاء بعد خمسها \* وحاء ميم بطيش نام في العكن  
 شين له أثر من تحت سـ رته \* له القضاء قضى أى ذلك المسن  
 فصر والشأم مع أرض العراق له \* وأذر يجان في ملك الى اليمن  
 ومنها

وآل بوران لما نال طاهرهم \* الفانك الباتك المعنى باليمن  
 نلح سين ضعيف السن سين أى \* لالوفاق ونون ذى قرن  
 قرم شجاع له عقل ومشورة \* يبق بجاء واين بعد ذوسين  
 ومنها

من بعد باه من الاعوام قتله \* بلى المشورة ميم الملك ذو اللسن  
 ومنها

هذا هو الاعرج الكلبى فاعن به \* فى عصره فتن ناهيك من فتن  
 يأتي من الشرق فى جيش يقدمهم \* عار عن القاف قاف جت بالقن  
 يقتل دال ومثل الشأم أجعها \* أبدت بشجو على الاهلين والوطن  
 اذا أتى زلزلت يا ويح مصر من الزلزال ما زال حاءغـ مرمقطن  
 طاء وظاء وعين كلهم حبسوا \* هـ كاو ينفق أموالا بلائتن  
 بسير القاف قافا عند جمعهم \* هون به ان ذاك الحصن فى سكن  
 وينصبون أخاه وهو صالحهم \* لاسلم الالف سين لذك بنى  
 تمت ولايتهم بالحاء لا أحد \* من السنين يدانى الملك فى الزمن  
 يقال انه أشار الى الملك الظاهر وقدم أليه عليه بمصر

يأتى اليه أبوه بعد هجرته \* وطول غيبتة والشطف والزرن

وأبياتها كثيرة والغالب أنها موضوعة ومثل صنعها كان فى القديم كثير او معروف  
 الاتحال (حكى) المورخون لاخبار بغداد أنه كان بها أيام مقتدر وراق ذكى يعرف  
 بالدين الى بيل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيقير من فيه بحروف من أسماء أهل الدولة  
 ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من أحوال الرفعة والجاه كأنها ملاحم ويحصل  
 على ما يريد منهم من الدنيا وأنه وضع فى بعض دفاتر ميم مكررة ثلاث مرات وجاء به  
 الى مفلح مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مفلح مولى المقتدر وذكرك عنه ما رضاء  
 ويتاله من الدولة ونصب لذلك علامات يعوقه بها عليه فبذل له ما أغناه به ثم وضعه للوزير  
 ابن القاسم بن وهب على مفلح هذا وكان معزولا فجاءه بأوراق مثلها وذكرا اسم الوزير



مثل هذه الحروف وعلامات ذكرها وأنه يلي الوزارة للثاني عشر من الخلفاء وتستقيم  
الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا في أيامه وأوقف منحلها هذا على الاوراق  
وذكر فيها كوائن أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع ومما لم يقع ونسب جميعه  
الى دانيال فأعجب به منسلخ ووقف عليه المقتدر واهتمدى من تلك الامور والعلامات  
الى ابن وهب وكان ذلك سببا لوزارته مثل هذه الحيلة العربية في الكذب والجهل بمثل  
هذه الانغاز والظواهر ان هذه الملحمة التي ينسبونها الى الباجري في من هذا النوع \*  
واقدم سألت أكمل الدين ابن شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن  
هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية وهو الباجري وكان عارفا بطرائقهم فقال  
كان من القلندرية المبتدعة في حلق اللحية وكان يتحدث عابكون بطريق الكشف  
ويوحى الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمنها لمن يراه منهم وربما  
يظهر نظم ذلك في أبيات قليلة كان يتعاهدها فتنوقت عنه وولع الناس بها وجعلوها  
ملحمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بشك  
رموزها وهو أمر ممتنع اذا الرمز انما يهتدى الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له وأما  
مثل هذه الحروف فدلائلها على المراد منها مخمصة بهذا النظم لا يتجاوزها فرائد من  
كلام هذا الرجل الناضل شفا لما كان في النفس من أمر هذه الملحمة وما كالتنهتدى  
لولا أن هدانا الله والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### (الفصل الرابع من الكتاب الاول)

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعمر من ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق

(فصل) في أن الدول أقدم من المدن والامصار وأنها انما توجد ثانية عن الملك \*  
وبيانه أن البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف  
والدعة كما قد منها وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها وأيضاً فالمدن والامصار ذات  
هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فحتاج الى  
اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعم بها  
البلى حتى يكون نزوعهم اليها اضطراراً بل لابد من اكرامهم على ذلك وسوقهم اليه  
مضطهدين بعضا الملك أو مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يفي بكثرة الملك والدولة  
فلا بد في تصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم اذا بنيت المدينة وكل  
تشيدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فعمر  
الدولة حينئذ عمر لها فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة

وتراجع عمرانها وخربت وان كان أمد الدولة طويلا وتمدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحبية تكثر وتتعد ونطاق الاسواق يتباعد وينفسح الى أن تتسع الخطة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها \* ذكر الخطيب في تاريخه أن الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المأمون خمسة وستين ألف حمام وكانت مشتملة على مدن وأمصارم متلاصقة ومتقاربة تتجاوز الاربعين ولم تكن مدينة وحدها يحجمها سور واحد لا فراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية في الملة الاسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيما يليغنا هذا العهد وأما بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما أن يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبساتين بادية يمتد بها العمران دائما فيكون ذلك حافظا لوجودها ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران من الجبال لأن أهل البداوة اذا انتهت أحوالهم الى غاياتها من الرفه والكسب تدعو الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتأهلون وأما اذ لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تفيدها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقا لسياجها فيزول حفظها ويتناقص عمرانها شيئا فشيئا الى أن يذعرت ساكنها وتخرّب كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالمشرق والقيروان والمهدية وقلعة بني حماد بالمغرب وأمثالها فتفهمه وربما ينزل المدينة بعد انقراض مخطيها الاولين ملك آخر ودولة ثانية يتخذها قرايرا وكرسيا يستغنى بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتزايد مبانيها ومصانعها بتزايد أحوال الدولة الثانية وترفها وتستجد بعمرانها عمارا آخر كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

## ٢ (فصل في ان الملك يدعو الى نزل الامصار)

وذلك أن القبائل والعصائب اذا حصل لهم الملك اضطروا للاسبلاء على الامصار لأمرين أحدهما ما يدعوا اليه الملك من الدعة والراحة وخط الانتقال واستكمال ما كان ناقصا من امور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من أمر المنازعين والمشاعين لأن المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سمو اليه من أيديهم فيعتصم بذلك المصريون بغالبهم مغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصريون قوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونسكابة الحرب من وراء الجدران من غير حاجة

الى كثير عدد ولا عظيم شوكة لان الشوكة والعصاة انما احتيج اليها في الحرب للثبات لما يقع من بعد كثرة القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون الى كبير عصاة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت في عضد الامة التي تروم الاستيلاء ويخضع شوكة استيلائها فاذا كانت بين اجنابهم امصارا تنظموها في استيلائهم للامن من مثل هذا الانحرام وان لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورية لتكميل عمرانهم ام اولو حط انقلاهم وليكون شعبا في خلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائهم فتعين ان الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

### ٣ (فصل في ان المدن العظيمة والاساكن المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير)

قد قد مناذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وانما تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة الامالك حشرا الفعلة من اقطارها وجمعت ايديهم على عملها ورجعوا استعين في ذلك في أكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل ائقال البناء المعجز القوة البشرية ووضعت عنها ذلك كالتحال وغيره ورجعوا بتوهم كثير من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل ايوان كسرى وأهرام مصر وحنايا المعلقة وشروشال بالمغرب انما كانت بقدرهم متفرقين أو مجمعين فيتحيل لهم اجساما تناسب ذلك أعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها تناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والتحال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتعلمين في البلاد يعاين في شأن البناء واستعمال الخيل في نقل الاجرام عند أهل الدولة المعتمدين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا وأكثر آثار الاقدمين لهذا العهد تسمى العائمة عادية نسبة الى قوم عاد لتوهمهم ان مباني عاد ومصانعهم انما عظمت اعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين تعرف مقادير اجسامهم من الامم وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم كايوان كسرى ومباني العبيدين من الشيعة بآخرة بركة والصنهاجيين وأثرهم ياد الى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الاغالبية في جامع القيروان وبناء الموحدين في رباط الفتح ورباط الساطان الى سعيد العهد أربعين سنة في المنصورة بازاء تلمسان وكذلك الحنايا التي جلب اليها أهل قرطاجنة الماء في القناة الزاكية عليها ما ناله أيضا لهذا



العهد وغير ذلك من المباني والهيما كل التي نقلت البناء أخبار أهلها قريسا وبعد  
وتيقنا أنهم لم يكونوا بافراط في مقادير أجسامهم وانما هذرا أي واع به القصاص عن  
قوم عاد وثمود والعمالقة ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت في  
الحديث الصحيح أنها بيوتهم يمر بها الركب الجازي أكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد  
في جودها ومساحتها وسمكها على المتعاهد وانهم ليسوا بالغوث فهم يعتقدون من ذلك حتى  
انهم يزعمون أن عوج بن عناق من جيل العمالقة كان يأكل السمك من البحر طريا  
فيشويه في الشمس يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحر فيما  
لدينا هو الضوء لانه كاس الشعاع بمقابلته سطح الارض والهواء وأما الشمس في نفسها  
فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضى لا مزاج له وقد تقدم شيء من هذا في  
الفصل الثاني حيث ذكرنا أن آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها والله يخلق ما يشاء  
ويحكم ما يريد

#### ٤ (فصل في ان البياكل العظيمة جدا لا تستقل بناها الدولة الواحدة)

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية قد  
تكون المباني في عظمها أكثر من القدر مفردة أو مضاعفة بالهندام كما قلناه فيحتاج  
الى معارضة تدرك أخرى مثلها في أزمنة متعاقبة الى أن تتم فيتمدئ الاقل منهم بالبناء  
ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الأيدي  
حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ما نلله يان يظنه من يراه من الآخرين  
أنه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب وأن الذي بناه  
سبأ بن يشجب وساق اليه سبعين واديا وعاقه الموت عن اتمامه فأتمه ملوك حمير بعده  
ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجنة وقناتها الراكبة على الخنايا العادية وأكثر المباني  
العظيمة في الغالب هذا شأنها ويشهد لذلك أن المباني العظيمة له هذا فنجده الملك الواحد  
يشرع في اختطاطها وتأسيسها فاذا لم يتبع أثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت  
بجائها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك أيضا انما نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة  
تجزأ الدول عن هدمها وتخريبها مع أن الهدم أسير من البناء بكثير لان الهدم رجوع  
الى الاصل الذي هو الهدم والبناء على خلاف الاصل فاذا وجدنا بناء تضعف قوتنا  
البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا أن القدرة التي أسسته مقرطة القوة وأنها  
ليست أتر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في ايوان كسرى لما اعتزم الرشيد على  
هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشير في ذلك فقال يا أمير المؤمنين  
لا تفعل واتركه ما نلنا يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لأهل ذلك الهيكل

فأشبهه في الحقيقة وقال أخذته انقرة للحجم والله لا صر عنه وشرع في هدمه وجمع  
 الايدي عليه واتخذ له القوس وجاه بالنار وصب عليه النمل حتى اذا أدركه الهزم بعد  
 ذلك كله وخاف الفضيحة بعث الى يحيى يستشيره ثانياً في التجافي عن الهدم فقال يا أمير  
 المؤمنين لا تفعل واستقر على ذلك لئلا يقال عجز أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم  
 مصنع من مصانع الحج فعرفها الرشيد وأقصر عن هدمه وكذلك اتفق للمأمون  
 في هدم الاغرام التي بمصر وجمع القطعة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقبه فانتهوا  
 الى جوبين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى  
 اليوم فيما يقال منقذ ظاهر وزير عم الزاعمون أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله أعلم  
 وكذلك حنانيا المعلقة الى هذا العهد تحتاج أهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لبنائهم  
 وتستعيد الصنائع بجارة تلك الحنانيا فيحاولون على هدمها الايام العديدة ولا يقطع  
 الصغير من جدوانها الا بعد عصب الريق وتجتمع له المحافل المشهورة شهدت منها في  
 أيام صباي كثيرًا والله خلقكم وما تمهلون

### ٥ (فصل فيما يجب مراعاة في اوضاع المدن وما يحدث اذا قل عن تلك المراتبة)

(اعلم) أن المدن قرار يتخذ الامم عندهم وللقاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر  
 الدعة والسكون وتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار وانما كان ذلك للقرار والمأوى  
 وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها واجاب المنافع وتسهيل المرافق  
 لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها بحماها سياج الاسوار وان  
 يكون وضع ذلك في متسع من الامكنة اما على هضبة متوعدة من الجبل واما باستدارة بحر  
 أو نهر بها - حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر أو نقطة فيصعب مناله على  
 العدو ويضعف امتناعها وحماها ويراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية  
 طيب الهواء والسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا  
 للمياه الفاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة أسرع اليها العفن من مجاورتها  
 فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لاحالة وهذا شاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب  
 الهواء كثيرة الامراض في الغالب وقد استهز بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد  
 الجريد باقر بقية فلا يكاد ساكنها أو طارقتها يخلص من حمى العفن بوجهه ولقد يقال  
 ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها  
 حفر طوف رقيقه انما من نخاس مختوم بالرماس فلما فاض ختمانه صعد منه دخان الى  
 الخوف وانقطع وكان ذلك مبدأ أمراض الحيات فيه وأراد بذلك أن الاناء كان مشتملا

على بعض أعمال الطلسمات لو بانه وأنه ذهب سره بذهابه فرجع اليها العفن والوباء  
 وهذه الحكاية من مذاهب الإمامة وباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من نباهة العلم  
 واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو يبين خرفه فنقله كما سمعته والذي يكشف لك  
 الحق في ذلك أن هذه الأهوية العفنة أكثر ما يهتبه في الأجسام وأمراض  
 الحيات ركودها فاذا تخللتها الرياح وتفتتت وذهبت بها عيننا وشما لا خف شأن العفن  
 والمرض البادى منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساسكن وكثرت حركات أهله  
 فيتموج الهواء ضرورية وتحدث الرياح المتخللة للهواء الراكد ويكون ذلك معيناً على  
 الحركة والتموج واذا خف الساسكن لم يجد الهواء معيناً على حركته وتوجهه ويبقى  
 ساكناً كدأ وعظم عفته وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عندما كانت اقر بقيمة  
 مستحقة العمران كثيرة الساسكن تموج بأهلها موجاف كان ذلك معيناً على تموج  
 الهواء واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير فتن ولا مرض وعند ما خف  
 ساكنها ركدها واثارها المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن والمرض فهذا وجهه لا غير  
 وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طبيب الهواء وكانت أولاً قليلة  
 الساسكن فكانت أمراضها كثيرة فلما كثرت ساكنها انتقل حالها عن ذلك وهذا مثل  
 دار الملك بفارس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتفهمه تجد  
 ما قلته لك وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد  
 على نهر أو بئرها عيون عذبة نيرة فان وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن  
 حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة ومما يراعى من  
 المرافق في المدن طبيب المرافق لسائمتهم اذا صاحب كل قرار لا يتله من دواجن الحيوان  
 للتلنج والضرع والركوب ولا بد لها من المرمى فاذا كان قريباً طبيها كان ذلك أرفق  
 بجالهم لما يعانون من المشقة في بعده ومما يراعى أيضاً المزارع فان الزرع هي الاقوات  
 فاذا كانت هنأرع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه وأقرب في تحصيله  
 ومن ذلك الشجر للخطب والبناء فان الخطب مما تنعم البلوى في اتخاذه لوقود النيران  
 للاصطلاء والطبخ والخشب أيضاً ضروري لتسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب  
 من ضرورياتهم وقد يراعى أيضاً قريباً من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد  
 النائية إلا أن ذلك ليس بمنابة الاقل وهذه كلها متفاوتة يتفاوت الحاجات وماتدعو  
 اليه ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلاً عن حسن الاختيار الطبيعى أو انما  
 يراعى ما هو أهم على نفسه وقومه ولا يذكّر حاجة غيرهم كما فعله العرب لا قول الاسلام في  
 المدن التي اختطوها بالعراق وافر بقة فانهم لم يراعوا فيها إلا الاهم عندهم من مراعى



الابل وما يصلح لهما من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعى البياضة من ذوات الطلف ولا غر ذلك كالقيروان والكوفة والبصرة وأمثالها وهذا كانت أقرب الى الخراب لما لم تراع فيها الامور الطبيعية  
(فصل) ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين امة من الامم موفرة العدد تكون صريحاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب في ذلك أن المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصيات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طرقها في الاساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لهما لما يأت من وجود الصريح لهما وان الحضر المتعوقين للدعة قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه كالاسكندرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونة وسلاومتي كانت القبائل والعصائب موطنين بقرى بحيث يبلغهم الصريح والنعيرو كانت متوعرة المسالك على من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال وعلى أسفنها كان لها بذلك منعة من العدو ويسو من طرقها لما يكادونه من وعرها وما يتوقعونه من اجابة صريحها كما في سبنة وبجاية وبلد القل على صغرها فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع أن الدعوة من ورائها بركة وافر يقية وانما اعتبر في ذلك الخفاقة المتوقعة فيهما من البحر لسهولة وضعها ولذلك والله أعلم كان طرق العدو للاسكندرية وطرابلس في الملامرات متعددة والله تعالى أعلم

### (فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم)

(اعلم) أن الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعاً اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور وأخبرنا بذلك على السنن رسله وأنبيائه لطفابعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم \* وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الارض حسماً ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس أما البيت الحرام الذي بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسمعيل كانصه القرآن وقام بما أمره الله فيه وسكن اسمعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى أن قبضهم الله ودفنوا بالبحر منته \* وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام أمرهما الله ببناء مسجده ف نصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حو اليه \* والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالمجرة اليها واقامة دين

الاسلام بها فبنى مسجد هذه الحرام بها وكان ملجأ الشرير في تربتها فهذه المساجد  
 الثلاثة قرعة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم وفي الآثار من فضائلها  
 ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثيرة مروف فلنشر الى شيء من الخبر عن  
 أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها الى أن كمل ظهورها في العالم \*  
 (فأما مكة) \* فأوليتها فيما يقال ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم  
 هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وإنما اقتبسوه من محل الآية  
 في قوله واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان من  
 شأنه وشأن زوجته سارة وغيرتهما من هاجر ما هو مروف وأوحى الله اليه أن يترك ابنه  
 اسمعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعهم في مكان البيت وسار عنهم بما وكيف جعل الله  
 لهم من اللطف في نبع ما زمزم ومرور الرفقة من جرهم بهم ما حتى احتلوا بها  
 وسكنوا اليها ما ونزلوا معهم ما حوالى زمزم كما عرف في موضعه فالتحق اسمعيل ووضع  
 الكعبة يتأوى اليه وأدار عليه سياجا من الردم وجعل زربا لغنسه وجاء ابراهيم  
 صلوات الله عليه من الزيارته من الشام أمر في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب  
 فبناه واستعان فيه بابنه اسمعيل ودعا الناس الى حجه وبقي اسمعيل ساكنا به ولما  
 قبضت أمته هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق  
 من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أفق من جميع أهل  
 الخليقة لآمن بنى اسمعيل ولما من غيرهم من ذنبا أن رأى فقد نقل أن التباينة كانت  
 تحج البيت وتعلمه وأن تبعها سادات الملأ والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها  
 مفتحاً ونقل أيضاً أن الفرس كانت تحج وتقرّب اليه وأن غزالي الذهب اللذين  
 وجد هما عبد المطلب حين احتقر زمزم كانا من قرابينهم ولم يزل جرهم الولاية عليه  
 من بعد ولدا اسمعيل من قبل خولتهم حتى اذا خرجت خراقة وأقاموا بها بعدهم  
 ما شاء الله ثم كنز ولدا اسمعيل وانتشروا وتشعبوا الى مكانة ثم مكانة الى قريش وغيرهم  
 وساءت ولاية خراقة فغلبتهم قريش على أمره وأخرجوهم من البيت وملكوا عليهم  
 يومئذ قصي بن كلاب فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وحريد النخل وقال الاعشى

خلف بنو ي رهاب الدور والى \* بناها قصي والمضاض بن جرهم

ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم وأعادوا بناءه وجعلوا النفقة لذلك من  
 أموالهم وانكسرت سفينة باحل جدة فاشتروا خشب المسقف وكانت جدرانها فوق  
 القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصق بالارض فجعلوه فوق القامة لتلا  
 تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن انعامه فقصر واعن قواعده وتركوا منه ستة

أذرع وشبرا أداروها بجدار قصير بطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء  
 إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحف إليه جبهوش يزيد بن معاوية مع  
 الحصين بن غير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق يقال من النفط  
 الذي رموا به علي ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن مما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة في  
 بئانه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لو لا قومك  
 حديثو عهد بك كفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم ولجعلت لها بين شريقا وغريبا  
 فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والأكابرح حتى عاينوه  
 وأشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فأرعى الأساس الخشب  
 ونصب من فوقها الاستار حفظا للقبلة وبعث إلى صنعا في الفضة والكس فخملها  
 وسأل عن من طعم الحجارة الأول فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس  
 إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعة وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصتين  
 بالأرض كما روى في حديثه وجعل فرشها وازرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفاغ  
 الأبواب من الذهب \* ثم جاء الحجاج لحصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد  
 بالمنجنيقات إلى أن تصدعت حيطانها ثم لما طفر باب الزبير شاو وعبد الملك فيما بناه  
 وزاده في البيت فأمر به بدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال أنه  
 ندم على ذلك حين علم بحمد رواية ابن الزبير لحديث عائشة وقال وددت أني كنت حات  
 أبا خبيب في أمر البيت وبئانه ما تعمل فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر  
 وبناه على أساس قريش وسد الباب الغربي وما بقيت عتبة باب اليوم من الباب  
 الشرقي وترك ساورها لم يغير منه شيئا فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء  
 الحجاج في الحائط صله ظاهرة للعيان لجهة ظاهرة بين البناءين والبناء متميز عن البناء  
 بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لحم \* ويعرض ههنا أشكال قوى لما فاته لما يقوله  
 الفقهاء في أمر الطواف ويحذر الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس  
 الجدران من أسفله فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدران إنما قامت على بعض  
 الأساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا قالوا في تقبيل الحجر الأسود لا بد  
 من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائما ثم لا يقع بعض طوافه داخل البيت  
 وإذا كان الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو غائب على أساس إبراهيم فكيف  
 يقع هذا الذي قالوه ولا مخلص من هذا إلا بأحد أمرين إما أن يكون الحجاج  
 عدم جمعه وأعادته وقد نقل ذلك جماعة الآن العيان في شواهد البناء بالعام ما بين  
 البناءين وتميزاً أحد الشقين من أعلام عن الآخر في الصناعة بر ذلك وإما أن يكون



ابن الزبير لم يرد البيت على أساس إبراهيم من جميع جهاته وانما فعل ذلك في الحجر فقط  
 ليدخله في الآن مع كونهم من بناء ابن الزبير ليست على قواعد إبراهيم وهذا بعيد  
 ولا محيص من هذين والله تعالى أعلم ثم ان مساحة البيت وهو المسجد كان فضاء  
 للطائفتين ولم يكن عليه جد رأيا من النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من بعده ثم كثر  
 الناس فاشترى عمر رضي الله عنه دورا هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جدارا  
 دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبنو بعدهم  
 الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك  
 لعهدينا \* وتشريف الله لهذا البيت وعنايته به أكثر من أن يحاط به وكفى من ذلك  
 أن جعله مهبط اللوحى والملائكة ومكانا للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكها وأوجب  
 الحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب له غيره فمنع كل من خالف  
 دين الاسلام من دخول ذلك الحرم وأوجب على داخله أن يتجرد من الخيط الا ازارا  
 يستتره وحى العائذ والرائع في مسارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه خفاف  
 ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر وحدث الحرم الذي يحتصر بهذه الحرمه من طريق  
 المدينة ثلاثة أميال الى التسعين ومن طريق العراق سبعة أميال الى الثنية من جبل  
 المنقطع ومن طريق الطائف سبعة أميال الى بطن غرة ومن طريق جدة سبعة أميال  
 الى منقطع العشائر \* هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها  
 من اسم الكعب ويقال لها أيضا بكة قال الاصمعي لان الناس يبك بعضهم بعضها  
 اليها أي يدفع وقال مجاهد بكة أبدلوا مما يما كما قالوا لا زب ولازم اقرب المخرجين  
 وقال النخعي بالباء البيت وبالميم البلد وقال الزهري بالباء للمجد كنه وبالميم للحرم  
 وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والمولوية تفتت اليه بالاموال والذخائر  
 كسرى وغيره وقصة الاسيف وغزا الى الذهب اللذين وجدتهما عبد المطلب حين احترف  
 زمزم معروفة وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حين افتتح مكة في الحب الذي  
 كان فيها سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان المولوية يهدون للبيت فيها ألف ألف  
 دينار مكررة مرتين عاتق قنطار وزنا وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا رسول  
 الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه هكذا قال  
 الازرق وفي البخاري بسنده الى أبي وائل قال جلست الى شيبة بن عثمان وقال جلست  
 الى عمر بن الخطاب فقال هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين  
 قلت ما أنت بفاعل قال ولم قلت فلم يفعل صاحبنا فقال هما اللذان يقتدى بهما وخرجه  
 أبو داود وابن ماجه وأقام ذلك المال الى أن كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن

الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة عد  
الى الكعبة فأخذ ما في خزائنها وقال ما صنعت الكعبة بهذا المال موضوعا فيها الا ابتفع  
به نحن أحق به نستعين به على حربنا وأخرجنا ونصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة  
من يومئذ \* (وأما بيت المقدس) وهو المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام  
الصابئة موضع الزهرة وكانوا يقربون اليه الزيت فيما يقربونه يصبونه على الصخرة التي  
هناك ثم دثر ذلك الهيكل واتته نذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبله لصلاتهم \* وذلك  
أن موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني اسرائيل من مصر لئلا يكفهم بيت المقدس كما  
وعده الله أباهم اسرائيل وأباه اسحق من قبله وأقاموا بأرض السيه أمره الله بالتخاذ  
قبة من خشب السنت عين بالوحى مقدارها وصفتها وهياكلها وتماثيلها وأن يكون  
فيها التابوت ومائدة يصحافها ومناارة يقناديلها وأن يصنع مذبحا للقربان وصف ذلك  
كله في التوراة أكمل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذى  
فيه الألواح المصنوعة عوضا عن الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع  
المذبح عندها وعهد الله الى موسى بأن يكون هرون صاحب القربان ونصبوا  
تلك القبة بين خيامهم في السيه يصلون اليها ويقربون في المذبح أمامها ويتعرضون  
للوحى عندها ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم ووضعوها على الصخرة  
بيت المقدس وأراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك  
وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربعة سنين من ملكه ونجس مائة سنة من وفاة موسى  
عليه السلام واتخذ عده من الصفر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحيطانه  
بالذهب وصاغ هياكله وتماثيله وأوعيته ومنارته ومفتاحه من الذهب وجعل في ظهره  
قبر البضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه الألواح وجاء به من صهيون بلد أبيه  
داود تحمله الاسباز والكهوية حتى وضعه في القبر ووضع القبة والاعوية والمذبح  
كل واحد حيث أعد له من المسجد وأقام كذلك ما شاء الله ثم غربه بختنصر بعد  
ثمانمائة سنة من بنيائه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر الاجبار ثم لما  
أعادهم ملوك الفرس بناه عزير بنى بنى اسرائيل لعهد باعانة بهم من ملك الفرس الذى  
كانت الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي بختنصر وحدهم في بنائه حدودا دون بناء  
سليمان بن داود عليه السلام فلم يتجاوزوها ثم تداءوا ملوك يونان والفرس والروم  
واستفعل الملك ابني اسرائيل في هذه المدة ثم لبى خسمان من كهننتهم ثم اصهرهم  
هيردوس ولبنيه من بعده موسى هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام  
وتأنق فيه حتى أكمله في ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم وعليهم وملك أمرهم

خرب بيت المقدس ومسجدها وأمر أن يزرع مكانه ثم أخذ الروم بدين المسيح عليه  
 السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصراني تارة وتركه  
 أخرى إلى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمته هيكله وارتحلت إلى المقدس في طلب  
 الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فأخبرها القساسة بأنه رعى بخشبه على الأرض  
 وألقي عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنيت مكان تلك القمامات  
 كنيسة القمامة كأنها على قبره بزعمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت  
 بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها رختي مكانها بجزء بزعمها لما فعلوه بقبر  
 المسيح ثم بنوا بآثار القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي  
 الأمر كذلك إلى أن جاء الاسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأرى  
 مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداة  
 وعظم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه وما سبق من أم الكتاب في فضله حسبما ثبت ثم  
 احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من  
 الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة  
 وفي مسجد دمشق وكانت العرب تعظمه بلاط الوليد وألزم ملك الروم أن يعث الفعلة  
 والمال لبناء هذه المساجد وأن ينفقوها بالفسيفساء فأطاع لذلك وتم بناؤها على  
 ما اقترحه ثم لما ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة في آخرها وكانت  
 في ملكة العبيدين خلفاء القاهرة من الشيعة واختم أمرهم زحف الفريجة إلى بيت  
 المقدس فملكوه وملكوا معه عامة تغور الشام وبنوا على الصخرة المذقسة منه كنيسة  
 كانوا يعظمونها ويفتخرون بينها حتى إذا استقل صلاح الدين بن أيوب الكردي  
 بملك مصر والشام ومحاربا العبيدين وبدعهم زحف إلى الشام وجاهد من كان به من  
 الفريجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من تغور الشام وذلك نحو  
 ثمانين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبنى المسجد على  
 النحو الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال المعروف في الحديث  
 الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول بيت وضع فقال مكة قيل ثم أي قال  
 بيت المقدس قيل فكيف بينهما قال أربعون سنة فن المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت  
 المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لأن سليمان بنى وهو ينيف على الالف بكثير \*  
 واعلم أن المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وإنما المراد أول بيت عين للعبادة ولا يبعد  
 أن يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان مثل هذه المدة وقد نقل أن الصابئة  
 بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك أنها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية



تضع الاصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفي جوفها وانصابته الذين ينواهيكل الزهرة  
 كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تعد مدة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة  
 ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وأن أول من بنى بيت المقدس  
 سليمان عليه السلام فتفهمه فقيه حل هذا الاشكال \* (وأما المدينة) \* وهى  
 المسماة يثرب فهى من بناء يثرب بن مهلائل من العمالة وملكها بنو اسرائيل من  
 أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز ثم جاؤهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى  
 حصونها \* ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها  
 فهاجر اليها ومعه أبو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبني مسجد وببوتة في الموضع الذى  
 كان الله قد أعد له لذلك وشرفه في سابق أزله وآواه أبناء قيلة ونصروه فلذلك سموا  
 الانصار وسمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح  
 مكة وملكها ووطن الانصار أنه يتحول عنهم الى بلده فأهمهم ذلك فخاطبهم رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان ملجده  
 الشريف بها وجاء فى فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا خفاء به ووقع الخلاف بين  
 العلماء فى تفضيلها على مكة وبه قال مالك رحمه الله لما ثبت عنده فى ذلك من النص  
 الصريح عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير من مكة نقل  
 ذلك عبد الوهاب فى المعونة الى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف أبو  
 حنيفة والشافعى \* وأصبحت على كل حال ثنية المسجد الحرام وجنح اليها الامم  
 بأفئدتهم من كل أوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة فى هذه المساجد المعظمة لما سبق  
 من عناية الله لها وتفهمهم سر الله فى الكون وتدرجه على ترتيب محكم فى أمه والدين  
 والدينا \* وأما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلم فى الارض الا ما يقال من شأن مسجد  
 آدم عليه السلام بسريديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شئ يعول عليه وقد كانت  
 للامم فى القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس  
 وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز التى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها  
 فى غزواته وقد ذكر المسعودى منها بيوت الاسمان ذكرها فى شئ اذهى غير مشروعة ولا  
 هى على طريق دينى ولا يلفت اليها ولا الى الخبر عنها ويكفى فى ذلك ما وقع فى التواريخ  
 فمن أراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبيلها

(فصل فى ان المدن والامصار بالزقية والمغرب قليلة)

٧

والسبب فى ذلك أن هذه الاقطار كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الاسلام وكان

عمرانها كله بدوي ولم تستقر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها والدول التي ملكتهم من الافرنجة والعرب لم يطل أمد مدلتهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تزل عوائد البدو وشؤونها فكانوا اليها أقرب فلم تكثر مبانيهم وأيضاً فالصنائع بعيدة عن البربر لانهم أعرق في البدو والصنائع من توابع الحضارة وانما تم المباني بها فلا بد من الحدق في تعلمها فلما لم يكن للبربر احتمال لها لم يكن لهم تشوف الى المباني فضلاً عن المدن وأيضاً فهم أهل عصيات وأنساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم والانساب والعصية أخرج الى البدو وانما يدعوا الى المدن الدعة والسكون ويصيرسا كنهان عيالاً على حاميتهما فيجد أهل البدو لذلك يستنكفون عن سكنى المدينة أو الأقامة بها ولا يدعوا الى ذلك الا الترف والغنى وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افريقية والمغرب كله أو أكثره بدوياً أهل خيام وظوا عن وقياطن وكن في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله أو أكثره قرى وأمساراً ورساتيق من بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وأمثالها لان العجم في الغالب ليسوا بأهل أنساب يحافظون عليها ويتناغون في صراحتها والتحامها الا في الاقل وأكثر ما يكون سكنى البدو لأهل الانساب لان جهة النسب أقرب وأشد فتكون عصيته كذلك وتنزع بصاحبها الى سكنى البدو والتجافي عن المصر الذي يذهب بالبسالة ويصيره عبداً على غيره فافهمه وقس عليه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٨ فصل في ان المباني والصنائع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها

والى من كان قبلها من الدول

والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه اذ العرب أيضاً أعرق في البدو وأبعد عن الصنائع وأيضاً فكانوا أجنب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما تملكوها لم ينقص الامد حتى تستوفي رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا من مباني غيرهم وأيضاً فكان الدين أول الامر مانعاً من المغالاة في البنين والاسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالجارية وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أيات ولا تطاولوا في البنين والزمو السنة تلزمكم الدولة وعهد الى الوفد وتقدم الى الناس أن لا يرفعوا بنياً فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يقر بكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتخرج في أمثال هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب أمة القرس وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعوتهم اليها

أحوال الدعة والترف حينئذ شديد والمباني والمصانع وكان عهد ذلك قريبا بانقراض  
الدولة ولم ينفسح الامد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قليلا وليس كذلك  
غيرهم من الامم فالفرس طالت مدتهم آلافا من السنين وكذلك القبط والنبط والروم  
وكذلك العرب الاولى من عاد وعود والعمالة والتبابعة طالت آمادهم ورسخت  
الصنائع فيهم فكانت مبانيهم وهياكلهم أكثر عددا وأبقى على الايام أثرا واستبصر  
في هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

### ٩ (فصل في ان المباني التي كانت تختص بها العرب يسرع اليها الخراب الان الاقل)

والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وشيقة  
في تشييدها وله والله أعلم وجه آخر وهو أن مسبه وذلك قلته مراعاتهم لحسن الاختيار  
في اختطاط المدن كما قلناه في الموضع كان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي فانه  
بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصنوعات من حيث العمران الطبيعي والعرب  
بعزل عن هذا وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب أو خبث ولا قل أو  
كثروا يسألون عن زكاه المزارع والمنابت والاهوية لانتقالهم في الارض ونقلهم  
الخبوب من البلد البعيد وأما الرياح فالقفر مختلف للمهاب كاهها وانظعن كغبل لهم  
بطيها لان الرياح انما تختبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا  
الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الامراعي ابلهم وما يقرب  
من القفر ومسالك الطعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة  
عند عمرانها من بعدهم كما قدمناه انه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطنها غير  
طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامم في عمرها الناس فلا قول وهلة من انفلال أمرهم  
وذهاب عصبيتهم التي كانت سيما جالها ألقى عليها الخراب والانفلال كان لم تكن والله  
يحكمهم لامعقب لحكمه

### ١٠ (فصل في مبادئ الخراب في الامصار)

اعلم أن الامصار اذا اختطت أو لا تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر  
والجير وغيرهما مما يعال على الحيطان عند التأنق كالزليج والرخام والبرج والزجاج  
والغصيفساء والصدف فيكون بناؤها يومئذ ديارا وآلاتها فاسدة فاذا عظم عمران  
المدينة وكثرت كثرة الآلات بكثرة الاعمال حينئذ وكثرة الصنائع الى أن تبلغ  
غايتها من ذلك كما سبق شأنها فاذا تراجع عمرانها وخف ساكنها قلت الصنائع لاجل  
ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالة عليه بالتتميق ثم تقل الاعمال لعدم



السالكين فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما فتفقد ويصير بناؤهم  
وتشييدهم من الآلات التي في مبانيهم فينقلونها من مصنع إلى مصنع لأجل خلاء  
أكثر المصانع والقصور والمنازل بقله العمران وقصوره عما كان أولا ثم لا تزال تنقل  
من قصر إلى قصر ومن دار إلى دار إلى أن يفقد الكثير منها جلة فيعودون إلى البداوة  
في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن التعميق بالكلية فيعود بناء  
المدينة مثل بناء القرى والمد اشرو ويظهر عليها سيما البداوة ثم تمر في التناقص إلى غايتها  
من الخراب أن قدر لها به سنة الله في خلقه

١١ فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لا يهملها اتفاق

الاسواق انما هو في تفاضل عمراتها في الكثرة والقلّة

والسبب في ذلك أنه قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته  
في معاشه وأنهم متعاونون جميعا في عمراتهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون  
طائفة منهم تشتد ضرورة الأكثر من عددهم أضعافا بالقوت من الخنطة مثلا لا يستقل  
الواحد بتحصيل حصته منه وإذا انتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حداد ونجار  
للآلات وقائم على البقر وإثارة الأرض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلح وتوزعوا  
على تلك الأعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت  
لأضعافهم مرات فالأعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم  
فأهل مدينة أو مصر إذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى  
فيها بالانل من تلك الأعمال وبقية الأعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف  
في حالات الترف وعوائده وما يحتاج إليه غيرهم من أهل الامصار ويستجلبونه منهم  
بأعواضه وقيمة فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب  
الكسب والرزق أن المكاسب انما هي قيم الأعمال فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها بينهم  
فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم أحوال الرفه والغنى إلى الترف وحاجاته من التأنق  
في المساكن والملابس واستجدادة الآنية والماعون واتخاذ الخدم والمراكب وهذه  
كلها أعمال تستدعى بقيمتها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها فتستغرق أسواق  
الأعمال والصنائع ويكثر دخل المصرو يخرج ويحصل اليسار لمنتهى ذلك من قبل  
أعمالهم ومتى زاد العمران زادت الأعمال ثانية ثم زاد الترف تابعا للكسب وزادت  
عوائده وحاجاته واستتبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب  
في المدينة لذلك ثانية ونفقت سوق الأعمال بها أكثر من الأول وكذا في الزيادة الثانية

والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمصر اذا فضل بعمران واحد فضله بزيادة كسب ورفه وبعواند من الترف لا توجد في الاخر فاما كان عمرانه من الامصارا كثر وأوفر كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف القاني مع القاضي والتاجر مع التاجر والصانع مع الصانع والسوقي مع السوقي والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي \* واعتبر بذلك في المغرب مثالا بحال فاس مع غيرها من امصاره الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجدينهما ابونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان وهكذا كل صنف مع صنف أهله وكذا أيضا حال تلمسان مع وهران أو الجزائر وحال وهران والجزائر مع مادونهم ما الى أن تنتهي الى المداشر الذين اعتمالهم في ضروريات معاشهم فقط ويقصرون عنها وما ذلك الالتفات الاعمال فيها فكأنها كلها أسواق للاعمال والخرج في كل سوق على نسبه فالقاضي بفاس دخله كفاء خرجة وكذا القاضي بتلمسان وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الاحوال أعظم وهم بفاس أكثر لئلا سوق الاعمال بما يدعوا اليه الترف فالاحوال أضخم ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنتهي كما قلناه الى الامصار التي لا توفي أعمالها بضرورتهم سا ولا تعد في الامصار اذهى من قبيل القرى والمداشر فلذلك تجد أهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما أن أعمالهم لا تفي بضرورتهم ولا يفضل ما يتلونه كسبا فلا تتمو مكاسبهم وهم لذلك مساكين محاويج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك حتى في أحوال الفقراء والسؤال فان السائل بفاس أحسن حالا من السائل بتلمسان أو وهران ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الاضاحي أثمان ضحاياهم ورأيتهم يسألون كثيرا من أحوال الترف واقتراح المأكول مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون كالغريبال والانية ولوسال سائل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجروا بلفظنا لهذا العهد عن أحوال القاهرة ومصر من الترف والغنى في عواندهم ما يقضي منه العجب حتى ان كثير من الفقراء بالمغرب ينزعون من النقلة الى مصر لذلك ولما يبلغهم من أن شأن الرفه بمصر أعظم من غيرها ويعتقد العامة من الناس أن ذلك لزيادة ايثار في أهل تلك الآفاق على غيرهم أو أموال مختزنة لديهم وأنهم أكثر صدقة وايتارا من جميع أهل الامصار وليس كذلك وانما هو لما نعرفه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الامصار التي لديك فعظمت لذلك أحوالهم \* وأما حال الدخل والخرج

فكافئ في جميع الامصار ومتى عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل  
والخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصر كل شئ يبلغك من مثل هذا فلا تنكره  
واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل  
والايتار على مبعثيه ومثله بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف  
يختلف احوالها في هجرانها أو غشيانها فان بيوت أهل النعم والثروة والموائد الخصبة  
منها تكثر بساحتها وأقنيتهابنرا الحبوب وسواقط الفئات فيزدحم عليها غواشي الغل  
والخشاش ويخلق فوقها عصاب الطيور حتى تروح بطانها وتمتلئ مشبعها ورياب بيوت  
أهل الخصاصة والفقر الكاسدة أرزاقهم لا يسرى بساحتها ديب ولا يخلق بجوقها  
طائر ولا تأوى الى زوايا بيوتهم قارة ولا هرة كما قال الشاعر

تسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فما مل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاناس بغاشية العجم من الحيوانات وفئات  
الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يسهلها لاستغنائهم عنها في الاكثر  
لوجود امثالهم واعلم أن اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرة  
والله سبحانه وتعالى أعلم وهو غني عن العالمين

### (فصل في اسعار المدن)

١٢

اعلم أن الاسواق كلها تنقل على حاجات الناس فيها الضروري وهي الاقوات من  
الحنطة وما في معناها كالباقلا والبصل والثوم وأشباكه ومنها الخابج والكمالي  
مثل الادم والقواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني فاذا  
استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضرورى من القوت وما في معناها وغلت  
أسعار الكمالي من الادم والقواكه وما يتبعها واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه  
كان الامر بالعكس \* والسبب في ذلك أن الحبوب من ضرورات القوت فتتوفر  
الدواعي على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره أو سنته فيعم  
اتخاذها أهل المصر أجمع أو الاكثر منهم في ذلك المصر أو فيما قرب منه لا بد من ذلك  
وكل متخذ لقوته فتفضل عنه وعن أهل بيته فضلة كبيرة تستدخله كثيرين من أهل  
ذلك المصر فتفضل الاقوات عن أهل المصر من غير شك فتتخص أسعارها في الغالب  
الاما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية ولولا احتكاك الناس لها لما  
يتوقع من تلك الآفات لمذات دون ثمن ولا عوض لكثرة ابكثرة العمران \* وأما  
سائر المرافق من الادم والقواكه وما اليها فانها لا تتم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها



أعمال أهل مصر أجمعين ولا الكثير منهم ثم إن المصر إذا كان مستجرا موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حيثما الدوام على طلب تلك المرافق والاستكثار منها كل بحسب حاله فيه قصر الموجود منها على الحاجات قصورا بالغيا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم أهل الأغراض ويسدل أهل الرفه والترف أثمانها باسراف في الغلاء لحاجتهم اليها أكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كما تراه \* وأما الصنائع والأعمال أيضا في الأمصار الموفورة العمران فبسبب الغلاء فيها أمور ثلاثة الأول كثرة الحاجة لمكان الترف في مصر بكثرة عمرانه والثاني اعتزاز أهل الأعمال بخدمتهم وامتنان أنفسهم بسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقواتها والمثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم إلى امتنان غيرهم وإلى استعمال الصنائع في مهنتهم فيبدلون في ذلك لأهل الأعمال أكثر من قيمة أعمالهم من حاجة ومنافسة في الاستئثار بها فيعتز العمال والصنائع وأهل الحرف وتغلو أعمالهم وتكثر نفقات أهل المصر في ذلك \* وأما الأمصار الصغيرة والقليلة الساكن فأقواتهم قليلة لقلّة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويحتكرونه فيعز وجوده لديهم ويغلو غنمه على دستامه وأما ما مرافقهم فلا تدعو إليها أيضا حاجة بقلّة الساكن وضعف الأحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيختص بالرخص في سعره وقد يدخل أيضا في قيمة الأقوات قيمة ما يعرض عاينها من المكوس والمغارم للسلطان في الأسواق وأبواب الحفر والحياة في منافع وصولها عن البيوعات لما يسهم وبذلك كانت الأسعار في الأمصار أغلى من الأسعار في البادية إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة وكثرت في الأمصار لاسيما في آخر الدولة وقد تدخل أيضا في قيمة الأقوات قيمة علاجها في الفلح ويحافظ على ذلك في أسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك أنهم لما لجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلادهم المتوعدة الخبيثة الزراعة النسيكة النبات وملكوا عليهم الأرض الزاكية والبلد الغريب فاحتاجوا إلى علاج المزارع والقدن لأصلاح نباتها وثلحها وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مونة وصارت في فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم واختصر قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطرتهم النصارى إلى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها لأجل ذلك وبحسب الناس إذا سمعوا بغلاء الأسعار في قطرهم أنها قليلة الأقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك فهم أكثر أهل المعمور فلها قيم علمناهم وأقوة بهم عليه وقل أن يخلو منهم سلطان أو سوقة عن فدان أو مزرعة أو فلاح الأقل من أهل الصنائع والمهن أو الطرأ على الوطن من الغزاة المجاهدين ولهذا يحتصهم السلطان

في عطائهم بالعولة وهي أقواتهم وعلوفاتهم من الزرع وانما السبب في غلاء سعر  
الحبوب عندهم ما ذكرناه \* ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء  
منابهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المؤن بجهة في القلح مع كثرة وعمومه فصار  
ذلك سببا لرخص الاقوات ببلدهم والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب  
سواه

### ١٣ (فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران)

والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنه  
من أجل الترف وتعد تلك الحاجات لما يدعوا إليها فتقلب ضرورات وتصير فيه الاعمال  
كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازدياد حاجات الاغراض عليها من أجل الترف وبالمغارم  
السلطانية التي توضع على الاسواق والبساعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء  
في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة بالغة على نسبة عمرانه  
ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات  
عيشهم وسائر مؤنهم والبدوى لم يكن دخله كثيرا اذا كان ساكنا فكان ناسدا لاسواق  
في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأثر كسبا ولا مالا فيتعذر عليه من أجل ذلك  
سكنى المصر الكبير لغلاء مرافقه وعزّة حاجاته وهو في بدو يسد خلته باقل الاعمال  
لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنونه فلا يضطر الى المال وكل من يشق الى  
المصر وسكانه من أهل البادية فسر يعاموا يظهر عجزه ويفتضح في استيظانه الامن يقدم  
منهم تأثر المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري الى الغاية الطبيعية لاهل العمران  
من الدعة والترف حينئذ ينتقل الى المصر وينتظم حاله مع أحوال أهله في عوائدهم  
وترفهم وهكذا شأن بداية عمران الامصار والله بكل شيء محيط

### ١٤ (فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرّف والفقر مثل الامصار)

(اعلم) أن ما توفر عمرانها من الاقطار وتعددت الامم في جهاتها وكثر ساكنها اتسعت  
أحوال أهلها وكثرت أهوالهم وأمصارهم وعظمت دولهم وممالكهم \* والسبب في ذلك  
كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما سيأتي ذكره من أن سبب الثروة بما يفضل عنها بعد  
الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران  
وكثرته فيعود على الناس كسبا يتأثرونه حسب ما يند كذا في فصل المعاش وبيان الرزق  
والكسب فيزيد الرفه لذلك وتنسج الاحوال ويحجب الترف والغنى وتكثر الجباية  
للدولة بنفاق الاسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها وتتفنن في اتخاذ المعامل والحصون

واختطاط المدن وتشيد الامصار \* واعتبر ذلك بأقطار المشرق مثل مصر والشام  
وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها وأقطارها وراء البحر الرومي لما  
كثر عمرانها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولتهم وتعددت مدنها وحواسرهم  
وعظمت متاجرهم وأحوالهم فالذي نشاهده لهذا العهد من أحوال تجار الامم  
النصرانية الواردين على المسلمين بالمغرب في رفاههم واتساع أحوالهم أكثر من أن  
يحيط به الوصف وكذا تجار أهل المشرق وما يبلغنا عن أحوالهم وأبلغ منها أحوال  
أهل المشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين فإنه يبلغنا عنهم في باب الغنى  
والرفه غرائب تسير الركب بحديثها وربما تلتقي بالانكار في غالب الامر ويحسب من  
يسمعها من العامة أن ذلك لزيادة في أموالهم أولان المعادن الذهبية والفضية أكثر  
بأرضهم أولان ذهب الاقدمين من الامم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك فعند  
الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار انما هو من بلاد السودان وهى الى المغرب أقرب  
وجميع ما فى أرضهم من البضاعة فائما يجلبونه الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال  
عسيدا موفورا لديهم لما جلبوا بضائعهم الى سواهم يبتغون بها الاموال ولا يستغنوا  
عن أموال الناس بالجملة \* ولقد ذهب المتبحرون لما رأوا مثل ذلك واستغربوا ما فى  
المشرق من كثرة الاحوال واتساعها ووفور أموالها فقالوا بأن عطايا الكواكب  
والسهام فى مواليد أهل المشرق أكثر منها حصصا فى مواليد أهل المغرب وذلك  
صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما  
أعطوا فى ذلك السبب النجومى وبقي عليهم أن يعطوا السبب الارضى وهو ما ذكرناه  
من كثرة العمران واختصاصه بأرض المشرق وأقطاره وكثرة العمران تفيد كثرة  
الكسب بكثرة الاعمال التى هى سببه فلذلك اختص المشرق بالرفه من بين الاقفاق  
لأن ذلك لمجرد الانزياح النجومى فقد فهمت مما أشيرنا لك أولا أنه لا يستعمل بذلك وأن  
المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها أمر لا بد منه \* واعتبر حال هذا  
الرفه من العمران فى قطر افريقية وبرقة لما خف سكنها وتناقص عمرانها كيف تلاشت  
أحوال أهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت أموال دولها  
بعد أن كانت دول الشيعة وصنهاجة به اعلى ما بلغ من الرفه وكثرة الجبايات واتساع  
الاحوال فى نفقاتهم وأعطيائهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من القيروان الى  
صاحب مصر لحاجاته ومهماته وكانت أموال الدولة بحيث حمل جوهر الكاتب فى  
سفره الى فتح مصر ألف حمل من المال يستعملها الارزاق الجنود واعطيائهم ونفقات  
الغزاة وقطر المغرب وان كان فى القديم دون افريقية فلم يكن بالقليل فى ذلك وكانت



أحواله في دول الموحدين متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد أقصر عن ذلك  
لقصور العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران البربر فيه أكثره ونقص عن معهوده  
نقصا ظاهرا محسوسا وكاد أن يلحق في أحواله بمثل أحوال إفريقية بعد أن كان عمرانها  
متصلا من البحر الرومي إلى بلاد السودان في طول ما بين السوس الأقصى وبرقة وهي  
اليوم كلها أو أكثرها قفار وخلاء وصحارى الاما هو منها بسيف البحر أو ما يقاربه  
من التلول والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

### ١٥ (فصل في تأثيل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومغلاتها)

(اعلم) أن تأثيل العقار والضياع الكثيرة لاهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة  
ولا في عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها  
عن الحد ولو بلغت أحوالهم في الرفه ما عسى أن تبلغ وانما يكون ملكهم وتأثيلهم لها  
تدريجيا ما بالوراثه من آباءه وذوى رحمه حتى تتأذى أملك الكثيرين منهم الى الواحد  
وأكثر ذلك أو أن يكون بحواله الاسواق فان العقار في آخر الدولة وأول الاخرى  
عند فناء الحامية وخرق السياج وتداعى المصر الى الخراب تقل الغبطة به لقله المنفعة  
فيها بتلاشي الأحوال فترخص قيمها وتملك بالاثمان اليسيرة وتخطى بالميراث الى ملك  
آخر وقد استجد المصر شبابا باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له أحوال رائقة حسنة  
تحصل معها الغبطة في العقار والضياع لكثرة منافعها حينئذ فتعظم قيمها ويكون  
لها خطر لم يكن في الاول وهذا معنى الحواله فيها ويصبح مال الكهان أغنى أهل المصر  
وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته تعجز عن مثل ذلك \* وأما فوائدها للعقار  
والضياع فهي غير كافية لما لكها في حاجات معاشه اذ هي لا تفي بعوائد الترف وأسبابه  
وانما هي في الغالب لسد الخلة ونزرة المعاش والذي سمناه من مشيخة البلدان  
أن القصد باقتناء الملك من العقار والضياع انما هو الخشية على من يترك خلفه من  
الذرية الضعفاء ليكون مرباهم به ورزقهم فيه ونشؤهم بقائده ماداموا عاجزين عن  
الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بأنفسهم وربما يكون من  
الولد من يعجز عن التكسب لضعف في بدنه أو آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار  
قواما لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائه وأما القول منه واجراء أحوال المترفين فلا  
وقد يحصل ذلك منه للقليل أو النادر بحواله الاسواق وحصول الكثرة البالغة منه  
والعالى في جنسه وقيمه في المصر الا أن ذلك اذا حصل ربما امتدت اليه أعين الامراء  
والولاة واغتصبوه في الغالب أو أرادوه على بيعه منهم ونالت أحسابه منه مضار

ومعاطب والله غالب على أمره وهو رب العرش العظيم

١٦ (فصل في حاجات المتولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة)

وذلك أن الحضري إذا عظم قوله وكثر للعقار والضياع تأثله وأصبح أغنى أهل المصر  
ورمقه العيون بذلك وانفسحت أحواله في الترف والعوائد زاحم عليها الامراء  
والملوك وغصوبه ولما في طباع البشر من العدوان تمتد أعينهم الى تلك ما بيده  
وينافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربة حكم سلطاني وسبب  
من المؤاخذة ظاهر يتزعمه ماله وأكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب اذا العدل  
المحض انما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة البث قال صلى الله عليه وسلم  
الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة  
الشهيرة في العمران من حامية تدود عنه وجاه ينسحب عليه من ذى قرابة للملك أو  
خالصة له أو عصية يتحاماها السلطان فيستظل بظلمها ويرتع في أمنها من طوارق  
التعدى وان لم يكن لذلك أصبح نهبا بوجوه التحيلات وأسباب الحكام والله يحكم  
لامعقب لحكمه

١٧ فصل في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانما ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

والسبب في ذلك أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال  
العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرقة وتفاوت الامم في القلة والكثرة وتفاوتها  
منحصر وتقع فيها عند كثرة التفتن في أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج  
كل صنف منها الى القومة عليه والمهارة فيه وبقدرة ما يتزيد من أصنافها تتزيد أهل  
صناعاتها ويتلون ذلك الجليل بها ومتى اتصلت الايام وتعاقت تلك الصنائع حذق  
أولئك الصنائع في صناعاتهم ومهروا في معرفتها والاعصار بطولها وانفساح أمدتها  
وتكرير أمثالها تزيدها استحكاما ورسوخا وأكثر ما يقع ذلك في الامصار لاسنبحار  
العمران وكثرة الرقة في أهلها وذلك كله انما يجي من قبل الدولة لان الدولة تجمع  
أموال الرعية وتنفعها في بطائنها ورجالها وتسع أحوالهم بالجاه أكثر من اتساعها  
بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها في أهل الدولة ثم فين تعلق بهم من  
أهل المصر وهم الأكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم وتزيد عوائد الترف ومذاهبه  
وتستحسبهم لديهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة ولهذا تجد الامصار  
التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها أحوال البداوة وتبعد عن  
الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة

ومقرها وما ذاك إلا لجواررة السلطان لهم وفيض أمواله فيهم كالماء يخضر ما قرب  
منه فما قرب من الأرض إلى أن ينتهي إلى الجفوف على البعد وقد من أن السلطان  
والدولة سوق للعالم فالبضائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه وإذا بعدت عن  
السوق افتقدت البضائع جملته ثم إنه إذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك  
المصر واحد بعد واحد استحسكت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك في اليهود  
لما طال ملكهم بالشام نحو من ألف وأربعمائة سنة رسخت حضارتهم وخذقوا في  
أحوال المعاش وعوائده والتقن في صناعاته من المطاعم والملابس وسائر أحوال  
المنزل حتى أنهم اتخذ عنهم في الغالب إلى اليوم ورسخت الحضارة أيضا وعوائدها  
في الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية الحضارة \*  
وكذلك أيضا القبط دام ملكهم في الخليقة ثلاثة آلاف من السنين فرسخت عوائد  
الحضارة في بلادهم مصر وأعقبهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الإسلام الفاسخ للكل  
فلم تزل عوائد الحضارة بهما متصلة وكذلك أيضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال  
دولة العرب بهما منذ عهد العماليق والتابعة آلاف من السنين وأعقبهم ملك مصر  
وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بهما من لدن الكلدانيين والبيكالية  
والكسروية والعرب بعدهم آلاف من السنين فلم يكن على وجه الأرض لهذا العهد  
أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذلك أيضا رسخت عوائد الحضارة  
واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما أعقبهم من ملك بني أمية  
آلاف من السنين وكتبت الدولتين عظمة فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت \*  
وأما إفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الإسلام ملك ضخم إنما قطع الأفريقية إلى إفريقية  
البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة  
فكانوا على قلعة وأوفاز وأهل المغرب لم تجاورهم دولة وإنما كانوا يغيثون بطاعتهم  
إلى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب إفريقية والمغرب لم يلبث  
فيهم ملك العرب الا قليلا أول الاسلام وكانوا ذلك العهد في طور البداوة ومن استقر  
منهم بإفريقية والمغرب لم يجد بهما من الحضارة ما يقلد فيه من سلفه إذ كانوا برابرة  
منغمسين في البداوة ثم انتفض برابرة المغرب الأقصى لأقرب العهد وعلى يد ميسرة  
المطفرى أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا أمر العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم  
وان يبيعوا لأدريس فلا تعدد وانه فيهم عربية لأن البرابرة الذين تولوها ولم يكن من  
العرب فيها كثير عدد وبقيت إفريقية للأغلبة ومن اليهم من العرب فكان لهم  
من الحضارة بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القصور وان



وورث ذلك عنهم كرامة ثم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربع مائة سنة  
وانصرفت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو  
العرب الهلاليين عليهم واخربوها وبقى أثر خفي من حضارة العمران فيها والى هذا العهد  
يونس فمين سلف له بالقلعة أو القيروان أو المهدي سلف فتجدله من الحضارة في شؤون  
منزله وعوائد أحواله آثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصري بها وكذا في أكثر  
أمصار إفريقيا وليس ذلك في المغرب وأمصار مرسوخ الدولة بافريقية أكثر أمدا منذ  
عهد الأغالبة والشيعة وصنهاجة وأما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من  
الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء  
على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من أهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق  
ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكامها ومعظمها من أهل الاندلس  
ثم انتقل أهل شرق الاندلس عند جالية النصارى الى افريقية فأبقوا فيها وأمصارها  
من الحضارة آثارا ومعظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من  
عوائدها فكان بذلك للمغرب وإفريقية حظ صالح من الحضارة عني عليه الخلاء ورجع  
على أعقابهم وعاد البربر بالمغرب الى أديانهم من البداوة والخشونة وعلى كل حال فآثار  
الحضارة بإفريقية أكثر منها بالمغرب وأمصارها منذ أول فيها من الدول السالفة أكثر  
من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائد أهل مصر بكثرة المترددين بينهم \* فتفطن  
لهذا السرفانه خفي عن الناس واعلم أنها أمور متناسبة وهي حال الدولة في القوة  
والضعف وكثرة الأتمة أو الجليل وعظم المدينة أو المصر وكثرة النعمة واليسار  
وذلك أن الدولة والملك صورة الخلقة والعمران وكلها مادة لها من الرعايا والامصار  
وسائر الأحوال وأموال الجباية عائدة عليهم ويسارهم في الغالب من أسواقهم  
ومتاجرهم وإذا أفاض السلطان عطاءه وأمواله في أهلها انبت فيهم ورجعت اليه  
ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخراج عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال  
الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة وأصله  
كله العمران وكثرتة فاعتبره وتأمله في الدول تجده والله يحكمكم لامتقبح لحكمه

### ١٨ (فصل في ان الحضارة غاية العمران ونهاية العمر وانها مؤونة بفسادها)

قد ينسلك فيمأسلف أن الملك والدولة غاية للعصية وأن الحضارة غاية للبداوة وأن  
العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقه له عمر محسوس كما أن للشخص الواحد  
من أشخاص المكونات عمر محسوسا وتبين في المعقول والمنقول أن الاربعين

للإنسان غاية في تزايد قواه ونموها وأنه اذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر  
النشوء والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط فاعلم أن الحضارة في العمران أيضا  
كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة اذا حصل لاهل العمران  
دعاهم بطبعه الى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها والحضارة كما علمت هي التفتن في  
الترف واستجداء أحواله والكلف بالصنائع التي تؤتى من أصنافه وسائر فوائده من  
الصنائع المهيئة للمطامح أو الملابس أو الملبأى أو الفرش أو الأتنية ولسائر أحوال  
المنزل وللتأني في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة وعدم  
التأني فيها واذا بلغ التأني في هذه الاحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فقتلون  
النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معهما في دينها ولا دنياها أما دينها  
فلا استحكام صبغة العوائد التي يعسر زعمها وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤنات  
التي تطالب بها العوائد ويججز الكسب عن الوفاء بها \* ويانه أن المصير بالتفتن في  
الحضارة تعظم نفقات أهل الحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فحي كان العمران أكثر  
كانت الحضارة أكثر وقد كافتدنا أن المصير الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه  
وأسعار حاجته ثم تزيد الكوس غلاء لأن الحضارة انما تكون عند انتهاء الدولة في  
استفحالها وهوز من وضع المكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس  
تعود على البياعات بالغلاء لأن السوق والتجار كلهم يحتسبون على سلعهم وبضائعهم  
جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة أنفسهم فيكون المكس لذلك داخل في قيم البياعات  
وأثمانها فتعظم نفقات أهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون  
وليحة عن ذلك لما ملكتهم من أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات  
ويتابعون في الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقرو يقل المستامون للمبايع  
فتكسد الاسواق ويفسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف  
وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق والعمران وأما فساد أهلها في  
ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون  
بألوان اشرفي تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون  
آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحميل على تحصيل  
المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى الفسق في ذلك والغوص  
عليه واستجماع الخيلة له فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلافة  
والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم أبهر بطرق الفسق  
ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الأقارب

وذوى المحارم الذين تقتضى البداوة الحياء منهم فى الاقتداع بذلك وتجدهم أيضاً أبصر  
بالمكر والخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب  
على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لا كثرهم الا من عصمه الله ويعوج بحر  
المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة  
وولدانهم ممن أهمل عن التأديب وغلب عليه خلق الجوار وان كانوا أهل أنساب  
ويوتات وذلك أن الناس بشر متمثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب  
الفضائل واجتناب الرذائل فمن استحسنت فيه صبغة الرذائل باى وجه كان وفسد  
خلق الخيرية لم يتفعه زكاه نسبه ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيراً من أعقاب البيوت  
وذوى الاحساب والاصالة وأهل الدول منطرحين فى الغمار منتحلين للعرف الدنية فى  
معاشهم بما فسد من أخلاقهم وماتوا نوابه من صبغة الشر والسفسفة واذا كثر ذلك  
فى المدينة أو الامة تأذن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى واذا أردنا أن  
نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً \* ووجهه حينئذ  
أن مكاسبهم حينئذ لا تنفى بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بما فلا تستقيم  
أحوالهم واذا فسدت أحوال الاشخاص واحداً واحداً اختل نظام المدينة وخربت  
وهذا معنى ما يقوله بعض أهل الخواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارنج  
تأذنت بالخراب حتى ان كثيراً من العامة يتحاشى غرس النارنج بالدور وليس المراد ذلك  
ولأنه خاصية فى النارنج وانما معناه أن البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة  
ثم ان النارنج والليم والسرور أمثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غايه الحضارة  
اذ لا يقصدها فى البساتين الأشكالها فقط ولا تغرس الا بعد التقن فى مذهب الترف  
وهذا هو الطور الذى يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك فى  
الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصده الا تلون البساتين بنورها ما بين أحمر  
وأبيض وهو من مذاهب الترف \* ومن مفسد الحضارة الانهم مالت فى الشهوات  
والاسترسال فيها الكثرة الترف فيقع التفتن فى شهوات لبطن من الماء كل والملاذ  
ويتبع ذلك التفتن فى شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط فيفضى ذلك  
الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما فى الزنا فيجبل كل واحد به اذ  
هو لغير رشدة لان المياه مختلطة فى الارحام فتفقد الشفقة لطبيعية على البنين والقيام  
عليهم فيهلكون ويؤدى ذلك الى انقطاع النوع أو يكون فساد النوع كاللواط اذ هو  
يؤدى الى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدى الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب  
مالك رحمه الله فى اللواط أظهر من مذهب غيره ودل على أنه أبصر بقصا صنادير ربعة



واعتبارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترفع وأنه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الاخلاق الحاصلة من الحضارة والترفع هي عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منفعته ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجز الماحصل له من الدعة أو ترفع الماحصل له من المربي في النعيم والترفع وكلا الأمرين ذميم ~~وكذا~~ لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري بما قد فقد من خلق الانسان بالترفع والنعيم في قهر التأديب فهو بذلك عيال على الحماية التي تدافع عنه ثم هو فاسد أيضا غالبا بما فسدت منه العوائد وطاعتها وما تلونت به النفس من مكائنها كما قررناه الا في الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار مسخا على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يترعون على الحضارة وخلافها موجودين في كل دولة فقد تبين أن الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن

#### ١٩ (فصل في ان الامصار التي تكون كراسي للملك تخرّب بحراب الدولة وانتقاضها)

قد استقرينا في العمران أن الدولة اذا اختلت وانتقضت فإن المصرا الذي يكون كرسيا لسلطانها ينتقض عمرانه وربما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه أمور \* (الاول) \* أن الدولة لا بد في أوقاها من البداوة المقتضية للتجافي عن أموال الناس والبعد عن التحذلق وبدعو ذلك الى تخفيف الجباية والمغارم التي منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصرا الذي كان كرسيا للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقصت أحوال الترف فيها نقص الترف فبين تحت أيديها من أهل المصرا لان الرعايا تبسع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعا لما في طباع البشر من تقليد متبوعهم أو كرها لما يدعوا اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فتقصر لذلك حضارة المصرا ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصرا \* (الامر الثاني) \* أن الدولة انما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وانما يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر احداهما على الاخرى في العوائد والاحوال وغلب أحد المتنافيين يذهب بالمنافي الآخر فتكون أحوال الدولة السابقة منكورة عند أهل الدولة الجديدة ومسستبشة وقيحة وخصوصا أحوال

الترف قفقد في عرفهم بذكر الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد أخرى من الترف  
تكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك قصور الحضارة الأولى ونقصها وهو معنى  
اختلال العمران في مصر \* (الامر الثالث) \* أن كل أمة لا بد لها من وطن هو  
مفهومهم ومنه أولية ملكهم وإذا ملكوا ملكا آخر صارته عال الأول وأما رتبة تابعة  
لامصار الأول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط الكرسي تخوم الممالك التي  
للدولة لانه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه عن مكان الكرسي الأول وتهوى أقدرة  
الناس اليه من أجل الدولة والسلطان فينتقل اليه العمران ويخف من مصر  
الكرسي الأول والحضارة انما هي توفر العمران كما قد مناه فتتقص حضارته وتعتبه  
وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسلجوقية في عدولهم بكرسيهم عن بغداد الى اصبهان  
وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن الى الكوفة والبصرة ولبنى العباس في العدول  
عن دمشق الى بغداد ولبنى مرين بالمغرب في العدول عن مراکش الى فاس وبالجملة  
فاتخاذ الدولة الكرسي في مصر يحل بعمران الكرسي الأول \* (الامر الرابع) \*  
أن الدولة الثانية لا بد فيها من تبع أهل الدولة السابقة وأشبايعها بتجويدهم الى قطر  
آخر يؤمن فيه غائلتهم على الدولة وأكثر أهل مصر الكرسي أشبايع الدولة آمنة  
الحامية الذين نزولوا به أول الدولة أو أعيان المصر لان لهم في الغالب مخالطة للدولة  
على طبقاتهم وتنوع أصنافهم بل أكثرهم ناشئ في الدولة فهم شعبة لها وان لم يكونوا  
بالشوك والعصية فهم بالليل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتحدة نحو آثار الدولة  
السابقة فينقلهم من مصر الكرسي الى وطنها المتمكن في ملكتها ببعضهم على نوع  
التغريب والجدب وبعضهم على نوع الكرامة والتلطف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى  
لا يبقى في مصر الكرسي الا الباعة والهمل من أهل الفلح والعبارة وسواد العامة وينزل  
مكانهم حاميتها وأشبايعها من يشتد به المصر واذا ذهب من مصر أعياضهم على طبقاتهم  
نقص ساكنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد من أن يستجد عمران آخر في ظل الدولة  
الجديدة وتحصل فيه حضارة أخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من له بيت على  
أوصاف مخصوصة فاظهر من قدرته على تغيير تلك الأوصاف واعادة بنائها على ما يختاره  
ويقترحه فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانيا وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي  
كراسي للملك وشاهدناه وعلمناه والله يقدر الليل والنهار \* والسبب الطبيعي الأول في  
ذلك على الجملة أن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه  
لوجودها وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر فالدولة  
دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذر لما في طباع البشر من

العدوان الداعي الى الوازع فتتعين السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة واذا كان لا يتفكان فاختلفا أحدهما مؤثر في اختلال الآخر كما ان عدمه مؤثر في عدمه والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الروم أو القرس أو العرب على العموم أو بنى أمية أو بنى العباس كذلك وأما الدولة الشخصية مثل دولة أنوشروان أو هرقل أو عبد الملك بن مروان أو الرشيد فأشخاصها متعاقبة على العمران حافظه لوجوده وبقائه وقريبة الشبه بعضهم من بعض فلا تؤثر كثيرا اختلال لان الدولة بالحقيقة الفاعلة في مادة العمران انما هي العصبية والشوكة وهي مستقرة على أشخاص الدولة فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية أخرى مؤثرة في العمران ذهبت أهل الشوكة باجمعهم وعظم الخلل كما قررناه أولا والله سبحانه وتعالى أعلم

## ٢٠ (فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض)

وذلك أنه من البين أن أعمال أهل مصر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض أهل مصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم البلوى به في مصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في مصر يكون غفلا اذا لفائدة لتتحله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالخياط والحداد والتجار وأمثالها وما يستدعي لعوائد الترف وأحواله فانما يوجد في المدن المستجيرة في العمارة الآخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانع والدهان والطباخ والصفار والفراش والذباح وأمثال هذه وهي متفاوتة وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي أحوال الترف فتحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك المصدرون غيره ومن هذا الباب الحمامات لانها انما توجد في الامصار المستحضرة المستجيرة العمران لما يدعوا اليه الترف والغنى من التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والرؤساء اليها فيختطها ويجري أحوالها الا أنها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرّب وتفرغ عنها القومة لقله فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

## ٢١ (فصل في وجود العصبية في الامصار وتقلب بعضهم على بعض)

من البين أن الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وان لم يكونوا أهل نسب واحد الا انه كما قدمناه أضعف مما يكون بالنسب وأنه تحصل به العصبية بعضها مما تحصل بالنسب وأهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا الى أن يكونوا



لحماة قرابة قرابة وتجدد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر  
 مثله فيفترقون شيعا وعصائب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن القاصية  
 احتاج أهل أمصارها الى القيام على أمرهم والنظر في حماية بلادهم ورجعوا الى  
 الشورى وتميز العلية عن السفلة والنفوس بطباعها متطائلة الى الغلب والرياسة  
 فنطمع المشيخة بخلا الجوق من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وينزع كل  
 صاحبه ويستوصلون بالاتباع من الموالي والشيعة والاحلاف ويذلون ما في أيديهم  
 للاوغاد والاوشاب فيعصو صب كل لصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكفائه  
 ليقص من أعنتهم ويتبعهم بالقتل أو التعذيب حتى يخضع منهم الشوكات النافذة  
 ويقل الاطفا والخادشة ويستبد بمصره أجمع ويرى أنه قد استحدث ملكا يورثه عقبه  
 فيحدث في ذلك الملك الاصغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما  
 يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعاظم أصحاب القبائل والعشائر والعصبيات  
 والزخوف والحروب والاقطار والممالك فيتمحلون بهم من الجلوس على السرير  
 واتخاذ الآلة واعداد المواسك للسير في اقطار البلد والتختم والحسبية والخطاب  
 بالتمويل ما يسخر منه من يشاهد أحوالهم لما التحلوه من شارات الملك التي ليسوا لها  
 بأهل انما دفعهم الى ذلك تقلص الدولة والتحام بعض القرابات حتى صارت عصية وقد  
 يتنزه بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السذاجة فرارامن التعريض بنفسه  
 للسخرية والعبث وقد وقع هذا بافر يقية لهذا العهد في آخر الدولة الحفصية لاهل بلاد  
 الجريد من طرابلس وقابس وتوزر ونقطة وقفصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سموا  
 الى مثلها عند تقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على أمصارهم  
 واستبدوا بأمرها على الدولة في الاحكام والحباية وأعطوا طاعة معروفة وصفقة ممرضة  
 وأقطعوها اجابا من الملاينة والملاطفة والانقياد وهم يعزل عنه وأورثوا ذلك  
 أعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاعقاب الملوك  
 وخلفهم ونظموا أنفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقه حتى محاذلك  
 مولانا أمير المؤمنين أبو العباس وانتزع ما كان بأيديهم من ذلك كما ذكره في أخبار  
 الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة الصنهاجية واستقل بأمصار الجريد  
 أهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المؤمن بن  
 علي ونقلهم كاهم من امارتهم بها الى المغرب ومحام تلك البلاد آثارهم كما ذكر في  
 أخباره وكذا وقع بسبب لا خردولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبيا في أهل  
 السروات والبيوتات المرشحة للمشيخة والرياسة في المضر وقد يحدث التغلب لبعض

السفلة من الغوغاء والدهماء وإذا حصلت له العصية والاتحام بالاوغاد لاسباب يجرها  
له المقدار فيغلب على المشيخة والعلية إذا كانوا قادين للعصاة والله سبحانه وتعالى  
غالب على أمره

(فصل في لغات أهل الامصار)

٢٢

(اعلم) أن لغات أهل الامصار انما تكون بلسان الامة أو الجبل الغالين عليها أو المختطين  
لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية  
وان كان اللسان العربي المضرى قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك  
ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود وللملك  
وكلها موادله والصورة مقدمة على الملة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي  
بلسان العرب لما أن النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان  
العربي من الألسن في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهى عمر رضي الله عنه عن  
بطانة الاعاجم وقال انما خب أي مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاجمية  
وكان لسان القاطنين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها لان الناس  
نسب للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعار الاسلام وطاعة  
العرب وهجر الامم لغاتهم وألسنتهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي  
لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الاسنة العجمية دخيلة  
فيها وعربية ثم فسد اللسان العربي بمخالطتهم في بعض أحكامه وتغيراً واخره وان كان  
بقي في الدلالات على أصله وسمى لساناً حضرياً في جميع امصار الاسلام وأيضاً أكثر  
أهل الامصار في الملة لهذا العهد من أعقاب العرب المالكين لها الهالكين في رفقها  
بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا أرضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت  
لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء ان فسدت أحكامها بمخالطة الأعجم شيئاً فشيئاً  
وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى أهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو من  
العرب فانها كانت أعرق في العروية ولما تملك العجم من الديلم والسجوقية بعدهم  
بالمشرق ووزناته والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الاسلامية  
فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لو لا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة  
الذين بهما حفظ الدين وصار ذلك من جملة البقاء اللغة العربية المضرية من الشعر  
والكلام الا قليلاً بالامصار فلما ملك التتروا المغل بالمشرق ولم يكونوا على دين الاسلام  
ذهب ذلك المريح وفسدت اللغة العربية على الاطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك

الاسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وماوراء النهر وبلاد  
الشمال وبلاد الروم وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام الا قليلا يقع  
تعليمه صناعا بالقوانين المتدايسة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى  
لذلك وربما بقيت اللغة العربية المضربة بمصر والشام والاندلس والمغرب لبقاء الدين  
طلبها لها فاحتفظت ببعض الشيء وأما في ممالك العراق وماوراءه فلم يبق له أثر ولا عين  
حتى ان كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه في المجالس  
والله أعلم بالصواب

### (الفصل الخامس من الكتاب الاول)

في المعاش ووجه من الكسب والصنائع وما يمرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل

(فصل) في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وأن الكسب هو قيمة الاعمال البشرية  
\* اعلم أن الانسان مفعول بالطبع الى ما يقونه وسموه في حاله وأطواره من لدن نشوه  
الى أشده الى كبره والله الغني وأنتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم  
للانسان وامتن به عليه في غير ما آتاه من كآبه فقال وسخر لكم ما في السموات وما في  
الارض جميعا منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من  
شواهد ويد الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف  
وأيدى البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يده هذا امتنع عن الآخر  
الابغرض فالانسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب  
لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعراض عنها قال الله تعالى  
فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغرسه كالطير المصلح للزراعة وأمناله الا أنها  
انما تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما يأتي فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت  
بمقدار الضرورة والحاجة ورياشا ومقولا ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل أو  
المقتنى ان عادت منفعة على العبد وحصلت له ثمرة من انفاقه في مصالحه وحاجاته سمي  
ذلك رزقا قال صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما أكلت فأفنت أو لبست فألبست أو  
تصدقت فأمضيت وان لم يتنفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة الى  
المالك رزقا والمالك منه حينئذ يسمى العبد وقد ربه يسمى كسبا وهذا مثل التراث فانه  
يسمى بالنسبة الى الهالك كسبا ولا يسمى رزقا اذ لم يحصل به منفعة وبالنسبة الى الوارثين  
متى انتفعوا به يسمى رزقا هذا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة وقد اشترط المعتزلة  
في تسميته رزقا أن يكون بحيث يصح غلكه وما لا يملك عندهم لا يسمى رزقا وأخرجوا



الغصوبات والحرام كله عن أن يسمى شيئا منها رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم  
 والمؤمن والكافر ويختص برحمته وهدايته من يشاء ولهم في ذلك حجج ليس هذا موضع  
 بسطها \* ثم اعلم أن الكسب انما يكون بالسعي في الاكساب والقصد الى التحصيل فلا بد في  
 الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتنائه من وجوهه قال تعالى فابتغوا عند الله  
 الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله تعالى والهامه فالكل من عند الله فلا بد  
 من الاعمال الانسانية في كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملا بنفسه مثل الصنائع  
 فظاهر وان كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانساني  
 كإتراء والالم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله تعالى خلق الحجرين المعدنيين من  
 الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لاهل العالم في الغالب وان  
 اقتنى سواهما في بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالة  
 الاسواق التي هما عنهما معزول فهما أصل المكاسب والقنية والذخيرة \* واذا تقرر هذا  
 كله فاعلم ان ما يفيد الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من الصنائع فالمفاد  
 المقتنى منه قيمة عمله وهو القصد بالقنية اذ ليس هنالك الا العمل وليس بمقصود بنفسه  
 للقنية وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرهما مثل التجارة والحيا كتمعهما الخشب  
 والغزل الا ان العمل فيهما أكثر فقيمتهم أكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد في قيمة  
 ذلك المفاد والقنية من دخول قيمة العمل الذي حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل  
 قنيته او قد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فتجعل له حصة من القيمة  
 عظمت أو صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كما في أسعار الاقوات بين الناس فان  
 اعتبار الاعمال وانفقات فيها ملاحظ في أسعار الجيوب كما قدمناه لكمه خفي في  
 الاقطار التي علاج الفلح فيها وموته يسيرة فلا يشعرب الا القليل من أهل الفلح فقد  
 تبين ان المفادات والمكتسبات كلها وأكثرها انما هي قيم الاعمال الانسانية وتبين  
 معنى الرزق وانه المستفيع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما \* واعلم  
 أنه اذا فقدت الاعمال أو قلت بانتقاص العمر ان تأذن الله برفع الكسب ألا ترى الى  
 الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها أو يفقد لقله الاعمال  
 الانسانية وكذلك الامصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أهلها أوسع أحوالا وأشد  
 رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العاتية في البلاد اذا تناقص عمرانها  
 انها قد ذهب رزقها حتى ان الانهار والعيون ينقطع جريها في القفر لما أن فور العيون  
 انما يكون بالانباط والامتراء الذي هو بالعمل الانساني كالحال في ضروع الانعام  
 فبالم يكن انباط ولا امتراء نصبت وغارت بالجملة كما يجب الضرع اذا ترك امتراؤه وانظره

في البلاد التي تعهد فيها العميون لايام عمر انهم يأتى عليها الخراب كيف تغور رمياها  
جولة كأنهم لم تكن والله يقدر الليل والنهار

### ٢ (نصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه)

(اعلم) أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وهو مفعول من العيش  
كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل الا بهذه جعلت موضعا له على طريق  
المبالغة ثم ان تحصيل الرزق ويسمى كسبه اما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه  
بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرما وجباية واما أن يكون من الحيوان  
الوحشي باقتناصه وأخذه برمييه من البر أو البحر ويسمى اصطيادا واما أن يكون من  
الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفه بين الناس في منافعهم كاللبن من الانعام  
والحرير من دوده والعسل من نحلته أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه  
واعداؤه لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلها واما أن يكون الكسب من الاعمال  
الانسانية اما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كابة وتجارة وخياطة وحياكة  
وفروسية واما في ذلك أو في مواد غير معينة وهي جميع الامتانات والتصرفات واما  
أن يكون الكسب من البضائع واعداؤها للاعواض اما بالتقلب بها في البلاد  
واحتكارها وارتقاب حواله الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجوه المعاش  
وأصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون من أهل الادب والحكمة كالحرير وغيره فانهم  
قالوا المعاش اماره وتجارة وفلاحة وصناعة فاما الامارة فليست بمذهب طبيعي  
للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم ثنى من أحوال الجبايات السلطانية  
وأهلها في الفصل الثاني واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية  
للمعاش أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية  
لا تحتاج الى نظور ولا علم ولهذا تنسب في الخليفة الى آدم أبي البشر وأنه معلها والقيام  
عليها الشارة الى أنها أقدم وجوه المعاش وأنسبها الى الطبيعة واما الصنائع فهي  
ثانيها ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والانتظار ولهذا لا توجد  
غالبا الا في أهل الحضرة الذي هو متأخر عن البدو وثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى  
ادريس الاب الثاني للخليفة فانه منسبها لمن بعده من البشر بالوحى من الله تعالى  
وأما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالاكثر من طرقها ومذاهبها انما هي  
تجارات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب  
من تلك الفة لذلك أباح الشرع فيه المكاسب لما أنه من باب المقامرة الا أنه ليس

أخذ المال الغير مجانيا فلهذا اختص بالمشروعية

٣ (فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي)

اعلم أن السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر أبواب الامارة والملك الذي هو بسبيله من الجندی والشرطي والكاتب ويستـ كفي في كل باب عن يعلم غناؤه فيه ويتكفل بأرزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والملك الاعظم هو ينبوع جدا ولهم وأما ما دون ذلك من الخدمة فسيبها ان أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون عاجزا عنها لما ربي عليه من خلق التسم والترف فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه أجرة من ماله وهذه الحالة غير محدودة بحسب الرجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل أحد عجز ولأنهم لا يريدون الوظائف والخرج وتدل على العجز والخسث اللذين ينبغى في مذاهب الرجولية التنزه عنهما الآن العوائد تقلب طباع الانسان الى ما لوفه افهوا بن عوائده لا بن نسبه ومع ذلك فالقديم الذي يستـ كفي به ويوثق بغناؤه كالمفقود اذ الخديم القائم بذلك لا يعد وأربع حالات اما مضطلع بأمره وموثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس فيهما وهو أن يكون غير مضطلع بأمره ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس في احدهما فقط مثل أن يكون مضطلعا غير موثوق أو موثوقا غير مضطلع فاما الاول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن أحد استعماله بوجه اذ هو باضطلاع به وثقته غنى عن أهل الرتب الدينية ومحقة لمثال الاجر من الخدمة لا قدره على أكثر من ذلك فلا يستعمله الا الامراء أهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه وأما الصنف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي اعاقل استعماله لانه يجحف بخدومه في الامر من معا فيضيع عليه لعدم الاصطناع تارة ويذهب ماله بالخيانة أخرى فهو على كل حال كل على مولاه فهذان الصنفان لا يطمع أحد في استعمالهما ولم يبق الا استعمال الصنفين الاخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللناس في الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجحين وجه الا أن المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لانه يؤمن من تضيعه ويحاول على التهرز من خيائته جهد الاستطاعة وأما المضيع ولو كان مأمونا فضرره بالتضيع أكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا في الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

٤ (فصل في ان اتقاء الاموال من الدنان والكنوز ليس بمعاش طبيعي)

اعلم أن كثيرا من ضعفاء العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال من تحت



الارض ويتبعون الكسب من ذلك ويعتقدون أن أموال الامم السالفة مختزنة كلها  
 تحت الارض محتوم عليها كلها بطلاسم سحرية لا يفيض ختامها ذلك الامن عثر على  
 علمه واستحضر ما يحمله من الخور والدعاء والقربان فأهل الامصار بافريقية يرون أن  
 الافرنجة الذين كانوا قبل الاسلام يهاذفون أموالهم كذلك وأودعوها في الصحف  
 بالكتاب الى أن يجدوا السبيل الى استخراجها وأهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك  
 في أمم القبط والروم والفرس ويتناقلون في ذلك أحاديث تشبه حديث خرافة من انتهاء  
 بعض الطالبيين لذلك الى حفر موضع المال ممن لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا  
 أو معمورا بالدينان أو يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها منتضين  
 سيوفهم أو تعيده به الارض حتى يظنه خسفاً أو مثل ذلك من الهدر ونجد كثير من  
 طلبة البربر بالمغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي وأسبابه يتقربون الى أهل الدنيا  
 بالاوراق المتخزمة الحواشي اما بخطوط عجمية أو بترجم برعهم منها من خطوط أهل  
 الدفائن باعطاء الامارات عليها في أماكتها يتبعون بذلك الرزق منهم بما يعشونهم على  
 الحفر والطلب ويموتون عليهم بأنهم انما جعلهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في مثل  
 هذا من منال الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة أو غريبة من الاعمال  
 السحرية يقوم بها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بعزل عن السحر وطرقه فتولع كثير  
 من ضعفاء العقول بجمع الايدي على الاستقار والتسرف به بظلمات الدليل مخافة الرقباء  
 وعبود أهل الدول فاذا لم يعثروا على شيء رذوا ذلك الى الجهل بالطلسم الذي ختم به على  
 ذلك المال يخادعون به أنفسهم عن اخفاق مطامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب  
 زيادة على ضعف العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من  
 التجارة والفلم والصناعة فيطلبونه بالوجوه المنحرفة وعلى غير المجرى الطبيعي من هذا  
 وأمثاله عجزا عن السعي في المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب  
 في تحصيله ولا يعلمون أنهم يوقعون أنفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه  
 في نصب ومتاعب وجهه شديد أشد من الاقل ويعرضون أنفسهم مع ذلك لمنال  
 العقوبات وربما يحمل على ذلك في الاكثر زيادة الترف وعوائده وخروجها عن حدة  
 النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا تنفي بطلانها فاذا عجز عن الكسب  
 بالمجرى الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة  
 لئني لذلك بالعوائد التي حصل في أمرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده  
 ولهذا فأكثر من تراهم يحرضون على ذلك هم المترفون من أهل الدولة ومن سكان  
 الامصار الكثيرة الترف المتسعة الاحوال مثل مصر وما في معناها فتجد الكثير منهم

مغرمين بآفة غدا ذلك وتحصيله ومساءلة الركبان عن شواذه كما يحرسون على الكيمياء  
هكذا بلغني عن أهل مصر في مقاضاة من يلقونه من طلبية المغاربة تعلمهم يعثرون منه  
على دفين أو كنز ويريدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون أن غالب هذه  
الاموال الدفينة كلها في مجارى النيل وأنه أعظم ما يستردفينا أو محتزنا في تلك الآفاق  
وعيوه عليهم أصحاب تلك الدفاتر المفتعلة في الاعتذار عن الوصول إليها بحرية النيل  
تسترا بذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على نضوب  
الماء بالأعمال السحرية لتحصيل مبتغاه من هذه كلفا بشأن السحرة متوارثا في ذلك  
القطر عن أوليه فعلموهم السحرية وآثارها باقية بأرضهم في البرارى وغيرها وقصة  
سحرة فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل أهل المغرب قصيدة ينسبون بها إلى  
حكيماء المشرق تعطى فيها كيفية العمل بالتغوير بصناعة سحرية حسباترا فيها وهى هذه

يا طالبها للسر في التغوير \* اسمع كلام الصدق من خبير  
دع عنك ما قد صنفوا في كتبهم \* من قول بهتان ولفظ غرور  
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي \* ان كنت ممن لا يرى بالزور  
فاذا أردت تغوير البئر التي \* حارت لها الاوهام في التدبير  
صور كصورتك التي أوقفها \* والرأس رأس الشبل في التقوير  
ويداه ما سكن للجبيل الذي \* في الدلو ينشل من قرار البير  
وبصدره هاء كما عاينتها \* عدد الطلاق احذر من التكرير  
ويطأ على الطآآت غير ملامس \* مشى الليب الكيس التحير  
ويكون حول الكل خط دائر \* تريعه أولى من التكوير  
واذبح عليه الطير والطخه به \* واقصده عقب الذبح بالتخير  
بالسندروس وباللبان وميعة \* والقسط والبسه بشوب حرير  
من أحمر وأصفر لا أزرق \* لا أخضر فيه ولا تكدير  
ويشده خيطان صوف أبيض \* أو أحمر من خالص التحمير  
والطالع الاسد الذى قد بينوا \* ويكون بدء الشهر غير منير  
والبدر متصل بسعد عطارد \* في يوم سبت ساعة التدبير

يعنى أن تكون الطآآت بين قدميه كأنه يعيش عليها وعندى أن هذه القصيدة من  
توبيعات المتخرفين فلهم في ذلك أحوال غريبة واصطلاحات عجيبه وتنتهى التخرفة  
والكذب بهم الى أن يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة لمثل هذه ويحتفرون  
الحفر ويضعون المطابق فيها والشواهد التي يكتبونها في صحائف كذبهم ثم يقصدون

ضعفاء العقول بأمثال هذه الصخائف ويعثون على اكتراء ذلك المنزل وسكانه  
ويوهمون أن به دفيناً من المال لا يعبر عن كثرته ويطالبون بالمال لاستراء العقاقير  
والبحورات لحل الطلاسم ويعدونه بظهور الشواهد التي قد أعدوها هنالك بأنفسهم  
ومن فعلهم فينبعث لما يراهم من ذلك وهو قد خدع ولبس عليه من حيث لا يشعرون بينهم  
في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون به عليهم ليخفي عند محاورتهم فيما يتلونه من حفر  
ومجنور وذبج حيوان وأمثال ذلك وأما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا أصل له في علم  
ولا خبر \* واعلم أن الكنوز وان كانت توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق  
لا على وجه القصد إليها وليس ذلك بأمر نعم به البلوى حتى يدخر الناس أموالهم تحت  
الأرض ويختمون عليها بالطلاسم لافي القديم ولا في الحديث والركاز الذي ورد  
في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفين الجاهلية انما يوجد بالعثور والاتفاق لا بالقصد  
والطلب وأيضاً فمن اختزن ماله وختم عليه بالأعمال السحرية فقد باع في اخفائه فكيف  
ينصب عليه الأدلة والامارات لمن يتبعه ويكتب ذلك في الصخائف حتى يطلع على  
ذخيره أهل الاعصار والآفاق هذا يناقض قصد الاخفاء وأيضاً ففعال العقلاء  
لا بد وأن تكون أغراض مقصودة في الانتفاع ومن اختزن المال فانه يخترنه لولده أو  
قريبه أو من يؤثره وأما ان يقصد اخفاءه بالكلمة عن كل أحد وانما هو للبلاء والهلاك  
أو لمن لا يعرفه بالكلمة ممن سيأتي من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلاء بوجه \* وأما  
قولهم أين أموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفرة فاعلم أن الأموال من  
الذهب والفضة والجواهر والامتنعة انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس  
والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد  
فيها أو ينقصها وما يوجد منها بأيدي الناس فهو متناقل متوارث وربما تنقل من قطر  
الى قطر ومن دولة الى أخرى بحسب أغراضه والعمران الذي يستدعي له فان نقص  
المال في المغرب واقر ببقية فلم ينقص يلاذ الصقلية والافرنج وان نقص في مصر  
والشام فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الآلات والمكاسب والعمران يوفرها  
أو ينقصها مع أن المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ  
والجواهر أعظم مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص  
والقصدير يناله من البلاء والقضاء ما يذهب بأعيانها الا قرب وقت وأما ما وقع في مصر  
من أمر المطالب والكنوز فسيببه أن مصر في ملكة القبط منذ آلاف أو يزيد من السنين  
وكان موتاهم يدفنون بجمودهم من الذهب والفضة والجواهر والآلات على مذهب  
من تقدم من أهل الدول فلما انقضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نقر وأعلى ذلك



في قبورهم وكشفوا عنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالأهرام من قبور الملوك  
وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد  
ويكثر على الدفن فيها في كثير من الاوقات أما ما يدفنونه من أموالهم أو ما يكرمون به  
موتاهم في الدفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور  
القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذلك عني أهل مصر بالبحث عن  
المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى أنهم حين ضربت المكوس على الأصناف  
آخر الدولة ضربت على أهل المطالب وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من الخلق  
والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون من أهل الاطماع الذريعة الى المكشف عنه والذرع  
باستخراجه وما حصلوا الاعلى الخيبة في جميع مساعيهم نعوذ بالله من الخسران فيحتاج  
من وقع له شيء من هذا الوسواس وابتلى به أن يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب  
معاشه كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان  
ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات والمكاذب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير  
حساب

### ٥ (فصل في ان الجاه مفيد للمال)

وذلك اننا نجد صاحب المال والحظوة في جميع أصناف المعاش أكثر يسارا وثروة من  
فاقد الجاه والسبب في ذلك أن صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يتقرب بها اليه في سبيل  
التراف والحاجة الى جاهه فالناس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته من ضروري  
أو حاجي أو كمالى فتحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه أن تبذل فيه  
الاعواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتتوفر قيم تلك الاعمال عليه  
فهو بين قيم الاعمال يكسبها وقيم أخرى تدعوه الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليه  
والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فتتقيد الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الايام يسارا  
وثررة وله هذا المعنى كانت الامارة أحد أسباب المعاش كما قدمناه وفاقدا الجاه  
بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره الا بمقدار ماله وعلى نسبة سعيه وهو لا  
هم أكثر التجار والاهل هذا تجد أهل الجاه منهم يكونون أيسر بكثير مما يشهد لذلك اننا  
نجده كثير من الفقهاء وأهل الدين والعبادة اذا اشتهر بحسن الظن بهم واعتقد  
الجمهور معاملته الله في ارفادهم فأخلص الناس في اعانتهم على أحوال دينهم  
والاعمال في مصالحهم أمرعت اليهم الثروة وأصبحوا ميسرين من غير مال مقتنى  
الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم رأينا من ذلك

اعداد في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجروكل قاعد بمنزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتأهل الغنى من غير سعي ويعجب من لا يفتن لهذا السر في حال ثروته وأسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب

## ٦ فصل في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع

والتعلق وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قد سلف لنا فيما سبق أن الكسب الذي يستفيد به البشر انما هو قيم أعمالهم ولو قد واحد عطل عن العمل جملة لكان فاقد الكسب بالكيفية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى نسبة ذلك نحو كسبه أو نقصانه وقد بينا آنفاً أن الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه بأعمالهم وأموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل أو مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح أو طالح ونصير تلك الاعمال في كسبه وقيمها أموال وثروته فيستفيد الغنى واليسار لا قرب وقت ثم أن الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو الى الملوكة الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفل الى من لا يملك ضرراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما ينتظم معاشهم وتيسر مصالحهم ويتم بقاؤهم لأن النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون وأنه وان ندر فقد ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاؤه ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكرام عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان أفعالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع وقد يمنع من المعاونة فيتم عملهم افلا بد من حامل يكره أبناء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورجة ربك خير مما يجمعون فقد تبين أن الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالاذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحكمهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك ولعلكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور والداخل في القضاء الالهى لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من أجل المواد فلا يقوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوى عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم ثم ان كل طبقة من طباق

أهل العمران من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من  
الطبقة السفلى يستمد بذي الجاه من أهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفا فيمن  
تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب  
المعاش ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاه  
متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقا قل لا فثله وفاقدا الجاه وان كان  
له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله أو ماله ونسبة سعيه ذاهبا وآيا في تنيته كما كثر  
التجار وأهل الفلاحة في الغالب وأهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصروا  
على فوائد صنائعهم فانهم يصيرون الى الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم  
ثروة وانما يرمقون العيش ترميقا ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة واذا تقرر ذلك  
وأن الجاه متفرع وأن السعادة والخير مقترنان بحصوله علمت أن بذله وافادته من  
أعظم النعم وأجلها وأن باذله من أجل المنعمين وانما يبذله لمن تحت يده فيكون بذله  
ببذله عالمة وعزة فيحتاج طالبه ومبتغيه الى خضوع وتعلق كما يسأل أهل العز والمال  
والا فببذله حصوله فلذلك قلنا ان الخضوع والتعلق من أسباب حصول هذا الجاه  
المحصل للسعادة والكسب وان أكثر أهل الثروة والسعادة به هذا التعلق ولهذا نجد  
الكثير من يتخلى بالترفع والشتم لا يحصل لهم غرض الجاه فيقتصرون في الكسب على  
أعمالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة \* واعلم أن هذا الكبر والترفع من الاخلاق  
المذمومة انما يحصل من توهم الكمال وأن الناس يحتاجون الى بضاعته من علم  
أو صناعة كالعلم المتبحر في علمه أو الكاتب المجيد في كتابته أو الشاعر البليغ في شعره  
وكل محسن في صناعته يتوهم أن الناس يحتاجون لما يبدعه فيحدث له ترفع عليهم بذلك  
وكذا يتوهم أهل الانساب ممن كان في آباءه ملك أو عالم مشهورا وكامل في طور يعبرون  
بمبارأه أو سمعوه من حال آباءهم في المدينة ويتوهمون أنهم استحقوا مثل ذلك بقرابتهم  
اليهم ووراثتهم عنهم فهم مستمسكون في الحاضر بالامر المعلوم وكذلك أهل الحيلة  
والبصر والتجارب بالامور قد يتوهم بعضهم كمالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه ويتجدد  
هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب الجاه ولا يملقون لمن هو أعلى  
منهم ويستصغرون من سواهم لا اعتقادهم الفضل على الناس فيستسكف أحدهم عن  
الخضوع ولو كان له ملك وبعده مذلة وهو ناوسفها ويحاسب الناس في معاملتهم  
ايام بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء مما يتوهمه من ذلك  
وربما يدخل على نفسه الهموم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستقر في عناء عظيم من  
ايجاب الحق لنفسه أو اباية الناس له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع



البشر من التأله وقل أن يسلم أحد منهم لاحد في الكمال والترفع عليه الا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقوده كما تنبئ لك مقته الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم وفقده الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي أعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقراً وفوق ذلك بقليل وأما الثروة فلا تحصل له أصلاً ومن هذا اشتر بين الناس أن الكامل في المعرفة محروم من الخط وأنه قد حوسب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الخط وهذا معناه ومن خلق لشي يسره والله المقتدر لارب سواه ولقد يقع في الدول اضراب في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك أن الدول اذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انفرد منها منبب الملك على حكمهم وسلطانهم ويتس من سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له فاذا استقرت الدولة وسمح الملك تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرب اليه بنصيحة واصطنعه السلطان لغناؤه في كثير من مهـماته فيجد كثير من السوقه يسمى في التقرب من السلطان بحجته وبعظه ويتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتملق له ولخاشيته وأهل نسبه حتى يرسخ قدمه معهم وينظمه السلطان في جلته فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة وينتظم في عدد أهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من أبناء قومها الذين ذلوا أضغانهم ومهدوا أكفاهم مغترون بما كان لا بآئهم في ذلك من الآثار لم تسمح به نفوسهم على السلطان ويعتدون بآثاره ويجرون في مضمار الدولة بسببه فيمقتسم السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى داله ولا ترفع اغدادهم الخضوع له والتملق والاعمال في غرضه متى ذهب اليه فيمتسع جاههم وتعلو منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم من قبل السلطان والمكانة عنده ويبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا بعدا من السلطان ومقتساوا يثار هؤلاء المصطنعين عليهم الى أن تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لارب سواه

٧ فصل في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتهريس والامامة

## والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب لذلك أن السكسب كما قد مناه قيمة الاعمال وأنهم متفاوتة بحسب الحاجة اليها فإذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة اليها أشد وأهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخلق وإنما يحتاج الى ما عندهم الخواص ممن أقبل على دينه وان احتجج الى القضا والقضاء في الخصومات فليس على وجه الاضططرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما يتم باقامة مراسمهم صاحب الدولة بعالمه من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لا يساويهم بأهل الشوك ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل وهم أيضا الشرف بضائعهم أعز على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على اعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم معزل عن ذلك فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب ولقد باحثت بعض الفضلاء فنكر ذلك على توقع يدي أوراق محترقة من حسابات الدواوين بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخروج وكان فيما طالعته فيه أرزاق القضا والائمة والمؤذنين فوقته عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من أسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لارب سواء

### ٨ (فصل في ان الفلاح من معاش المستضعفين واهل العافية من السوء)

وذلك لانه أصيل في الطبيعة وبسيط في منجها ولذلك لا تجده يتكلم أحد من أهل الحضرة في الغالب ولان المترفين ويحتصن متكلمة بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الادخله الذل وجعله البخاري على الاسمة كثر منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالالة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي الى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا بما تتماوله أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما إشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المقولات واعتبار الحقوق كلها مغرما للملوك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه

وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ (فصل في معنى التجارة ومنها مهنها وامتنانها)

اعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيا ما كانت السلعة من رقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا فالمحاولة لذلك الربح إما أن يحتزن السلعة ويتحين بها حواله الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله الى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض السيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة إشارة لذلك الى المعنى الذي قرناه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

١٠ (فصل في اى اصناف الناس يحترف بالتجارة وأهم ينبغي له اجتناب حرفها)

قد قدمنا أن معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من ثمن الشراء إما بالتظار حواله الاسواق أو نقلها الى بلد هي فيه أنفق وأعلى أو بيعها بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى أصل المال يسيرا لأن المال اذا كان كثيرا عظم الربح لأن القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بأيدي البساعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي أثمانها وأهل النصفة قليل فلا بد من الغش والتطفيف المجحف بالبضائع ومن المطل في الاثمان المجحف بالربح كتعطيل المحاولة في تلك المدة وبه انماؤه ومن الخلود والانكار المسكت لرأس المال ان لم يتقيد بالكتاب والشهادة وغناء الحسكام في ذلك قليل لأن الحسكام انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك أحوال الصعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التساقه من الربح الا بعظم الغناء والمشقة أو لا يحصل أو يتلاشى رأس ماله فان كان جريشا على الخصومة بصيرا بالحسبان شديد المماحكة مقداما على الحسكام كان ذلك أقرب له الى النصفة بجزائه منهم ومما حكته والا فلا بد له من جاه يدرع به بوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل الحسكام على انصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعا في الاول وكرها في الثاني وأما من كان فاقدا للجرأة والاقدام من نفسه فاقدا لجاهه من الحسكام فينبغي له أن يجتنب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير مأكلة للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لأن الغالب في الناس وخصوصا الرعاع والباعة شرهون الى ما في أيدي الناس سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الاحكام لاصبحت أموال الناس نهبا



ولو لدفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

١١ (فصل في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشرف والملوك)

وذلك أن التجار في غالب أحوالهم إنما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة ضرورة فإن اقتصر عليها اقتصرت به على خالقها وهي أعنى خلق المكايسة بعيدة عن المروءة التي تخلق بها الملوك والاشراف وأما ان استزدل خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلاية وتعاهد الايمان الكاذبة على الاثمان ردا وقبولا فأجد رب ذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجد أهل الرياسة يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماها اشرف نفسه وكرم جلاله الا أنه في السادر بين الوجود والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه وهو رب الاولين والآخرين

١٢ (فصل في نقل التاجر للسلع)

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الاما تهم الحاجة اليه من الغنى والفقر والسلطان والسوقة اذ في ذلك نفاق سلعته وأما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاق سلعته حينئذ باعوا والشراء من ذلك البعض لعارض من العوارض فتم كسده سوقه وتفسد أرباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من صنفها فان العالى من كل صنف من السلع انما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليحتج ذلك جهده فقيه نفاق سلعته أو كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحا وكفل بحالة الاسواق لان السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدها مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلت أثمانها وأما اذا كان البلد قريب المسافة والطريق سائلا بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعدهم عن مشقة واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في أماكن معلومة يهتدى اليها أدلاء الركب فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة تدبنا فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من

تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من أجل ذلك وكذلك المسافرين من بلادنا الى  
المشرق لبعده الشقة أيضا وأما المترددون في أفق واحد ما بين أمصاره وبلدانه  
فقلبتهم قليلة وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة  
المتين

### (فصل في الاحتكار)

١٣

وما اشتهر عند ذوى البصر والتجربة في الأمصار أن احتكار الزرع لتحين أوقات  
الغلاء مشؤم وأنه يعود على فائده بالتلف والخسران وسببه والله أعلم أن الناس  
لحاجتهم الى الاقوات مضطرون الى ما يبدلون فيها من المال اضطرار اقتبى النفوس  
متعلقة به وفي تعلق النفوس بما لها امر كبير وبالله على من يأخذه مجانا ولعله الذي  
اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجانا فالنفوس  
متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات  
والمأكولات من المسعات لا اضطرار للناس اليها وانما يبعثهم عليها التفنن في  
الشهوات فلا يبدلون أموالهم فيها الا باختيار وحرص ولا يبق لهم تعلق بما اعطوه  
فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما يأخذه  
من أموالهم فيفسد ربحه والله تعالى أعلم \* وسمعت فيما يناسب هذا حكاية  
طريفة عن بعض مشيخة المغرب أخبرني شيخنا أبو عبد الله الأبلق قال حضرت عند  
القاضي بفاس لعهد السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن الملبلي وقد عرض عليه  
أن يختار بعض الالقاب المخزنية لحرايته قال فأطرق مليا ثم قال لهم من معكم  
الخمر فاستضحك الحاضرون من أممائه وعجبوا وسألوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت  
الجبايات كلها حراما فأختار منها ما لا يتابعه نفس معطيه والخمر قل أن يبدل فيها أجدماله  
الا وهو طرب مسرور بوجوده غير أسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة غريبة  
والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

### ١٤ (فصل في ان رخص الاسعار مضر بالمعترفين بالرخص)

وذلك أن الكسب والمعاش كما قدمناه انما هو بالصنائع أو التجارة والتجارة هي شراء  
البضائع والسلع واذا خارها يتحين بها حوالة الاسواق بالزيادة في أثمانها ويسمى ربحا  
ويحصل منه الكسب والمعاش للمعترفين بالتجارة دائما فاذا استديم الرخص في سلعة  
أو عرض من مأكول أو ملبوس أو ممتول على الجملة ولم يحصل لتاجر حوالة الاسواق  
فسد الربح والنماء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التجار عن السعي

فيها وفسدت رؤس أموالهم واعتبر ذلك أولاً بالزرع فانه اذا استديم رخصه يفسد به حال المحترفين بسائر أطوارهم من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه وندارته أو فقده فيفقدون النماء في أموالهم أو يجدونه على قلة ويعودون بالاتفاق على رؤس أموالهم وتفسد أحوالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين أيضاً بالطحن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث الى صيورته ما كولا وكذا يفسد حال الجنود اذا كانت أرزاقهم من السلطان على أهل الفلح زرعاً فانها تقل جبايتهم من ذلك ويجزون عن إقامة الجندي التي هم بسببها ومطالبون بها ومنقطعون لها فتفسد أحوالهم وكذا اذا استديم الرخص في السكر والعسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا استديم فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يحجب بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا الغلاء المفرط أيضاً وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتقررة بين أهل العمران وانما يحمى الرخص في الزرع من بين المبيعات اعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغنى والفقير والعالة من الخلق هم الاكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

### ١٠ ( فصل في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعبارة من المرواة )

قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب القوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحكة والتخذاق وممارسة الخصومات والمجاج وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الارصاف نقص من الذكاء والمرواة وتجرح فيها لان الافعال لا بد من عود آثارها على النفس فأفعال الخير تعود بآثار الخير والذكاء وأفعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة عن الافعال وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم فمن كان منهم سافل الطور ومخالف الاشرار الباعة أهل الغش والخلاية والفجور في الاثمان اقراراً وانكاراً كانت ردة تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المرواة واكتسابها بالجملة والافلا بقله من تأثير المكايسة والمماحكة في مروءته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي



قد مناه في الفصل قبله أنهم يتدعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر وأقل من النادر وذلك أن يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب أو ورثة عن أحد من أهل بيته فحصل له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين أهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه إلى من يقوم له به من ركلانه وحشمه ويسهل له الحكام النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره واتحافه فيبعدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر فتكون مر واثمهم أرسخ وأبعد عن تلك الحاجة الأمايسرى من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون إلى مشاركة أحوال أولئك الوكلاء ووافقهم أو خلافهم فيما يأتون أو يذرون من ذلك لأنه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وماتعملون

### ١٦ (فصل في أن الصنائع لا بد لها من العلم)

(اعلم) أن الصناعة هي ملكة في أمر على تفكرى وبكونه عمليا هو جسماني محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أو عب لها أو أكمل لأن المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة ونقل المعايينة أو عب وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكفايات والمتممة تقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولا ولأنه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقا في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدرج حتى تسكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في أزمان وأجيال اذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لاسيما في الامور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع خرجت من القوة إلى الفعل وتنقسم الصنائع أيضا إلى ما يختص بأمر المعاش ضروريا كان أو غير ضروري وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصة بالانسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الاول الحياكة والجزارة والتجارة والحدادة وأمثالها ومن الثاني الوراقة وهي

معاينة الكتب بالانتساخ والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك ومن  
الثالث الجندية وأمثالها والله أعلم

١٧ (فصل في أن الصنائع إنما تكمل بحال العمران الحضري وكثرة)

والسبب في ذلك أن الناس ما لم يستوف العمران الحضري وتمتد المدينة انما  
همهم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الخنطة وغيرها فاذا تمت  
المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ الى  
الكالات من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم انما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز  
به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضروريته على  
العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وهي مقدار عمران البلد تكون جودة  
الصنائع للتأنيق فيها حينئذ واستجداد ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة  
وأما العمران البدوي فأوال قليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل  
في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار واذا وجدت هذه بعد  
فلا توجد فيه كاملة ولا مستجددة وانما يوجد منها بقدر الضرورة اذ هي كلها وسائل  
الى غيرها وليست مقصودة لذاتها واذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكالات كان  
من بطلتها التأنيق في الصنائع واستجدادها فكم ملت بجميع ممتعاتها وتزايدت صنائع  
أخرى معها مما تدعو اليه عوائد الترف وأحواله من جزار ودباغ وخزاز وصائغ  
وأمثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران الى ان يوجد منها كثير من  
الكالات والتأنيق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصر لتكملها بل تكون  
فائدتها من أعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف في المدينة مثل الدهان والصغار  
والحمى والطباخ والسفاح والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على  
التوقييع ومثل الوراقين الذين يعاونون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتجميعها  
فان هذه الصناعة انما يدعو اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية  
وأمثال ذلك وقد تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن  
أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والجر الانسية وتخييل أشياء من العجائب  
بايهاهم قلب الاعيان وتعليم الحدا والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع  
الانقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان  
عمران أمصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة أدام الله عمراتها بالمسلمين

١٨ (فصل في أن رسوم الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها)

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد للعمران وألوان والعوائد انما ترسخ  
بكثرية التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال واذا  
استحكمت الصبغة عسر نزاعها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استعمرت في الحضارة  
لما تراجع عمراتها وتنقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من  
الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبلغها في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان  
أحوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال  
وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فانما نجد فيها  
رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد  
أمصارها كالمباني والطبخ وأصناف الغناء واللهو من الآلات والاوراق والرقص  
وتنضيد الفرش في القصور وحسن الترتيب والاوزاع في البناء وصوغ الآنية من  
المعادن والخزف وجمع المواعين وإقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعو  
اليها الترف وعوائده فتجدهم أقوم عليها وأبصر بها وتجد صنائعها مستحكمة لديهم  
فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميزين جميع الامصار وان كان عمرها قد  
تناقص والكثير منه لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدو وما ذاك الا لما قدمناه من  
رسوخ الحضارة فيهم بروح الدولة الأموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدهما من  
دولة الطوائف الى هلم جرت قبلت الحضارة فيهما مبلغا لم يبلغه في قطر الاما ينقل عن  
العراق والشام ومصر أيضا الطول آما الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكلت  
جميع أصنافها على الاستحادة والتميق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تنفارق  
الى أن ينة قضى بالكلية حال الصبغ اذ ارسخ في الثوب وكذلك أيضا حال تونس فيما  
حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها  
في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا أنه متضاعف  
برسوم منها تنقل اليها من مصر لقرب المسافة بينهم ما وتردد المسافرين من قطرها الى  
قطر مصر في كل سنة وربما سكن أهلها هنالك عصورا فينقلون من عوائد ترفهم ومحكم  
صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت أحوالها في ذلك متشابهة من أحوال  
مصر لما ذكرناه ومن أحوال الاندلس لما ان أكثر ساكنها من شرق الاندلس حين  
الجلاء لعهد المائة السابعة ورسخ فيها من ذلك أحوال وان كان عمرها ليس بمناسب  
لذلك لهذا العهد الا أن الصبغة استحكمت فقليل ما تحول الازوال محلها وكذا نجد  
بالقيروان ومراكش وقلعة بن حماد أثر باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا  
أو في حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع آثارا



تدله على ما كان بها كآثر الخط المحو في الكتاب والله الخلاق العليم

١٩ (فصل في ان الصنائع انما تستجد ونثر اذا كثر طال بها)

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان الانسان لا يسمع بعمله أن يقع مجانا لانه كسبه ومنه معاشه اذ لا فائدة له في جميع عمره في شئ مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها الاتفاق كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع فتجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاختصت بالترك وفقدت للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن بمعنى أن صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو معاشه وأيضا فهنا سر آخر وهو أن الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها ومالم تطلبه الدولة وانما يطلبها غيرهما من أهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها اتفاق كل شئ والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فاتفق منها كان أكثر يا ضرورة والسوقة وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافعة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

٢٠ (فصل في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع)

وذلك لما يبين أن الصنائع انما تستجد اذا احتيج اليها وكثر طلبها واذا ضعفت أحوال المصر وأخذ في الهرم بانتقاض عمرانه وقلة ساكنيه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصاد على الضروري من أحوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه فيفتر الى غيرها أو يموت ولا يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنائع بجله كما يذهب النقاشون والصواغ والكتاب والنساخ وأمثالهم من الصنائع لحاجات الترف ولا تزال الصناعات في التناقص ما زال المصر في التناقص الى أن تضمحل والله الخلاق العليم سبحانه وتعالى

٢١ (فصل في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع)

والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من الصنائع وغيرها والعجم من أهل المشرق وأمم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس عليهم لانهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي أعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في البدو ومفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها والرمال المهينة لتساجها ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل

الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر آخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند  
وأرض الترك وأم النصرانية كيف استكثرت فيهم الصنائع واستجلبها الامم من  
عندهم وعجم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ أحقاب  
من السنين ويشهد لك بذلك قلة الامصار بقطرهم كما قدمناه فالصنائع بالمغرب لذلك  
قليلة وغير مستحكمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والجلد في خرزه ودبغه  
فانهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون هذين أغلب السلع  
في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة وأما المشرق فقد رسخت الصنائع فيه منذ ملك  
الامم الاقدمين من الفرس والنبط والقبط وبنى اسرائيل ويونان والروم أحقابا  
متطاولة فرسخت فيهم أحوال الحضارة ومن جملتها الصنائع كما قدمناه فلم يمح رسمها وأما  
الين والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكه العرب الا أنهم تداولوا ملكه آلافا من  
السنين في أم كثيرين منهم واختطوا أمصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترفع  
مثل عاد وعود والعماقية وحسين بعدهم والتابعة والاذواء فطال أمد الملك  
والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت فلم تبلى الدولة كما قدمناه  
فبقيت مستحكمة حتى الآن واختصت بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصب وما  
يستجد من حول الثياب والحريز فيها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير  
الوارثين

### ٢٢ (فصل فيمن حصلت له ملكة في صناعة نقل ان يجيد بها ملكة في اخرى)

ومثال ذلك الخياط اذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورسخت في نفسه فلا يجيد من  
بعدها ملكة التجارة أو البناء الا أن تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها  
والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدحم دفعة ومن كان على  
الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا للحصول لها فاذا تلونت النفس  
بالمملكة الاخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه  
المملكة فكان قبولها للمملكة الاخرى أضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل أن تجيد  
صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها أخرى ويكون فيهما على رتبة واحدة  
من الاجادة حتى ان أهل العلم الذين ملكتهم فكريه فهم بهذه المثابة ومن حصل منهم  
على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل أن يجيد ملكة علم آخر على نفسه بل  
يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومبنى سببه على ما ذكرناه  
من الاستعداد وتلويته بلون المملكة الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه  
التوفيق لاربه سواه

(فصل في الاشارة الى اهمات الصنائع)

٢٣

اعلم أن الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشد عن الحصر ولا يأخذها العدا إلا أن منها ما هو ضروري في العمران أو شريف بالموضوع فنخصها بالذكور ونترك ما سواها فأما الضروري فالصلاح والبناء والحيطة والتجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضوع فالكثولمة والكتابة والوراقة والغناء والطب فأما التولية فانه ضرورية في العمران وعامة البلوى اذ به يحصل حياة المولود ويتم غالباً وموضوعها مع ذلك المولودون وأمهاتهم وأما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان وأما الكسابة وما يتبعها من الوراقه فهي حافظة على الانسان حاجته ومقدمة لها عن النسيان ومبلغه ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني وأما الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة داع الى مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس أنسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة وممثلة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله أعلم بالصواب

(فصل في صناعة الفلاحة)

٢٤

هذه الصناعة غمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على ائارة الارض لها وازدراعها وعلاج نباتها وتعهدها بالسقي والتنمية الى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وفيه سبيل أسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالباً اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء الا من دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو اذ قدمنا أنه أقدم من الحضرة وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضرة ولا يعرفونها لان أحوالهم كلها ثابته على البداوة فصنائعهم ثابته عن صناعاتها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد فيما أراد

(فصل في صناعة البناء)

٢٥

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضرة وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى للابدان في المدن وذلك أن الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ



البيوت المكنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر مختلف في هذه الجبلية  
 التفكيرية فتنهم المعتدلون فيها يتخذون ذلك باعتماد أهالي الثاني والثالث والرابع  
 والخامس والسادس وأما أهل البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم من  
 إدراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والـ كهموف المعتدة من غير علاج ثم  
 المعتدلون المتخذون للمأوى قديمة كاثرون في البسيط الواحد بحيث يتناكرون  
 ولا يتعارفون فيخشون طرق بعضهم بعضا فيحتاجون إلى حفظ مجتمعتهم بإدارة ماء  
 أو أسوار تحوطهم ويصير جميع مدينة واحدة ومصر واحد ويحوطهم الحكماء من  
 داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون إلى الاتصاف ويتخذون المعادل  
 والحصون لهم ولن تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معنائهم من الأمراء وكبار القبائل  
 في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصلطعون عليه ويناسب مزاج هوائهم  
 واختلاف أحوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة الواحدة فتنهم من يتخذ  
 القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة  
 لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكس ويعال  
 عليها بالاصبغة والحص و ي بالغ في ذلك بالتجديد والتتميق اظهار البسطة بالعناية في شأن  
 المأوى ويهيئ مع ذلك الاسراب والمطامير للاختزان لاقواته والاصطبلات لربط مقرباته  
 اذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والحاشية كالأمراء ومن في معنائهم ومنهم من  
 يبني الدورية والبيوت لنفسه وسـ ك منه وولده لا يتغنى ما وراء ذلك لقصور حاله عنه  
 واقتصاره على الكن الطبيعي للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج لهذه  
 الصناعة أيضا عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والهيما كل المرتفعة  
 و ي بالغون في اتقان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبلغها وهذه  
 الصناعة هي التي تصل الدواعي لذلك وأكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة  
 من الرابع وما حواله اذا الاقاليم المنحرفة لانهاء فيها وانما يتخذون البيوت حظائر من  
 القصب والطين وانما يوجد في الاقاليم المعتدلة وأهل هذه الصناعة القائمون عليها  
 متعاونون فتنهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي تنوع أنواعا كثيرة فتنها البناء بالحجارة  
 المنجدة يقام بها الجدران ملصقا بعضها إلى بعض بالطين والكس الذي يعقد معها ويلتحم  
 كأنها جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذها الوحان من الخشب مقدران طولاً  
 وعرضاً باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربعة أذرع في ذراعين فينصبان على  
 أساس وقد يوضع ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع  
 من الخشب يربط عليها بالحبال والجدران ويستد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما

بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلوطا بالكس ويركز بالمركز المعدة حتى  
 ينعم ركزه ويختلط أجراؤه ثم يزداد التراب ثانيا والثالث إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين  
 وقد تداخلت أجزاء الكس والتراب وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على  
 الصورة ويركز كذلك إلى أن يتم وينظم الألواح كلها سطورا من فوق سطر إلى أن ينظم  
 الحائط كله ملتحما كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب ومن صنائع  
 البناء أيضا أن تجل الحيطان بالكس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين  
 على قدر ما يعتدل من أفرط النارية المفسدة للحام فإذا تم له ما يرضاه من  
 ذلك علاه من فوق الحائط وذلك إلى أن يلتحم ومن صنائع البناء عمل السقف بأن يمد  
 الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك  
 موصولة بالدساتر ويصب عليها التراب والكس ويسط بالمراكي حتى تتداخل  
 أجزاءها وتلتحم ويعلو عليها الكس كما يعلو على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع  
 إلى التتميق والتزين كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يخمر بالماء  
 ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل فيشك كل على التناسب تخريما بمشاقب الحديد إلى أن  
 يبقى له رونق ورواء وربما عول على الحيطان أيضا بقطع الرخام والآجر والخزف أو  
 بالصدف أو السج يفصل أجزاء متجانسة أو مختلفة وتوضع في الكس على نسب  
 وأوضاع مقدرة عندهم يبدو به الحائط للعيان كأنه قطع الرخام المنسجمة إلى غير ذلك  
 من بناء الجباب والصهاريج لسفح الماء بعد أن تعد في البيوت قصاع الرخام القوواء  
 المحكمة الخراط بالفوهات في وسطها النبع الماء الجاري إلى الصهريج يجلب إليه من  
 خارج في القنوات المفضية إلى البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء وتختلف الصنائع  
 في جميع ذلك باختلاف الخلق والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر ونور بها  
 يرجع الحكماء إلى نظرها ولا فيما هم أبصر به من أحوال البناء وذلك أن الناس  
 في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهواء للأعلى والأسفل  
 ومن الانتفاع بظواهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من  
 ذلك. إلا ما كان له فيه حق ويختلفون أيضا في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية  
 والفضلات المسربة في القنوات وربما يدعى بعضهم حق بعض في حائطه أو علوه أو  
 قناته لتضايق الجوار أو يدعى بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج  
 إلى الحكم عليه به. دمه ودفع ضرره عن جاره عندهم من يراه أو يحتاج إلى قسمة دارا أو  
 عرصه بين شر يكين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا إهمال لمنفعة أو أمثال ذلك  
 ويخفى جميع ذلك الأعلى أهل البصر العارفين بالبناء وأحواله المستدلين عليهم بالمعاقد

والقبط ومراكز الخشب وميل الحيطان واعتمد الهاوقسم المساكين على نسبة  
أوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات مجلوبه ومر فوعة بحيث لا تضرب بما  
مرت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهم بهذا كله البصر والخبرة التي ليست  
لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في الاجيال باعتبار الدول وقوتها  
فانا قد منا أن الصنائع وكما لها انما هو بكمال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب لها فذلك  
عند ما تكون الدولة بدوية في أول أمرها تنفق في أمر البناء إلى غير قطرها كما وقع  
للولايد بن عبد الملك حين أجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث  
إلى ملك الروم بالقسطنطينية في الفعلة الماهرة في البناء فبعث إليه منهم من حصل له  
غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة مثل  
تسوية الحيطان بالوزن واجراء المياه بأخذ الارتفاع وأمثال ذلك فيحتاج إلى البصر  
بشيء من مسائله وكذلك في جبر الاثقال بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالطجارة  
الكبيرة يجز قدر الفعلة عن رفعها إلى مكانها من الحائط فيتميل لذلك بمضاعفة قوة  
الحبل بادخاله في المعاليق من أنقاب مقدرة على نسب هندسية تصير الثقل عند معاناة  
الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلفة وهذا انما يتم بأصول هندسية معروفة متداولة  
بين البشر وبمثلها كان بناء الهياكل المائلة لهذا العهد التي يحسب الناس أنهم من  
بناء الجاهلية وان أبدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك وانما تم  
لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه فقههم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

### ٢٦ (فضل في صناعة التجارة)

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى  
جعل للآدمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته وكان  
منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر عما هو معروف لكل أحد ومن منافعها  
اقتناذها خشبها اذا يبست وأول منافعها أن يكون وقود للنيران في معاشهم وعصيا  
للاتسكاك والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم لما يخشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك  
منافع أخرى لاهل البدو والحضر فاما أهل البدو فيتخذون منها العمود والوتاد لحياتهم  
والحدود لظعناتهم والرماح والقسي والسهام لسلحهم واما أهل الحضر فالسقف  
لبيوتهم والاغلاق لابوابهم والكراسي الجلوسهم وكل واحدة من هذه فانحسبة مادة  
لها ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المصلحة لكل  
واحد من صورها هي التجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب



أولاً أما بحشب أصغر منه أو ألواح ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو  
 في كل ذلك يحاول بصنعة أعداء تلك الفصائل بالانتظام إلى أن تصير أعضاء ذلك  
 الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم  
 إذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنعة من سقف  
 أو باب أو كرسي أو ما عون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجادة به فغرائب من  
 الصناعة كمالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ومثل  
 تهينة القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم برسمه وتنشكيلها ثم تواف على نسب  
 مقدرة وتلهم بالذات فتبدل رأي العين ملتحة وقد أخذ منها اختلاف الاشكال على  
 تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجئ أنق ما يكون وكذلك في جميع  
 ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى  
 هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدر وهي أجرام هندسية  
 صنعت على قالب الحوت واعتبار سبجه في الماء بقوامه وكل كاهه ليكون ذلك الشكل  
 أعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسماك تحريك  
 الرياح وربما أعينت بمحرك المقاذيف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من أصلها  
 محتاجة إلى أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها لأن أخراج الصور من القوة إلى  
 الفعل على وجه الأحكام محتاج إلى معرفة التناسب في المقادير أماً عموماً وأخصوصاً  
 وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع إلى المهندس ولهذا كان أئمة الهندسة  
 اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة فكان أوكليدس صاحب كتاب الأصول  
 في الهندسة نجاراً وبها كان يعرف وكذلك أبلونيوس صاحب كتاب الخروطات  
 وميلاوش وغيرهم وفيما يقال أن معلم هذه الصناعة في الحقيقة هو نوح عليه  
 السلام وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها مجهزة عند الطوفان وهذا الخبر  
 وإن كان محكماً أعني كونه نجاراً الآن كونه أول من علمها أو تعلمها لا يقوم دليل من  
 النقل عليه لبعده الآماد وانما معناه والله أعلم الإشارة إلى قدم التجارة لأنه لم يصح  
 حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام فجعل كائنه أول من تعلمها فنفهم استمرار  
 الصنائع في الخليفة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(فصل في صناعة الجيا كرو النماطة)

٢٧

هاتان الصناعتان ضرورتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه فالأولى  
 لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سداً في الطول والحما في العرض لذلك

التسج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة فنها الاكسية من الصوف للاشتغال  
ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على  
اختلاف الاشكال والعوائد تفصل أولا بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ثم  
تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلاتاً وتبيناتاً وتقسيماتاً على حسب نوع الصناعة  
وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون  
الاثواب اشتغالاً وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذهب  
الحضارة وفنونها وقصم هذا في سر تحرير الخيط في الحنج لما أن مشروعية الحنج مشتملة  
على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا أول مرة حتى لا يعلق  
العبد قلبه بشئ من عوائد ترفه لا طيباً ولا نساء ولا مخيطاً ولا خفا ولا تعرض لصيد ولا  
لشئ من عوائده التي تلونت به نفسه وخلقه مع أنه يفقدها بالموت ضرورة وانما يجيء  
كأنه وارد الى المحشر ضار عاب قلبه مخلص الربه وكان جزاؤه ان تم له اخلاصه في ذلك أن  
يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمته سبحانه ما أرفقك بعبادك وأرجحك بهم في طلب  
هدايتهم اليك \* وهاتان الصنعتان قديمتان في الخلقة لما أن الدف ضروري  
للشرف في العمران المعتدل وأما المنحرف الى الحرف فلا يحتاج أهله الى دف ولهذا يبلغنا  
عن أهل الاقليم الاول من السودان أنهم مراة في الغالب ولقد قدم هذه الصنائع بنسبها  
العامّة الى ادريس عليه السلام وهو أقدم الانبياء وربما ينسبونهم الى هرمس وقد  
يقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

### (فصل في صناعة التوايس)

٢٨

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الا آدمي من بطن أمه من الرفق  
في اخراجه من رحمها وتهية أسباب ذلك ثم ما يصلح به بعد الخروج على ما ذكره وهي  
مختصة بالنساء في غالب الامر لما أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسمى  
القائمة على ذلك منهن القابلة استعير فيها معنى الاعطاء والقبول كأن النفساء تعطى  
الجنين وكلها تقبله وذلك أن الجنين اذا استكمل خلقه في الرحم وأطواره وبلغ الى  
غاياته والمدة التي قدر الله لمكته وهي تسعة أشهر في الغالب فيطلب الخروج بما جعل  
الله في المولود من النزوع لذلك ويضيق عليه المنفذ فيعسر وربما مضى بعض جوانب  
الفرج بالضغط وربما انقطع بعض ما كان في الاغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم  
وهذه كلها آلام يشتد لها الوجع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض  
الشئ بغمز الظهر والوركين وما يمازى الرحم من الاسافل تساوق بذلك فعل الدافعة

في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهتدى الى معرفة عسره ثم  
 اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصلة من  
 سرته بمعاء وتلك الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث  
 لا تتعدى مكان الفضلة ولا تضر بمعاء ولا برحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي  
 أو بماتراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه في ذلك المنفذ الضيق وهو  
 رطب العظام سهل الانعطاف والانشاء فربما تغير أشكال أعضائه وأوضاعها القرب  
 التكوين ورطوبة المولد فتتناوله القابلة بالغمز والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله  
 الطبيعي ووضعها المقدر له ويرتد خلقه سويًا ثم بعد ذلك تراجع النفساء وتحاذيها  
 بالغمز والملاينة لخروج أغشية الجنين لانهار بماتأخر عن خروجه قليلا ويخشى عند  
 ذلك أن تراجع الماسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الأغشية وهي فضلات  
 قتعفن ويسرى عنها الى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة  
 الدفع الى أن تخرج تلك الأغشية ان كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتخرج  
 أعضاءه بالادهان والذورات القابضة لتشدّه وتجنّف رطوبات الرحم وتجنّكه لرفع  
 لهاته وتسعطه لاستفراغ بطون دماغه وتفرغ غره باللعوق لدفع السدد من معاءه  
 وتجويفها عن الالتصاق ثم تدأوى النفساء بعد ذلك من الوهن الذي أصابها بالطلق  
 وما لحق رجهام من ألم الانفصال اذا المولود ان لم يكن عضوًا طبيعيًا خالًا التكوين في  
 الرحم صيرته بالاتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله ألم يقرب من ألم القطع  
 وتداوى مع ذلك ما يلحق الفرج من ألم من براحة التزييق عند الضغط في الخروج  
 وهذه كلها أدواء نجد هؤلاء القوابل أبصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدة  
 الرضاع من أدواء في بدنه الى حين الفصال فنجد هن أبصر بهن من الطبيب الماهر  
 وما ذاك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة انما هو بدن انساني بالقوة فقط فاذا جاوز  
 الفصال صار بدن انساني بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب أشدّ فهذه الصناعة  
 كما تراه ضرورية في العمران للنوع الانساني لا يتم كون أشخاصه في الغالب دونها  
 وقد يعرض لبعض أشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بخلق الله ذلك لهم  
 معجزة وخرق العادة كما في حق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أو بالهام وهداية يلهم  
 لها المولود ويفطر عليهم فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة فأما شان المعجزة من ذلك  
 فقد وقع كثيرًا ومنه ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم ولده سرورًا محتونا واضعا  
 يديه على الارض شاخصا بصره الى السماء وكذلك شان عيسى في المهد وغير ذلك وأما  
 شأن الالهام فلا يشكر واذا كانت الحيوانات العجم تحتص بغرائب من الالهامات



كالنحل وغيرها فاطنك بالانسان المفضل عليها وخصوصا بمن اختص بكرامة الله \* ثم  
 الالهام العام للمولودين في الاقبال على الشدى أو وضع شاهد على وجود الالهام العام  
 لهم فشان العناية الالهية أعظم من أن يحاط به ومن هنا يفهم بطلان رأى الفارابي  
 وحكام الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكتونات  
 وخصوصا في النوع الانساني وقالوا وانقطعت اشخاصه لاستحالة وجودها بعد  
 ذلك لتوقفه على هذه الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون  
 هذه الصناعة وكفالتها الى حين الفصال لم يتم بقاؤه أصلا ووجود الصنائع دون الفكر  
 ممنوع لانها ثمرته وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الرأي لمخالفته اياه وذهابه  
 الى امكان انقطاع الانواع وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانيا لاقتضات فلسفة  
 وأوضاع غريبة تندر في الاحقاب برغمه فمقتضى تخمير طينة مناسبة لمزاجه بجمرة  
 مناسبة فيتم كونه انسانا ثم يقيض له حيوان يخلق فيه الهام لترتيبه والحقن عليه الى  
 أن يتم وجوده وفصاله وأظن في بيان ذلك في الرسالة التي سماها رسالة حتى بن يقظان  
 وهذا الاستدلال غير صحيح وان كانوا فقه على انقطاع الانواع لكن من غير ما استدلت  
 به فان دليله مبني على اسناد الافعال الى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار  
 يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختارين الافعال والقدرة القديمة ولا حاجة  
 الى هذا التكلف \* ثم لو سلمنا جدلا فغاية ما ينبغي عليه اطراد وجود هذا الشخص  
 بخلق الالهام لترتيبه في الحيوان الاعمى وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان الالهام  
 يخلق في الحيوان الاعمى فما المانع من خلقه للمولود نفسه كما قرناه أولا وخلق  
 الالهام في شخص لمصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلا المذهبين شاهدان  
 على أنفسهما بالبطلان في مناحيهم ما قررت له لك والله تعالى أعلم

### ٢٩ (فصل في صناعة الطب وانما محتاج اليها في الحاضر والامصار دون البادية)

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها فان ثمرتها حفظ الصحة  
 للاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداد او اذ حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم واعلم  
 أن أصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث  
 الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء وأصل كل داء البردة فأما  
 قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر وأما قوله الحمية رأس الداء فالحمية الجوع وهو  
 الاحتماء من الطعام والمأني أن الجوع هو الداء العظيم الذي هو أصل الادوية وأما  
 قوله أصل كل داء البردة فعني البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتم

هضم الاكل وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله  
بالاكل وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية الى أن يصير دما ملائما لأجزاء البدن من  
اللحم والعظم ثم تأخذه النامية فينقلب لحما وعظما ومعنى الهضم طبخ الغذاء بالحرارة  
الغريزية طوراً بعد طور حتى يصير جزءاً بالفعل من البدن وتفسيره أن الغذاء إذا حصل  
في الفم ولا كتمه الاشدق أثرت فيه حرارة الفم طبخا يسيراً وقلبت من أجه بعض الشيء  
كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً ثم أجدها مضغاً فترى من أجهها غير مزاج الطعام  
ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعدة الى أن يصير كيموساً وهو مصفو ذلك المطبوخ  
وترسله الى الكبد وترسل ما رسب منه في المعائن لا ينقل الى المخرجين ثم تطبخ حرارة  
الكبد ذلك الكيموس الى أن يصير دما عبيطاً ونطفو عليه رغو من الطبخ هي الصفراء  
وترسب منه أجزاء يابسة هي السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ  
الغليظ منه فهو البلم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول ويأخذها طبخ الحار  
الغريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار يطبخ به الروح الحيواني وتأخذ  
النامية مأخذها في الدم فيكون الحما ثم غليظه عظاماً ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته  
من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والدمع وهذه صورة الغذاء  
وخروجه من القوة الى الفعل الحما ثم أن أصل الامراض ومعظمها هي الحميات وسيبها  
أن الحار الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك  
الغذاء دون نضج وسببه غالباً كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون أغلب على الحار الغريزي  
أو ادخال الطعام الى المعدة قبل أن تستوفي طبخ الاقل فيستقل به الحار الغريزي  
ويترك الاقل بحاله أو يتوزع عليه ما فيه قصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك  
الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد أيضاً على انضاجه وربما بقي في الكبد من الغذاء  
الاقل فضله غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا أخذ  
البدن حاجته الملائمة أرسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللعاب ان  
اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتترايد  
مع الايام وكل ذي رطوبة من الممتزجات اذا لم يأخذها الطبخ والنضج يعفن فيتعفن ذلك  
الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل متعفن ففيه حرارة غريبة وتلك هي المسماة  
في بدن الانسان بالحما واختبر ذلك بالطعام اذا ترك حتى يتعفن وفي الزبل اذا تعفن أيضاً  
كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فهذا معنى الحميات في الابدان وهي رأس  
الامراض وأصلها كما وقع في الحديث وهذه الحميات علاجها بقطع الغذاء عن المريض  
أسابيع معلومة ثم يناوله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج

في التحفظ من هذا المرض وأصله كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو  
مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث جراحات في البدن أتما في الاعضاء  
الرئيسة أو في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة له هذه  
كلها جماع الامراض وأصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله من فروع الى الطبيب  
ووقوع هذه الامراض في أهل الحضرة والامصار أكثر لخصب عيشهم وكثرة ما كلهم  
وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم تناولها وكثيرا ما يخلطون  
بالاغذية من التوابل والبقول والقواصم رطبا ويابس في سبيل العلاج بالطبخ ولا  
يقتصرون في ذلك على نوع أو أنواع فربما عددنا في اليوم الواحد من ألوان الطبخ  
أربعين نوعا من النبات والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون غريبا عن  
ملاءمة البدن وأجزائه ثم ان الاهوية في الامصار تنفسد بمخالطة البهجة العفنة من  
كثرة الفضلات والاهوية منشطة للارواح ومقوية بنشاطها الاثر الحار الغريزي  
في الهضم ثم الرياضة مفقودة لاهل الامصار اذهب في الغالب وادعون ساكنون  
لاتأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم أثر افسكان وقوع الامراض كثيرا في المدن  
والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة وأما أهل البدو فكلهم  
قليل في الغالب والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن  
أنهم اجبله لاستقرارها ثم الادم قليله لديهم أو مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل  
والقواصم انما يدعو اليه ترف الحضارة الذين هم معزل عنه فيتناولون أغذيتهم ببساطة  
بعيدة عما يحاطها ويقرب من اجها من ملاءمة البدن وأما أهوية يتهم فقليل العفن  
لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا أهليين أو لاختلاف الاهوية ان كانوا اطواعا  
ثم ان الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات  
لمهنة أنفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كله الهضم ويجودو يفقد ادخال الطعام على  
الطعام فتكون أمراضهم أصلح وأبعد من الامراض فتقل حاجتهم الى الطب  
ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه وماذا لا الالاس متغناء عنه اذ لو احتيج اليه  
لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعو الى سكاه سنة الله التي قد خلت في عباده  
ولن تجد لسنة الله تبديلا

### ٣٠ (فصل في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية)

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو  
ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي



يميز بها عن الحيوان وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلد  
البعيد فتقضي الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف  
وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع  
وخروجه في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع  
والعمران والتناغم في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة أذهو من  
جمله الصنائع وقد قدمن أن هذا شأنها وأنها تابعة للعمرة ولهذه النجدة أكثر  
البدو أميين لا يكتبون ولا يقرؤون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصراً وقراءته  
غير نافذة ونجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عمرانها عن الحدّ أبلغ وأحسن وأسهل  
طريقاً للاستحكام الصنعة فيها كما يحكي لنا عن مصر لهذا العهد وأن بها معلمين منتصبين  
لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاماً في وضع كل حرف ويزيدون إلى ذلك  
المباشرة بتعليم وضعه فتعتمد لديه رتبة العلم والخس في التعليم وتأني ملكته على أتم  
الوجوه وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال وقد  
كان الخط العربي بالغامبا لغه من الأحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت  
من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحيري وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من  
دولة آل المنذر نسباً التبابعة في العصبية والمجدين للملك العرب بأرض العراق ولم  
يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت  
الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنمه أهل الطائفة  
وقريش فيما ذكر يقال أن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية وبنو آل حرب  
ابن أمية وأخذها من أسلم بن سيرة وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها  
من أياد أهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا \* ساروا جميعاً والخط والقلم

وهو قول بعيد لأن أياداً وانزلوا ساحة العراق فلم يزلوا على شأنهم من البدو والخط  
من الصنائع الحضارية وإنما معنى قول الشاعر أنهم أقرب إلى الخط والقلم من غيرهم  
من العرب لقربهم من ساحة الأمصار ووضواحيها فالقول بأن أهل الحجاز ألقنوها  
من الحيرة ولقنهم أهل الحيرة من التبابعة وجيرهاو الأليق من الأقوال وكان الحير كتابية  
تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بآذانهم ومن حير تعلمت مضر  
الكتابة العربية لأنهم لم يكدونوا بحمددين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون  
محكمة المذهب ولا ماثلة إلى الاتقان والتميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء  
البدو عنها في الأكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل أوقريش ما من كتابتهم لهذا العهد

أونقول ان كتابهم لهذا العهد أحسن صناعة لان هؤلاء أقرب الى الحضارة ومخالطة  
الامصار والدول وأما مصر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضرة من أهل اليمن  
وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان الخط العربي لا قبل الاسلام غير بالغ الى الغاية  
من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة والترحال  
وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة  
بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة بخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته  
رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقبلت التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً برسمة  
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده المتلقون لوجيه من كتاب الله  
وكلامه كما يقتضى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركاً ويتبع رسمه خطأ أو صواباً وأين نسبة  
ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك واثبت رسماً ونبه العلماء بالرسم على مواضعه  
ولان مقتضى في ذلك الى ما رجع بعض المغفلين من أنهم كانوا يحكمين لصناعة الخط وأن  
ما يتفصل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما ينبغي بل لكلها وجه ويقولون  
في مثل زيادة الالف في لا أذبحنه انه تنبيه على أن الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في بأيادنه  
تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم المحض وما جعلهم  
على ذلك الا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة اجادة الخط  
وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادة وطلبوا تعليل  
ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بحجج \* واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم  
اذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رأيت فيهم امر الكمال في الصنائع اضافي  
وليس بكمال مطاق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وانما يعود على  
أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالة على ما في النفوس وقد  
كان صلى الله عليه وسلم أمياً وكان ذلك كما لا في حقه وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه  
عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها وليست الامة كمالاً في  
حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى  
العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقه هو تنزهه عنها جلية بخلافنا ثم لما جاء الملك  
للعرب وفقهوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة  
الى الكتابة اسعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه  
واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا أنها كانت دون الغاية والخط  
الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك واقتضوا  
افريقية والاندلس واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما

استجرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادى معروف الرسم وتبعه الافريقى المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من أوضاع الخط المشرقى وتحتيز ملك الاندلس بالامويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسى كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك وتنفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الملوكة بما لا كفاة له وتنافس أهل الاقطار في ذلك وتنافسوا فيه ثم لما انحلت نظام الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافه فانتقل شأنهم من الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقهم نافقة لهذا العهد ولهم بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم أو يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع وقد لقنوها حسنا وحذق فيها دربه وكتابا وأخذها قوانين علمية فنجى أحسن ما يكون وأما أهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند ثلاثى ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدة المغرب وافر بقرية من لدن الدولة الامتونية الى هذا العهد وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقى وعنى عليه ونسى خط القبروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط أهل افر بقرية كلها على الرسم الاندلسى بتونس وما اليها لتوفر أهل الاندلس بها عند الجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم ييلاد الجريد الذين لم يخاطبوا كتاب الاندلس ولا عتروا بجوارهم انما كان يغدون على دار الملك بتونس فصار خط أهل افر بقرية من أحسن خطوط أهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية ببعض الشئ وتراجع أمر الحضارة والترفع تراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الاندلسى تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع اذا نسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بنى مرين من بعد ذلك بالمغرب الاقصى لون من الخط الاندلسى لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريبا واستعمالهم اياهم سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كانه لم يعرف فصارت الخطوط بافر بقرية والمغربين مائله الى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لم تصفحها منها الا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تتكاد



تقرأ الأبعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول  
والله أعلم

### ٣١ (فصل في صناعة الوراق)

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها  
بالرواية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب  
ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية  
بحر زار بالعراق والاندلس اذهوكله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة  
ونفاق اسواق ذلك لديهم ما فكثر التأليف العلمية والدواوين وحرص الناس  
على تباقلهم في الآفاق والاعصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين  
المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين واختصت  
بالامصار العظيمة العمران وكانت السجلات أولاً لا تتساخ العلوم وكتب  
الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهمة بالصناعة من الجلد  
لكثرة الرفه وقلة التأليف صدر الملة كما ذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع  
ذلك فاقصر واعلى الكتاب في الرق تشرى في المكتوبات وميلابها الى الصحة والاتقان  
ثم طمأ بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك  
فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه  
واخذ منه الناس من بعده صحيفة المكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في  
صناعته ما شاءت ثم وقفت عناية أهل العلوم وهم أهل الدول على ضبط الدواوين  
العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها لانه الشأن الاهم من التصحيح  
والضبط فبذلك تسند الاقوال الى قائلها والفتيا الى الحاككم بها المجتهد في طريق  
استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن باسنادها الى مدونه فلا يصح اسناد قول لهم ولا فتيا  
وهكذا كان شأن أهل العلم وجلته في العصور والاجيال والآفاق حتى لقد قصرت  
فائدة الصناعة الحديثية في الرواية على هذه فقط اذ غمرتها الكبري من معرفة صحيح  
الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد  
ذهبت وتخصت زبدة في ذلك الاتمهات المتلقاة بالقبول عند الامة وصار القصد الى  
ذلك لغوامن العمل ولم تبقى ثمرة الرواية والاشتغال بها الا في تصحيح تلك الاتمهات  
الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتأليف العلمية  
وانصال سندها بمؤلفيها اليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق

والاندلس معبدة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المنتهضة لذلك العهد في أقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها هذا العهد بأيدي الناس في العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك وأهل الآفاق يتناقلونهم الى الآن ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهل لا تقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بالتقاص عمرانه وبدأوة أهله وصارت الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية تنسخها طلبة البربر صانعة مستعجبة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصحيف فتستغل على متصفحيها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل النادر وأيضاً فقد دخل الخلل من ذلك في القضاة غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن أئمة المذهب وانما تلقى من تلك الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك أيضاً ما يتصدى اليه بعض أئمتهم من التأليف لقله بصرهم بصناعته وعدم الصنائع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالانتماء وهي على الاضحة لال فقد كاد العلم ينقطع بالكلمة من الغرب والله غالب على أمره ويغنا لهذا العهد أن صناعة الرواية قائمة بالمشرق وتصحيح الدواوين لم يرومه بذلك سهل على مبتغيه لنفاق أسواق العلوم والصنائع كما نذكره بعد الآن الخط الذي بقي من الاجادة في الاتساع هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم وأما النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب وأشد والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٣٢ (فصل في صناعة الغناء)

هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تواف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك أنه تبين في علم الموسيقى أن الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وجزأ من أحد عشر من آخر واختلاف هذه النسب عند تأديتها الى السمع يخرجها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملائماً لاذن السماع بل تراكيب خاصة هي التي حصرها أهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد يساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجملادات اما بالقرع أو بالنفخ في الآلات تخص بذلك فترى الهالكة عند السماع فتم هذا العهد أصناف منها ما يسمى بالشبابية وهي قصبة جوفاء بأبجاش في جوانبها معدودة يتفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك

الابجاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الابجاش وضعا  
 متعارفا حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فيلذ السمع  
 يادراكها التماسا الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلامي  
 وهو شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اختلافها  
 من قطعتين منفردتين كذلك بابجاش معدودة يتفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ  
 التفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك  
 الابجاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد  
 البوق وهو بوق من نحاس أجوف في مقدار الذراع يتسع الى أن يكون انفرج مخرج  
 في مقدار دون الكف في شكل برى القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدى الريح من الفم  
 اليه فيخرج الصوت تخيذا ويا وفيه ابجاش ايضا معدودة وتقطع نغمة منها كذلك  
 بالاصابع على التماس فيكون ما نودا ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها اما على  
 شكل قطعة من الكرة مثل الربط والرباب أو على شكل مربع كالقانون توضع الاوتار  
 على بسائطها مشدودة في رأسها الى دساتر جائلة لئلا تنشق الاوتار وروخها عند  
 الحاجة اليه بادارتها ثم تفرع الاوتار ما بعد آخر أو بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر  
 عليه ما بعد أن يطلى بالشمع والسكندرو ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في اهزازه أو نقله  
 من وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الاوتار توقع بأصابعها على أطراف  
 الاوتار فيما يقرع أو يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذوذة وقد يكون القرع  
 في الطسوت بالقضبان أو في الاعواد بعضها ببعض على توقيع متناسب يحدث عنه  
 التذاذ بالمسموع وتبين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء هو ذلك أن اللذة كما تقر  
 في موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا كانت متناسبة  
 للمدرك وملائمة كانت ملذوذة واذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة فالملائم من  
 الطعوم ما تناسبت كيفية حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملوحات وفي الروائح  
 ما تناسب مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك واليه تؤد به الحاسة ولهذا  
 كانت الرياح والازهار والطريات أحسن رائحة وأشد ملائمة للروح الغالبة الحرارة  
 فيها التي هي مزاج الروح القلبي وأما المرئيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب  
 الاوضاع في أشكالها وكيفية اهوائها وأنسب عند النفس وأشد ملائمة لها فاذا كان المرئي  
 متناسبا في أشكاله وتخطاطيطه التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته  
 الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان  
 ذلك حينئذ متناسبا للنفس المدركة فلهذا يادراك الملائمات ولهذا تجد العاشقين المستهترين



في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب وفي هذا  
 سر تفهمه ان كنت من أهله وهو اتحاد المبدأ وان كل ما سواك اذا نظرت به وتأملت  
 رأيت بذلك وبينه اتحادا في البداية يشهد لك به اتحاد كما في الكون ومعناه من وجه  
 آخر أن الوجود يشترط بين الموجودات كما نقوله الحكماء فتوذاً أن غمزج بما شاهدت  
 فيه الكمال لتعده به بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم الى الحقيقة التي هي  
 اتحاد المبدأ والكون ولما كان أنسب الاشياء الى الانسان وأقربها الى أن يدرك  
 الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الانساني فكان ادراكه له للجمال والحسن  
 في تحاطبه وأصواته من المدارك التي هي أقرب الى فطرته فيلهمج كل انسان بالحسن  
 من الرقي أو المجموع بمقتضى الفطرة والحسن في المسموع أن تكون الاصوات  
 متناسبة لا متنافرة وذلك أن الاصوات لها كيفيات من الهمس والجهر والرخا  
 والشدّة والقلقلة والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فأولا  
 أن لا يخرج من الصوت الى مده دفعة بل بتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل  
 لا بد من توسط المغاير بين الصوتين وتأمل هذا من افتتاح أهل اللسان التراكيب من  
 الحروف المتنافرة أو المتقاربة الخارج فانه من بابيه وثانياً تناسبها في الاجزاء كما مرّ أول  
 الباب فيخرج من الصوت الى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه على حسب ما يكون  
 التنقل مناسبا على ما حصره أهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في  
 الكيفيات كما ذكره أهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة ومن هذا التناسب ما يكون  
 بسيطاً ويكون الكثير من الناس مطبوعاً عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة  
 كما تنجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وأمثال ذلك وتسمى العامة  
 هذه القابلية بالمضمار وكثير من القراء بهذه المشابة يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين  
 أصواتهم كأنهم المزامير فيطربون بحسب مساقهم وتناسب نغماتهم ومن هذا  
 التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوى في معرفته ولا كل الطباع توافق  
 صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشره بعد  
 عند ذكر العلوم وقد أنكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين وأجازها الشافعي رضي  
 الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعات فانه لا ينبغي أن يختلف في حظه  
 اذا صناعة الغناء بما ينقل القرآن بكل وجه لان القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من  
 الصوت لتعين أداء الحروف لا من حيث اتباع الحركات في موضعها ومنه دار المتدع  
 من يطلقه أو يقصره وأمثال ذلك والتلحين أيضاً تعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به  
 من أجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين واعتباراً واحداً فما قد يخل بالآخر

اذا تعارضا وتقدم الرواية متعين من تغيير الرواية المنقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع  
 التلحين والاداء المعترف في القرآن بوجه وانما مرادهم التلحين البسيط الذي يهتدى  
 اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه فيردد أصواته ترديدا على نسب يدركها العالم  
 بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه  
 القرآن عن هذا كله كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى لان القرآن محل خشوع بذكر  
 الموت وما بعده وليس مقام التذاد بادر التلحين من الاصوات وهكذا كانت قراءة  
 الصحابة رضي الله عنهم كافي أخبارهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي من ما من  
 من امير آل داود فليس المراد به التريد والتلحين انما معناه حسن الصوت وأداء القراءة  
 والابانة في مخارج الحروف والنطق بها وأدق ذلك كرام معنى الغناء فاعلم أنه يحدث في  
 العمران اذا توفروا تجاوز حد الضرورى الى الحاجى ثم الى الكمال وتفننوا فحدثت  
 هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الامن فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من  
 المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر أحوالهم تفتننا في مذهب  
 المذوذات وسكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاخر في أمصارهم ومدنهم  
 وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان ملوك الفرس اهتمام بأهل هذه  
 الصناعة ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم ويغنون فيها  
 وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل أفق من آفاقهم وملكهم من ممالكهم وأما العرب  
 فكان لهم أولافن الشعر يولفون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة  
 حروفها المنحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء  
 منها مستقلا بالافادة لا ينقطع على الآخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالتجزئة  
 أولا ثم بتناسب الاجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام  
 عليها فلهجوا به فامتاز من بين كلامهم بحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه  
 بهذا التناسب وجعلوه ديوانا لأخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكمات قرانهم في اصابة  
 المعاني واجادة الاساليب واستمروا على ذلك وهذا التناسب الذي من أجل الاجزاء  
 والمنحركة والساكنة من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في  
 كتب الموسيقى الا أنهم لم يشعروا بما سواها لانهم حينئذ لم يتحلوا علما ولا عرفوا صناعة  
 وكانت البداءة أغلب فحلهم ثم تغنى الحداء منهم في حداثا بلهم والقيان في فضاء  
 خلواتهم فرجعوا الاصوات وترنموا وكانوا يسمون الترنم اذا كان بالشعر غناء واذا  
 كان بالتلحين أو نوع القراءة تغبيرا بالغين المحجة والباء الموحدة وعللها أبو اسحق  
 الزجاج بأنها تذكريا للغابر وهو الباقي أى بأحوال الآخرة وربما سبوا في غنائهم بين

النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه  
 السناد وكل من أكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويعيش بالداف والمزمار  
 فيطرب ويستحق الخلوم وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسيط كله من التلاحين هو  
 من أوائلها ولا يعد أن تنقطن له الطباع من غير تعليم شأن البساطط كلها من الصنائع  
 ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الإسلام واستولوا على عمالك  
 الدنيا وحازوا سلطان المجمع وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال  
 التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدة في ترك أحوال الفراغ وماليس ينافع في دين  
 ولا معاش فهجروا ذلك شيئا ما ولم يكن الملدود عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر  
 الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفق بما حصل لهم من غنائم  
 الامم صاروا الى نصارة العيش ورقة الحاشية واستحلوا الفراغ واقتربوا من المنون من  
 الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنوا جميعا بالعبدان  
 والطباير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للأصوات فطنوا عليها أشعارهم  
 وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب حاتمولى عبيد الله بن جعفر فسمعوا  
 شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم أخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريج  
 وأنظاره وما زالت صناعة الغناء تتدرج الى أن كملت أيام بنى العباس عند ابراهيم بن  
 المهدي و ابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم ببغداد  
 ما تبعه الحديث بعده به وبجاءه هذا العهد وأمعنوا في اللهو واللعب واتخذت  
 آلات الرقص في الملابس والقضبان والأشعار التي يترنم عليها وجعل صنفا وحده  
 واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكترج وهي غنائل خيل مسرجة من الخشب  
 معاقبة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكبرون ويقرنون  
 ويشاققون وأمثال ذلك من اللعب المعتد للولائم والاعراس وأيام الأعياد ومجالس  
 الفراغ واللهو وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصلين  
 غلام اسمه زرياب أخذ عنهم الغناء فأجاد فصرفوه الى المغرب غير مئة فملق بالحكم  
 ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الاندلس فبالغ في تسكرته وتركب للقائه وأسنى له  
 الجوائز والاقطاعات والجرايات وأحل من دولته وندمائه بمكان فأورث بالاندلس من  
 صناعة الغناء ما تناقلوه الى أزمان الطوائف وطما منها بأشيلية بمجر زاخرو تناقل منها  
 بعد ذهاب غضايرتها الى بلاد العدو وباقر يقية والمغرب وانقسم على أمصارها وبها  
 الآن منها صباية على تراجع عمرانها وتناقص دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في  
 العمران من الصنائع لأنها كالمية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ



والفرح وهي ايضا أول ما ينقطع من العمر ان عند اختلاله وتراجعها والله أعلم

### ٣٣ (فصل في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا ونصوفا الكتابية وحساب)

قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وأن خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات أولا ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية الى أن يصير ادراكا بالفعل وعقلا محصفا فتكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يغيدها عقلا فريدا او الصنائع أبدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي يستفاد من تلك الملكة فلهذا كانت الحسكة في التجربة تفيد عقلا والملكات الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لانها مجمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعاشرة أبناء الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابهم واشرايطها وهذه كلها قوانين تنظم علومها فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع أكثر افادة لذلك لانها تشتمل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع وببانه أن في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من التعمق وتكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس في الأمور وما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لما راهم بتلك الفطنة والكيس فقال ديوانه أي شياطين وجنون قالوا وذلك أصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق محتاج فيه الى استدلال كثير فيسبق متعود الاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله أعلم

### (الفصل السادس من الكتاب الاول)

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواعق

### ١ (فصل في ان العلم والتعليم طبعي في العمران البشري)

وذلك أن الانسان قد شاركه جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك وانما عجز عنها الفكر الذي يهدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بآباء جنسه والاجتماع المهني لذلك التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء

عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح أخراه فهو مفكر في ذلك كله دائماً لا يفتر عن  
الفكر فيه طرفه عين بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشأ  
العلوم وما قدمناه من صنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الإنسان بل الحيوان  
من تحصيل ما تستدعيه الطباع فيكون الفكر راغباً في تحصيل ما ليس عنده من  
الأدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو أدراك أو أخذه عن تقديمه  
من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ثم إن فكره  
ونظيره يتوجه إلى واحد واحد من الحقائق ويتنظر ما يعرض له لذاته واحد بعد آخر  
ويتمرن على ذلك حتى يصير الخلق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ  
علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً وتشوق نفوس أهل الجليل الثاني إلى  
تحصيل ذلك فيفزعون إلى أهل معرفته ويحيي التعليم من هذا فقد تبين بذلك أن العلم  
والتعليم طبعي في البشر

## ٢ ( فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع )

وذلك أن الخلق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بمحصول ملكة في الإحاطة  
بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ومالم تحصل هذه  
الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن المتناول حاصلًا وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي  
لأننا نجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد ووعيهما مشتركين من شدة في ذلك الفن  
وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاصي الذي لم يحصل علماً وبين العالم النحرير والملكة  
إنما هي للعالم أو الشاदी في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم  
والوعي والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره  
كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة فمقتضى التعليم ولهذا كان السند في التعليم  
في كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفق وجيل ويدل أيضاً  
على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فكل إمام من الأئمة المشاهير  
اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من  
العلم والالكان واحد عند جميعهم ألا ترى إلى علم الكلام كيف تختلف في تعليمه  
اصطلاح المتقدم والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه  
إلى مطالعته تجدد الاصطلاحات في تعليمه متخلفة فدل على أنها صناعات في التعليم  
والعلم واحد في نفسه وإذا تقرر ذلك فاعلم أن سبيل تعليم العلم لهذا العهد قد كاد  
أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحجب ذلك

من نقص الصنائع وفقدانها كما مر وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب  
 والاندلس واستبحر عمرانها وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة وبحوز زخرة  
 ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة فلما خربتا انقطع  
 التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين بمرا كمش مستفاد منها ولم ترسخ  
 الحضارة بمرا كمش ابدا وادولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها بمقدمها فلم  
 تتصل أحوال الحضارة فيها الا في الاقل وبعد انقراض الدولة بمرا كمش ارتحل  
 الى المشرق من افريقية القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد واسط المائة السابعة  
 فأدره تلميذا الامام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق في العقليات  
 والنقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على أثره من المشرق أبو عبد  
 الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخة مصر ورجع الى  
 تونس واستقر بها وكان تعليمه مفيدا فأخذ عنهم أهل تونس واتصل بسند تعليمهم ما في  
 تلاميذهم اجيالا بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن  
 الحاجب وتلميذه وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد  
 السلام على مشيخة واحدة وفي مجالس بأعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن  
 الامام بتلمسان لهذا العهد الا أنهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل  
 من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدره تلميذ أبي عمرو بن  
 الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة  
 وحذق في العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجاية  
 واتصل بسند تعليمه في طلبتها ورجع الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذه وأوطنها  
 وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل وبقيت  
 فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة  
 والقيروان ولم يتصل بسند التعليم فيهم فحسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم  
 وأيسر طرق هذه الملكة فتق الاسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي  
 يقرب شأنها ويحصل مرادها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثيرين أعمارهم في  
 ملازمة المجالس العلمية سكونا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من  
 الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من  
 يرى منهم أنه قد حصل تجدد ملكته فاصرة في علمه ان فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم  
 القصور والامن قبل التعليم وانقطاع سنده والاحفظهم أباغ من حفظ سواهم لشدة  
 عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب



ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس  
 خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقل ما يتأتى فيه الطالب العلم  
 حصول مبتغاه من الملكة العلمية واللباس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب  
 لهذه المدة لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة لا بما سوى ذلك  
 وأما أهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران  
 المسلمين بهاء مندهئين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العريضة والادب  
 اقتصر واعليه وانحفظ سند تعليمهم فانحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خلوا أثر  
 بعد عين وأما العقليات فلا أثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص  
 العمران وتغلب العدو على عاقلها لا بسيف البحر شغلهم بمعايشهم كثرت من  
 شغلهم بما بعدهما والله غالب على أمره \* وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل  
 أسواقه ناطقة وبجوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت  
 الامصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا  
 أن الله تعالى قد أزال منها بأمصا أعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم  
 بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تزل موفورة  
 وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائما فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم  
 العلم بل وفي سائر الصنائع حتى انه ليلظن كثيرة من رحالة أهل المغرب الى المشرق في  
 طلب العلم ان عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب وانهم أشد نباهة  
 وأعظم كسبا بفطرتهم الاولى وان نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتهم من نفوس أهل  
 المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الانسانية ويتشبعون لذلك ويولعون  
 به لما يرون من كسبهم في العلوم والصنائع وليس كذلك وليس بين قطر المشرق والمغرب  
 تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا اقاليم المنصرفه  
 مثل الاقول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفس على نسبتها كما مر وانما الذي  
 فضل به أهل المشرق أهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل  
 المزيد كما تقدم في الصنائع ونزده الا ان تحقيقا وذلك أن الحضرة لهم آداب في أحوالهم  
 في المعاش والمساكن والبناء وأمور الدين والدنيا وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم  
 ومعاملاتهم وجميع نصراتهم فلمهم في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع  
 ما يتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك حتى كأنها حدود لا تتعدى وهي مع ذلك صنائع  
 يتلقاها الآخر عن الاول منهم ولا شك أن كل صناعة مرتبة ترجع منها الى النفس أثر  
 يكسبها عقلا جديدا تستعدي به لقبول صناعة أخرى وتهيبها بها العقل لاسرعة الادراك

للمعارف \* ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لا تدرك مثل أنهم يعلمون الحمر الانسية والحيوانات العجم من الماشي والطائر مفردات من الكلام والافعال يستغرب ندورها ويحجز أهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قدمنا أن النفس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كسالم يرجع الى النفس من الآثار العلمية فيظنه العاقل تفاوتا في الحقيقة الانسانية وليس كذلك ألا ترى الى أهل الحضرة مع أهل البدو كيف تجدد الحضري مصليا بالذكاء ممثلا من الكيس حتى ان البدوي ليعظمه أنه قد فاته في حقيقة انسانيته وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته في ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوي فلما امتلا الحضري من الصنائع وملكاتها ووجد من تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات انه الكمال في عقله وأن نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتهم ووجبلتهم عن فطرتهم وليس كذلك فانا نجد من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرتهم انما الذي ظهر على أهل الحضرة من ذلك هو روث الصنائع والتعليم فان لها آثارا ترجع الى النفس كما قدمناه وهذا أهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع أرفع رتبة وأعلى قدما وكان أهل المغرب أقرب الى البدو لما قدمناه في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادى الرأي انه الكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن أهل المغرب وليس ذلك بصحيح فتفهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض

### ٣ (فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة)

والسبب في ذلك أن تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كما قدمنا أن الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترّف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لانه أمر زائد على المعاش حتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوّف بفطرتهم الى العلم ممن نشأ في القرى والامصار غير المتمتدة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعى لفقدان الصنائع في أهل البدو كما قدمناه ولا بد له من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبصرة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قرّرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة ككيف زخرت فيها بحجار العلم وتفننوا في

اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين ولما تناقص عمرانها وابتدع سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل إلى غيرها من امصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستجبر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم وأكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بهما من مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق او الولاء ولما يخشى من معاطب الملك ونسبائه فاستكثر وامن ببناء المدارس والروايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها شر كالولدهم بنظر عليها وانصيب منها مع ما فيهم غالباً من الجنوح إلى الخير والتمس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جراتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء

#### ٤ ( فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذه العهود )

( اعلم ) أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تخصصها وتعليمها هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عن وضعه والاول هي العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يتف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركة البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحشه على الصواب من الخطا فيها من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق القروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتمل إلى الالحاق بوجه قياسي الا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الاصل وهو نقلي فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيوها للافادة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكاف يجب عليه أن يعرف

قوله حتى يقفه  
نظيره يستعمل  
وقف متعلما  
فتقول وقفته على  
كذا أي اطاعته  
عليه قال نصبر اه  
مصححه



أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة  
بالنص أو بالإجماع أو بالأحاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أو لاهذا هو  
علم التفسير ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند  
الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم بإسناد السنة إلى  
صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعد التهم يقع الوثوق  
بأخبارهم بعلم ما يجب العمل به متضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث ثم لا بد في  
استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط  
وهذا هو أصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين  
وهذا هو الفقه ثم إن التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالإيمان وما يجب  
أن يعتقده مما لا يعتقده وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الخير  
والنعم والعذاب والقدر والحجج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في  
القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهي أصناف فيها  
علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب حسبما تكلم عليها كلها وهذه العلوم  
النقلية كلها مختصة بالله الإسلامية وأهلها وإن كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من  
مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث أنها علوم الشريعة المنزلة من  
عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها وأما على الخصوص فبما ينسب لجميع  
المال لأنها ناسخة لها وكل ما قبلها من علوم المال فمجردة والنظر فيها محظور فقد  
نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا  
أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل السنا وأنزل اليكس والهناء والهنك  
واحد ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة  
فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى  
حيما ما وسعه الاتباعي ثم إن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه  
الأملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا فوقها وهذبت  
الاصطلاحات ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتتميم وكان لكل  
فن رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك  
والمغرب بما هو مشهور منها حسبما ذكره الآن عند تعدد هذه الفنون وقد كسدت  
لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم كما  
قد مضى في الفصل قبله وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال  
التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكالية لكثرة عمرانه والحضارة

ووجود الاعانة لطالب العلم بالجراية من الاوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم والله سبحانه  
وتعالى هو لفعال لما يريد ويبدئه التوفيق والاعانة

٥ (علوم القرآن من التفسير والقراءات)

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة  
الآن الصحابة روه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض  
الفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتنوّل ذلك واشتهر الى أن استقرت منها سبع  
طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من  
الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات  
أخر لحقت بالسبع الا انها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات  
السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم  
ككيفية للداء وهو غير مضبوط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن  
وأباه الاكثر وقالوا بتواترها وقال آخرون بتواتر غير الاداء منها كالمدة والتسهيل لعدم  
الوقوف على كفيته بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات  
وروايتها الى أن كتبت العلوم ودرّجت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة  
مخصوصة وعلماء منفردوا بتناقله الناس بالشرق والاندلس في جيل بعد جيل الى أن  
ملك بئشق الاندلس مجاهدين من موالى العامريين وكان معتنبا بهذا الفن من بين فنون  
القرآن لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان  
من أئمة القراء بمحضته فكان سهمه في ذلك وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بامارة  
دانية والجزائر الشرقية فنفقت به اسواق القراءة لما كان هو من أئمتها وبما كان له من  
العناية بسائر العلوم عموما وبالقراءات خصوصا فظهر له عهد أبو عمرو والداني وبلغ  
الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته أسانيدها وتعددت تاليفه فيها  
وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد  
ذلك فيما يليه من العصور والاجيال أبو القاسم ابن فير من أهل شاطبة فعمد الى  
تهذيب مادونه أبو عمرو وتلخيصه فمظّم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف  
أ ب ج د ت تبا ح ك ه ل ت س م ر عليه ما قصده من الاختصار وليكون أسهل للحفظ  
لاجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا وعنى الناس بحفظها وتلقينها  
للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار المغرب والاندلس وربما أضيف  
الى فن القراءات فن الرسم أيضا وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه  
الخطية لان فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء

في بآيسد وزيادة الالف في لاذبحنه ولا اوضعوا والواو في جزاؤا الظالمين وحذف  
الالفات في مواضع دون أخرى وما رسم فيه من التاآت ممدودا والاصل فيه مربوط  
على شكل الهاء وغير ذلك وقد مر تعليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط فلما  
جاءت هذه المخالفة لاوضاع الخط وقانونه احتيج الى حصرها فكتب الناس فيها  
أيضا عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى أبي عمر الداني المذكور فكتب فيها  
كتبا من أشهرها كتاب المقنع وأخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه أبو القاسم  
الشاطبي في قصيدته المشهورة على روى الراي وولع الناس بحفظها ثم كثرت الخلاف  
في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن فبحاح من موالي مجاهد  
في كتبه وهو من تلاميذ أبي عمر والداني والمشتهر بحمل علومه ورواية كتبه ثم نقل بعده  
خلاف آخر فنظم الخطرا من المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المقنع  
خلافا كثيرا وعزاه لناقليه واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجروا بها  
كتب أبي داود وأبي عمرو والشاطبي في الرسم \* (وأما التفسير) \* فاعلم أن القرآن  
نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في  
مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية  
بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها  
ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين الجمل  
ويعيز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى  
الحال منها فنقلوا عنه كما علم من قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح أنها نعى النبي صلى  
الله عليه وسلم وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين  
وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر  
الاول والسلف حتى صارت المعارف علوما ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك  
ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي  
والثعالبي وأمثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار ثم  
صارت علوم اللسان صناعات من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الاعراب  
والبلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب  
لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب فتنوسى ذلك وصارت تتلقى من كتب أهل اللسان  
فاحتيج الى ذلك في تفسير القرآن لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير  
على صنفين تفسير نقلي مسند الى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ  
والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآتى وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة



والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا الآن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على  
 الغث والثلث والمقبول والمردود والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم  
 وإنما غلبت عليهم البدارة والامية واذن شوقوا الى معرفة شئ مما تشوق اليه النفوس  
 البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليفة وأسرار الوجود فانما يسألون عنه أهل  
 الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من  
 النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا  
 ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من جبر الذين أخذوا بدين اليهودية فلما  
 أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل  
 أخبار بدء الخليفة وما يرجع الى الحدثن والملاحم وأمثال ذلك وهو لا مثل كعب  
 الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتثلت التفاسير من المنقولات  
 عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى  
 الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل ويتساهل المفسرون في مثل ذلك  
 وملؤا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين  
 يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك الا أنهم بعد صيتهم  
 وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتألفت بالقبول من  
 يوهئ ذلك ما رجع الناس الى التحقيق والتعريض وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين  
 بالمغرب فخلص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب الى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب  
 متداول بين أهل المغرب الاندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في ذلك الطريقة على  
 منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق \* والصنف الآخر من التفاسير وهو  
 ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب  
 المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن يتقدم عن الاول اذا الاول هو  
 المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار للسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض  
 التفاسير غالباً ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف  
 للزمخشري من أهل خوارزم العراق الآن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي  
 بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة قصار  
 بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهه من مكائده مع اقرارهم  
 برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة واذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على  
 المذاهب السنية محسناً للعجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائله فله نعمت مطالعته  
 لغرابة فنونه في اللسان ولقد وصل اليها في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين

وهو شرف الدين الطيبي من أهل تويرين من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري  
هذا وتتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزييفها ويبين أن البلاغة إنما  
تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع  
امتاعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

### (علوم الحديث)

٦

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك  
بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباده وتحفيظاً عنهم باعتبار  
مصالحهم التي تكفل لهم بها قال تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها  
فإذا تعارض الخبران بالنفي والاثبات وتعدى الجمع بينهما ببعض التأويل وعلم  
تقدم أحدهما تعين أن المتأخر ناسخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث  
وأصعبها قال الزهري أعياء الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن  
علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على  
السند الكامل الشروط لأن العمل إنما يجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو بمعرفة  
رواة الحديث بالعدالة والضبط وانما ثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتعديلاتهم  
وبراءتهم من الجرح والغفلة ويكون لذلك دليلاً على القبول أو الترتل وكذلك  
مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً  
واحداً وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوي لم يلق الراوي  
الذي نقل عنه وبسلامتهم من العلل الموهنة لها وتنتهي بالتفاوت إلى طرفين فحكم  
بقبول الأعلى ورد الأسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشأن ولهم في  
ذلك ألفاظ اصطلاحوا على وضعها هذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف  
والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من ألقاب المتداولة بينهم  
وبقوا على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة اللسان أو اللفظ ثم النظر في  
كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو منأولة أو إجازة وتفاوت رتبها  
ومالعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في  
متون الحديث من غريب أو مشكل أو ضعيف أو مفترق منها أو مختلف وما يناسب  
ذلك هذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه وكانت أحوال نقلة الحديث في عصور

السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل بلده فمنهم بالجواز ومنهم بالبصرة  
والصكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والجميع معروفون مشهورون  
في أعصارهم وكانت طريقة أهل الجاز في أعصارهم في الاسانيد أعلى من سواهم  
وأمتن في الصحة لاستبداهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتجاوهم عن قبول  
المجهول الحال في ذلك وسند الطريقة الجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة  
رضي الله تعالى عنه ثم أصحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أحمد بن  
حنبل وأمثالهم وكان علم الشريعة في مبداء هذا الامر نقلا صرفا شمر لها السلف  
وتحزروا الصحيح حتى أكلوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ وأودعه أصول  
الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه ثم عني الحفاظ بعرفة طرق  
الاحاديث وأسانيدها المختلفة ورجعها في أسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة  
مختلفين وقد يقع الحديث أيضا في أبواب متعددة باختلاف المعاني التي اشغل عليها  
وجاء محمد بن اسمعيل البخاري امام المحدثين في عصره فخرج أحاديث السنة على  
أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد  
منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكرر الاحاديث بسوقها في كل باب بمعنى  
ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت لذلك أحاديثه حتى يقال انه اشتمل على  
تسعة آلاف حديث ومائتين منها ثلاثة آلاف متكررة وفرق الطرق والاسانيد عليها  
مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فألف مسنده  
الصحيح حذا فيه حذو البخاري في نقل المجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق  
والاسانيد وبثوبه على أبواب الفقه ورتبها مع ذلك فلم يستوعب الصحيح كله وقد  
استدركه الناس عليهم في ذلك ثم كتب أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذي  
وأبو عبد الرحمن النسائي في السنن بأوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل  
أما من الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كما هو معروف وأما من الذي دونه  
من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة  
وهي أتمها كتب الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب  
ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث ورجعها عنها الناسخ  
والمسوخ فيجعل قنابرا سه وكذا الغريب والناس فيه تأييد مشهورة ثم المؤلف  
والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثروا ومن خول علمائه وأتمهم أبو عبد  
الله الحاكم وتأليفه مشهورة وهو الذي هذب وأظهر محاسنه وأشهر كتاب  
للم تأخرين فيه كتاب أبي عمرو بن الصلاح كان لعهد أوائل المائة السابعة وتلاميذ محبي

قوله تسعة النسخ  
في النووي على  
مسلم انها سبعة  
تتقدم السنن  
فخره اهـ مصححه



الدين النووي بمثل ذلك والفن شريف في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن الموقولة  
 عن صاحب الشريعة وقد انتطع لهذا العهد تخريج شئ من الاحاديث واستدراكها  
 على المتقدمين اذ العادة تشهد بأن هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم  
 وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا يغفلوا شيئا من السنة أو يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر  
 هذا بعيد عنهم وانما تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الاتهامات المكتوبة  
 وضبطها بالرواية عن مصنفها والنظر في أسانيدھا الى مؤلفها وعرض ذلك على ما تقرر  
 في علم الحديث من الشروط والاحكام لتصل الاسانيد محكمة الى منتهاهم ولم يندوا  
 في ذلك على العناية بأكثر من هذه الاتهامات الخمسة الا في التلخيص \* فأما البخاري  
 وهو أعلا هارثة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا مضاه من أجل ما يحتاج  
 اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الجاز والشام والعراق ومعرفة  
 أحوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى امانة النظر في التفقه في تراجمه  
 لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسنده وطريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك  
 الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى  
 أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافه او من شرحه ولم  
 يستوف عذافيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن المذهب وابن التين ونحوهم ولقد  
 سمعت كثيرا من شيوخنا رجمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون  
 أن أحدا من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار \* وأما صحيح  
 مسلم فمكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب  
 البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له في التراجم وأملى الامام  
 المارزي من فقهاء المالكية عليه شرحا وسماه المعلم بقوله مسلم اشتمل على عيون من  
 علم الحديث وفنون من الفقه ثم أكمله القاضي عياض من بعده وسماه اكمال  
 المعلم وتلاه ما صحى الدين النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهم ما انفاء  
 شرحا وافيا \* وأما كتب السنن الاخرى وفيها معظم مأخذ الفقهاء فأكثر شرحها  
 في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك  
 ما يحتاج اليه من علم الحديث وموضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث  
 المعمول بها من السنة \* واعلم أن الاحاديث قد عجزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح  
 وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها أئمة الحديث وجهابذنه وعرفوها ولم يبق  
 طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها  
 وأسانيدھا بحيث لو روى حديث بغير سنده وطريقه يفتنون الى أنه قد قلب عن وضعه

ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد  
المحدثون امتحانه فسألوه عن أحاديث قلبوا أسانيدنا فقال لا أعرف هذه ولكن حدثني  
فلان ثم أتى بجميع تلك الأحاديث إلى الوضع الصحيح ورد كل متن إلى مسنده وأقرأه  
بالامامة \* واعلم أيضا أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الأسانيد من هذه الصناعة  
والاقلال فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثا  
أو نحوها ومالك رحمه الله انما صح عنده ما في كتاب الموطأ وغايتها ثلثمائة حديث أو  
نحوها وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده نحوون ألف حديث واكمل ما أداه  
اليه اجتهاده في ذلك وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل  
البضاعة في الحديث فلهذا اختلفت روايته ولا سبيل إلى هذا المتقدي كبار الأئمة لأن  
الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيستعين  
عليه بطلبه وروايته والحدوث والتشهير في ذلك لما أخذوا الذين عن أصول صحيحة وروايتهم  
الاحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قل منهم من قلل الرواية لاجل المطاعن التي تعترضه  
فيها والعلل التي تعرض في طرقها سيما والجرح مقدم عند الاكثر في وجوب الاجتهاد إلى  
تركها لاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فتقل  
روايته لضعف في الطرق هذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق  
لأن المدينة دار الهجرة وماوى الصحابة ومن انتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد  
أكثر والامام أبو حنيفة انما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف  
رواية الحديث البقيني اذا عارضها الفعل النفسى وقلت من أجلها روايته فقل - دينه  
لأنه ترك رواية الحديث متعمدا لخفاها من ذلك ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم  
الحديث اعقاد مذهبه بينهم والتعويل عليه واعتباره ردا وقبولا وأما غيره من المحدثين  
وهم الجمهور فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع أصحابه  
من بعده في الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوى فأكثر وكتب مسنده وهو  
جليل القدر لأنه لا يعدل الصحيحين لأن الشروط التي اعقده البخاري ومسلم  
في كتابهم ما مجمع عليها بين الأمة كما قالوه وشروط الطحاوى غير متفق عليها كالرواية عن  
المستور الحال وغيره فلهذا قدم الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع  
على صحة ما فيهما من الشروط المتفق عليها فلا تأخذ ذلك رية في ذلك فالقوم أحق  
الناس بالنظر الجميل بهم والتماس المخارج الصحيحة لهم والله سبحانه وتعالى أعلم بما  
في حقائق الامور

الذي في شرح  
الزرقاني على  
الموطأ حكاية  
أقوال خمسة في  
عدة أحاديث أولها  
خمسة ثانیها  
سبع مائة ثالثها  
ألف ونيّف رابعها  
ألف وسبع مائة  
وعشرون خامسها  
ست مائة وستون  
وليس فيه قول بما  
في هذه النسخة  
قاله نصر الهوري

هـ صححه

٧ (علم الفقه وما يتبعه من الفرائض)

الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة ما من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة أن الأدلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضات ألفاظها الكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وأيضا فالسنة مختلفة الأطراف في الثبوت وتعارض في الأكثر أحكامها فاحتاج إلى الترجيح وهو مختلف أيضا فالأدلة من غير النصوص تختلف فيها وأيضا فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهم وهذه كلها اشارات للخلاف ضرورة الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا أهل قيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وإنما كان ذلك مختصا بالخاملين للقرآن العارفين بنسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعوه منهم من علمتهم وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرؤون الكتاب لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئ الكتاب بهذا الاسم اغرابته يومئذ وبقي الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت أمصار الاسلام وذهبت الامية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكل الفقه وأصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز وكان الحديث قليلا في أهل العراق لما قدمناه فاستكثر وامن القياس ومهر وافية فلذلك قيل أهل الرأي ومعة قدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة وامام أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي من بعده ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا المداهك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس الجلي والعله المنصوصة الى النص لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب داود بن علي وابنه وأصحابهما وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الامة وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوهم على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الائمة ورفع الخلاف عن أقوالهم وهي كلها أصول واهية وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يحتل الجمهور بمذاهبهم بل



أو سعوها جانب الإنكار والقدح فلا نعرف شيئا من مذاهبهم ولا نروى كتبهم ولا أثر  
 لشيء منها إلا في مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب  
 والمشرق واليمن والحوارج كذلك ولكل منهم كتب وآراء في الفقه غربية  
 ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمتهم وإنكار الجمهور على متبطله ولم يبق إلا  
 في الكتب المجلدة وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بالتعمال بمذاهبهم على  
 تلك الكتب يروم اخذ فقههم منها ومذاهبهم فلا يحلو بطائل ويصير إلى مخالفة الجمهور  
 وإنكارهم عليه وربما عتد به هذه النحلة من أهل البدع بنقله العلم من الكتب من غير  
 مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن حزم بالاندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار  
 إلى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في أقوالهم وخالف إمامهم داود  
 وتعرض للكثير من أئمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه وأوسعوا مذهبه استهجانا  
 وإنكارا وتلقوا كتبه بالاعتقال والترك حتى إنه ليحضر بيعها بالأسواق وربما  
 تمزق في بعض الأحيان ولم يبق إلا مذهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من  
 الحجاز \* فأما أهل العراق فإمامهم الذي استقرت عنده مذاهبهم أبو حنيفة  
 النعمان بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق شهادته بذلك أهل جلمدته وخصوصا مالك  
 والشافعي \* وأما أهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن أنس الأصمجي إمام دار الهجرة  
 رحمه الله تعالى واختص بزيادة مدرسته آخر الأحكام غير المدارس المعتبرة عنده وهو  
 عمل أهل المدينة لانه رأى أنهم فيما ينقصون عليه من فعل أو ترك متابعون لمن قبلهم  
 ضرورة دينهم واقتدائهم وهكذا إلى الجيل المبشرين لفعل النبي صلى الله عليه  
 وسلم الآخذين ذلك عنه وصار ذلك عنده من أصول الأدلة الشرعية رظن كثير  
 أن ذلك من مسائل الاجماع فأنكره لأن دليل الاجماع لا يخص أهل المدينة من سواهم  
 بل هو شامل للأمة \* وأعلم أن الاجماع انما هو الاتفاق على الأمر الديني عن  
 اجتهاد ومالك رحمه الله تعالى لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المعنى وإنما اعتبره من  
 حيث اتباع الجيل بالمشاهدة للجيل إلى أن ينتهي إلى الشارع صلوات الله وسلامه  
 عليه وضرورة اقتدائهم به في ذلك يعم الملة ذكرت في باب الاجماع الأبواب به من حيث  
 ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الآن اتفاق أهل الاجماع عن نظر  
 واجتهاد في الأدلة واتفاق هؤلاء في فعل أو ترك مستندين إلى مشاهدة من قبلهم ولو  
 ذكرت المسئلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره أو مع الأدلة المختلف  
 فيها مثل مذهب الصحابي وشرع من قبلنا والاستصحاب لكان أليق ثم كان من بعد  
 مالك بن أنس محمد بن إدريس الموطبي الشافعي رحمه الله تعالى رحل إلى العراق من

بعد ما لقي أصحاب الامام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومنهج طريقة أهل الحجاز بطريقة  
 أهل العراق واختص بمذهب وخالف ما لكارحه الله تعالى في كثير من مذهبه وجاء  
 من بعدهما أحمد بن حنبل رحمه الله وكان من عليه المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب  
 الامام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر ووقف التقليد  
 في الامصار عندهؤلاء الاربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف  
 وطرقه لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول الى رتبة  
 الاجتهاد ولما خشى من اسناد ذلك الى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدئنه فصرحوا  
 بالعجز والاعواز وردوا الناس الى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلدين وحظروا  
 أن يتداول تقليد منهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذهبهم وعمل كل مقلد  
 بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية لا بمحصل اليوم  
 للفقهاء غيره. ذا ومدعى الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه مهجور وتقليده وقد  
 صار أهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الائمة الاربعة فأما أحمد بن حنبل فقلده قليل  
 لبعده مذهب عن الاجتهاد واصلته في هاضمة الرواية ولا اخبار بعضها ببعض  
 وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية  
 الحديث وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر  
 وبلاذ المعجم كما كان مذهبهم أخص بالعراق ودار السلام وكان تلميذه صحابة  
 الخلفاء من بني العباس فكثرت تآليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت  
 مباحثهم في الخلافات وجاءوا منها بعلم مستظرف وأنظار غريبة وهي بين أيدي الناس  
 وبالمغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وأبو الوائيد الباجي في رحلته ما  
 وأما الشافعي فقلده بمصر أكثر مما سواها وقد كان انتشر مذهب به بالعراق وخراسان  
 وما وراء النهر وقاصموا الخنفية في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت  
 مجالس المناظرات بينهم وشجنت كتب الخلافات بأنواع استدلالهم ثم درس ذلك كله  
 بدروس المشرق وأقطاره وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد  
 الحكم بمصر أخذ ذعنه جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز  
 وغيرهم ثم الحرث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة  
 الرافضة وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشي من سواهم الى أن ذهبت دولة  
 العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم فقه الشافعي  
 وأصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى أحسن ما كان ونفق سوقه واشترى منهم  
 محيي الدين النووي من الحلي التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين بن

عبد السلام أيضا ثم ابن الرقعة بمصر ونفي الدين بن دقيق العيد ثم نفي الدين السبكي  
بعدهما الى أن انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو ميراج الدين البلقيني  
فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر كبير العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر \*  
وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس وإن كان يوجد في  
غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما ان دخلتهم كانت غالباً الى الحجاز وهو  
منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في  
طريقهم فاقصروا على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وأماهم مالك وشيوخه  
من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه أهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم  
تصل اليهم طريقته وأيضاً فالبدوة كانت غالبية على أهل المغرب والاندلس ولم يكونوا  
يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا الى أهل الحجاز أميل لمناسبة البدوة ولهذا  
لم يرل المذهب المالكي غرضاً عندهم ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره  
من المذاهب ولما صار مذهب كل امام عالماً مخصوصاً عند أهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل  
الى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الحقائق وتفريغها عند  
الاشتباه بعد الاستناد الى الأصول المقررة من مذهب امامهم وصار ذلك كما يحتاج  
الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير والتفريق واتباع مذهب  
امامهم فيهما ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد وأهل المغرب  
جميعاً ملذون لمالك رحمه الله وقد كان تلميذه افرقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم  
القاضي اسمعيل وطبقته مثل ابن خوير منداد وابن اللبان والقاضي أبو بكر الابهرى  
والقاضي أبو الحسين بن القصار والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن  
القاسم وأشهب وابن عبد الحكم والحريث بن مسكين وطبقتهم ورحل من الاندلس  
عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبعث مذهب مالك في الاندلس  
ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتبي من تلامذته كتاب العتبية ورحل من افرريقية  
أسد بن الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب  
على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسمى الاسدية نسبة الى  
أسد بن الفرات فقرأ بها سحنون على أسد ثم ارتحل الى المشرق ولقي ابن القاسم  
وأخذ عنه وغارضه بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب سحنون مسائلها  
ودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لاسد أن يأخذ بكتاب سحنون فأنف من ذلك فتركه  
الناس كتابه واتبعوا مدونة سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الابواب  
فكانت تسمى المدونة والمختلطة وعكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل



الاندلس على الواضحة والعتبية ثم اختصر ابن أبي زيد المدقونة والمختلطة في كتابه المسمى  
 بالختصر وخلصه أيضا أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب  
 واعتمد المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل  
 الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه  
 الامهات بالشرح والايضاح والجمع فكتب أهل إفريقية على المدقونة ما شاء الله أن  
 يكتبوا مثل ابن يونس واللخمي وابن محرز التونسي وابن بشير وأمثالهم وكتب أهل  
 الاندلس على العتبية ما شاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد وأمثاله وجمع ابن أبي زيد  
 جميع ما في الاتمهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل على  
 جميع أقوال المذهب وفرغ الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه  
 في كتابه على المدقونة وزخرت بحار المذهب المالكية في الافقين الى انقراض دولة  
 قرطبة والقيروان ثم تمسك بهم أهل المغرب بعد ذلك الى أن جاء كتاب أبي عمرو بن  
 الحاجب لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وتعديد أقوالهم في كل مسألة فجاء  
 كالبرنامج للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحرث بن مسكين  
 وابن المبشر وابن اللميت وابن رشيقي وابن شلس وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني  
 سند وابن عطاء الله ولم أدر عن أخذها أبو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض  
 دولة العبيديين وذهب فقهاء أهل البيت وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية  
 ولما جاء كتابه الى المغرب آخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب  
 وخصوصا أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه  
 الى المغرب فانه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاءه وانتشر بقطر بجاية  
 في تليذه ومنهم من نقل الى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد  
 يتداولون قراءته ويتدارسونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه وقد  
 شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد وابن هرون وكلهم من مشيخة  
 أهل تونس وسابق حليتهم في الاجادة في ذلك ابن عبد السلام وهم مع ذلك يتعاهدون  
 كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### ٨ (علم الفرائض)

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الاصول  
 أو مناسختها وذلك اذا هلك أحد الورثة وانصبت سهامه على فروض ورثته  
 فانه حينئذ يحتاج الى حساب يصحح الفريضة الاولى حتى يصل أهل الفروض جميعا

في الفريضة بين الى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسبات أكثر من واحد  
واثنين وتعدد لذلك بعدد أكثر وبقدر ما تعدد محتاج الى الحساب وكذلك اذا كانت  
فريضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة وارث وينكره الآخر فتصح على  
الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل  
الفريضة وكل ذلك يحتاج الى الحساب وكان غالباً فيه وجعلوه قنناً فرداً وللناس  
فيه تأليف كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخري الاندلس كتاب ابن ثابت  
وتختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي ومن متأخري أفريقية ابن النمر  
الطرابلسي وأمثالهم وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تأليف كثيرة  
وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوصاً بالاعمال  
رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف لجمعه بين المعقول  
والمنقول والوصول به الى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة يقينية عند ما تجهل  
الخطوط وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الامصار بها عناية ومن المصنفين  
من يحتاج فيها الى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج الى استخراج الجوهولان  
من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصريف في الجذور وأمثال ذلك فيملأونها  
تأليفهم وهو وان لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد في غاية تداولونه من ورائتهم  
لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المراتب وتحصيل الملكية في المتداول على أكمل الوجوه  
وقد يحتاج الاكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة  
رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وانها أول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرجه  
أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة  
والذي يظهر أن هذا الحمل بعيد وان المراد بالفرائض انما هي الفرائض التكليفية في  
العبادات والعمادات والموارث وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية  
وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة الى علم الشريعة كلها ويعين هذا  
المراد أن جل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص أو تخصيصه بفروض الوراثة  
انما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر  
الاسلام يطلق على هذا الاعلى عمومته مشتقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير والقطع  
وما كان المراد به في اطلاقه الاجمعي الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية  
فلا ينبغي أن يحمل الاعلى ما كان يحمل في عصرهم فهو أليق برادهم منه والله سبحانه  
وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ ( اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والمخلافات )

(اعلم) أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة الميمنة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من القرآن وبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل اليها منها قولاً أو فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه وتعين دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلة ما لاجماع الصحابة على التكبير على مخالفيهم ولا يكون ذلك إلا عن مستند لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيسون الاشباه بالاشباه منها وما يناظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسايم بعضهم لبعض في ذلك ذلك كثير من الوقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج في النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت وألحقوها بما نص عليه بشرط في ذلك إلحاق تصحيح تلك المساواة بين الشبهين أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الأدلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الأدلة وإن خالف بعضهم في الاجماع والقياس إلا أنه شذوذ وألحق بعضهم بهذه الأربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها الضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان أول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه أدلة فأما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة في متنه والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل اليها منها فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتضداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من انفاذ الكتب والرسائل إلى النواحي بالأحكام والشرائع أمرها ونهايا وأما الاجماع فلا تفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة وأما القياس فباجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه هذه أصول الأدلة ثم إن المنقول من السنة محتاج إلى تصحيح الخبر بالنظر في طرق النقل وعدالة الناقلين لتمييز الحالة المحصلة للظن بصدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه أيضاً من قواعد الفن ويلحق بذلك عند المعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منهما معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من فصوله أيضاً وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك أن استفادة المعاني



على الاطلاق من تراكييب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات  
الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف  
والبيان وحين كان الكلام ملكة لاهله لم تكن هذه علوم ولا قوانين ولم يكن الفقه  
حينئذ يحتاج اليها لانها جبلية وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها  
الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوم ما يحتاج  
اليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى ثم ان هناك استفادات أخرى خاصة من تراكييب  
الكلام وهي استفادة الاحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكييب  
الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الاطلاق بل لابد من  
معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها استفادة الاحكام  
بحسب ما أصل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة  
من ان اللغة لا تثبت قياسا والمشتراك لا يراد به معناه معا والاول لا تقتضي الترتيب  
والعام اذا اخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها والامر للوجوب  
أو الندب وللفور أو التراخي والنهي يقتضي الفساد أو الصحة والمطلق هل يحمل على  
المقيد والنص على العلة ككاف في التمدد ام لا وأمثال هذه فكانت كلها من  
قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان النظر في القياس  
من أعظم قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس وبمائل  
من الاحكام وينفتح الوصف الذي يغلب على الظن ان الحكم علق به في الاصل من  
تين أو صاف ذلك المحل أو وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع  
من ترتيب الحكم عليه في مسائل أخرى من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن  
(واعلم) ان هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة وكان السلف في غنية عنه  
بما ان استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها الى مزيد مما عندهم من الملكة  
اللسانية وأما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصاً فهم أخذ  
معظمها وأما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها القرب العصر  
وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الاول وانقلبت  
العلوم كلها صناعة كما قرئناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه  
القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوها فأنما برأسه سموه  
أصول الفقه وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه أملى فيه رسالته  
المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة

المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا  
 القول فيها وكتب المتكلمون أيضا كذلك لأن كتابه الفقهاء فيها أمس بالفقهاء وألبق  
 بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية  
 والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي  
 ما أمكن لانه غالب فنونهم وقضى طريقهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى  
 من الغوص على النكت الفقهية والقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن  
 وجاء أبو زيد الدبوسي من أتمتهم فكتب في القياس بأوسع من جميعهم ونعم الاجاث  
 والشروط التي يحتاج اليها فيه وكانت صناعه أصول الفقه بكمالها وتمت ذبت مسائله  
 وتمهدت قواعده وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه  
 المتكلمون كتاب البرهان لامام الحر بن المستصفي للغزالي وهما من الاشعرية وكتاب  
 العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لابي الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت  
 الاربعة قواعد هذا الفن وأركانها ثم تلخص هذه الكتب الاربعة لخلاص من المتكلمين  
 المتأخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الامدى  
 في كتاب الاحكام واختلف طرائقهما في الفن بين التحقيق والحجاج لابي الخطيب  
 أميل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والامدى مولع بتحقيق المذاهب وتزريع  
 المسائل وأما كتاب المحصول فاختصره لميل الامام سراج الدين الارموى في كتاب  
 التحصيل وناج الدين الارموى في كتاب الحاصل وانتطف شهاب الدين القرافى منهما  
 مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات وكذلك فعل البيضاوى في كتاب  
 المنهاج وعنى المبتدئون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس \* وأما  
 كتاب الاحكام للامدى وهو أكثر تحقيقا في المسائل فلخصه أبو عمرو بن الحاجب في  
 كتابه المعروف بالمختصر الكبير ثم اختصره في كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعنى أهل  
 المشرق والمغرب به وبطالعته وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن  
 في هذه المختصرات \* وأما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرا وكان من أحسن  
 كتابه فيها للمقدمين تأليف أبي زيد الدبوسي وأحسن كتابه المتأخرين فيها تأليف سيف  
 الاسلام البزدوى من أتمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتى من فقهاء الحنفية فجمع  
 بين كتاب الاحكام وكتاب البزدوى في الطريقتين وسمى كتابه بالبدائع فجاء من أحسن  
 الاوضاع وأبدعها وأئمة العلماء لهذا العهد تداولونه قراءة وبجملتها وبلغ كثير من علماء  
 العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعين موضوعاته  
 وتعيد التأليف المشهورة لهذا العهد فيه والله يتقنا بالعلم ويجعلنا من أهله بعنه

وكرمه انه على كل شيء تقدير \* (وأما الخلافات) \* فاعلم أن هذا الفقه المستنبط  
 من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم  
 خلافا لا بد من وقوعه لما قد نبهناه واتسع ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان للمقلدين أن  
 يقلدوا من شاؤوا منهم ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار وكانوا  
 يمكن من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم  
 لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي مواده باتصال الزمان واقتقاد من  
 يقوم على سوي هذه المذاهب الأربعة فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصول الملة  
 وأجرى الخلاف بين المتسكين بها والآخرين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص  
 الشرعية والأصول الفقهية وجرى بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه  
 تجري على أصول صحيحة وطرائق قوية يحتج بها كل على مذهبه الذي قلده وتمسك  
 به واجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه فتارة يكون  
 الخلاف بين الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما وتارة بين مالك وأبي حنيفة  
 والشافعي يوافق أحدهما وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق أحدهما وكان  
 في هذه المناظرات بيان ما أخذ هؤلاء الأئمة ومشاراة اختلافهم ومواقع اجتهادهم  
 كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي  
 يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد إلا أن المجتهد يحتاج إليها  
 للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن  
 يهدمها المخالف بإدلتها وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة ما أخذ الأئمة وأدلتهم  
 ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه وتأليف الحنفية  
 والشافعية فيه أكثر من تأليف المالكية لأن القياس عند الحنفية أصل للكثير  
 من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك أهل النظر والبحث وأما المالكية  
 فالأثر أكثر مذهبهم وليسوا بأهل نظر وإضافاً كثرتهم أهل المغرب وهم بادية  
 غفل من الصنائع الأفي الأقل وللغزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المأخذ ولأبي  
 زيد الدبوسي كتاب التعليقة ولأبي القصار من شيوخ المالكية عيون الأدلة وقد  
 جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبنى عليهما من الفقه الخلاف في  
 مدرج في كل مسألة ما ينبنى عليهما من الخلافات \* (وأما الجدل) \* وهو  
 معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب  
 المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب  
 يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى  
 أن يضعوا آدابا وحكما يقف المناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف



يكون حال المستدل والمجيب بحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون  
مخصوصا منقطعاً ومحل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت ولخصه  
الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه أنه معرفة بالقرآن والحدود والآداب في  
الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأى وهدمه كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره  
وهي طريقتان طريقة البرزوى وهي خاصة بالدلالة الشرعية من النهر والاجماع  
والاستدلال وطريقة العميدى وهي عامة في كل دليل يستدل به من أى علم كان  
وأكثره استدلال وهو من المناسخ الحسنة والمغالطات فيه في نفس الامر كثيرة  
وإذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي  
الأن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة تحزى فيها طرق الاستدلال كما  
ينبغي وهذا العميدى هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه وضع الكتاب المسمى  
بالارشاد مختصر أو تبعه من بعده من المتأخرين كالنسي وغيره جاؤا على أثره  
وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التآليف وهي لهذا العهد مهيورة لنقص العلم  
والتعليم في الامصار الاسلامية وهي مع ذلك كالمية وليست ضرورية والله سبحانه  
وتعالى أعلم وبه التوفيق

### (علم الكلام)

١٠

هو علم يتضمن الجحاح عن العقائد اليمانية بالدلالة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين  
في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد اليمانية هو  
التوحيد فلنقدم هنا الطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق  
والمأخذ ثم نرجع إلى تحقيق علمه وفيما يتطروى إلى حدوده في الملة ومادعالي  
وضعه فنقول ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الافعال  
البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة وعنهما  
يتم كونه وكل واحد من هذه الاسباب حادث أيضا فلا بد له من أسباب أخرى ولا تزال  
تلك الاسباب من تقيية حتى تنتهي إلى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها سبحانه  
لا اله الا هو وتلك الاسباب في ارتقائها تنفسح وتتضاعف طولاً وعرضاً ويحار العقل في  
ادراكها وتعدد هافاذا لا يحصرها الا العلم المحيط سيما الافعال البشرية والحيوانية  
فان من جملة أسبابها في الشاهد القصور والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بإرادته  
والقصد اليه والقصور والارادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة  
يتلو بعضها بعضها وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل وقد تكون أسباب تلك

التصورات تصورات أخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا  
 يطلع أحد على مبادئ الامور النفسانية ولا على ترتيبها انما هي أشياء يلقها الله في  
 الفكر يتبع بعضها بعضا والانسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها وانما يحيط  
 علما في الغالب بالاسباب التي هي طبيعة ظاهرة ويقع في مداركها على نظام وترتيب  
 لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها واما التصورات فنطاقها أوسع من النفس  
 لانها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلا عن الاحاطة وتأمل  
 من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه وادبهم  
 فيه الفكر ولا يحلوا منه بطائل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون  
 وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه وأصبح من الضالين  
 الهالكين نعوذ بالله من الحرمان والخسران المبين ولا تحسبن أن هذا الوقوف  
 أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس رصبة تستحكم من  
 الخوض في الاسباب على نسبة لانعلمها اذ لو علمناها التهرزنا منها فله تهرز من ذلك بقطع  
 النظر عنها جملته وأيضاً فوجه تأثير هذه الاسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لانها  
 انما يوقف عليها بالعادة لا اقتران الشاهد بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية  
 مجهولة وما أوتيت من العلم الا قليلا فلذلك أمرنا بقطع النظر عنها والغائها جملته والتوجه  
 الى مسبب الاسباب كلها وفعالها وموجداتها لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا  
 الشارع الذي هو أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعه على ما وراء الحس قال  
 صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك  
 الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سجد في بحر النظر والبحث عنها وعن  
 أسبابها وتأثيراتها واجدا بعدوا حد فانا الضامن له أن لا يعود الا بالخيبة فلذلك نهانا  
 الشارع عن النظر في الاسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله أحد الله الصمد  
 لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا تشق بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على  
 الاحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك  
 واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها والامر في  
 نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في  
 المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات وكذلك  
 الاعمي أيضا يسقط عنده صنف المرتبات ولولا ما يردهم الى ذلك تقايد الآباء والمشجعة  
 من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه الاصناف  
 لا بقتضى فطرتهم وطبيعة ادراكهم ولولسئل الحيوان الاجم ونطق لوجدناه منكرا

للمعقولات وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت هـ ذافعل هنالك ضربا من الادراك غير  
 مدركا لنا لان ادراكنا مخلوقه محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والحصر مجهول  
 والوجود أوسع مما قام من ذلك والله من ورائهم محيط فاتمـ م ادراكك ومدركا لك في  
 الحصر واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو أحرص على سعادتك واعلم  
 بما يفعله لك لأنه من طور فوق ادراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك وليس ذلك  
 بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك  
 لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية  
 وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي  
 يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير  
 صادق لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته  
 فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتفتن في هـ ذا الغلط من يقدم العقل على  
 السمع في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه فقد تبين لك الحق من  
 ذلك واذا تبين ذلك فلعل الاسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا  
 خرجت عن أن تكون مدركة فيفضل العقل في يبداء الاوهام ويحمار وينقطع فاذا  
 التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب وكميقات تأثيرها وتفويض ذلك الى خالقها  
 المحيط بها اذ لا فاعل غيره وكلها ترتقي اليه وترجع الى قدرته وعلما به انما هو من حيث  
 صدق وروا عنه وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك ثم  
 ان المعتبر في هـ ذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذي هو تصديق حكيم فان ذلك  
 من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس كما ان  
 المطلوب من الاعمال والعبادات أيضا حصول ملكة الطاعة والانقياد وتفريغ  
 القلب عن شواغل ماسوى المعبود حتى ينقلب المرء بالسالك ربانيا والفرق بين الحال  
 والعلم في العقائد فرق ما بين القول والاتصاف وشرحه ان كثيرا من الناس يعلم أن  
 رحمة اليتيم والمسكين قريبة الى الله تعالى مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر  
 مأخذه من الشريعة وهو لو رأى يتيما أو مسكينا من أبناء المستضعفين افتقر عنه  
 واستنكف أن يباشره فضلا عن التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف  
 والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال  
 والاتصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بأن رحمة المسكين  
 قريبة الى الله تعالى مقام آخر أعلى من الاول وهو الاتصاف بالرحمة وحصول ملكتها  
 فحتى رأى يتيما أو مسكينا باذرائه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد



يصبر عن ذلك ولو دفع عنه ثم تصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذلك علمك  
 بالتوحيد مع اتصاف به والعلم الحاصل عن الاتصاف ضرورة هو أوثق مبنى من العلم  
 الحاصل قبل الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل  
 ويتكرر مراراً غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق وينجى العلم  
 الثاني النافع في الآخرة فإن العلم الأول المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى  
 والنفع وهذا علم أكثر النظائر والمطلوب انما هو العلم الحالى الناشئ عن العادة \*  
 واعلم أن الكمال عند الشارع في كل ما كلف به انما هو في هذا ما طلب اعتقاده  
 فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف وما طاب عمله من العبادات فالكمال  
 فيها في حصول الاتصاف والتحقيق بها ثم ان الاقبال على العبادات والمواظبة عليها  
 هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في رأس العبادات جعلت قرّة  
 عيني في الصلاة فإن الصلاة صارت له صفة وحالا يجذفها منتهى لذته وقرّة عينه وأين  
 هذا من صلاة الناس ومن لهم بها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم  
 وفقنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين  
 فقد تبين لك من جميع ما قررناه أن المطلوب في التكالييف كلها حصول ملكة راسخة في  
 النفس يحصل عنها علم اضطرارى للنفس هو التوحيد وهو العقيدة الايمانية وهو الذى  
 تحصل به السعادة وأن ذلك سواء في التكالييف القلبية والبدنية ويتفهم منه أن  
 الايمان الذى هو أصل التكالييف وينبوعها هو بهذه المناسبة ذو مراتب أولها  
 التصديق القلبي الموافق للسان وأعلىها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي  
 وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع  
 التصرفات حتى تنخرط الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا أرفع مراتب  
 الايمان وهو الايمان الكامل الذى لا يقارف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول  
 الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجه طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم  
 لا يرني الزاني حين يرني وهو مؤمن وفي حديث هرقل للسؤال أباس فيان بن حرب عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله فقال في أصحابه هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه  
 قال لا قال وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ومعناه أن ملكة الايمان اذا  
 استقرت عسر على النفس مخالفتها شأن الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمشابة الجلبة  
 والقطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان وهي في المرتبة الشايعة من العصمة لان  
 العصمة واجبة للانبياء وجوباً سابقاً وهذه حاصلة للمؤمنين حصولاً تابعاً لاعمالهم  
 وتصديقهم وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذى يتلى عليك من

أقاول السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل أن  
 الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وان الصلوة والصيام من الايمان وان تطوع  
 رمضان من الايمان والخيام من الايمان والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي أشرنا  
 اليه والى ملكته وهو فعلي وأما التصديق الذي هو أول مراتبه فلا تفاوت فيه فمن اعتبر  
 أوائل الاسماء وجعله على التصديق منع من التفاوت كما قال أئمة المتكلمين ومن اعتبر  
 أوخر الاسماء وجعله على هذه الملكة التي هي الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس  
 ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود في جميع  
 رتبته لانه أقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو الخاص من عهدة الكفر والقيصر بين  
 الكافر والمسلم فلا يجزى أقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت وانما التفاوت  
 في الحال الحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهم \* واعلم أن الشارع وصف لنا هذا  
 الايمان الذي في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين أمور مخصوصة كلفنا التصديق  
 بها بقولنا واعتقادها في أنفسنا مع الاقرار بالسنتنا وهي العقائد التي تقررت في الدين  
 قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال أن تؤمن بالله ولائكته وكتبه  
 ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد اليمانية المقررة في علم  
 الكلام \* ونشر اليها مجمل لتبين لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوده فنقول  
 اعلم أن الشارع لما أمرنا بالايمان بهذا الخالق الذي ردا لافعال كلها اليه وأفرده به  
 كما قدمناه وعرفنا أن في هذا الايمان نجاتنا عند الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكنهه حقيقة  
 هذا الخالق المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا من فوق طورنا فكيفنا أتولا اعتقاد  
 تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين والامام صرح أنه خالق لهم لعدم الفارق على هذا  
 التقدير ثم تنزيهه عن صفات النقص والاشباه المخلوقين ثم توحيده بالاتحاد والالم بتم  
 الخلق للتمانع ثم اعتقاد أنه عالم قادر فبذلك تتم الافعال شاهد قضيته اكمال الاتحاد  
 والخلق ومريد والالم يخص شئ من المخلوقات ومقدر لكل كائن والافعال ارادة حادثة  
 وأنه يعيدنا بعد الموت تكميلا لعنايته بالايجاد ولو كان لامر فان كان عبثا فهو للبقاء  
 السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعاد لاختلاف  
 أحواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك ونعم اطفه بنا في الايمان بذلك وبيان  
 الطريقين وأن الجنة للنعم وجهنم للعذاب هذه أتهات العقائد اليمانية معللة بأدلتها  
 العقلية وأدلتها من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد اليها  
 العلماء وحققها الأئمة إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد أكثر مشارها  
 من الآتي المتشابهة فدها ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة الى

النقل فحدث بذلك علم الكلام ولنين لك تفصيل هذا الجمل وذلك أن القرآن ورد  
 فيه وصف المغبوط بالتزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في آي كثيرة وهي  
 أسلوب كلها وصرحة في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه  
 وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي أخرى قابله  
 توهم التشبيه مرة في الذات وأخرى في الصفات فأما السلف فغلبوا أدلة التزيه لكثرتها  
 ووضوح دلالتها وعلو استحالة التشبيه وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها  
 ولم يعترضوا معناها بحث ولا تأويل وهذا معنى قول الكثير منهم اقرؤوها كما جاءت  
 أي آمنوا بأنها من عند الله ولا تعترضوا التأويلها ولا تفسيرها لجواز أن تكون  
 ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له وشهد لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات  
 وتوغلوا في التشبيه ففريق أشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بطواهر  
 وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التزيه المطلق التي هي أكثر  
 موارد وأوضح دلالة لأن معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات  
 السلوب في التزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة أولى من التعلق بطواهر  
 هذه التي لنا عنها غنية وجمع بين الدالين بتأويلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم  
 جسم لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لأنه قول متناقض وجمع بين ثني وإثبات أن كان  
 بالمعقولية واحدة من الجسم وأن خالفوا بينهما ونفوا المعقولية المتعارفة فقد وافتونا  
 في التزيه ولم يبق إلا جعلهم لفظ الجسم اسما من أسمائه ويتوقف مثله على الاذن وفريق  
 منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت  
 والحرف وأمثال ذلك وآل قولهم إلى التجسيم فنزعوا مثل الاقلين إلى قولهم صوت  
 لا كالاصوات جهة لا كالجسمات نزول لا كالنزول يعنون من الأجسام واندفع ذلك بما  
 اندفع به الاول ولم يبق في هذه الظواهر الاعتقادات السلف ومذاهبهم والايمان بها كما  
 هي لئلا يكثر النفي على معانيها بغيرها مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن ولهذا تنظر ما تراه  
 في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب الحافظ بن عبد البر وغيرهم  
 فانهم يحومون على هذا المعنى ولا تغمض عينك عن القرائن الدالة على ذلك في غضون  
 كلامهم ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الانحاء  
 وألف المتكلمون في التزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التزيه في آي السلوب  
 فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زائدة على أحكامها يلزم  
 على ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها  
 وقضوا بنفي السمع والبصر ككونه من عوارض الأجسام وهو مردود لعدم



اشتراط البنية في مدلول هذا اللفظ وانما هو ادر المسموع أم البصر وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بأن القرآن مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وظنهم وهذه البدعة واقعتها بعض الخلقاء عن أئمتهم فحمل الناس عليها وخالفهم آئمة السلف فاستحل الخلفاء منهم ايسار كثير منهم ودماؤهم كان ذلك سببا لانتهاض أهل السنة بالدلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري أمام المتكلمين قنوطيين الطريق ونفي التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف وشهدت له الأدلة المخصصة له ومما فأنبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما مهدوا له هذه البدع من القول بالصلاح والتحسين والتقييد وكل العقائد في ابغثة وأحوال الجنة والنار والثواب والعقاب وألحق بذلك الكلام في الإمامة لما ظهر حينئذ من بدعة الإمامية من قولهم انها من عقائد الايمان وانما يجب على النبي تعيينها والخروج من الغموض في ذلك لم يهمل له وكذلك على الامة وقصارى أمر الإمامة أنها قضية مصلحة اجماعية ولا تلحق بالعقائد فذلك الحق وهما مسائل هذا الفن وسموا مجموع علم الكلام اما لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست برابعة الى عمل واما لان سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام النفسي وكثر اتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كائن بمجاهد وغيره وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدهر للإمامة في طريقتهم وهذا وضع المنة تمامات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والانتظار وذلك مثل اثبات الجوهر الفرد والحلاوة وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم وجعل هذه القواعد تتبع العقائد الايمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية الا أن صور الأدلة تعتبر ببرها الاقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به الملة كالمون للملازمة للعلوم الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالجملة فكانت مهجورة عندهم لذلك ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني امام الحرمين أبو المعالي فأمل في الطريقة كتاب الشامل وأوسع القول فيه ثم خصه في كتاب الارشاد واتخذ الناس اماما لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعياري للأدلة فقط يسير به الأدلة منها كما يسير من سواها ثم نظروا

في تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام لا تقدمين نخالفوا الكثير منها بالبراهين التي  
 أدلت الى ذلك وربما أن كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والالهيات  
 فلما سيروها المعيار المنطقي ردّهم الى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما  
 صار اليه القاضي فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مبانة للطريقة الاولى وتسمى  
 طريقة المتأخرين وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد  
 الايمانية وجعلوا لهم من خصوم العقائد تناسب الكثير من مذاهب المبتدعة  
 ومذاهبهم وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه  
 الامام ابن الخطيب وجماعة ففوا أثرهم واعتمدوا تقليد هم ثم توغل المتأخرون من بعدهم  
 في محالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العليين فحسبوه فيها واحدا  
 من استنباه المسائل فيها \* واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم  
 بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم  
 الطبيعي يتطرق فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الآن نظره  
 فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه  
 من حيث يدل على الفاعل وكذا انظر الفيلسوف في الالهيات انما هو ينظر في الوجود  
 المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الوجود من حيث انه يدل على الوجود والجملة  
 فموضوع علم الكلام عند أهلها انما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من  
 حيث يمكن أن يستدل عليها بالدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبهة عن  
 تلك العقائد واذا تأملت حال الفن في حدوده وكيف تدرج كلام الناس فيه صدر بعده  
 صدور كلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الجميع والادلة علمت حينئذ ما قرنا له لك  
 في موضوع الفن وأنه لا يعدوه واقعا اختلطت الطريقتان عنه دهؤلاء المتأخرين  
 والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر  
 ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كفاعله البيضاوي في الطوابع ومن جاء بعده من علماء  
 العجم في جميع تأليفهم الآن هذه الطريقة قد يعنى بها بعض طلبة العلم للاطلاع على  
 المذاهب والانغراق في معرفة الحاج لو فورد ذلك فيها أو أما محاذاة طريقة السلف بعقائد  
 علم الكلام فانما هو الطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الارشاد وما حذا  
 حذوه ومن أراد ادخال الرد على الفلاسفة في عقائده فعليه بكتب الغزالي والامام ابن  
 الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في  
 المسائل والاتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة  
 فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب

العلم اذا الملمدة والمبتدعة قد انقضوا والائمة من أهل السنة كفوناشأنهم فيما كتبوا  
ودقوا والادلة العقلية انما احتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها  
الا كلام تنزه الباري عن كثير ايهاماته واطلاقه ولقد سئل الجنيد رحمه الله عن  
قوم ترجمهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيل قوم ينزهون الله بالادلة عن  
صفات الحسوث وسمات النقص فقال نبي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن  
فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة اذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج  
النظرية على عقائدها والله ولي المؤمنين

### ١١ (علم التصوف)

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل  
عند سلف الامة وبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية  
وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا  
وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة  
للعبادة وكان ذلك عامما في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني  
وما بعده وجح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية  
والتصوفة وقال القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية  
ولا قياس وانظر أنه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فيعيد من جهة  
القياس للغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم يحتصوا بلبسه \* قلت والاطهر ان  
قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب محتصون بلبسه لما كانوا عليه من  
مخالطة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بذهب الزهد  
والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بما أخذ مدركة لهم وذلك أن  
الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان ادراك  
للعالم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وادراكه للاحوال القائمة من  
الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك  
فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ من ادراكات وارادات وأحوال وهي التي  
يتميز بها الانسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الادلة والفرح والحزن عن  
ادراك المؤلم أو المتلذذ والنشاط عن الحمام والكسل عن الاعياء وكذلك المريد في  
مجاهدته وعبادته لا بد وأن ينشأه عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحالة  
أما أن تكون نوع عبادة قترسخ وتصيره قاما للمريد وأما أن لا تكون عبادة وانما تكون



صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات ولا  
يرى المريد يترقى من مقام الى مقام الى أن ينتهى الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية  
المطلوبة للسعادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة  
فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الاطوار وأصلها كلها الطاعة والاخلاص وبتقدمها  
الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات نتائج وغرات ثم تنشأ عنها أخرى  
وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم أنه انما أتى  
من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا  
يحتاج المريد الى محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائقها لان حصول النتائج  
عن الاعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجب ذلك بذوقه  
ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان الغفلة عن  
هذا كانت شاملة وغاية أهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع أنهم يأتون بالطاعات  
مخلصة من نظر الفقه في الاجزاء والامتنال وهو لا يبحثون عن نتائجها بالاذواق  
والموابعد ليطالعوا على أنها خالصة من التقصير أو لا فظهر أن أصل طريقهم كلها  
محاسبة النفس على الافعال والتروك والكلام في هذه الاذواق والموابعد التي  
تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاماً ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب  
مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم اذا اوضاع اللغوية انما هي للمعاني  
المعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلاحنا عن التعبير عنه بالفظ  
يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم  
من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء  
وأهل الفتيا وهي الاحكام العامة في العبادات والاعدات والمعاملات وصنف  
مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق  
والموابعد المعارضة في طريقها كيفية الترقى منها من ذوق الى ذوق وشرح  
الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه  
وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم  
فهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك كما فعله  
القشيري في كتاب الرسالة والسهري في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع  
الغزالي رحمه الله بين الأمرين في كتاب الاحياء فدون فيه أحكام الورع والاقتداء  
ثم بين آداب القوم وسنتهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة  
علماً مدقوباً بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها انما تلقى من صدور

الرجال كما وقع في سائر العلوم التي قوت بالكتاب من النفس والحدِيث والفقه  
والاصول وغير ذلك \* ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب  
الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس ادراك شي من عوالم الروح  
من تلك العوالم وسبب هذا الكشف أن الروح اذا رجعت عن الحس اظهر الى الباطن  
ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغاب سلطانه وتجدد نشوه وأعان على  
ذلك الذكر فانه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزويد الى أن يصير شهودا بعد ان  
كان علما ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين  
الادراك التي تعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم الدنيوية والفتح الالهي وتقرّب  
ذاته في تحقيق حقيقة من الافق الاعلى أفق الملائكة وهذا الكشف كثيرا ما يعرض  
لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرا  
من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهم منهم وقوى نفوسهم في الموجودات  
السفلية وتصير طوع ارادتهم فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون  
ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة  
ويتعذرون منه اذا هاجهم وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة  
وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية وفي فضائل  
أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن  
اشقت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقة منهم من بعدهم \* ثم ان قوما من  
المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق  
الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في امارة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل  
بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها باقام نشوتها وتغذيتها فاذا  
حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وأنهم كشفوا ذوات  
الوجود ونصّروا حقائقها كلها من العرش الى الطس هكذا قال الغزالي رحمه الله في  
كتاب الاحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة \* ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا  
عندهم الا اذا كان ناشئا عن الاستقامة لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع  
والخلوة وان لم يكن هنالك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وائس  
مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومناله أن المرأة الصغيلة اذا كانت  
محبذة أو مقعرة وحودى بها جهة المرنى فانه يتشكل فيه معوجا على غير صورته وان  
كانت مسطحة تشكل فيها المرنى صحيحا فالاستقامة للنفس كالانسياط للمرأة فيما  
ينطبق فيها من الاحوال ولما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكاموا في

حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي  
وأمثال ذلك وقصرت مداركهم لم يشاركونهم في طريقهم عن فهم أذواقهم  
ومواجهتهم في ذلك وأهل القنباين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل  
بنافع في هذه الطريق ردأوقبولا أذهى من قبيل الوجدانيات وربما قصد بعض  
المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فأتى بالانغمض فالانغمض  
بالنسبة إلى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن  
الفارض في الدياجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدر الوجود عن  
الفاعل وترتيبه أن الوجود كله صادر عن صفة الوحدةانية التي هي مظهر الاحدية  
وهو ما معاصران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا  
الصدور بالتجلي وأقول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن  
الكمال بافاضة الایجاد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقضونه كنت كنزاً مخفياً  
فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني وهذا الكمال في الایجاد المتنزل في الوجود  
وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكالية والحقيقة المحمدية وفيها  
حقائق الصفات والروح والقلم وحقائق الانبياء والرسل أجمعين والكمال من أهل الملة  
المحمدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى  
في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثلثات ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم  
العناصر ثم عالم التركيب هذا في عالم الرق فاذا تجلت فهي في عالم الفتق ويسمى هذا  
المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل النظر على  
تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان  
وصاحب الدليل وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون  
منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي أغرب من الأول في تعقله وتفاريحه يزعمون  
فيه أن الوجود له قوى في تفاصيلها كانت حقائق الموجودات وصورها وموادها  
والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان  
وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة  
المعدنية فيها قوى العناصر بهيولها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن  
القوة المعدنية وزيادة قوتها في نفسها وكذلك القوة الانسانية مع الحيوانية ثم ذلك يتضمن  
القوة الانسانية وزيادة وكذا الذوات الروحانية والقوة الجامعة لكل من غير تفصيل  
هي القوة الالهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجمعتها وأحاطت بها  
من كل وجه لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة



المادة فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار  
 هو المفصل لها كالانسانية مع الحيوانية ألا ترى أنها مندرجة فيها وكأنها تكونها افتارة  
 يتناولها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه وتارة بالكل مع الجزء على طريقة  
 المثال وهم في هذا كله يفترقون من التركيب والكثرة بوجه من الوجوه وانما أوجبهما  
 عندهم الوهم والخيال والذي يظهر من كلام ابن دهبان في تقرير هذا المذهب أن  
 حقيقة ما يقولونه في الوحدة شبيهة بما تقول الحكماء في الألوان من أن وجودها مشروط  
 بالضوء فإذا عدم الضوء لم تكن الألوان موجودة بوجه وكذا عندهم الموجودات  
 الخمسة كلها مشروطة بوجود المدرك الحسي بل والموجودات المعقولة والمتوهمه  
 أيضا مشروطة بوجود المدرك العقلي فإذا الوجود المفصل كله مشروط بوجود المدرك  
 البشري فلو فرضنا عدم المدرك البشري جله لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو بسيط  
 واحد فالحر والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والبار والسما والكواكب  
 انما وجدت لوجود الحواس المدركة اها لما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس  
 في الموجود وانما هو في المدارك فقط فاذا فقدت المدارك المفصلة فلا تفصيل انما  
 هو ادراك واحد وهو انما لا غيره ويعتبرون ذلك بحال النائم فانه اذا نام وفقد الحس  
 الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يفصله له الخيال فالواقد كذا اليقظان  
 انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشري ولو قدر فقد مدركه  
 فقد التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموهم لا الوهم الذي هو من جله المدارك البشرية  
 هذا ملخص رأيهم على ما يفهم من كلام ابن دهبان وهو في غاية السقوط لانا نقطع  
 بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه يقينا مع غيبته عن أعيننا وبوجود السماء  
 المظلة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا زالا انسان قاطع بذلك ولا يكابر أحد  
 نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المريد عند الكشف  
 ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز  
 بين الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق ولا بد للمريد  
 عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة لانه يخشى على المريد من رقفه عندها فتخسر  
 صفقته فقد تبينت مرانبا أهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة  
 المتكاملين في الكشف وفيما وراء الحس توغلو في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول  
 والوحدة كما أشرفنا اليه وملأوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم  
 ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في  
 قصائد هم وكان سلفهم مخالطين للاسماء عيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا

بالحلول والهيئة الأئمة مذهب لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب  
 الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب  
 ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى  
 يقبضه الله ثم يورث مقامه لا آخر من أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب  
 الاشارات في فصول التصوف منها فقال جل جلاله أن يكون شرعة لكل وارد  
 أو يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل  
 شرعي وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقول الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب  
 وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما أسندوا لباس  
 خرقه التصوف لجعلوه أصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من  
 هذا المعنى أيضا والافعل رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخاية ولا طريقه في  
 لباس ولا حال بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهذا الناس بعد رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشئ يؤثر عنه في الخصوص بل  
 كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء  
 المتصوفة في أمر الفاطمي وما شنعوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه  
 كلام بنى أو اثبات وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم  
 والله يهدي الى الحق ثم ان كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا اتدبوا للرد على هؤلاء  
 المتأخرين في هذه المقالات وأمثالها رثموا بالانكيسار ما وقع لهم في الطريقة والحق  
 أن كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في أربعة مواضع أحدها الكلام على  
 المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجيد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل  
 تلك الاذواق التي تصير قاما ويترقى منه الى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في الكشف  
 والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة  
 والوحى والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الكوان  
 في صدورهم من موجدات وتكونها كما مر وثالثها التصرفات في العوالم والاكوان  
 بأنواع الكرامات ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثيرين أئمة القوم  
 يعبرون عنها في اصطلاحهم بالسطحات تستشكل ظواهرها فذكروا بحسن ومتأول فأما  
 الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الاذواق والمواجيد في تأنيدها ومحاسبة  
 النفس على التقصير في أسبَابها فأمر لا مدفع فيه لاحد وأذواقهم فيه صحيحة والتحقق  
 بها هو عين السعادة وأما الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم  
 في الكائنات فأمر صحيح غير منكر وان مال بعض العلماء الى انكارها فليس ذلك من

الحق وما احتج به الاسمة اذ اُبو اسحق الاسفرايني من أئمة الاشعرية على انكارها  
 لانتسابها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتعدي وهو دعوى وقوع  
 المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان  
 دلالة المعجزة على الصدق عقلية فان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب  
 لتبدلت صفة نفسها وهو محال هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكاذب كثير من هذه  
 الكرامات وانكارها نوع مكابرة وقد وقع للصحابه وأكابر السلف كثير من ذلك وهو  
 معلوم مشهور وأما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور  
 الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه لما أنه وجداني عندهم وفاقدا للوجدان  
 عندهم بعزل عن أدواقهم فيه واللغات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لانهم توضع الا  
 للمعرفة وأكثروا من المحسوسات فينبغي أن لا تعرض لكلامهم في ذلك وتترك فيما  
 تركاه من التشابه ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر  
 الشريعة فأكرم بها عادة وأما اللفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالسطحات ويؤاخذهم  
 بها أهل الشرع فاعلم ان الانصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات  
 تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور  
 فن علم منهم فضله واقتدأوه جل على القصص الجليل من هذا وان العبارة عن المواجه  
 صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لابي يزيد وأمثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فؤاخذ بما  
 صدر عنه من ذلك اذ لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه وأما من تكلم بمثلها وهو  
 حاضر في حسه ولم يعلم به الحال فؤاخذ ايضا ولهذا أفقى النقهاء رأيا كابر المتصوفة  
 بقتل الخلاج لانه تكلم في حضوره وهو مالك حاله والله أعلم وسلف المتصوفة من أهل  
 الرسالة أعلام الملة الذين أشربنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا  
 النوع من الادراك انما همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من  
 ذلك أعرض عنه ولم يحفل به بل يفترون منه ويرون انه من العوائق والحق وأنه ادراك  
 من ادراكات النفس مخلوق حادث وأن الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان  
 وعلم الله أوسع وخلق أكبر وشريعته بالهداية أم لك فلا ينطقون بشيء مما يدركون بل  
 حفظوا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه  
 والوقوف عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع  
 والاقتداء ويأمرون أصحابهم بالتزامها وهكذا ينبغي أن يكون حال المريدين والله الموفق  
 للصواب



هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عند ما صارت العلوم صنائع وكتب  
 الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير لهما فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وربما  
 كان في الملوك والأمم من قبل إلا أنه لم يصل اليه إلا كتنافيه بكلام المعبرين من أهل  
 الإسلام والأفارو ياموجود في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرا فلقد كان  
 يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في الصحيح  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك  
 الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة  
 وقال لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له وأول ما بدئ  
 به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح  
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انتقل من صلاة الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحد  
 منكم الليلة رؤيا يسألهم عن ذلك ليستبشروا ما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين  
 واعزازه وأما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو أن الروح القلبية وهو البخار  
 اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي يتشرف في الشريانات ومنع الدم في سائر  
 البدن وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية واحساسها فإذا أدركه الملأل بكثرة  
 التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سطح البدن  
 ما يغشاه من برد الليل انخس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي فيستجم  
 بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم  
 في أول الكتاب ثم إن هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الإنسان والروح  
 العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته اذ حقيقة ذاته وعينه الإدراك وانما يمنع  
 من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو  
 قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع إلى حقيقة ذاته وهو عين الإدراك فيعقل كل  
 مدرك فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من إدراك لمحة من عالمه بقدر ما تجرد  
 له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الأعظم فاستعدت  
 لقبول ما هنالك من المدارك اللاتقة من عالمه وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع  
 إلى بدنه اذ هو مادام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية والمدارك  
 الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه يتزع من الصور  
 المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها إلى الحافظة تحفظها إلى وقت الحاجة اليها عند  
 النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية فيترقى بالتجريد  
 من المحسوس إلى المعقول والخيال واسطة بينهما ولذلك إذا أدركت النفس من عالمها

ماتدركه ألقته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه  
 النائم وكأنه محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال أيضا  
 واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة وأضغاث  
 الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصور  
 متنزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وان كانت مأخوذة من الصور التي  
 في الحافظة التي كان الخيال أودعها اياها منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام \* وأما  
 معنى التعبير فاعلم أن الروح العقلي اذا أدرك مدركه وألقاه الى الخيال فصوره فانما  
 يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم  
 فيصوره الخيال بصورة البحر أو يدرك العدو فيصورها الخيال في صورة الحية فاذا  
 استيقظ وهو لم يعلم من أمره الا أنه رأى البحر أو الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن  
 يتيقن أن البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءه ما هو به يمدى بقرائن أخرى تعينه  
 المدرك فيقول مثلاً هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه به السلطان  
 وكذلك الحية يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالنساء لانهن  
 أوعية وأمثال ذلك ومن المرقى ما يكون صريحاً لا يفتقر الى تعبير بل لاثباتها ووضوحها  
 أو اقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه واهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله  
 ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر الى  
 تأويل والتي من الملك هي الرؤيا المصادقة تفتقر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان  
 هي الاضغاث \* واعلم أيضاً أن الخيال اذا ألقى اليه الروح مدركه فانما يصوره  
 في القوالب المعتادة للحس ما لم يكن الحس أدركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد  
 أعجمي أن يصوره السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاواني لانه لم يدرك شيئاً  
 من هذه وانما يصوره الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي  
 السموات والمشمومات وليتخفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه  
 ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يبنى عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون  
 البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر  
 يقولون البحر يدل على الهم والامر القادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو  
 وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة وأمثال  
 ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي  
 تعين من هذه القوانين ما هو أليق بالرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم  
 ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل مبدء من الماخلاق له ولم يزل

هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء وكتب عنه في ذلك القوانين وتنقلها الناس لهذا العهد وألف الكرماني فيه من بعده ثم ألف المتكلمون المتأخرون وأكثروا والمتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القيرواني من علماء القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الإشارة للسالمي وهو علم مضى بنور النبوة للمناسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

(العلوم العقلية واصنافها)

١٣

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة بجملة بل يوجد النظر فيها الاهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران الخليفة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم الاوّل علم المنطق وهو علم يصمّ الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تميز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اتمام في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكوّنة عنهما من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها واما ان يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على أربعة علوم وتسمى التعاليم أو لها علم الهندسة وهو الناظر في المقادير على الاطلاق اما المنفصلة من حيث كونها معدودة أو المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط أو ذو بعدين وهو السطح أو ذو أبعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها اتمام من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها علم الارتماطيقي وهو معرفة ما يعرض لكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد ونغمته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارتماطيقي أولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم



الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه فن فروع  
الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والقرائن والمعاملات ومن  
فروع الهيئة الازياج وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعد يلها الوقوف  
على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية  
ونحن نتكلم عليها واحد بعد واحد الى آخرها واعلم أن أكثر من عني بها في الاجيال  
الذين عرفنا أخبارهم الاثنتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم  
فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدولة  
والسلطان قبل الاسلام وعصره لهم فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم  
وأمنصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط  
عناية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطلاسم وأخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان  
فاختص بها القبط وطمى بحر هافهم كما وقع في المتلوم من خبر هاروت وماروت وشأن  
السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البرابي بصعيد مصر ثم تابعت الملل بحظر ذلك  
وتحريمه فدرست علومه وبطلت كأن لم تكن الا بقايا يتناقلها متحلو هذه الصنائع  
والله أعلم بصحتها مع أن سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختبارها وأما  
الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما ونطاقها متسعاعا لما كانت عليه  
دولتهم من النخامة واتصال الملك ولقد يقال أن هذه العلوم انما وصلت الى يونان  
منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستوى على كتبهم وعلومهم  
مالا يأخذه الحصر ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتب كثيرة كتب سعد بن أبي  
وقاص الى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتنقلها للمسلمين فكتب اليه عمر أن  
اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالا فقد  
كفانا الله فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل الينا \*  
واما الروم فكانت الدولة منهم امونان أولا وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب  
وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم واختص فيهم المشاؤون منهم  
أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرؤن في رواق يظلمهم من الشمس  
والبرد على ما زعموا واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم  
في تلميذه بقراط الدين ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر  
الافروديسي وتلاميذهم وغيرهم وكان ارسطو معلما لالاسكندر ملكهم الذي  
غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من أيديهم وكان أرسطو في هذه العلوم قدما  
وأبعدهم فيها صيتا وكان يسمى المعلم الأول فطار له في العالم ذكر \* ولما انقرض

أمر اليونان وصار الامر لقيصرية وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم  
 كما تقتضيهم الملل والشرائع فيها وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في  
 خزانهم ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لاهله  
 الظهور الذي لا يكفاه له وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للامم وابتداء أمرهم  
 بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا تبجح السلطان والدولة وأخذوا من  
 الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا في الصنائع والعلوم تشوقوا الى  
 الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين بعض  
 ذكر منها وبما سمعوا اليه افكار الانسان فيها فبعث أبو جعفر المنصور الى ملك الروم  
 أن يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب  
 الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي  
 منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث له هذه العلوم  
 حرصا وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين واتساخها بالخط  
 العربي وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من أهل  
 الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالفوا كثير من آراء  
 المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودقوا في ذلك الدواوين  
 وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي وأبو  
 علي بن سينا بالمشرق والقاضي أبو الوليد بن رشد والوزير أبو بكر بن الصائغ بالاندلس  
 الى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هؤلاء بالشهرة والذكروا قصير كثير  
 على احتمال التعاليم وما يضاف اليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ووقفت  
 الشهرة في هذا المتحل على مسلمة بن أحمد الجريطي من أهل الاندلس وتليذه ودخل  
 على الملة من هذه العلوم وأهلها داخله واستهوت الكثير من الناس بما جنحوا اليها  
 وقلدوا آراءها والذنب في ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فعلوه \* ثم ان المغرب  
 والاندلس لما ركدت ريح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منهما  
 الا قليلا من رسومه تجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء السنة ويبلغنا  
 عن أهل المشرق أن بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم  
 وما بعده فيما وراء النهر وأنهم على تبحر من العلوم العقلية لتوفر عمرانهم واستحكام  
 الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر على تأليف متعددة لرجل من عظماء هراة من بلاد  
 خراسان يشهر بسعد الدين التقي زاني منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان  
 تشهد بأن له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي آثانها ما يدل له على أن له اطلاعا على العلوم

الحكمة وقد ما عالسة في سائر الفنون العقلية والله يؤيد بنصره من يشاء كذلك بلغنا  
لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية يبلاد الأفرنجية من أرض رومة وما إليها من  
العدوة الشمالية نافقة الاسواق وأن رسومها هنالك متجددة ومجالس تعليمها متعددة  
ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكثرة والله أعلم بما هنالك وهو يخلق ما يشاء ويختار

### (العلوم العددية)

وأولها الارتباط في وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التآليف أما على التوالي  
أو بالتضعيف مثل أن الأعداد إذا توالى متفاضلة بعدد واحد فإن جمع الطرفين منها  
مساو لجمع كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد ومثل ضعف الواسطة أن كانت  
عدة تلك الأعداد فردا مثل الأفراد على تواليها والزوج على تواليها ومثل أن الأعداد  
إذا توالى على نسبة واحدة يكون أولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الخ أو يكون  
أولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فإن ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب  
كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد أحدهما في الآخر ومثل مربع الواسطة  
أن كانت العدة فردا وذلك مثل أعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة فثمانية  
فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات  
والخمسات والمستدسات إذا وضعت متتالية في سطورها بأن يجمع من الواحد إلى  
العدد الأخير فتكون مثلثة وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على  
كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي  
قبله فتكون مخمسة وهلم جرا وتتوالى الأشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول  
ذو طول وعرض في عرضه الأعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم  
الخمسات الخ وفي طوله كل عدد واشكاله بالغاما يبلغ وتحدث في جمعها وقسمتها بعضها  
على بعض طولا وعرضا خواص غريبة استقرت منها وتقررت في دواوينهم مسائلها  
وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الزوج والفرد وزوج الزوج والفرد فان  
لكل منها خواص مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن أول أجزاء  
التعاليم وأثبتها ويدخل في براهين الحساب والحكمة المتقدمين والمتأخرين فيه تأليف  
وأكثرهم بدرجونه في التعاليم ولا يقدرونه بالتأليف فعمل ذلك ابن سينا في كتاب  
الشفاء والنجاة وغيره من المتقدمين وأما المتأخرون فهو عندهم مهجور واذ هو غير  
متداول ومنفعته في البراهين لا في الحساب فهجروه لذلك بعد أن استخلصوا زبدته  
في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى أعلم



\* (ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) \* وهي صناعة علمية في حساب الاعداد  
 بالضم والتقريب فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو الجمع والتضعيف تضاعف  
 عدداً بآخر وهداه الضرب والتقريب أيضاً يكون في الاعداد اما بالافراد  
 مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية  
 تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتقريب في الصحيح من العدد  
 أو الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد وتلك النسبة تسمى كسراً وكذلك يكون  
 بالضم والتقريب في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد  
 المربع فان تلك الجذور أيضاً يدخلها الضم والتقريب وهذه الصناعة حادثة احتيج  
 اليها للحساب في المعاملات وألف الناس فيها كتباً كثيرة وتداولوها في الامصار بالتعليم  
 للولدان ومن أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لانها معارف متفحمة وبراهين منتظمة  
 فينشأ عنها في الغالب عقل مضى، درب على الصواب وقد يقال من أخذ نفسه بتعليم  
 الحساب أول أمره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة  
 النفس فيصير ذلك خلقاً ويتعود الصدق ويلزمه مذهبا ومن أحسن التأليف  
 المبسوطه فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولابن البناء المراكشي فيه  
 تلخيص ضابط القوانين أعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق  
 على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر أدركنا المشيخة  
 نعتهم وهو كتاب جدير بذلك وانما جاء الاستغلاق من طريق البرهان ببيان علوم  
 التعاليم لان مسائلها وأعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فأنما هو اعطاء العال  
 في تلك الاعمال وفي ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد في أعمال المسائل فتأمل  
 والله يهدي بنوره من يشاء وهو القوي المتين \* (ومن فروع علم الجبر والمقابلة) \*  
 وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المقروض اذا كان بينهما  
 نسبة تقضى ذلك فاصططحوافيا على أن جعلوا للمجهولات مراتب من طريق  
 التضعيف بالضرب أو لها العدد لان به يتعين المطلوب المجهول باستخراجها من نسبة  
 المجهول اليه وثانيها الشيء لان كل مجهول فهو من جهة ابهامه شيء وهو أيضاً جذر  
 لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو أمر مهم وما بعد ذلك فعلى  
 نسبة الاس في المصروفين ثم يقع العمل المقروض في المسئلة فتخرج الى معادلة بين  
 مختلفين وأكثر من هذه الاجناس فيقابلون بعضها ببعض ويجبرون ما فيها من الكسر  
 حتى يصير صحيحا ويحطون المراتب الى أقل الاسوس ان أمكن حتى يصير الى الثلاثة  
 التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشيء والمال فان كانت المعادلة بين واحد

وواحد تعين فالمال والجذر يزول ابهامه بمعادلة العدديتين والمال وان عادل الجذور  
 يتعين بعدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين أخرجه العمل الهندسي من طريق  
 تفصيل الضرب في الاثنين وهي مهمة فيعينها ذلك الضرب المفصل ولا يمكن المعادلة  
 بين اثنين واثنين وأكثر ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة بين عدد  
 وجذر مال مفردة أو مركبة تجي ستة وأول من كتب في هذا الفن أبو عبد الله  
 الخوارزمي وبعده أبو كامل شجاع بن أسلم وجاء الناس على أثره فيه وكتبه في مسائله  
 الست من أحسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من أهل الاندلس فأجادوا  
 ومن أحسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا أن بعض أئمة التعاليم من أهل المشرق  
 أنهى المعاملات الى أكثر من هذه الستة أجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج  
 لها كلها أعمالا وأسمعه ببراين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى  
 \* (ومن فروعه أيضا المعاملات) \* وهو تصرف الحساب في معاملات المدن  
 في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف  
 في ذلك صناعتا الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها  
 والغرض من تكثير المسائل المقروضة فيها حصول المراتب والدربة بتكرار العمل حتى  
 ترسخ الملكة في صناعة الحساب ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الاندلس تأليف  
 فيها متعددة من أشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع وأبي مسلم بن خالدون من  
 تلميذ مسلمة الجريطي وأمثالهم \* (ومن فروعه أيضا الفرائض) \* وهي صناعة  
 حسابية في تصحيح السهام لذوى الفروض في الوراثات اذا تعددت وهلك بعض  
 الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته أو زادت الفروض عنه اجتماعها وتزاحها  
 على المال كله أو كان في الفريضة اقرارا وانكارا من بعض الورثة فيحتاج في ذلك كله  
 الى عمل يعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة من كل بطن صحيحا حتى  
 تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها  
 من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتب على  
 ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من  
 الفقه وهو أحكام الوراثة من الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير  
 وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهام باعتبار الحكم  
 الفقهى وهي من أجل العلوم وقد يورد أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها مثل  
 الفرائض ثلث العلم وإنما أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندى أن ظواهر تلك  
 الأحاديث كلها انما هي في الفرائض العينية كما تقدمت لافرائض الوراثات فانها أقل

من أن تكون في كبرها ثلث العلم وأما الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديما وحديثا وأوعبوا ومن أحسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنذر والجعدى والصردى وغيرهم لكن الفضل للحوفي في كتابه مدة - دم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا أبو عبد الله سليمان الشطبي كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب ولامام الحرمين فيها تأليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع باعه في العلوم ورسوخ قدمه وكذا للعنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم ولا رب سواه

### (العلوم الهندسية)

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزوياه مثل قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا إلى غير نهاية ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منه - مامتساويتان ومثل أن الاربعة مقادير المناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان وهو أبسط ما وضع فيها للمتعلمين وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين فمنها الحنين ابن اسحاق واثابت بن قرة وليوسف بن الجلاح ويشتمل على خمس عشرة مقالة أربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها إلى بعض وثلاث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناها الجذور وخمس في المجسمات وقد اختصره الناس اختصارا كثيرة كما فعله ابن سينا في تعاليم الشفاء فأفرد له جزءا منها اختصه به وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقتصار وغيرهم وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها ضياء في عقله واستقامة في فكره لأن براهينها كلها بيينة الانتظام جليلة الترتيب لا يكاد الغلط يدخل أقيسة ترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بما رسته عن الخطأ وينشأ صاحبها عقل على ذلك المهيئ وقد زعموا أنه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل منزلا وكان شيوخنا رحمه الله يقولون بممارسة علم الهندسة لفكر بمثابة الصابون لاثوب الذي يغسل منه الاقدار وينقيه من الاوضار والادران وانما لك لما أشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه \* (ومن فروع



هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات) \* أما الاشكال  
الكرية ففيها كتابان من كتب اليونانيين ثاودوسيوس وميلاوش في سطوحها  
وقطوعها وكتاب ثاودوسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من  
براهينه عليه ولا بد منهم ما لم يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينهامة متوقفة عليهما  
فالكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر  
بأسباب الحركات كما ذكره فقد يتوقف على معرفة أحكام الاشكال الكرية سطوحها  
وقطوعها وأما المخروطات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو علم ينظر فيما يقع  
في الاجسام المخروطية من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من  
العوارض يبراهين هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها تظهر في الصناعات  
العملية التي موادها الاجسام مثل التجارة والبناء وكيف تصنع القنايل الغريبة  
والهياكل النادرة وكيف يتحصيل على جزر الانتقال ونقل الهياكل بالهندام والميخال  
وأمثال ذلك وقد أفرد بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في الحيل العملية يتضمن من  
الصناعات الغريبة والحيل المستطرفة كل بحجية وربما استغلق على الفهوم لصعوبة  
براهينه الهندسية وهو موجود بأيدي الناس ينسبونه الى بنى شاكر والله تعالى أعلم  
(\* ومن فروع الهندسة المساحة) \* وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه  
استخراج مقدار الارض المعلومة بنسبة شبر أو ذراع أو غيرهما أو نسبة أرض من  
أرض اذا قويت بمثل ذلك ويحتاج الى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والقدن  
وبساتين الغراسية وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركاء أو الورثة وأمثال ذلك  
والناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بانه وكرمه \* (المناظر  
من فروع الهندسة) \* وهو علم يتبين به أسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة  
كيفية وقوعها بناء على أن ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر  
وقاعدته المرتبة ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبير أو البعيد صغيرا وكذا رؤية  
الاشباح الصغيرة تحت الماء ورأى الاجسام الشفافة كسيرة ورؤية النقطة النازلة  
من المطر خطا مستقيما والساعة دائرة وأمثال ذلك فيتميز في هذا العلم أسباب ذلك  
وكيفية تباينه بالبراهين الهندسية ويتبين به أيضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف  
العروض الذي ينبنى عليه معرفة رؤية الالهة وحصول الكسوفات وكثير من امثال  
هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين وأشهر من ألف فيه من الاسلاميين  
ابن الهيثم وغيره فيه أيضا تأليف وهو من هذه الرياضة وتفاريعها

(علم الهيئة)

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحركة ويستدل بكميات تلك الحركات على أشكال وأوضاع الافلاك لزمت عنها هذه الحركات الخمسة بطرق هندسية كما يبرهن على أن مركز الارض مبين لمركز ذلك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكواكب الواحد بتعداد الميول له وأمثال ذلك وادراك الموجود من الحركات وكمياتها وأجناسها انما هو بالرصد فانما علمنا حركة الاقبال والادبار به وكذا تركيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات التي توضع لرصدها حركة الكوكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين اليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس وأما في الادلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام المأمون شيء منه وصنع الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولمات ذهب رسمه وأغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الزمان ظهرت تفاوت ذلك بالتقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور انما تعطى صورة السموات وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطى أن هذه الصور والهيئات للافلاك لزمت عن هذه الحركات وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطى الحقيقة بوجه على أنه علم جليل وهو أحد أركان التعاليم ومن أحسن التأليف فيه كتاب المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم ببطليموس على ما حقه شرّاح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء وخلصه ابن رشد أيضا من حكماء الاندلس وابن السمع وابن الصلت في كتاب الاقتصار ولابن الفرغاني هيئة مخصصة قريبا وحذف براهين الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين \* (ومن فروعه علم الازياج) \* وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها الاى وقت فرض من قبل حسابان حركاتها على تلك

القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول  
لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية واصول متقررة من معرفة الاوج  
والخفيض والمبول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها  
في جداول مرتبة تسهلا على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع  
الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلا وتقويما للناس فيه تاليف كثيرة  
للمتقدمين والمتأخرين مثل البتاني وابن الكادوقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب  
على زيج منسوب لابن اسحاق من منجمي تونس في أول المائة السابعة ويرغمون أن  
ابن اسحاق عول فيه على الرصد وان يهوديا كان بصقلية ماهر في الهيئة والتعالم  
وكان قد عني بالرصد وكان يعث اليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها  
فكان أهل المغرب لذلك عنوا به لوثاقه مبنية على ما يرغمون ونحسه ابن البتاني آخر سماه  
المنهاج فولع به الناس لمسهل من الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب  
من الفلك اتنبني عليها الاحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها  
بأوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والمواليد البشرية كما بينه بعد ونوضح  
فيه أدلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يحب ويرضاه لامعبد وسواه

قوله البتاني بفتح  
الموحدة وتشديد  
المائة كما ضبطه  
ابن خلدون  
في ترجمته قبيل  
آخر المحدثين اهـ  
مصححه

### (علم المنطق)

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للماهيات والخصائص المفيدة  
للتصديقات وذلك أن الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع  
الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنها بادراك  
الكلمات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بأن يحصل في الخيال من الاشخاص المتفقة  
صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلي ثم ينظر الذهن بين  
تلك الاشخاص المتفقة وأشخاص أخرى توافقه في بعض فيحصل له صورة تطبق  
أيضا عليها باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكل الذي لا يجد كليا  
آخر معه يوافقه فيكون لاجل ذلك بسيطا وهذا مثل ما يجرد من أشخاص الانسان  
صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبقة  
عليها ثم ينظر ما بين النبات الى أن ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا  
يوافقه في شيء فيقف العقل هناك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذي  
به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصورا للماهيات ويعني به ادراكها من غير  
حكم معه واما تصديقا أي حكما بثبوت أمر لا مرصا رسي الفكر في تحصيل المطالبات



اما بان تجمع تلك الكلمات بعضهم الى بعض على جهة التأليف فتحصل صورة في  
 الذهن كلية منطبقة على أفراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة  
 ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا  
 وغايته في الحقيقة راجعة الى التصورات فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق  
 الاشياء التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد  
 يكون بطريق فاسد فاقضى ذلك تميز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل  
 المطالب العلمية ليميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق وتكامل فيه  
 المتقدمون أول ما تكلموا به جلا جلا ومفترقا ولم تهم بذب طرقه ولم تجمع مسائله حتى  
 ظهر في يونان ارسطوفه ذب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله أول العلوم  
 الحكمية وفاتحتها ولذلك يسمى بالمعلم الأول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو  
 يشتمل على ثمانية كتب أربعة منها في صورة القياس وأربعة في مادته وذلك أن المطالب  
 التصديقي على انحاء \* فمنها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون  
 المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يقبده  
 وما ينبغي أن تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن أي جنس يكون من العلم أو من  
 الظن وقد ينظر في القياس لابعبار مطلوب مخصوص بل من جهة اتاجه خاصة  
 ويقال للنظر الأول أنه من حيث المادة ونعني به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص  
 من يقين أو ظن ويقال للنظر الثاني أنه من حيث الصورة واتاج القياس على الاطلاق  
 فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية \* الأول في الاجناس العالمية التي ينتهي اليها  
 تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات \* والثاني  
 في القضايا التصديقية وأصنافها ويسمى كتاب العبارة \* والثالث في القياس  
 ومصورة اتاجه على الاطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة  
 \* ثم الراجع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب أن تكون  
 مقدماته يقينية ويختص بشروط أخرى لفائدة اليقين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية  
 وأولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود اذا المطلوب فيها  
 انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والحدود لا تحتل غيرهما فلذلك اختصت  
 عند المتقدمين بهذا الكتاب \* والخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع  
 المشاغب والحام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويختص أيضا من  
 جهة افادته لهذا الغرض بشروط أخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذكورة  
 هنالك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه

وفيه عكوس القضايا \* والسادس كتاب السفسطة وهو اقياس الذي يفيد  
 خلاف الحق وبغاط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا الكتاب ليعرف به القياس  
 المغالطي فيحذر منه \* والسابع كتاب الخطابة وهو اقياس المفيد ترغيب الجمهور  
 وحملهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات \* والثامن كتاب  
 الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشيء أو النفرة عنه  
 وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا الخيلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند  
 المة قدمين ثم إن حكماء اليونانيين بعد أن تهذبت الصناعة وربت رأوا أنه لا بد من  
 الكلام في الكلمات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص به مقدمة  
 بين يدي الفن فصارت تسعا وترجمت كلها في اللغة الاسلامية وكتبها وتدواها  
 فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة  
 الاندلس وابن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء  
 المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق وألحقوا بالنظر في الكلمات الخمس ثمرته وهي الكلام  
 في الحدود والرسوم نقلوها من كتاب البرهان وحدثوا كتاب المقررات لأن نظر المنطق  
 فيه بالعرض لا بالذات وألحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس لأنه من توابع  
 الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من حيث اتساجه للمطالب  
 على العموم لا بحسب مادة وحدثوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة  
 البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة وربما يلزم بعضهم بالسير منها المأما  
 وأغفلوها كأن لم تكن وهي المهمة المعتمدة في الفن ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك  
 كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث أنه فن برأسه لا من حيث أنه آلة للعلوم فطال  
 الكلام فيه واتسع وأقول من قبل ذلك الامام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده أفضل  
 الدين الخوننجي وعلى كتبه معتمد المشاركة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب  
 كشف الاسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر المار جزوه وحسن في التعليم ثم  
 مختصر الجمل في قدر أربعة أوراق أخذ بمجامع الفن وأصوله فتدأله المتعلمون لهذا  
 العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن وهي عملة من عمرة  
 المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

### (الطبيعيات)

١٨

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام  
 السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعادن وما يتكون

في الارض من العيون والزلازل وفي الجحوم السحاب والبخار والرعد والبرق  
والصواعق وغير ذلك وفي مبدا الحركة للجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان  
والحيوان والنبات وكتب أرسطو فيه موجوده بين أيدي الناس ترجت مع ما ترجم  
من علوم الفلاسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وأوعب من ألف في ذلك  
ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم نلخصه في كتاب  
النجاء وفي كتاب الاشارات وكأنه يخالف أرسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها  
وأما ابن رشد فلخص كتب أرسطو وشرحها متبعاً له غير مخالف وألف الناس في ذلك  
كثيرا لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولاهل المشرق غداً  
بكتاب الاشارات لابن سينا وللإمام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الأمدى  
وشرحه أيضاً نصير الدين الطوسي المعروف بخواجه من أهل المشرق وببحث مع الإمام  
في كثير من مسائله فأرى على انظاره وبحوثه وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من  
يشاء الى صراط مستقيم

١٩ (علم الطب)

ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث  
يمرض ويصح فيها ولصاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالادوية والاغذية بعد أن يتبين  
المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها  
ومالكل مرض من الادوية مستداين على ذلك بأمر جنة الادوية وقرأها وعلى المرض  
بالعلامات المؤذنة بنجبه وقبوله الدوا وأولاً في السجية والفضلات والتبعض محاذين  
لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها  
بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادّة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا  
كله علم الطب وربما أفردوا بعض الاعضاء بالكلام وجعلوه علماً خاصاً كالعين وعلاها  
وأحكامها وكذلك الحقوا بالفن من منافع الاعضاء ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق  
كل عضو من أعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا أنهم  
جعلوه من لواحقه وتوابعه وإمام هذه الصناعة التي ترجت كتبه فيها من الاقدمين  
جالينوس يقال انه كان معاصر العيسى عليه السلام ويقال انه مات به قلية في سبيل  
تغاب ومطوعة اغتراب وتآبفه فيها هي الاتهامات التي اقدمى بها جميع اطباء بعده  
وكان في الاسلام في هذه الصناعة أئمة جاؤا من وراء الغاية مثل الرازي والجوسي  
وابن سينا ومن أهل الاندلس أيضاً كثير وأشهرهم ابن زهر وهو لهذا العهد في المدن



الاسلامية **كأنهم انقصت لوقوف العمران وتناقضه وهي من الصنائع التي**  
**لا تستدعيها الا الحضارة والترق كما يبينه بعد**

(فصل) وللبادية من أهل العمران طب ينونه في غالب الامر على تجر به قاصرة  
 على بعض الاشخاص متوارثا عن مشايخ الحى وبجائزته وربما يصح منه البعض الا  
 أنه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب  
**كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحرث بن كلدة وغيره والطب المنقول في**  
**الشرعيات من هذا القبيل وليس من الرضى في شئ وانما هو أمر كان عاديا للعرب ووقع**  
**في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة**  
**لا من اجتهاد ان ذلك مشروع على ذلك النجوم من العمل فانه صلى الله عليه وسلم انما بعث**  
**ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات وقد وقع له في شأن**  
**تلقيح النخل ما وقع فقال أنتم أعلم بأمور دنياكم فلا ينبغي أن يحمل شئ من الطب**  
**الذى وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يبدل عليه**  
**اللهم الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايمانى فيكون له أثر عظيم في**  
**النفع وليس ذلك في الطب المزاجى وانما هو من آثار الكلمة اليمانية كما وقع في مداواة**  
**المبطلون بالعسل والله الهادى الى الصواب لارب سواه**

### (الفلاح)

٢٠

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تيمته ونشؤه بالسقى  
 والملاج وتعهده بمثل ذلك وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم  
 عاما في النبات من جهة غرسه وتيمته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلها  
 لروحانيات الكواكب والهيكل المستعمل ذلك كله في باب السحر فعظمت عنايتهم  
 به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء  
 النبط مشتهرة من ذلك على علم كبير ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب  
 وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا فافتدروا منه على الكلام في النبات من  
 جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة  
 واختصروا بن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفن الآخر منه  
 مغفلا نقل منه مسلمة في كتبه السحرية اتمهات من مسائله كما ذكره عند الكلام على  
 السحر ان شاء الله تعالى وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام  
 في الفرائض والعلاج وحفظ النبات من حوائجه وعوائقه وما يعرض في ذلك كله

## (علم الالهييات)

٢١

وهو علم ينظر في الوجود المطابق فأقول في الامور العامة للجسمانيات والروحانيات من  
 الماهيات والوحدة والكثرة والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر في مبادئ  
 الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومرتبتها ثم في أحوال  
 النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ وهو عندهم علم شريف يزعمون أنه  
 يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في زعمهم وسيأتي الرد  
 عليهم وهو تال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم  
 الاول فيه موجوده بين أيدي الناس ونلخصه ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاء وكذلك  
 نلخصه ابن رشد من حكماء الاندلس وما وضع المتأخرون في علوم القوم ودقوا فيها ورد  
 عليهم الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل  
 الفلسفة لعروضها في مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهييات ومسائله  
 بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات  
 والالهييات وخطوه ما فشا واحدا قدموا الكلام في الامور العامة ثم تبعوه  
 بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى آخر العلم كما فعله الامام بن الخطيب  
 في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطا  
 بمسائل المحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد  
 والتبس ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هي عقائد متقاة  
 من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه بمعنى  
 انها لا تثبت الا به فان العقل معزول عن الشرع وأتظاره وما تحدث فيه المتكلمون  
 من اقامة الحجج فليس بجناح الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما هو شأن  
 الفلاسفة بل انما هو التماس حجة عقلية نعضد عقائد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع  
 شبه أهل البدع عنها الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية وذلك بعد أن تفرض صحة  
 بالدلة العقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك أن مدارك  
 صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها  
 ومحيط بها الاستعدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف  
 والمدارك المحاط بها فاذا هداها الشارع الى مدارك فينبغي أن نقدمه على مداركنا  
 ونثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعتمد ما أمرنا به اعتقادا

وعلماء ونسكت علم نفهم من ذلك ونفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام أهل الاتحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واسمى ذلك الخلق النظرية ومحاذاة العقائد السلفية بها وأما النظر في مسائل الطبيعيات والالهيات بالصحيح والبطلان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك لغيره بين الفنين فانهم ما يختلطان عند المتأخرين في الوضع والتأليف والحق مغيرة كل منهما صاحبه بالموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج أهل الكلام كانه انشاء لطالب الاعتماد بالدليل وليس كذلك بل انما هو رد على المحدثين والمطلوب مفروض الصدق معلومه وكذلك جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواجد أيضا فخلطوا مسائل الفنين بينهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلاهما مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغيرة مختلفة وادمدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل والوجدان بعيد عن المدارك العلمية والبحاثها وتوابعها كما بيناه ونبينه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والله أعلم بالصواب

### (علوم السمر والاطلسات)

٢٢

هو علم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر ما بغير معين أو معينين من الامور السماوية والاقول هو السحر والثاني هو الطلسات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لم فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كلفة قود بين الناس الا ما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين فان جميع من تقدمه من الانبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جاؤا بالاحكام انما كانت كتبهم مواعظ وتوحيد الله وتذكير بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من النبط وغيرهم وكان لهم فيها التأليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل مثل افلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه ووضعوا بعد ذلك الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طهمط الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصنف



كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرهما من  
التأليف وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لأنها من توابعها الآن حالة الأجسام  
النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من  
قبيل السحر كما نذكره في موضعه \* ثم جاء مسئلة بن أحمد المجرى على أمام أهل  
الاندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في  
كتاب الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده \* وانقدم هنا مقدمة  
تبيين بها حقيقة السحر وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهي  
مختلفة بالخواص وهي أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في  
الصنف الآخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها فنفس الانبياء عليهم  
الصلاة والسلام لها خاصية تستعذب بالمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم  
السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتبع ذلك من التأثير في الأكوان واستحلاب  
روحانية الكواكب لتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية فأما تأثير  
الانبياء فقد دال على وخصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات  
بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر والنفوس الساحرة  
على مراتب ثلاثة يأتي شرحها فأولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو  
الذي تسميه الفلاسفة السحر والشانين بعين من مزاج الافلاك والعناصر وأحوال  
الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الاول والثالث تأثير في القوى  
المختلطة يعتمد صاحب هذا التأثير في القوى المختلطة في تصرف فيها بنوع من التصرف  
ويبقى فيها أنواع من الخيالات والمحاكات وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحس  
من الراتب بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هنالك شيء من  
ذلك كما يحكي عن بعضهم أنه يرى البساتين والانهار والقصور وليس هنالك شيء من ذلك  
ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية  
تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة  
وربما في السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية  
والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة إلى غير الله  
وسجود له والوجهة إلى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرًا والكفر من مواده وأسبابه كما  
رأيت ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو كفره السابق على فعله أو  
لتصرفه بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد في الأكوان والكل حاصل منه ولما كانت  
المرتبتان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة الاخيرة الثالثة

لاحقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو انما هو تخيل فالقائلون بأن له حقيقة نظروا الى المرتبتين الاولين والقائلون بأن لا حقيقة له نظروا الى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل اختلفوا من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم \* واعلم أن وجود السحر لا مريية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولا تكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولان نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهم ما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في بئر ذروان فأنزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت وأما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك ورأينا بالعيان من بصورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور وأمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عينا أو معنى ثم ينقث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بكري يخرج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعداءه لذلك تفاؤلا بالعقد والزام وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفسه في فعله ذلك استشعارا للعزيمة بالعزم ولتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه مع النفخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا أيضا من المتحليين للسحر وعمله من يشير الى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فاذا هو مقطوع متخترق ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فاذا المعازها ساقطه من بطونها الى الارض وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير الى انسان في تحت قلبه ويقع ميتا وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير الى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الارض

المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد المتحابية وهي رك  
 رفد أحد العددين مائتان وعشرون والاخر مائتان وأربعة وعشرون ومعنى  
 المتحابية أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلث وربع وسدس وخمس وأمثالها  
 اذا جمع كان مساويا للعدد الاخر صاحبها فتسمى لاجل ذلك المتحابية ونقل أصحاب  
 الطلسمات أن تلك الاعداد أترافى الالف بين المتحابين واجتماعها ما اذا وضع لهما  
 مثالان أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها وشرفها ناظرة الى القمر نظرمودة وقبول  
 ويجعل طالع الثاني سابع الاول ويضع على أحد التمثالين أحد العددين والاخر على  
 الاخر ويقصد بالاكثر الذي يراد استلافه أعني المحبوب ما أدرى الاكثر كية أو  
 الاكثر أجرا فيكون لذلك من التأليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد يتفكر أحدهما  
 عن الاخر قاله صاحب الغاية وغيره من أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا  
 طابع الاسد يسمى أيضا طابع الحصى وهو أن يرسم في قالب هنداصبع صورة أسد  
 شائلا ذنبه معاضا على حصة قد قسمها بنصفين وبين يديه صورة حية منسابة من رجله الى  
 قبانه وجهه فاغرة فاها الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويتصين برسمه حلول  
 الشمس بالوجه الاول أو الثالث من الاسد بشرط صلاح النيرين وسلامتهما من  
 النحوس فاذا وجد ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المثقال فسادونه من  
 الذهب وغمس بعد في الزعفران محلول بالماء الورد ورفع في خرقه حرير صفراء فغمس  
 يزعمون أن لمسه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر  
 عنه وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعز على من تحت أيديهم ذكر ذلك أيضا أهل  
 هذا الشأن في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المستدس المختص  
 بالشمس ذكر وانه يوضع عند حلول الشمس في شرفها زسلامتها من النحوس وسلامة  
 القمر بطالع ملوكي يعتبر فيه نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع نظرمودة وقبول  
 ويصلح فيه ما يكون في موالييد الملوك من الادلة الشريفة ويرفع في خرقه حرير صفراء  
 بعد أن يغمس في الطيب فزعموا أن له أترافى صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وأمثال  
 ذلك كثير وكأب الغاية لمسلمة بن أحمد المجريطي هو سدونة هذه الصناعة وفيه استيفاءها  
 وكما لمساؤها وذكرنا أن الامام الفخر بن الخطيب رضع كتابا في ذلك وسماه بالسرى  
 المكتوم وأنه بالمشرق يتداوله أهله ونحو لم نقف عليه والامام لم يكن من أئمة هذا الشأن  
 فيما نطن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف من هؤلاء المتبحرين لهذه الاعمال  
 السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت أولا أنهم يشيرون الى الكساء أو الجلد  
 فيتمزق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى أدهم لهذا العهد باسم



البعاج لان أكثر ما ينتحل من السحر بعج الانعام يرهب بذلك أهلها يعطوه من فضلها  
وهم مستترون بذلك في الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت  
من أفعالهم هذه بذلك وأخبرني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات ككفرية  
واشرال الروحانيات الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيرة  
يتدارسونها وات بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لهم وان  
التأثير الذي لهم انما هو فيما سوى الانسان الحرز من المتاع والحیوان والرقب ويهربون  
عن ذلك بقولهم انما تفعل فيما تشي فيه الدواهم أي ما يملك ويبيع ويشترى من سائر  
الملكات هذا ما زعموه وسألت بعضهم فآخبرني به وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا  
على الكثير منها وعما ينتهون من غيرية في ذلك هذا شأن السحر والطلسمات وآثارهما في  
العالم فأما الفلاسفة فقروا بين السحر والطلسمات بعد أن أثبتوا أنهما جميعا أثر للنفس  
الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بأن لهما آثارا في بدنهما على غير  
المجرى الطبيعي وأسبابه الجسمانية بل آثار عارضة من ككيفية الارواح تارة  
كالضوئية الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصورات النفسانية أخرى  
كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط أو على جبل منتصب اذا قوى  
عنده توهم السقوط سقط بلا شك وهذا تجد كثير من الناس يعودون أنفسهم ذلك  
حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يعيشون على حرف الحائط والجبل المنتصب  
ولا يخافون السقوط فثبت أن ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من  
أجل الوهم واذا كان ذلك اثر للنفس في بدنهم من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية  
فجاز أن يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنهم اذ نسبتهم الى الابدان في ذلك النوع من  
التأثير واحدة لانهم غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه فثبت أنها مؤثرة في سائر الاجسام  
وأما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج الساحر فيه الى  
معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الاعداد وخواص  
الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجبون ويقولون السحر  
اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية  
السماوية بالطبائع السفلية والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك  
يستعين صاحبها في غالب الامر بالتجامة والساحر عندهم غير مكسب لسحره بل هو  
مفتور عندهم على تلك الجبله المختصة بذلك النوع من التأثير والفرق عندهم بين  
المعجزة والسحر أن المعجزة قوة الهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح الله  
على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عنده نفسه وبقوته النفسانية وباعداد

الشياطين في بعض الاحوال فيبينهما الفرق في المعقولية والحقيقة والذات في نفس  
 الامر وانما نستدل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب  
 الخير وفي مقاصد الخير وللنفوس المتمحضة للخير والتحدى بهم على دعوى النبوة والسحر  
 انما يوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر في الغالب من التفرق بين الزوجين وضرر  
 الاعداء وأمثال ذلك وللنفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الالهيين  
 وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب ~~السكرات~~ كرامات تأثير أيضا في أحوال العالم وليس  
 معدودا من جنس السحر وانما هو بالامداد الالهي لأن طريقهم ونحلتهم من آثار  
 النبوة وتوابعها ولهم في المدد الالهي حفظ على قدر حالهم وإيمانهم وتمسكهم بكلمة الله  
 وإذا اقتدر أحد منهم على أفعال الشر فلا يأتيتها لانه متقيد فيما يأتيه ويذره للامر  
 الالهي فلا يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ومن أتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق  
 وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الالهية فلذلك لا يعارضها  
 شيء من السحر وانظر شأن سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقت  
 ما كانوا يأفكون وذهب سحرهم واضمحلت كأن لم يكن وكذلك لما أنزل على النبي  
 صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها  
 فكان لا يقرؤها على عقدة من العقد التي سحر فيها الا انحلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله  
 وذكره وقد نقل المؤرخون أن زركش كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفق المثني  
 العددي منسوجا بالذهب في أوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الاية يوم  
 قتل رسم بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام أهل فارس وشتاتهم وهو فيما تزعم  
 أهل الطلسمات والافاق مخصوص بالغلب في الحروب وأن الاية التي يكون فيها أو  
 معها لا تنهزم أصلا الا أن هذه عارضها المدد الالهي من إيمان أصحاب رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وتمسكهم بكلمة الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا  
 يعملون وأما الشر بعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا  
 لأن الافعال انما أباح لنا الشارع منها ما يهتدي به في الدنيا الذي فيه صلاح آخرتنا أو  
 في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا وما لا يهتدي به في شئ منهما فان كان فيه ضرر أو نوع ضرر  
 كالسحر الخاصل ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات لأن أثرهما واحد كالنجاسة التي  
 فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير ففسد العقيدة الايمانية برد الامور الى غير الله فيكون  
 حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبته في الضرر وان لم يكن مهملينا ولا فيه ضرر فلا  
 أقل من أن تركه قربى الى الله فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشر بعة  
 باب السحر والطلسمات والسغوة بابا واحدا لما فيها من الضرر وخصته بالخطر

والنحرير وأما الفرق عندهم بين المجيزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون انه راجع الى  
التخدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قالوا والساحر مصروف عن مثل هذا  
التخدي فلا يقع منه ووقوع المجيزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة  
المجيزة على الصدق عقلية لان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لاستحال  
الصادق كاذبا وهو محال فاذا الاتقع المجيزة مع الكاذب باطلاق وأما الحكماء فالفرق  
بين ما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه  
الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المجيزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل  
في أسباب الشر وكما أنهم على طرفي النقيض في أصل فطرتهم ما والله يهدي من يشاء  
وهو القوي العزيز لا رب سواه

(فصل) ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان  
عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات أو الاحوال ويفرط في استحسنه وينشأ عن  
ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عن اتصف به فيؤثر فسلده وهو  
جمله فطرية أعني هذه الاصابة بالعين والفرق بينها وبين التأثيرات وان كان منها  
ما لا يكسب أن صدورها راجع الى اختيار فاعلمها وافطرى منها قوة صدورها لانفس  
صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل  
وما ذلك الا لانه ليس مما يريده ويقصده أو يتركه وانما هو مجبور في صدوره عنه والله  
أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

### (علم اسرار الحروف)

٢٣

وهو المسمى اهذه العهد بالسمياتقل وضعه من الطلسمات اليه في اصطلاح أهل التصرف  
من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم في الملة بعد  
صدورها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور  
الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات  
ومن أهمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه وزعموا أن الكمال الاسمائي مظاهره  
أرواح الافلاك والكواكب وأن طبائع الحروف واسرارها سارية في الاسماء فهي  
سارية في الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن الابداع الاقل تنقل في اطواره  
وتعرب عن أسرارها لحدث لذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع علم السمياء لا يوقف  
على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله تعددت فيه تآليف البوني وابن العربي  
وغيرهما من أتباع آثارهما وحاصله عندهم وغرته تصرف النفوس الربانية في عالم



الطبيعة بالاسماء الحسنى والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالاسرار  
 السارية في الاكوان ثم اختفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو قنم - م من  
 جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع الى اربعة اصناف كما للعناصر  
 واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلا وانفعالا  
 بذلك الصنف فتشوعت الحروف بقانون صناعي يسمونه التكسير الى نارية وهوائية  
 ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالالف للنار والباء للهواء والجيم للماء  
 والذال للتراب ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر الى أن تنفذ فتعين  
 لعنصر النار حروف سبعة الالف والماء والطاء والميم والقاف والسين والذال وتعين  
 لعنصر الهواء سبعة أيضا الباء والواو والياء والنون والصاد والتاء والطاء وتعين لعنصر  
 الماء أيضا سبعة الجيم والراي والكاف والصاد والقاف والهاء والغين وتعين لعنصر  
 التراب أيضا سبعة الذال والحاء واللام والعين والراء والحاء والسين والحروف النارية  
 لدفع الامراض الباردة ولضعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها محاسنا وحكما  
 كما في تضعيف قوى المريح في الحروب والقتل والقتل والمائية أيضا لدفع الامراض  
 الحارة من نجيات وغيرها ولتضعيف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها محاسنا أو  
 حكما كتضعيف قوى القمر وأمثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف  
 للنسبة العددية فان حروف أبجدد الة على اعدادها المتعارفة وضعا وطبعافينها من  
 أجل تناسب الاعداد تناسب في نفسها أيضا كما بين الباء والكاف والراء دلالاتها كلها  
 على الاثنين كل في مرتبة فالباء على اثنين في مرتبة الاحاد والكاف على اثنين  
 في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكلا دي يتماو بين الدال والميم  
 والتاء دلالاتها على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج للاسماء أوافق  
 كما للاعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الاوافق الذي يناسبه من حيث  
 عدد الشكل أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لاجل  
 التناسب الذي بينهم ما قاما من التناسب الذي بين هذه الحروف وأمزجة الطبائع أو بين  
 الحروف والاعداد فأمر عسر على الفهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وانما  
 مستندهم فيه الذوق والكشف قال البوني ولا تظن أن سر الحروف مما يتوصل اليه  
 بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهي وأما التصرف في عالم  
 الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها وتأثر الاكوان عن ذلك فأمر لا ينكر  
 لثبوته عن كثير منهم تواترا وقد يظن أن تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب الطلسمات  
 واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم وتأثيره على ما حققه أهله أنه قوى روحانية من

ترتيب طبائع  
 الحروف عند  
 المغاربة غير ترتيب  
 المشاركة ومنهم  
 الغزالي كما أن الجمل  
 عندهم مخالف في  
 ستة أحرف فان  
 المصاد عندهم بستين  
 والصاد بتسعين  
 والسين المهمة  
 بثلاثمائة والطاء  
 بثمانيائة والغين  
 بتسعمائة والسين  
 بالالف قاله نصر  
 الهوري اه مصححه

جوهر القهر تفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر بأسرار فلكية ونسب عديدة وبخورات  
 جالبات لروحانية ذاك الطلسم مشدودة فيه بالهمة فأنتهار ربط الطبائع العلوية  
 بالطبائع السفلية وهو عندهم كالجيرة المرسكة من هوائية وأرضية ومائية ونارية  
 حاصله في جلتهما تجل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقلبه الى صورتها وكذلك  
 الاكسير لاجسام المعدنية كالجيرة تقلب المعدن الذي تسرى فيه الى نفسها بالاحالة  
 ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في جسد لان الاكسير أجزاءه كلها جسدانية  
 ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانه ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية  
 والطبائع السفلية جسد والطبائع العلوية روحانية وتحقيق الفرق بين تصرف أهل  
 الطلسمات وأهل الاسماء بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كله انما هو للنفس  
 الانسانية والهمم البشرية ان النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحكمة عليها بالذات  
 الا أن تصرف أهل الطلسمات انما هو في استئزال روحانية الافلاك وربطها بالصور أو  
 بالنسب العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة والقلب بطبيعته فعل  
 الخيرة فيما حسنت فيه وتصرف أصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف  
 من النور الالهي والامداد الرباني فيسخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج  
 الى مدد من القوى الفلكية ولا غيرها لان مدده أعلى منها ويحتاج أهل الطلسمات الى  
 قليل من الرياضة تفيد النفس قوة على استئزال روحانية الافلاك وأهون بها وجهة  
 ورياضة بخلاف أهل الاسماء فان رياضتهم هي الرياضة الكبرى وليست لقصد  
 التصرف في الاكوان اذ هو بحجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض كرامة من  
 كرامات الله لهم فان خلاصا صاحب الاسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق المسكوت  
 الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الاسماء وطبائع الحروف  
 والكلمات وتصرف بهم من هذه الخبيثة وهؤلاء هم أهل السيمياء في المشهور كان اذا  
 لا فرق بينه وبين صاحب الطلسمات بل صاحب الطلسمات أوثق منه لانه يرجع الى  
 أصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة وأما صاحب اسرار الاسماء اذ افاته الكشف الذي  
 يطلع به على حقائق الكامات وآثار المناسبات بقوات الخلوص في الوجهة وليس له  
 في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه يكون حاله أضعف رتبة وقديمزج  
 صاحب الاسماء قوى الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الاسماء  
 الحسنى أو ما يرسم من أوقافها بل ولسائر الاسماء أوقافا تكون من خطوط الكوكب  
 الذي يناسب ذلك الاسم كما فعله البوني في كتابه الذي سماه الانماط وهذه المناسبة عندهم  
 هي من لدن الحضرة العمائية وهي برزخية الكمال الاسمائي وانما تنزل تفصيلها

في الحقائق على ما هي عليه من المناسبة وإثبات هذه المناسبة عندهم انما هو بحكم  
المشاهدة فاذا خلا صاحب الاسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة تقلد  
كان عمله بمثابة عمل صاحب الطاسم بل هو أوثق منه كما قلناه وكذلك قد يزوج أيضا  
صاحب الطاسمات عمله وقوى كواكب بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات  
المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب الا أن مناسبة الكلمات عندهم ليست كما  
هي عند أصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما يرجع الى ما اقتضته أصول  
طريقتهم السحرية من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكونات من جواهر  
واعراض وذوات ومعاني والحروف والاسماء من جملة ما فيه فلا كل واحد من  
الكواكب قسم منها يخصه ويمنون على ذلك مباني غريبة منكورة من تقسيم سور  
القرآن وآية على هذا النحو كما فعله مسلمة الجريطي في الغاية والظاهر من حال البوني  
في انماطه أنه اعتبر طريقتهم فان تلك الانماط اذا تصفعتها وتصفت الدعوات التي  
تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفت  
قيامات الكواكب التي فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب سموها قيادات  
الكواكب أي الدعوة التي يقام له بها شهد ذلك اما بأنه من مادتها أو بأن التناسب  
الذي كان في أصل الابداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله وما أوتيت من العلم الا قليلا  
وليس كل ما حرمه الشارع من العلوم بمنكر الثبوت فقد ثبت أن السحر حق مع حظره  
لكن حسبه من العلم ما علمنا \* (ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من  
الاسئلة) \* بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون أنها أصل في معرفة ما يحاويلون  
علمه من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاينة والمسائل السائلة والهمس في ذلك  
كلام كثير من أدعية وأعجبه زاي رجة العالم السبق وقد تقدم ذكرها ونين هنا ما ذكره  
في كيفية العمل بتلك الزاي رجة بدائنها وجدولها المكتوب حولها ثم نكشف عن  
الحق فيها وأنها ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسئلة وجوابها في الافادة فقط  
وقد أثبتنا الى ذلك من قبل وليس عندنا رواية يعول عليها في صحة هذه القصيدة الا  
أننا تحررنا أصح النسخ منها في ظاهر الامر والله الموفق عنه وهي هذه

يقول سميقي ويحيى مدر به \* مصل على هاد الى الناس أرسلا  
محمد المبعوث خاتم الأنبياء \* ويرضى عن العجب ومن لهم تلا  
الاهذه زاي رجة العالم الذي \* تراهم جميعكم وبالعقل قد حلا  
فن أحكم الوضع فيحكم جسمه \* ويدرك أحكاما تدبرها العلا  
ومن أحكم الربط فيدرك قوة \* ويدرك للتعوى وللحل حصلا



ومن أحكم التصريف يحكم سره \* ويعقل نفسه وسمح له الولا  
 وفي عالم الامر تراه محققا \* وهذا مقام من بالاذكار كلا  
 فهذه سرائر عليكم بكنمها \* أقفا دوائر اوللحاء عدلا  
 فطاهلها عرش وفيه نقوشنا \* بنظم ونثر قد تراه مجدولا  
 ونسب دوائر كنسبة فللكها \* وارسم كواكب الادراجها الملا  
 وأخرج لاوتار وارسم حروفها \* وكور بمثله على حدة من خلا  
 أقم شمس كل زيرهم وسويونه \* وحقق بهم سامهم ونورهم جلا  
 وحصل علوم الطباع مهندسا \* وعلم الموسيقى والارباع مثلا  
 وسؤلوسيقى وعلم حروفهم \* وعلم بالآلات فحق وحصلا  
 وسؤدوائر ونسب حروفها \* وعلمها أطلق والاقليم جدولا  
 أم — سير لنا فهو نهاية دولة \* زمانية آبت وحكم لها خلا  
 وقطر لاندلس قان لهودهم \* وجاء بنو نصر وظفرهم تلا  
 ملوك وفرسان واهل الحكمة \* فان شئت نصهم وقطرهم جلا  
 ومهدى فوجد بنو نوس حكمهم \* ملوك وبالشرق بالافاق نزلا  
 واقسم على القطر وكن متفقدنا \* فان شئت للروم فبالخرش كلا  
 ففقدش وبرزش نون الراء حرفهم \* وافر نسهم دال وبالطاء كلا  
 ملوك ككناوة ودلول قافهم \* واعراب قومنا بترقيق اعلا  
 فهند حباشي وسند فهرمس \* وفرس ططاري وما بعدهم طلا  
 فقيصرهم حاء ويزدجردهم \* اكاف وقبطهم م بلائه طولا  
 وعباس كلهم شريف معظم \* ولا كن تركي بذال الفعل عطلا  
 فان شئت تدقيق الملوك وكلهم \* نفتم بيوتنا ثم نسب ووجدولا  
 على حكم قانون الحروف وعلمها \* وعلم طبائعها واكله مثلا  
 فمن علم العلوم يعلم علمنا \* ويعلم أسرار الوجودوا كلا  
 فبرسخ علمه ويعرف ربه \* وعلم دلائلهم بحاميم فصلا  
 وحيث أتى اسم والعروض يشقه \* فحكم الحكيم فيه قطعا يقتلا  
 وتأتىك أحرف فسولضربها \* وأحرف سيبويه تأتىك فيصلا  
 فكن تشكبير وقابل وعوضن \* بترتيبك العالي للأجزاء خللا  
 وفي العقد والمجزور يعرف غالبا \* وزدلمح وصفية في العقل فعلا  
 واخذ تطلع وسويه رتبة \* واعكس مجذبه وبالذور عدلا







(الانفعال الروماني والانقياد الرباني)

أيا طالب السر تهليل ربه \* لدى أسمائه الحسنى تصادف منها  
 تطيعك أختيار الانام بقلوبهم \* كذلك ريسهم وفي الشمس أعمالا  
 ترى عامة الناس اليك تقيدوا \* وما قلته حقا وفي الغبر أهلا  
 طريقك هذا السبل والسبل الذي \* أقوله غيركم ونصر كواجتي  
 اذ اشتت تحيا في الوجود مع التقى \* ودينا متينا أو تكن متوصلا  
 كذي النون والجنيد مع سر صنعة \* وفي سر بسطام أراك مسر بلا  
 وفي العالم العلوي تكون محدثا \* كذا قالت الهند وصوفية الملا  
 طريق رسول الله بالحق ساطع \* وما حكم صنع مثل جبريل أنزلا  
 فبطشك تهليل وقوسك مطلع \* ويوم الخميس البدء والاحداث جلي  
 وفي جمعة أيضا بالاسماء مثله \* وفي اثنين للحسنى تكون مكمل  
 وفي طائه سر وفي هائه اذا \* أراك بهامع نسبة الكل أعطا  
 وساعة سعد شرطهم في نقوشها \* وعود ومصلكي بخور تحصلا  
 وتسلو عليها آخر الخسر دعوة \* والاخلاص والسمع المثاني مرتلا  
 (اتصال أنوار الكواكب) \* بلغاني لاهي لا ظغش لا سعق صف وى  
 وفي يدك اليمنى حديد وخاتم \* وكل برأسك وفي دعوة فلا  
 وآية حشر فاجعل القلب وجهها \* واتسلو اذ انام الانام ورتلا  
 هي السر في الاكوان لاشئ غيرها \* هي الآية العظمى فحقق وحصلا  
 تكون بهما قطبا اذا جدت خدمة \* وتذكر أسرار من العالم العلا  
 سرى بهما ناجى ومعروف قبله \* وباح بها الخلاج جهرا فاعقلا  
 وكان بها الشـجلى يدأب دائما \* الى أن رقى فوق المريرين واعتملى  
 فصف من الادناس قلبك باهدا \* ولازم لاذككار ووصم وتنفلا  
 فما نال سر القوم الامحةـق \* علم بأمرار العلوم محصلا

ع جمع ولم ع ٢٢ ص ٢٢ ع ١١١ ص ١١١ ع ١١١ ص ١١١ ع ١١١ ص ١١١

مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب  
 وتعشق وفناء الغناء وتوجد مراقبة وخلوة دائمة

### الانفعال الطبيعي

ابرجيس في المحبة الوفق صرفوا \* بقزديراً ونحاس الخاطأ ككلا  
 وقيل بفضة صبحاراًيته \* فجعلك طالعا خطوطه ماعلا  
 نوح به زيادة النور للقسمر \* وجعلك للقبول شمسه أصلا  
 ويومه والجور عودا لهندهم \* ووقت لساعة ودعونه ألا  
 ودعونه بغاية فهي أعمت \* وعن طسيان دعوة ولهاجلا  
 وقيل بدعوة حروف لوضعها \* بحز هواء أو مطالب أهلا  
 قنقش أحرفا بدال ولا مها \* وذلك وفق للمربع حصلا  
 اذالم يكنهم -وى هو الدلالها \* فдал ليدووا وزينب معطلا  
 فحسن ابائه وبائهم اذا \* هوالك وباقهم قلبه بجلا  
 ونقش مشاكل بشرط لوضعهم \* ومازدت انسيبه لفعلك عدلا  
 ومفتاح مريم ففعلهم ماسوا \* فبورى وبسطاى بسورتها تلا  
 وجعلك بالقصد وكن متفقدا \* ادلة وحشى لقبضة ميسلا  
 فاعكس بيوتها بألف ونيف \* فباطنها سر وفيسرها انجلا

### (فصل في المقامات للنهاية)

لك الغيب صورة من العالم العلا \* وتوجد هادارا وملبسها الخلا  
 ويوسف في الحسن وهذا شبيهه \* بنثر وترتيل حقيقة انزلا  
 وفي يده طول وفي الغيب ناطق \* فيحكى الى عود يجابوب بلبلا  
 وقد جن به لول بعشق بجالها \* وعند تجليها بالعام أخذلا  
 ومات اجلية واشرب حبها \* جنيد وبصرى والجسم أهلا  
 فتطلب في التهليل غايته ومن \* بأسمائه الحسنى بالانسيبة خلا  
 ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمنى \* ويسمهم بالزلفى لدى جيرة العلا  
 وتخبر بالغيب اذا جدت خدمة \* تريك عجا بساين كان موثلا  
 فهذا هو الفوز وحسن تناله \* ومنها زيادات لتفسيرها تلا

### (الرؤية والتختم والايمان والاسلام والتحريم والابهيانية)

فهذا قصيدنا وتسعون عده \* وما زاد خطبة وختم وجدولا  
 عجبت لايات وتسعون عدها \* تولد أياتا وما حصرها انجلا  
 فمن فهم السر فهمهم نفسه \* وفيهم تفسيرات شابه أشكال

حرام وشرعى لاظهار سرنا \* لناس وان خصوا وكن النافلا  
 فان شئت اهل به فغلاطينهم \* وتغهم برحيلة ودين تطولا  
 لعلك أن تنجو وسامع سرهم \* من القطع والافشا قترأس بالاعلا  
 فنجيل اعباس لسره ككاتم \* فنال سعادات وتابعه علا  
 وقام رسول الله في الناس خاطبا \* فن برأس عرشا فذلك أكلا  
 وقد ركب الارواح أجساد مظهر \* فالت لقتلهم بدق تطولا  
 الى العالم العلوى بقى فشاونا \* ويلبس أثواب الوجود على الولا  
 فقد تم نظما وصل الهنا \* على خاتم الرسل صلاة ببالعلا  
 وصلى اله العرش ذوالجهد والعلا \* على سيد ساد الانام وكلا  
 بحمد الهادى الشفييع امامنا \* وأصحابه أهل المكارم والعلا

مرتبة ناسه عن الحلة شرح اسع ٢ م ٨ ~ ٨ س ٤ وط ٤ نصحيح

وتعديل الكواكب عند كل تاريخ مطلوب سر ٥ ل و و ٨ لوطح الاوتار الكلية

٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

ح ١ ح ٢ ح ٣ ح ٤ ح ٥ ح ٦ ح ٧ ح ٨ ح ٩ ح ١٠ ح ١١ ح ١٢ ح ١٣ ح ١٤ ح ١٥ ح ١٦ ح ١٧ ح ١٨ ح ١٩ ح ٢٠ ح ٢١ ح ٢٢ ح ٢٣ ح ٢٤ ح ٢٥ ح ٢٦ ح ٢٧ ح ٢٨ ح ٢٩ ح ٣٠ ح ٣١ ح ٣٢ ح ٣٣ ح ٣٤ ح ٣٥ ح ٣٦ ح ٣٧ ح ٣٨ ح ٣٩ ح ٤٠ ح ٤١ ح ٤٢ ح ٤٣ ح ٤٤ ح ٤٥ ح ٤٦ ح ٤٧ ح ٤٨ ح ٤٩ ح ٥٠ ح ٥١ ح ٥٢ ح ٥٣ ح ٥٤ ح ٥٥ ح ٥٦ ح ٥٧ ح ٥٨ ح ٥٩ ح ٦٠ ح ٦١ ح ٦٢ ح ٦٣ ح ٦٤ ح ٦٥ ح ٦٦ ح ٦٧ ح ٦٨ ح ٦٩ ح ٧٠ ح ٧١ ح ٧٢ ح ٧٣ ح ٧٤ ح ٧٥ ح ٧٦ ح ٧٧ ح ٧٨ ح ٧٩ ح ٨٠ ح ٨١ ح ٨٢ ح ٨٣ ح ٨٤ ح ٨٥ ح ٨٦ ح ٨٧ ح ٨٨ ح ٨٩ ح ٩٠ ح ٩١ ح ٩٢ ح ٩٣ ح ٩٤ ح ٩٥ ح ٩٦ ح ٩٧ ح ٩٨ ح ٩٩ ح ١٠٠

كيفية العمل في استخراج اجوبة المسائل من زاييرج الصالح بحول الله

منقولاً عن اقبناه من القامعين عليها

السؤال له ثلثمائة وستون جواباً بعدة الدرج وتختلف الاجوبة عن سؤال واحد في  
 طالع مخصوص باختلاف الاسئلة المضافة الى حروف الاوتار وتناسب العمل من  
 استخراج الاحرف من بيت القصيد \* (تنبيه) \* ترتيب حروف الاوتار  
 والجدول على ثلاثة اصول حروف عربية تنقل على هيأتها وحروف برسم الغبار وهذه  
 تنقل فيها ما ينقل على هيئته متى لم تزد الادوار عن أربعة فان زادت عن أربعة نقلت  
 الى المرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك المرتبة الثنية على حسب العمل كما



سنيينه ومنها حروف برسم الزمام كذلك غير أن رسم الزمام يعطى نسبة ثمانية فهمى  
 بنزلة واحد ألف وبنزلة عشرة ولها نسبة من خمسة بالعربى فاستحق البيت من  
 الجدول أن توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم فاختصروا من  
 الجدول بيوتاً خالية ففى كانت أصول الادوار زائدة على أربعة حسبت في العدد  
 في طول الجدول وان لم تزد على أربعة لم يحسب الا العامر منها \* (والعمل في  
 السؤال يفتقر الى سبعة أصول) \* عدة حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد طرحها  
 اثني عشر اثني عشر وهي ثمانية ادوار في الكامل وستة في الناقص أبداً ومعرفة درج  
 الطالع وساطان البرج والدور الاكبر الاصل الى وهو واحد أبداً وما يخرج من اضافة  
 الطالع للدور الاصل وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج واضافة  
 سلطان البرج للطالع والعمل جميعه ينتج عن ثلاثة ادوار مضرورة في أربعة تكون  
 اثني عشر دوراً ونسبة هذه الثلاثة الادوار التي هي كل دور من أربعة نشأة ثلاثية كل  
 نشأة لها ابتداء ثم انما تضرب ادوار ارباعية أيضاً ثلاثية ثم انما من ضرب ستة في اثنين  
 فكان لها نشأة يظهر ذلك في العمل ويتبع هذه الادوار الاثني عشر نتائج وهي في  
 الادوار اما أن تكون نتيجة أو أكثر الى ستة فأول ذلك نفرض سؤالاً عن الزايرة  
 هل هي علم قديم أو محدث بطالع أول درجة من القوس اثنى عشر حروف الاوتار ثم حروف  
 السؤال فوضعنا حروف وتر رأس القوس ونطيره من رأس الجوزاء وثلاثة وتر رأس  
 الدلو الى حد المركز وأضفنا اليه حروف السؤال ونظرنا عدةها وأقل ما تكون ثمانية  
 وثمانين وأكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فكانت في سؤالنا ثلاثة  
 وتسعين ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بأن يسقط جميع ادوارها الاثني  
 عشرية ويحفظ ما خرج منها وما بقي فكانت في سؤالنا سبعة ادوار الباقى تسعة أثبتنا  
 في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثني عشرة درجة فان بلغها لم تثبت لها عدة ولا دور ثم اثبت  
 أعدادها أيضاً ان زاد الطالع عن أربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع  
 وهو واحد وساطان الطالع وهو أربعة والدور الاكبر وهو واحد وأجمع ما بين الطالع  
 والدور وهو اثنان في هذا السؤال واضرب ما خرج منها في سلطان البرج يبلغ ثمانية  
 وأضف الساطان للطالع فيكون خمسة فهذه سبعة أصول فما خرج من ضرب الطالع  
 والدور الاكبر في سلطان القوس مما لم يبلغ اثني عشر فبسه تدخل في ضلع ثمانية من  
 أسفل الجدول صاعداً وان زاد على اثني عشر طرح ادواراً وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية  
 وتعلم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من الساطان والطالع يكون الطالع في ضلع  
 السطح المبسوط الاعلى من الجدول وتعد متواليات الخمسة ادواراً وتحفظها الى أن

يقف العدد على حرف من أربعة وهي ألف أ و باء أ و جيم أ و زاي فوق العدد في حملنا  
 على حرف الالف وخلف ثلاثة أدوار فضر بنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد  
 الدور الاول فأثبتته واجمع ما بين الضلعين القائم والمبسوط يكن في بيت ثمانية في  
 مقابلة البيوت العامرة بالعدد من الجدول وان وقف في مقابلة الخالي من بيوت  
 الجدول على أحد هافلا يعتبر وتسع على أدوار له وادخل بعد ما في الدور الاول  
 وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي اجتمع فيه وهي ثمانية مارة الى جهة  
 اليسار فوق على حرف لام ألف ولا يخرج منها أبدا حرف مركب وانما هو اذن حرف  
 تاء أربع مائة برسم الزمام فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيد واجمع عدد الدور  
 للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار وأثبت ما وقع عليه العدد وعلم  
 عليه من بيت القصيد ومن هذا القانون تدريكم تدور الحروف في النظم الطبيعي  
 وذلك أن تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو أربعة تبلغ ثلاثة  
 عشر أضفها بمثلها تكون ستة وعشرين أسقط منها درج الطالع وهو واحد في هذا  
 السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاربعة ثم ثلاثة  
 وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى أن ينتهي  
 للواحد من آخر البيت المنظوم ولا تقف على أربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد  
 أولا ثم ضع الدور الثاني وأضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من ضرب  
 الطالع والدور في السلطان تكون سبعة عشر الباقي خمسة فاضع في ضلع ثمانية  
 بخمسة من حيث انتهت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة  
 عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالي والدور عشرون فوجدنا حرف تاء خمسمائة وانما  
 هو فون لان دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسمائة بخمسين لان دورها  
 سبعة عشر فلو لم تكن سبعة عشر لكانت مئينا فأثبت فوننا ثم ادخل بخمسة أيضا  
 من أوله وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجدوا حذافه فقر العدد واحد ابق على  
 خمسة أضف لها واحد السطح تكون ستة أثبت واو وعلم عليها من بيت القصيد  
 أربعة وأضفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثني  
 عشر أضف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني  
 فدخلنا بسبعة عشر في حروف الاوتار فوق العدد على واحد أثبت الالف وعلم عليها  
 من بيت القصيد وأسقط من حروف الاوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور  
 الثاني وضع الدور الثالث وأضف خمسة الى ثمانية تكون ثلاثة عشر الباقي واحد  
 انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع عليه

العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار وأثبت ما خرج وهو سين  
 وعلم عليه من بيت القصيد ثم ادخل مما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر  
 وهو واحد فخذ ما يلي حرف سين من الاوتار فكان ب أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد  
 وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو أن تضعف ثلاثة عشر بمثلها وتضيف  
 اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج من الاوتار  
 من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قابله من السطح  
 واضعه بمثله وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت للجملة  
 سبعة فذلك حرف زاي فأثبتناه وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه أن تضعف السبعة  
 بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر وهو الخامس عشر من  
 بيت القصيد وهذا آخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من العدد تسعة باضافة  
 الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السطبان وهذا الدور آخر العمل  
 في البيت الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واصعد بتسعة في ضلع  
 ثمانية وادخل بتسعة من دور الحرف الذي أخذته آخر من بيت القصيد فالتاسع  
 حرف راء فأثبتته وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قابله من السطح  
 يهكون ج قهقر العدد واحد ا يكون ألف وهو الثاني من حرف الراء من بيت  
 القصيد فأثبتته وعلم عليه وعدم مما يلي الثاني تسعة يكون ألف أيضا أثبتته وعلم عليه  
 واضرب على حرف من الاوتار واضعف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في  
 حروف الاوتار تقف على حرف راء أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية وأربعين  
 وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على س أثبتها وعلم عليها اثنين وأصف  
 اثنين الى تسعة تكون أحد عشر ادخل في صدر الجدول بأحد عشر تقابلها من السطح  
 ألف أثبتها وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اصعد  
 بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على حرفين من الاوتار واضعف خمسة بمثلها وأضفها الى  
 سبعة عشر عدد دورها الجملة تسعة وعشرون ادخل بها في حروف الاوتار تقف على  
 ب أثبتها وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس اثنين  
 وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على ق أثبتها وعلم عليها  
 ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك  
 حرف ب أثبتته وعلم عليه أربعة وخسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور  
 السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتبين اذ ذلك أن دور النظم من خمسة  
 وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد



فاضرب خمسة في خمسة تسكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في  
ضلع ثمانية واحد ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قد تمناه لانه دور ثان  
من نشأة تركيبية ثانية بل أضفنا الاربعة التي من أربعة وخسين الخارجة على حروف  
ب من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة تضيف خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ  
ثمانية عشر ادخل بها في صدر الجدول وخذ ما قابلهما من السطح وهو ألف أثبتته وعلم  
عليه من بيت القصيد اثني عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر  
أحرف السؤال فما خرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف  
السؤال ليكون داخل في العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف حرف بعد  
ذلك مناسباً لحروف السؤال فما خرج منها زده الى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ثم  
أضف الى ثمانية عشر ما علمته على حرف الالف من الآحاد فكان اثنين تبلغ الجملة  
عشرين ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء أثبتته وعلم عليه من بيت القصيد  
سنة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار وضع  
الدور السابع وهو ابتداء المخترع ثمان ينشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة  
تضيف لها واحد تكون عشرة للنشأة الثانية وهذا الواحد تزيده بعد الى اثني عشر دورا  
اذا كان من هذه النسبة أو تنقصه من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاصعد في ضلع  
ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسمائة وانما هي خمسون  
نون مضاعفة بمثلها وتلك ق أثبتتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخسين وأسقط  
من اثنين وخسين اثنين وأسقط تسعة التي للدور الباقي واحد وأربعون فادخل بها في  
حروف الاوتار تقف على واحد أثبتته وكذلك ادخل بها في بيت القصيد تجدد واحدا  
فهذا ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد علامتين علامة على الالف  
الاخير الميزاني وأخرى على الالف الاولى فقط والثانية أربعة وعشرون واضرب على  
حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع  
ثمانية وخسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على عين بسبعين أثبتتها وعلم عليها  
وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قابلهما من السطح وذلك واحد أثبتته وعلم عليه من  
البيت ثمانية وأربعين وأسقط واحدا من ثمانية وأربعين للاس الثاني وأضف اليها  
خمسة الدور الجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف ب  
غبارية وهي مرتبة مئينية لزيادة العدد فتكون مائتين وهي حرف راء أثبتتها وعلم عليها  
من القصيد أربعة وعشرين فانقل الامر من ستة وتسعين الى الابداء وهو أربعة  
وعشرون فأضف الى أربعة وعشرين خمسة الدور وأسقط واحدا تكون الجملة ثمانية

وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية أثبت ٢ وعلم عليها  
 وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وليست  
 نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد ولانه من النشأة الثانية  
 ولانه أول الثلث الثالث من مربعات البروج وآخر الستة الرابعة من المثلثات فاضرب  
 ثلاثة عشر التي للدور في أربعة التي هي مثلثات البروج السابقة الجمله اثنان وخمسون  
 ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية وانما هي مئينية لتجاوزها في  
 العدد عن مرتبة الا واحد والعشرات فاثبت ما تثبت راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية  
 وأربعين وأضف الى ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل بأربعة عشر في بيت القصيد  
 تبلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من أربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب  
 على حرفين من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام أثبت وعلم عليه من البيت  
 وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية  
 بتسعة تكون خلافا صعد بتسعة ثانية تصير في السابع من الابتداء اضرب تسعة في  
 أربعة لصعودنا بتسعتين وانما كانت تضرب في اثنين وادخل في الجدول بستة وثلاثين  
 تقف على أربعة زمامية وهي عشرية فأخذناها أحادية لقله الادوار فأثبت حرف دال  
 وان أضفت الى ستة وثلاثين واحد الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولو  
 دخلت بالتسعة لا غير من غير ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية فاطرح من ثمانية  
 أربعة الباقي أربعة وهو المقصود ولودخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة  
 في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشري فاطرح منه اثنين تكرر التسعة الباقي  
 ثمانية نصفها المطلوب ولودخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضربها في ثلاثة  
 لوقعت على عشرة زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد وأثبت  
 ما خرج وهو ألف ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية وأسقط  
 واحد وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين وأثبت ما خرج وهو مائتان بحرف  
 راء وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين واطرب على حرفين من الاوتار وضع الدور  
 الحادي عشر وله سبعة عشر الباقي خمسة اصعد في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر  
 عليه المشي في الدور الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال نخذ ما قبله  
 من السطح وهو واحد فادخل بواحد في بيت القصيد تكن سين أثبت وعلم عليه أربعة  
 ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد ثلاثة وأضعف سبعة عشر  
 بمثلها وأسقط واحد وأضعفها بمثلها وزدها أربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها في  
 الاوتار تقف على ستة أثبت وعلم عليها وأضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت تقف على

لام أثبتها وعلم عليها عشرين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشر وله  
 ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور آخر الادوار وآخر  
 الاختراعين وآخر المربعات الثلاثية وآخر المثلثات الرباعية والواحد في صدر الجدول  
 يقع على ثمانين زمامية وانما هي آحاد ثمانية وليس معناها من الادوار الا واحد فلوزاد  
 عن أربعة من مربعات اثني عشر أو ثلاثة من مثلثات اثني عشر لكات ح وانما هي  
 د فاثبتها وعلم عليها من بيت القصيد أربعة وسبعين ثم انظر ما ناسبها من السطح تكن  
 خمسة أضعة بمثلها اللاس تبلغ عشرة أثبت ي وعلم عليها وانظر في أي المراتب وقعت  
 وجدناها في الرابعة دخلنا بسبعة في حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد  
 الحرفي فكانت ف اثبتها وأضف الى سبعة واحد الدور الجمله ثمانية ادخل بها في  
 الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور  
 فانها آخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ أربعة وعشرين ادخل بها في بيت القصيد  
 وعلم على ما يخرج منها وهو مائة وان وعلا سبعة وستة وتسعون وهو نهاية الدور الثاني في  
 الادوار الحرفية واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الأولى ولها تسعة  
 وهذا العدد يناسب أبدأ الباقي من حروف الاوتار بعد طرحها أدوارا وذلك تسعة  
 فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار وأضف لها واحدا  
 الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ  
 ألف اثبتة وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت سبعة التي هي أدوار الحروف التسعينية  
 في أربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقي من الدور الثاني عشر  
 كان كذلك واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنين  
 زمامية واضرب تسعة في سبعة في سبعة من السطح وذلك ثلاثة وأضف لذلك سبعة عدد  
 الاوتار الحرفية واطرح واحدا الباقي من دورا اثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها  
 في البيت تبلغ خمسة فاثبتها وأضف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر  
 وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل به في حروف الاوتار تبلغ م اثبتة وعلم عليه  
 واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة  
 فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر  
 أضف لها واحدا الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل بستة عشر في بيت  
 القصيد تبلغ ت اثبتة وعلم عليه أربعة وستين وأضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على  
 تسعين وزد واحدا الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر الجدول  
 تبلغ ثلاثين زمامية وانظر ما في السطح تجد واحدا اثبتة وعلم عليه من بيت القصيد



وهو التاسع أيضا من البيت وادخل بتسعة في صدر الجدول تقف على ثلاثة وهي  
عشرات فثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد  
فانقل في ضلع ثمانية بواحد وأضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد  
الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ سبعة عشر وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ادخل بها  
في حروف الاوتار تكن لاما اثبتنا فهذا آخر العمل \* والمثال في هذا السؤال السابق  
أردنا أن نعلم أن هذه الزايرة علم محدث أو قديم بطالع أول درجة من القوس  
اثبتنا حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون  
أدوارها سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس أربعة الدور الاكبر  
واحد درج الطالع مع الدور اثنان ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة  
السلطان للطالع خمسة بيت القصيد

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن \* غرائب شكن ضبطه الجدم مثلا

حروف الاوتار ص ط ه ر ث ل ه م ص ص و ن ب ه س ا  
ن ل م ن ص ع ف ص و ر س ك ل م ن ص ع ف  
ض ق ر س ت ث خ ذ ط غ ش ط ي ع ح ص ر و ح ر  
و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي  
\* (حروف السؤال) \* ال ز ا ي ر جة ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م  
الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩  
الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس ١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩  
الدور الثامن ١٧ الباقي ٥ الدور التاسع ١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣  
الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥ الدور الثاني عشر ١٣ الباقي ١ النتيجة الاولى ٩  
النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة ١٣ الباقي ١

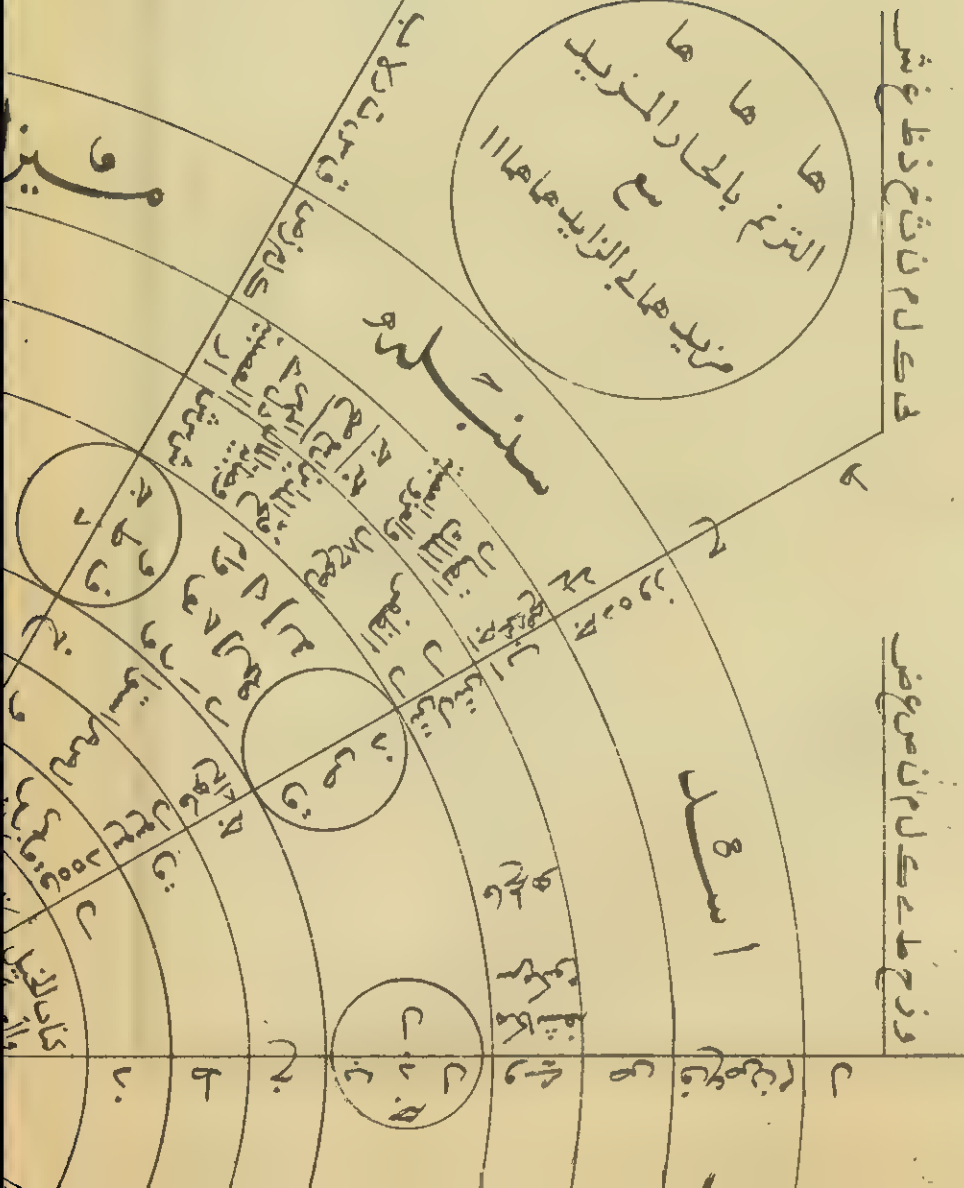
فك ل م ن ث خ ذ ط غ ش

ها ها ها  
التزعم بالجار المزيد  
مع  
مزيد هما في التزايد هما

وز ح ط ع ك ل م ن ص ي

اسوق

ت ق ك ل ع ف و ل م



[illegible]



[illegible]

[illegible]

| ٤٣٧ |  | ٤٣٨ |  |
|-----|--|-----|--|
|     |  | ٤٣٩ |  |
|     |  | ٤٤٠ |  |
|     |  | ٤٤١ |  |
|     |  | ٤٤٢ |  |
|     |  | ٤٤٣ |  |
|     |  | ٤٤٤ |  |
|     |  | ٤٤٥ |  |
|     |  | ٤٤٦ |  |
|     |  | ٤٤٧ |  |
|     |  | ٤٤٨ |  |
|     |  | ٤٤٩ |  |
|     |  | ٤٥٠ |  |
|     |  | ٤٥١ |  |
|     |  | ٤٥٢ |  |
|     |  | ٤٥٣ |  |
|     |  | ٤٥٤ |  |
|     |  | ٤٥٥ |  |
|     |  | ٤٥٦ |  |
|     |  | ٤٥٧ |  |
|     |  | ٤٥٨ |  |
|     |  | ٤٥٩ |  |
|     |  | ٤٦٠ |  |
|     |  | ٤٦١ |  |
|     |  | ٤٦٢ |  |
|     |  | ٤٦٣ |  |
|     |  | ٤٦٤ |  |
|     |  | ٤٦٥ |  |
|     |  | ٤٦٦ |  |
|     |  | ٤٦٧ |  |
|     |  | ٤٦٨ |  |
|     |  | ٤٦٩ |  |
|     |  | ٤٧٠ |  |
|     |  | ٤٧١ |  |
|     |  | ٤٧٢ |  |
|     |  | ٤٧٣ |  |
|     |  | ٤٧٤ |  |
|     |  | ٤٧٥ |  |
|     |  | ٤٧٦ |  |
|     |  | ٤٧٧ |  |
|     |  | ٤٧٨ |  |
|     |  | ٤٧٩ |  |
|     |  | ٤٨٠ |  |
|     |  | ٤٨١ |  |
|     |  | ٤٨٢ |  |
|     |  | ٤٨٣ |  |
|     |  | ٤٨٤ |  |
|     |  | ٤٨٥ |  |
|     |  | ٤٨٦ |  |
|     |  | ٤٨٧ |  |
|     |  | ٤٨٨ |  |
|     |  | ٤٨٩ |  |
|     |  | ٤٩٠ |  |
|     |  | ٤٩١ |  |
|     |  | ٤٩٢ |  |
|     |  | ٤٩٣ |  |
|     |  | ٤٩٤ |  |
|     |  | ٤٩٥ |  |
|     |  | ٤٩٦ |  |
|     |  | ٤٩٧ |  |
|     |  | ٤٩٨ |  |
|     |  | ٤٩٩ |  |
|     |  | ٥٠٠ |  |
|     |  | ٥٠١ |  |
|     |  | ٥٠٢ |  |
|     |  | ٥٠٣ |  |
|     |  | ٥٠٤ |  |
|     |  | ٥٠٥ |  |
|     |  | ٥٠٦ |  |
|     |  | ٥٠٧ |  |
|     |  | ٥٠٨ |  |
|     |  | ٥٠٩ |  |
|     |  | ٥١٠ |  |
|     |  | ٥١١ |  |
|     |  | ٥١٢ |  |
|     |  | ٥١٣ |  |
|     |  | ٥١٤ |  |
|     |  | ٥١٥ |  |
|     |  | ٥١٦ |  |
|     |  | ٥١٧ |  |
|     |  | ٥١٨ |  |
|     |  | ٥١٩ |  |
|     |  | ٥٢٠ |  |
|     |  | ٥٢١ |  |
|     |  | ٥٢٢ |  |
|     |  | ٥٢٣ |  |
|     |  | ٥٢٤ |  |
|     |  | ٥٢٥ |  |
|     |  | ٥٢٦ |  |
|     |  | ٥٢٧ |  |
|     |  | ٥٢٨ |  |
|     |  | ٥٢٩ |  |
|     |  | ٥٣٠ |  |
|     |  | ٥٣١ |  |
|     |  | ٥٣٢ |  |
|     |  | ٥٣٣ |  |
|     |  | ٥٣٤ |  |
|     |  | ٥٣٥ |  |
|     |  | ٥٣٦ |  |
|     |  | ٥٣٧ |  |
|     |  | ٥٣٨ |  |
|     |  | ٥٣٩ |  |
|     |  | ٥٤٠ |  |
|     |  | ٥٤١ |  |
|     |  | ٥٤٢ |  |
|     |  | ٥٤٣ |  |
|     |  | ٥٤٤ |  |
|     |  | ٥٤٥ |  |
|     |  | ٥٤٦ |  |
|     |  | ٥٤٧ |  |
|     |  | ٥٤٨ |  |
|     |  | ٥٤٩ |  |
|     |  | ٥٥٠ |  |
|     |  | ٥٥١ |  |
|     |  | ٥٥٢ |  |
|     |  | ٥٥٣ |  |
|     |  | ٥٥٤ |  |
|     |  | ٥٥٥ |  |
|     |  | ٥٥٦ |  |
|     |  | ٥٥٧ |  |
|     |  | ٥٥٨ |  |
|     |  | ٥٥٩ |  |
|     |  | ٥٦٠ |  |
|     |  | ٥٦١ |  |
|     |  | ٥٦٢ |  |
|     |  | ٥٦٣ |  |
|     |  | ٥٦٤ |  |
|     |  | ٥٦٥ |  |
|     |  | ٥٦٦ |  |
|     |  | ٥٦٧ |  |
|     |  | ٥٦٨ |  |
|     |  | ٥٦٩ |  |
|     |  | ٥٧٠ |  |
|     |  | ٥٧١ |  |
|     |  | ٥٧٢ |  |
|     |  | ٥٧٣ |  |
|     |  | ٥٧٤ |  |
|     |  | ٥٧٥ |  |
|     |  | ٥٧٦ |  |
|     |  | ٥٧٧ |  |
|     |  | ٥٧٨ |  |
|     |  | ٥٧٩ |  |
|     |  | ٥٨٠ |  |
|     |  | ٥٨١ |  |
|     |  | ٥٨٢ |  |
|     |  | ٥٨٣ |  |
|     |  | ٥٨٤ |  |
|     |  | ٥٨٥ |  |
|     |  | ٥٨٦ |  |
|     |  | ٥٨٧ |  |
|     |  | ٥٨٨ |  |
|     |  | ٥٨٩ |  |
|     |  | ٥٩٠ |  |
|     |  | ٥٩١ |  |
|     |  | ٥٩٢ |  |
|     |  | ٥٩٣ |  |
|     |  | ٥٩٤ |  |
|     |  | ٥٩٥ |  |
|     |  | ٥٩٦ |  |
|     |  | ٥٩٧ |  |
|     |  | ٥٩٨ |  |
|     |  | ٥٩٩ |  |
|     |  | ٦٠٠ |  |
|     |  | ٦٠١ |  |
|     |  | ٦٠٢ |  |
|     |  | ٦٠٣ |  |
|     |  | ٦٠٤ |  |
|     |  | ٦٠٥ |  |
|     |  | ٦٠٦ |  |
|     |  | ٦٠٧ |  |
|     |  | ٦٠٨ |  |
|     |  | ٦٠٩ |  |
|     |  | ٦١٠ |  |
|     |  | ٦١١ |  |
|     |  | ٦١٢ |  |
|     |  | ٦١٣ |  |
|     |  | ٦١٤ |  |
|     |  | ٦١٥ |  |
|     |  | ٦١٦ |  |
|     |  | ٦١٧ |  |
|     |  | ٦١٨ |  |
|     |  | ٦١٩ |  |
|     |  | ٦٢٠ |  |
|     |  | ٦٢١ |  |
|     |  | ٦٢٢ |  |
|     |  | ٦٢٣ |  |
|     |  | ٦٢٤ |  |
|     |  | ٦٢٥ |  |
|     |  | ٦٢٦ |  |
|     |  | ٦٢٧ |  |
|     |  | ٦٢٨ |  |
|     |  | ٦٢٩ |  |
|     |  | ٦٣٠ |  |
|     |  | ٦٣١ |  |
|     |  | ٦٣٢ |  |
|     |  | ٦٣٣ |  |
|     |  | ٦٣٤ |  |
|     |  | ٦٣٥ |  |
|     |  | ٦٣٦ |  |
|     |  | ٦٣٧ |  |
|     |  | ٦٣٨ |  |
|     |  | ٦٣٩ |  |
|     |  | ٦٤٠ |  |
|     |  | ٦٤١ |  |
|     |  | ٦٤٢ |  |
|     |  | ٦٤٣ |  |
|     |  | ٦٤٤ |  |
|     |  | ٦٤٥ |  |
|     |  | ٦٤٦ |  |
|     |  | ٦٤٧ |  |
|     |  | ٦٤٨ |  |
|     |  | ٦٤٩ |  |
|     |  | ٦٥٠ |  |
|     |  | ٦٥١ |  |
|     |  | ٦٥٢ |  |
|     |  | ٦٥٣ |  |



هذا آخر الكلام في استخراج الاجوبة من زايحة العالم منظومة وللقوم طرائق  
 أخرى من غير الزايحة يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم أن  
 السر في استخراج الجواب منظوما من الزايحة انما هو مزجهم بيت مالك بن وهيب  
 وهو \* سؤال عظيم الخلق البيت ولذلك يخرج الجواب على رويه وأما الطرق الأخرى  
 فيخرج الجواب غير منظوم فن طرائقهم في استخراج الاجوبة مانتقلة عن بعض  
 المحققين منهم

(فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية)

اعلم أرشدنا الله وبالله أن هذه الحروف أصل الاسئلة في كل قضية وانما تستخرج  
 الاجوبة على تجزئتها بالكلمة وهي ثلاثة وأربعون حرفا كما ترى والله علام الغيوب  
 ا و ل ا ع ظ س ا ل م خ ي د ل ز ق ت ا ر ذ ص ف ن  
 غ ش ا ل ك ي ب ب م ض ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا  
 وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشددا من حرفين وسماه القطب  
 فقال سؤال عظيم الخلق حرت فصن اذن \* غرائب شل ضبطه الجد مثلا  
 فاذا أودت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكرر من حروفها واثبت ما فضل منه  
 ثم احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسئلة حرقا يماثله واثبت  
 ما فضل منه ثم امزج الفضلين في سطر واحد تبدا بالاول من فضله والثاني من فضل  
 المسئلة وهكذا الى أن يتم الفضلان أو ينقدا أحدهما قبل الآخر فتضع البقية على  
 ترتيبها فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا لعدد حروف الاصل قبل  
 الحذف فالعمل صحيح فيمنه تضيف اليها خمس نونات لتعدل به الموازين الموسيقية  
 وتكمل الحروف ثمانية وأربعين حرفا فتعمر بها جدولاً مبرعاً يكون آخر ما في السطر  
 الاول أول ما في السطر الثاني وتنقل البقية على حالها وهي كذلك الى أن تتم عمارة  
 الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم  
 تخرج وتر كل حرف بقسمة مربعة على أعظم جزئ يوجد له وتضع الوتر مقابلاً لحرفه  
 ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها  
 الروحانية وغرائزها النفسانية وأسسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وهذه  
 صورته



ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه في أسوس أو تاد الفلك الاربعة واحذر ما يلي الاوتاد  
وكذلك السواقط لان نسبتها مضطربة وهذا الخارج هو أول رتب السريان ثم تأخذ  
مجموع العناصر وتحط منها أسوس المولدات يبقى أس عالم الخلق بعد عروضة للمدد  
الكونية فتحمل عليه بعض المجزئات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج أفق  
النفس الاوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط  
وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق  
النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى فتحمل عليه أول رتب السريان ثم تطرح من  
الرابع أول عناصر الامداد الاصل يبقى ثالث رتبة السريان فتضرب مجموع أجزاء  
العناصر الاربعة أبدا في رابع مرتبة السريان يخرج أول عالم التفصيل والثاني في  
الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع  
في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى  
عوالم المجزأة فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول ويقسم المنكسر على  
الافق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في  
الرابع وان شئت أكثر من الرابع فتستكثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان  
ومن الاوقات بعد الحروف والله يرشدنا وياك وكذلك اذا قسم عالم التجريد على أول  
رتب السريان خرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من  
عالم الكون فانهم وتدبروا الله المرشد المعين \* ومن طريقهم أيضا في استخراج الجواب  
قال بعض المحققين منهم اعلم أيدينا الله ويا البروح منه أن علم الحروف جليل يتوصل  
العالم به لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم وللعمل به شرائط تلتزم وقد  
يستخرج العالم أسرار الخليفة وسرائر الطبيعة فيطاع بذلك على نتيجتي الفلسفة أعني  
السميا وأختها ويرفع له حجاب الجهولات ويطاع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد  
شهدت جماعة بأرض المغرب عن اتصال بذلك فأظهر الغرائب وخرق العوائد وتصرف  
في الوجود بتأييد الله واعلم أن ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملازمة مع الصبر  
مفتاح كل خير كما أن الخرق والعجلة رأس الحرمان فأقول اذا أردت أن تعلم قوة كل  
حرف من حروف انفايطوس أعني أجد الى آخر العدد وهذا أول مدخل من علم  
الحرف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فذلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي  
قوته في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله فتخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره  
وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم اغير المنقوطة لان المنقوطة منها مراتب المعان  
يأتى عليها البيان فيما بعد واعلم أن لكل شكل من أشكال الحروف شكلا في العالم



العالى أعنى الكرسي ومنها المتحرك والساكن والعالى والسفلى كما هو  
مقوم في أما كنه من الجدول الموضوع في الزيارج واعلم أن قوى الحروف  
ثلاثة أقسام الأول وهو أقلها قوة تظهر بعد كتابتها فتكون كتابته لعالم روحاني  
مخصوص بذلك الحرف المرسوم فتخرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همه كانت  
قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر  
عن تصرف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات العالويات وقوة شكلية في عالم  
الجسمانيات الثالث وهو ما يجمع الباطن أعنى القوة النفسانية على تكوينه  
فتكون قبل النطق به صورة في النفس بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في  
النطق وأما طبائعها فهي الطبيعيات المنسوبة للمتولدات في الحروف وهي الحرارة  
واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة والرطوبة فهذا سر العدد  
اليائني والحرارة جامعة للهواء والنار وهما ا ه ط م ف ش ذ ج ز ك س  
ق ث ظ والبرودة جامعة للهواء والماء ب و ي ن ص ت ض د ح  
ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ  
ب و ي ن ص ت ض فهذه نسبة حروف الطبائع وتداخل أجزاء بعضها  
في بعض وتداخل أجزاء العالم فيها عالويات وسفليات بأسباب الاتمهات الأول أعنى  
الطبائع الأربع المنفردة فتأردت استخراج مجهول من مسئلة ما تحقق طالع السائل  
أو طالع مسئلته واستنطق حروف أو تادها الأربعة الأول والرابع والسابع والعاشر  
مستوية مرتبة واستخرج أعداد القوى والوتاد كما سنين واجل وانسب واستنتج  
الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ أو بالمعنى وكذلك في كل مسئلة تقع لك  
بيانها إذا أردت أن تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع  
أعدادها بالجل الكبر فكان الطالع الحمل رابعة السرطان سابعه الميزان عاشره  
الجدى وهو أقوى هذه الوتاد فأسقط من كل برج حرفي التعريف وانظر ما يخص كل  
برج من الأعداد المنطقة الموضوع في دائرتها واحذف أجزاء الكسر في النسب  
الاستنطاقية كلها وأثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم أعداد حروف العناصر  
الأربعة وما يخصها كالأول وارسم ذلك كله أحرفا ورتب الوتاد والقوى والقرائن  
سطرا متمزجا وكسر واضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستنتج الجواب يخرج  
لك الضمير وجوابه مثاله افرض أن الطالع الحمل كما تقدم ترسم ح م ل فللحاء  
من العدد ثمانية لها النصف والرابع والثلث د ب ا الميم لها من العدد اربعون  
لها النصف والرابع والثلث والعشر ونصف العشر إذا أردت التدقيق م ل ي ه

اعل هذه عبارة  
بعض المشاركة لأن  
هذا ترتيب المشاركة  
لترتيب المغاربة  
الذي قدمه قاله  
نصر الله

د ب اللام لهما من العدد ثلاثون لهما النصف والثلثان والثالث والخمس والسادس والعشر كى و هـ ج وهكذا تفعل بسائر حروف المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك وأما استخراج الاوتاد فهو أن تقسم مربع كل حرف على أعظم جزء يوجد له مثاله حرف د له من الاعداد أربعة مربعاً وستة عشر اقسامها على أعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع ككل وترمقا بالخرقه ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق ولها قاعدة تظرد في استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح والله أعلم

### (فصل في الاستدلال على ماني الضمائر الخفية بالاقوال من الحرفية)

وذلك لوسأل سائل عن دليل لم يعرف مرضه ما علمته وما الموافق لبرئته منه فراسائل أن يسمى ما شاء من الاشياء على اسم العلة المجهولة لتجعل ذلك الاسم قاعداً لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان أردت التدقيق في المسئلة والافتصرت على الاسم الذي سماه السائل وفعلت به كما بين فأقول مثلاً سمى السائل فرساً فأثبت الحروف الثلاثة مع أعدادها المنطقية بيانه ان اللقاء من العدد ثمانين ولها م كى ح ب ثم الراء لهما من العدد مائتان ق ن لى ثم السين لهما من العدد ستون ولها م ل ك فالواو عدد تام له د ج ب والسين مثله ولها م ل ك فاذا بسطت حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين فاحكم لأكثرهما حروفاً بالغلبة على الآخر ثم اجمل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكم للاكثر والاقوى بالغلبة

### وصفة قوى استخراج العناصر

بياض بالاصل

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرودة والبيوسة طبع السوداء فتحكم على المريض بالسوداء فاذا ألقت من حروف الاستنطاق كلاماً على نسبة تقر يمية خرج موضع الوجع في الحلق ويوافقهم من الادوية حقنة ومن الاشربة شراب الليمون هذا ما خرج من قوى أعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقريبي مختصراً أما استخراج قوى العناصر

من الاسماء العلمية فهو أن تسمى مثلاً محمداً فترسم أحرفه مقطعة ثم تضع أسماء العناصر  
الاربعة على ترتيب الفلك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

| نارى  | ترابى | هوائى         | مائى          |
|-------|-------|---------------|---------------|
| ا ا ا | ب ب ب | ج ج ج ج ج ج ج | د د د د د     |
| ه ه ه | و و و | ز ز ز ز ز ز ز | ح ح ح ح ح ح ح |
| ط ط ط | ي ي ي | ك ك ك ك ك ك ك | ل ل ل ل ل ل ل |
| م م م | ن ن ن | ص ص ص ص ص ص ص | ع ع ع ع ع ع ع |
| ف ف ف | ض ض ض | ق ق ق ق ق ق ق | ر ر ر ر ر ر ر |
| س س س | ت ت ت | ث ث ث ث ث ث ث | خ خ خ خ خ خ خ |
| ذ ذ ذ | ظ ظ ظ | غ غ غ غ غ غ غ | ش ش ش ش ش ش ش |

فتجد أقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لأن عدد حروفه عشرون  
حرفاً جعلت له الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يفعل بجميع الاسماء  
حينئذ تضاف الى أوتارها أولوتر المنسوب لاطالع في الزايرة أولوتر البيت المنسوب  
لمالك بن وهيب الذي جعله قاعدة لمزج الاسئلة وهو هذا

سؤال عظيم الخلق حرت فصن اذن \* فرائب شك ضبطه الجد مثلاً

وهو وتر مشهور لا استخراج المجهولات وعليه كان يعتمد ابن الرقام وأصحابه وهو عمل تام  
قائم بنفسه في المثالات الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذکور أن ترسمه مقطعة  
ممتزجاً بالقفاط السؤال على قانون صنعة التكسير وعدة حروف هذا الوتر أعني البيت  
ثلاثة وأربعون حرفاً لأن كل حرف مشدّد من حرفين ثم تحذف ما تكرر عند المزج  
من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفاً بمثاله وثبتت الفضلين  
سطراً ممتزجاً ببعضه بعض الحروف الاول من فضله القطب والثاني من فضله السؤال  
حتى يتم الفضلтан جميعاً فتكون ثلاثة وأربعين فتضيف اليها خمس نونات ليكون ثمانية  
وأربعين لتعدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضله على ترتيبها فان كان عدد الحروف  
الخارجة بعد المزج يوافق العدد الاصلى قبل الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما مرحت  
جدولاً مريحاً يكون آخر ما في السطر الاول أول ما في السطر الثاني وعلى هذا النسق  
حتى يعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر  
كل حرف كما تقدم وتضعه مقابل الحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف  
الجدولية تعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائزها النفسانية وأسسها



الاصليّة من الجدول الموضوع لذلك وصفة استخراج النسب العنصرية هو أن تنظر  
الحرف الاول من الجدول ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه فان اتفقت فحسن  
والا فاستخرج بين الحرفين نسبة ويتسع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية  
وتحقق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تأخذ وتر كل  
حرف بعد ضربه في أسوس أو ناد الفلك الاربعة كما تقدم واحذر ما يلي الاوتاد وكذلك  
السواقل لان نسبتها مضطربة وهذا الذي يخرج لك هو أول مراتب السريان ثم تأخذ  
مجموع العناصر وتحط منها أسوس المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عروضة للممدد  
الكونية فتحمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج أفق النفس  
الايوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا  
مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس  
الايوسط يخرج الأفق الاعلى فتحمل عليه أول رتب السريان ثم تطرح من الرابع أول  
عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر  
الاربعة أبدأ في رابع رتب السريان يخرج أول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج  
ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل  
تبقى العوالم المجردة فتقسم على الأفق الاعلى يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل  
في التامة وله مقامات في كتب ابن وحشية والبوني وغيره ما وهذا التدبير يجري على  
القانون الطبيعي الحكيم في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار  
وضع الزيارج الحرفية والصنعة الالهية والنيرجات الفلسفية والله الملمهم وبه  
المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل

### (علم الكيمياء)

٢٤

وهو علم ينظر في المادّة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي  
يوصل الى ذلك فيتصفّحون المكونات كلها بعد معرفة أمر جتها وقواها العلمهم يعثرون  
على المادّة المستعدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض  
والهذرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادّة من القوّة  
الى الفعل مثل حل الاجسام الى أجزاءها الطبيعية بالتصعيد والتقطير ووجد الذائب  
منها بالتكليس وامهات الصاب بالفهر والصلابة وأمثال ذلك وفي زعمهم أنه يخرج بهذه  
الصناعات كلها اجسام طبيعية يسمونها الاكسيرة وأنه يلقى منه على الجسم المعدني  
المستعدّ لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص

والقصدير والنجاس بعد أن يحمي بالنار فيعود ذهباً بريزاً ويكون من ذلك الأكسير  
إذا أغزوا اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد فشرح هذه  
الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقرب هذه الأجساد المسنة إلى  
صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديماً وحديثاً  
وربما يعزى الكلام فيها إلى من ليس من أهلها وإمام المدونين فيها جابر بن حبان حتى  
أنهم يخصونها به فيسمونها علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالالغاز وزعموا أنه  
لا يفتح مقلها إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين  
له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسلمة الجرجاني من  
حكماء الأندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم وجعله قريناً لكتابه الآخر في السحر  
والطليسمات الذي سماه غاية الحكيم وزعم أن هاتين الصناعتين هما تيجتان للحكمة  
وغيرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقدة العلم والحكمة أجمع وكلامه في ذلك  
الكتاب وكلامهم أجمع في تأليفهم هي الغاية بعد ردهمها على من لم يعان  
اصطلاحاتهم في ذلك \* ونحن نذكر سبب عدولهم إلى هذه الرموز والالغاز ولابن  
المغيرة من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية على حروف المعجم من أبدع ما يجي في الشعر  
ملغوزة كلها الغزالات حاجي والمعاينة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون للغز إلى رحمه الله بعض  
التأليف فيها وليس بصحيح لأن الرجل لم تكن مداركه العالمية لتقف عن خطأ ما يذهبون  
إليه حتى يتحمله وربما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب  
مروان بن الحكم ومن المعلوم البين أن خالداً من الجليل العربي والبداءة إليه أقرب  
فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنهي مبنية على معرفة  
طبائع المركبات وأمزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر  
بعد ولم تترجم اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه  
بأبيه فممكن \* وأنا أنقل لك هنا رسالة أبي بكر بن بشر بن لابي السمع في هذه  
الصناعة وكلاهما من تليد مسلمة فيبدل من كلامه فيها على ما ذهب إليه في شأنها إذا  
أعطيته حقه من التأمل قال ابن بشر بن بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض  
والمقدمات التي لهذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الأولون واقتصر جميعها أهل  
الفلسفة من معرفة تكوين المعادن وتخليق الأحجار والجواهر وطباع البقاع والأماكن  
فنعنا شتمارها من ذكرها ويمكن أبين لك من هذه الصناعة ما يحتاج إليه فنبدأ  
بعرفته فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعملوا أولاً ثلاث خصال أوهاهل تكون  
والثانية من أي تكون والثالثة من أي كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة

وأما فقد ظفر بمطلوبه وبلغ غايته من هذا العلم فأما البحث عن وجودها والاستدلال عن تكونها فقد كفيينا كما بعنا به اليك من الاكسير وأما من أي شيء تكون فأنما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه العمل وان كان العمل موجودا من كل شيء بالقوة لانها من الطبائع الاربع منها تركبت ابتداء واليهما ترجع انتهاء ولكن من الاشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهى التى تخرج من القوة الى الفعل والتى لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها فيها بالقوة فقط وانما يمكن تفصيلها لاستغراق بعض طبائعها فى بعض وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغى لك وفقد الله أن تعرف أوفق الاجار المنفصلة التى يمكن فيها العمل وجنسه وقوته وعمله وما يدبر من الحل والعقد والتمقية والتكليس والتنشيف والتقليب فان لم يعرف هذه الاصول التى هى عماد هذه الصنعة لم ينجح ولم يظفر بخير أبدا وينبغى لك أن تعلم هل يمكن أن يستعان عليه بغيره أو يكتفى به وحده وهل هو واحد فى الابتداء أو شاركه غيره فصارى التدبير واحد افسمى حجرا وينبغى لك أن تعلم كيفية عمله وكيفية أوزانه وأزمانه وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد تركيبها فان لم تقدر فلا يعلو عليه وما السبب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم \* واعلم ان الفلاسفة كلهم مدحت النفس وزعمت انها المدبرة للجسد والحاملة له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكرت الجسد والنفس لان هذه الصفات شبيهة بجسد الانسان الذى تركيبه على الغذاء والعشاء وقوامه وتماجه بالنفس الحية النورانية التى بها يفعل العظام والاشياء المتقابلة التى لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التى فيها وانما نفعل الانسان لاختلاف تركيب طبائعه ولو اتفقت طبائعه لسانت من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ولكان خالدا باقيا فسبحان مدبر الاشياء تعالى \* واعلم ان الطبائع التى يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة فى الابتداء فيضية محتاجة الى الانتهاء وليس لها اذا صار فى هذا الحد أن تستحيل الى ما منه تركبت كما قلناه آنفا فى الانسان لان طبائع هذا الجوهر قد لزمت بعضها بعضا وصارت شيئا واحدا شبيها بالنفس فى قوتها وفعالها وبالجسد فى تركيبه ومجسسته بعد ان كانت طبائع مفردة بأعيانها فافهم عجبنا من أفاعيل الطبائع أن القوة للضعيف الذى يقوى على تفصيل الاشياء وتركيبها وتماها فلذلك قلت قوى وضعيف وانما وقع التغير والغناء فى التركيب الاقل للاختلاف وعدم ذلك فى الثانى للاتفاق



\* وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام دقيق المعنى لان الحكيم أراد بقوله حياة وبقاء خروجه من العدم الى الوجود لانه مادام على تركيبه الاول فهو قال لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الفناء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه لعدم الصورة لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه لا وزن له فيه وسترى ذلك ان شاء الله تعالى وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط اللطيف باللطيف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما أر يد بذلك التشاكل في الارواح والاجساد لان الاشياء تتصل بشكالها وقد كرت لك ذلك لتعلم ان العمل أوفق وأيسر من الطبائع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمية وقد تصوّر في العقل ان الاجزاء أقوى وأصبر على النار من الارواح كما ترى الذهب والحديد والنحاس أصبر على النار من الكبريت والزئبق وغيرهما من الارواح فأقول ان الاجساد قد كانت ارواحا في بدنهم فلما أصابها حر الكيان قلبها أجسادا الزجة غليظة فلم تقدر النار على أكلها لا فراط غلظتها وتلزوجها فاذا أفرطت النار عليها صيرتها ارواحا كما كانت أول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة اذا أصابتها النار أبقت ولم تقدر على البقاء عليها فينبغي لك ان تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو أجل ما تعرفه \* أقول انما أبقت تلك الارواح لاشتغالها ولطافتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها ولان النار اذا أحست بالرطوبة تعلقت بها لانها هوائية تشاكل النار ولا تزال تقتذى بها الى ان تغنى وكذلك الاجساد اذا أحست بوصول النار اليها القلة تلزوجها وغلظتها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من أرض وماء صابر على النار فلطيفه متحد بكثيفه لطول الطبخ اللين المازج للاشياء وذلك أن كل متلاش انما يتلاشى بالنار لمفارقة لطيفه من كثيفه ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والموافقة فصارت ذلك الانضمام والتداخل مجاورة لا تمازجة فسهل بذلك افتراقهما كالماء والدهن وما أشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به على تركيب الطبائع وتقابلها فاذا علمت ذلك علما شافيا فقد أخذت حظك منها وينبغي لك ان تعلم ان الخلط التي هي طبائع هذه الصناعة موافقة لبعضها البعض مفصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في الجز منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا أحكمت تدبير الطبائع وتأليفها ولم تدخل عليها غريبا فقد أحكمت ما أردت احكامه وقوامه اذا الطبيعة واحدة لا غريب فيها فن أدخل عليها غريبا فقد زاعغ عنها ووقع

في الخطأ \* واعلم ان هذه الطبيعة اذا حل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في الحل  
 حتى يشاكلها في الرقة واللاطافة انبسطت فيه وجرت معه حيثما جرى لان الاجساد  
 مادامت غليظة جافية لا تنبسط ولا تتزوج وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم  
 هذا الله هذا القول واعلم هذا الله ان هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي  
 لا يضمحل ولا ينتقض وهو الذي يقرب الطبائع ويمسكها ويظهر لها ألوانا وأزهارا  
 عجيبه وليس كل جسد يحل خلاف هذا هو الحل التام لانه مخالف للحياة وانما حله بما  
 يوافقه ويدفع عنه حرق النار حتى يزول عن الغلظ وتنقلب الطبائع عن حالاتها الى ماله  
 أن تنقلب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التحليل والتلطيف ظهرت  
 لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنفذ وكل عمل لا يرى له مصداق في أوله فلا خير  
 فيه \* واعلم ان البارد من الطبائع هو يبس الاشياء ويعقد رطوبتها والحار منها يظهر  
 رطوبتها ويعقد يبسها وانما أفردت الحرو البرد لانها مفاعلة والرطوبة واليبس  
 منه إعلان وعلى انفعال كل واحد منهما الصاحبه تحدث الاجسام وتتكون وان كان  
 الحار أكثر فعلا في ذلك من البرد لان البرد ليس له نقل الاشياء ولا تحركها والحار هو علة  
 الحركة وهي ضعفت علة الكون وهو الحرارة لم يتم منها شيء أبدا كما أنه اذا أفرطت  
 الحرارة على شيء ولم يكن ثم برداً حرته وأهلكته فن أجل هذه العلة احتيج الى البارد في  
 هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم يحذر الفلاسفة أكثر  
 شيء الا من النيران المحرقة وأمرت بتطهير الطبائع والانساف واخراج دنسها ورطوبتها  
 ونفي آفاتهما وأوساخها عنهما على ذلك استقام رأيهم وتدبيرهم فانما علمهم انما هو مع  
 النار أولاً واليه يصير آخره فلذلك قالوا اياكم والنيران المحرقات وانما أرادوا بذلك نفي  
 الآفات التي معها فتجمع على الجسد آفتين فتكون أسرع لهلاكه وكذلك كل شيء  
 انما يلاشي ويفسد من ذاته لتضاد طبائعه واختلافه فيتوسط بين شيئين فلم يجد ما يقويه  
 ويعينه الا قهرته الاقوة وأهلكته واعلم أن الحكماء كلها ذكروا ترداد الارواح على  
 الاجساد مراراً ليكون ألزم اليها وأقوى على قتال النار اذا هي باشرتها عند الالفه  
 أعني بذلك النار العنصرية فاعلمه \* ولنقل الآن على الحجر الذي يمكن منه العمل على  
 ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم أنه في الحيوان ومنهم من زعم أنه في  
 النبات ومنهم من زعم أنه في المعادن ومنهم من زعم أنه في الجميع وهذه الدعاوى ليست  
 بحاجة الى استقصائها ومناظرة أهلها عليها لان الكلام يطول جداً وقد قلت فيما  
 تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبائع موجودة في كل شيء فهو كذلك فتريد  
 أن تعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والفعل فنقصد الى ما قاله الحراني ان الصبغ

كله أحد صبغين أما صبغ جسد كل عفران في الثوب الأبيض حتى يحول فيه وهو  
مضمحل منتقض التركيب والصبغ الثاني تقلب الجوهر من جوهر نفسه إلى جوهر  
غيره ولونه كقلب الشجر بل التراب إلى نفسه وقلب الحيوان والنبات إلى نفسه حتى  
يصير التراب نباتا والنبات حيوانا ولا يكون إلا بالروح الحى واليكى الفاعل الذى له  
تولى الأجرام وقلب الأعيان فإذا كان هذا هكذا فنقول أن العمل لا بد أن يكون  
أما في الحيوان وأما في النبات وبرهان ذلك أنه ما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما  
وتمامهما فأما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض  
الحكمة فيه وأما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك أن المعدن  
يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا والحيوان لا يستحيل إلى شيء هو أظف منه  
الأن ينعكس راجعا إلى الغلط وأنه أيضا لا يوجد في العالم شيء يتعلق به الروح الحية  
غيره والروح أظف ما في العالم ولم يتعلق الروح بالحيوان إلا بشأ كلته إياها فأما الروح  
التي في النبات فأنها ليست في غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه  
لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظها وغلظ روحه والروح المتحركة  
أظف من الروح الكامنة كثيرا وذلك أن المتحركة لها قبول الغذاء والتنقل والتنفس  
وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجرى إذا قبست بالروح الحية إلا كالارض  
عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان أعلى وأرفع وأهون وأيسر  
فينبغي للعاقل إذا عرف ذلك أن يجرب ما كان سهلا ويترك ما يخشى فيه عسرا وعلم  
أن الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساما من الاتهامات التي هي الطبائع والحديثه التي  
هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم فلذلك قسمت الحكماء العناصر والمواليد  
أقساماً حية وأقساماً ممتدة فجعلوا كل متحرك فاعلا حيا وكل ساكن مفعولا ميتا وسموا  
ذلك في جميع الأشياء وفي الأجساد الذائبة وفي العقاقير المعدنية فسموا كل شيء يذوب  
في النار ويطير ويشتمل حيا وما كان على خلاف ذلك سموه ميتا فأما الحيوان  
والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع أربعاً حيا وما لم يتفصل سموه ميتا ثم انهم  
طلبوا جميع الأقسام الحية فلم يجدوا الوفاق هذه الصناعة مما يتفصل فصولاً أربعة  
ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الجذر الذى في الحيوان فبحسبوا عن جنسه حتى عرفوه  
وأخذوه ودبروه فتكيف لهم منه الذى أرادوا وقد يتكيف مثل هذا في المعادن  
والنبات بعد جمع العقاقير وخلطها ثم تفصل بعد ذلك فأما النبات فنه ما يتفصل ببعض  
هذه الفصول مثل الأشنان وأما المعادن ففيها أجساد وأرواح وأنفاس إذا مزجت  
ودبرت كان منها ما له تأثير وقد دبرنا ذلك فكان الحيوان منها أعلى وأرفع



وتدبيره أسهل وأيسر فينبغي لك أن تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده  
 أنا نبينا أن الحيوان أرفع المراتب وكذا ما تركب منه فهو أطف منه كالنبات من  
 الأرض وإنما كان النبات أطف من الأرض لأنه إنما يكون من جوهره الصافي  
 وحسنه اللطيف فوجب له بذلك اللطافة والرفقة وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات  
 في التراب وبالمثل فإنه ليس في الحيوان شيء ينقل طبائع أربعاء غيره فافهم هذا القول  
 فإنه لا يكاد يخفى الأعمى جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد أخبرتك ماهية هذا الحجر  
 وأعلمتك جنسه وأنا أبين لك وجوه تدبيره حتى يكمل الذي شرطناه على أنفسنا من  
 الانصاف ان شاء الله سبحانه (التدبير على بركة الله) هذا الحجر الكريم فاودعه القرعة  
 والانبى وفصل طبائعه الأربع التي هي النار والهواء والأرض والماء وهي الجسد  
 والروح والنفس والصبيغ فاذا عزلت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل  
 واحد في اناء على حدة وخذ الهابط أسفل الاناء وهو النقل فاغسله بالار الحارة حتى  
 تذهب النار عنه سواده ويرزول غلظه وجفافه ويبيضه تبيضا محكما وطير عنه فضول  
 الرطوبات المستحبة فيه فإنه يصير عند ذلك ماء أبيض لا ظلمة فيه ولا وسخ ولا تضاد ثم  
 اعمد الى تلك الطبائع الأول المساعدة منه فطهرها ايضا من السواد والتضاد وكرز عليها  
 الغسل والتصفيد حتى تطف وتزق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدا  
 بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك أن التركيب لا يكون الا بالتزويج والتعفين  
 فأما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ وأما التعفين فهو التمشية والسحق حتى  
 يحتلط بعضه ببعض ويصير شيئا واحدا لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء  
 فعند ذلك يقوى الغليظ على امسالك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتضيق  
 عليها وتقوى النفس على القوص في الأجساد والديب فيها وإنما وجد ذلك بعد  
 التركيب لأن الجسد المحلول لما ازدوج بالروح ما زجه بجميع أجزائه ودخل بعضها في  
 بعض لتشا كلها فصارت شيئا واحدا ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح  
 والفساد والبقاء والنبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا  
 امتزجت به ما دخلت فيه ما بخدمة التدبير اختلطت أجزاؤه ما بجميع أجزائه  
 الآخرين أعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيئا واحدا لا اختلاف فيه بمنزلة  
 الجزء الكلي الذي سلت طبائعه واتفقت أجزاؤه فاذا انقضى هذا المركب الجسد المحمول  
 وألح عليه النار وأظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن  
 شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار به فاذا أرادت النار التعلق به اضطرها من  
 الاتحاد بالنفس بممازجة الماء لها فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك

الماء من شأنه النور ومن النار فاذا ألحقت عليه النار وأرادت تطهيره حبسة الجسد  
 اليابس المجازج له في جوفه فذعه من الطيران فكان الجسد علة لامتلاك الماء والماء  
 علة لبقاء الدهن والدهن علة لثبات الصبغ والصبغ علة لظهور الدهن واظهار  
 الدهنية في الاشياء المظلمة التي لانور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا  
 يكون العمل وهذه التصفية التي سألت عنها وهي التي سميتها الحكماء بيضة واياها  
 يعنون لا بيضة الدجاج \* واعلم أن الحكماء لم يسموها بهذا الاسم لغير معنى بل أشبهتها  
 ولقد سألت مسلمة عن ذلك يوما وليس عنده غيري فقلت له أيها الحكماء الفاضل اخبرني  
 لاي شئ سميت الحكماء مركب الحيوان بيضة اختيارا منهم لذلك أم لمعنى دعاهم اليه  
 فقال بل لمعنى عامض فقلت أيها الحكماء وما ظهروا لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال  
 على الصناعة حتى شبهوها وسموها بيضة فقال لشبهها وقرابتها من المركب ففكر فيه  
 فانه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفكرا لا أقدر على الوصول الى معناه فلما رأى  
 ما بي من الفكر وان نفسى قد مضت فيها أخذ به ضدى وهزنى هزة خفيفة وقال لى  
 يا أبا بكر ذلك للنسبة التي بينهما فى كمية الالوان عند امتزاج الطبائع وتأليفها فلما قال  
 ذلك انجلت عنى الظلمة وأضاء لى نور قلبى وقوى عقلى على فهمه فنهضت شاكر الله عليه  
 الى منزلى وأتت على ذلك شكلا هندسيا يبرهن به على صحة ما قاله مسلمة وأنا واضعها  
 فى هذا الكتاب مثال ذلك أن المركب اذا تم وكل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهواء الى  
 ما فى البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما فى المركب من طبيعة النار الى ما فى البيضة  
 من طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الاخرى ان الارض والماء فأقول ان كل شئين  
 متناسبين على هذه الصفة فهم متشابهان ومثال ذلك أن تجعل اسطح البيضة هزوح  
 فاذا أردنا ذلك فاننا نأخذ أقل طبائع المركب وهي طبيعة اليبوسة ونضيف اليها ما لها  
 من طبيعة الرطوبة ونديرهما حتى تنشف طبيعة اليبوسة طبيعة الرطوبة وتقبل  
 قوتها وكانت فى هذا الكلام رمز اول لكنه لا يمتحن عليك ثم تحمل عليهم ما جميعا مثلهم ما  
 من الروح وهو الماء فيكون الجميع ستة أمثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثلا من  
 طبيعة الهواء التي هى النفس وذلك ثلاثة أجزاء فيكون الجميع تسعة أمثال اليبوسة  
 بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب الذى طبيعته محيطية بسطح المركب  
 طبيعتين فتجعل أولا الضلعين المحيطين بسطح طبيعة الماء وطبيعة الهواء وهما  
 ضلعان ح د وسطح أ ب ج د وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة الاذان هما الماء  
 والهواء ضلعان ه ز و فاقول ان سطح أ ب ج د يشبه سطح ه ز و طبيعة الهواء التي تسمى  
 نفسا وكذلك ب ج د من سطح المركب والحكماء لم يسم شيئا باسم شئ الا شبهه به

والكلمات التي سألت عن شرحها الارض المقدسة وهي المنعقدة من الطائع العلوية  
والسفلية والنحاس هو الذي أخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم جرب الزاج حتى صار  
نحاساً يابوا المغنيسيا حجرهم الذي يتجمد فيه الارواح وتخرج الطبيعة العلوية التي  
تستجيب فيها الارواح لتقابل عليها الارواح الفرقة لون أحمر فان يحدثه اليكان والرماس  
حجر له ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنها تتشاكله ومتجانسة فالواحدة روحانية  
ثيرة صافية وهي الفاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة غير أنها أعظم من  
الاولى ومركزها دون مركز الاولى والثالثة قوة أرضية حاسة قابضة منعكسة الى مركز  
الارض لثقلها وهي الماسكة الروحانية والنفسانية جميعا والمحيط بها ما وما سائر  
الباقية فيبتدعة ومخترة الباسا على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غيرها  
\* فهذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثت به اليك مفسرا وزجوة توفيق الله أن تبلغ  
أملك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ مسلمة المجر بطي شيخ الاندلس  
في علوم الكيمياء والسيما والسحر في القرن الثالث وما بعده \* وأنت ترى كيف  
صرف ألفاظهم كلها في الصناعة الى الرمز والالغاز التي لا تكاد تبين ولا تعرف  
وذلك دليل على أنها ليست بصناعة طبيعية \* والذي يجب أن يعتد في أمر الكيمياء  
وهو الحق الذي يعضده الواقع أنهم من جنس آثار النفوس الروحانية وتصرفها في  
عالم الطبيعة امام نوع الكرامة ان كانت النفوس خيرة أو من نوع السحر ان كانت  
النفوس شريرة فاجرة فأما الكرامة فظاهرة وأما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان  
تحقيقه يقلب الاعيان المادية بقوة السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع  
فعله السحري فيها كخلق بعض الحيوانات من مادة التراب أو الشجر والنبات وبالجملة  
من غير مادتها المخصوصة بها كما وقع لسحرة فرعون في الجبال والعصى وكما ينقل عن  
سحرة السودان والهنود في قاصية الجنوب والترك في قاصية الشمال أنهم يسحرون  
الجولامطار وغير ذلك \* ولما كانت هذه تخلق الذهب في غير مادته الخاصة به  
كان من قبيل السحر والمتكاملون فيه من اعلام الحكماء مثل جابر ومسلمة ومن كان  
قبلهم من حكماء الامم انما نفخوا هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغارازا حذرا  
عليهم من انكار الشرائع على السحر وأنواعه لأن ذلك يرجع الى الضلالة بها كما هو  
رأي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر كيف سمي مسلمة كتابه في هارثية الحكيم  
وسمي كتابه في السحر والطلسمات غاية الحكيم إشارة الى عموم موضوع الغاية  
وخصوص موضوع هذه لان الغاية أعلى من الرتبة فكانت مسائل الرتبة بعض من  
مسائل الغاية وتشاركها في الموضوعات ومن كلامه في الفين تبين ما قلناه ونحن نبين



فيمابعد غلط من يزعم ان مدارك هذه الامور بالصناعة الطبيعية والله العليم الخبير

٢٥ ( فصل في ابطال الفللفة وفساد متواليها )

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب أن يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك أن قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية وأن تصحيح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحققوا على اصابة الغرض منه ووضعوا قانونا يهتدى به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق وحصل ذلك أن النظر الذي يقيد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجترد منها أوقلاصورا منطبقة على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي ترسمها في طين أو شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم تجرد من تلك المعاني الكمية اذا كانت مشتركة مع معاني أخرى وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معاني أخرى وهي التي اشتركت بها ثم تجرد ثانيا ان شاركها غير وثالثا الى أن ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكمية المنطبقة على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الاجناس العالية وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني فاذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطلب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي البقيني ليحصل تصور الوجود تصورا صحيحا مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كما مر وصنف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية لطلب الادراك وانما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف التصديق عليه فمعنى الشعور لا يعنى العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون أن السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين \* وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي فرغوا عليه قضايا انظارهم أنهم عثروا أوقلا على الجسم

السفلى بحكم الشهود والحس ثم ترقى ادراكهم قليلا فتشعر باوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات ثم أحسوا من قوى النفس بسلطان العقل ووقف ادراكهم فقضوا على الجسم العالى السماوى بنص من القضاء على أمر الذات الانسانية ووجب عندهم أن يكون للقلب نفس وعقل كالألنسان ثم انهم واذلكنها بتعدد الاتحاد وهى العشرة مفضلة ذواتها جيل وواحد أقل مفرد وهو العاشر ويرى عيون أن السعادة فى ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخليقها بالفضائل وان ذلك ممكن للإنسان ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الافعال يقتضى عقله ونظره ويهله الى المحمود منها واجتنابه لالمذوم بقطرته وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجهل بذلك هو اللثام السرمضى وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب فى الآخرة الى خبط لهم فى تفاسير سبل ذلك معروف من كتاباتهم وامام هذه المذاهب الذى حصل مسائلها ودون علمها واسطر حجاجها فيما يغنى فى هذه الاحقاب هو ارسطو المقدونى من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون وهو معلم الاسكندرو ويسمونه المعلم الاقول على الاطلاق يهتدون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مذهب وهو أقول من رتب قانونها واستوفى مسائلها وأحسن بسطها ولقد أحسن فى ذلك القانون ماشاء لو تكفل له بقصدهم فى الالهيات ثم كان من بعدهم فى الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو الفعل بالنقل الا فى القليل وذلك أن كتب أوائل المتقدمين لم ترجعها لاختلاف زبني العباس من اللسان اليونانى الى اللسان العربى تصفحها كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من متخلى العلوم وجادلوا عنها واختلفوا فى مسائل من تفاريعها وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابى فى المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو علي بن سينا فى المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بنى بويه باصبهان وغيرهما \* واعلم أن هذا رأى الذى ذهبوا اليه باطل بجميع وجوده فأما اسنادهم الموجودات كلها الى العقل الاقول واكتفاءهم به فى الترقى الى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خالق الله فالوجود أوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون وكأنهم فى اقتصارهم على اثبات العقل نقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتمدين أنه ليس وراء الجسم فى حكمة الله شئ وأما البراهين التى يزعمونها على مدعياتهم فى الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهى قاصرة وغير وافية بالغرض أما ما كان منها فى الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعى فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية

التي تستخرج بالحدود والاقيسة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني لأن تلك  
 أحكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل في المواد  
 ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما يشهد له الحس من  
 ذلك فدل عليه شهوده لا تلك البراهين فأين اليقين الذي يجدونه فيها ويرى بما يكون تصرف  
 الذهن أيضا في المعقولات الاول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية لا في المعقولات  
 النواني التي تجريد ما في الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ قيمة بما عناية المحسوسات  
 اذ المعقولات الاول اقرب الى مطابقة الخارج الكمال الانطباع فيها فاقسم لهم حينئذ  
 دعاويهم في ذلك الا أنه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم لما  
 لا يعنيه فان مسائل الطبيعية لا تهمنا في ديننا ولا ما شاعنا فوجب علينا تركها \*  
 وأما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي الروحانيات ويسمونه العلم الالهي  
 وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة رأسا ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها  
 لأن تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو  
 مدرك لنا ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجرد منها ما هيئات أخرى بجمباب  
 الحس ينشأ وينها فلا يتأتى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجملة الا  
 ما يفجده بين جنيننا من أمر النفس الانسانية وأحوال مداركها وخصوصا في الرويا  
 التي هي وجدانية لكل أحد وما وراء ذلك من حقيقة ما وصفتها فأمر غامض لا سبيل  
 الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى أن ما لا مادة له لا يمكن  
 البرهان عليه لأن مقدمات البرهان من شرطها أن تكون ذاتية وقال كبيرهم  
 افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الى يقين وانما يقال فيها بالاحتمال والاولى بعنى الظن  
 واذا كنا نأمن بحمل بعد التعب والنصب على الظن فقط فكيف يمكننا الظن الذي كان أولا قاي  
 فائدة لهذه العلوم والاستغفال بهم ونحن انما عناية بنا بتحصيل اليقين فيما وراء الحس من  
 الموجودات وهذه هي غاية الافكار الانسانية عندهم وأما قولهم ان السعادة في ادراك  
 الموجودات على ما هي عليه بتلك البراهين فقول من يفرد ودون تفسيره أن الانسان  
 مركب من جزأين أحدهما جسماني والآخر روحاني ممتزج به ولكل واحد من الجزأين  
 مدارك مختصة به والمدرك فيها واحد وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية  
 وتارة مدارك جسمانية الا أن المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك  
 الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه  
 واعتبره بحال الصبي في أول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة كيف ينتهج بما يشهده  
 من الضوء وبما يسمعه من الاصوات فلا شك أن الابتهاج بالإدراك الذي للنفس من



ذاتها بغير واسطة يكون أشد وألذ فالنفس الروحانية إذا شعرت بأدراكها الذي لها من  
ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الإدراك لا يحصل بنظر ولا علم  
وانما يحصل بالكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة كثيرا  
ما يعنون بحصول هذا الإدراك للنفس بحصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة أمانة  
القوى الجسمانية ومداركها حتى الفكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها  
من ذاتها عند زوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها  
وهذا الذي زعموه بتقدير صحته مسلم لهم وهو مع ذلك غير واف بقصودهم فأما قولهم ان  
البراهين والأدلة العقلية محالة لهذا النوع من الإدراك والابتهاج عنه فيبطل كما  
رأيتهم إذا البراهين والأدلة من جملة المدارك الجسمانية لأنها بالقوى الدماغية من  
الخيال والفكر والذكر ونحن أول شئ نعتي به في تحصيل هذا الإدراك أمانة هذه القوى  
الدماغية كلها لأنها منازعة له فادحة فيه وتجد الماهر منهم عاكفا على كتاب الشفاء  
والإشارات والنبأ وتلاخيص ابن رشد للنص من تأليف أرسطو وغيره يعبثون بأوراقها  
ويتوثق من براهينها ويلتمس هذا القسط من السعادة فيها ولا يعلم أنه يستكثر بذلك من  
الموانع عنها ومستندهم في ذلك ما يفتلونه عن أرسطو والفارابي وابن سينا أن من  
حصل له إدراك العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصل حظ من هذه السعادة  
والعقل الفعال عندهم عبارة عن أول رتبة يتكشف عنها الحس من رتب الروحانيات  
ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الإدراك العلي وقد رأيت فسادها وانما يعنى  
أرسطو وأصحابه بذلك الاتصال والإدراك الإدراك للنفس الذي لها من ذاتها بغير  
واسطة وهو لا يحصل إلا بكشف حجاب الحس وأما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا  
الإدراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل أيضا لأننا غائبين لنا بما قرروه أن وراء  
الحس مدركا آخر للنفس من غير واسطة وانها ابتهاج بأدراكها ذلك ابتهاجا شديدا  
وذلك لا يعين لنا أنه عين السعادة الآخروية ولا يتبدل هي من جملة الملاذات التي لتلك  
السعادة وأما قولهم ان السعادة في إدراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل  
مبنى على ما كنا قد مناه في أصل التوحيد من الاوهام والاعلاط في أن الوجود عند  
كل مدرك منصرف في مداركه وبيناف ذلك وأن الوجود أوسع من أن يحاط به  
أو يستوفي إدراكه بجملة روحانيا أو جسمانيا والذي يحصل من جميع ما قررناه من  
مذاهبهم أن الجزء الروحاني إذا فارق القوى الجسمانية أدرك أدراكا ذاتياله مختصا  
بصنف من المدارك وهي الموجودات التي أحاط بها علمنا وليس بهتمام الإدراك في  
الموجودات كلها اذ لم تنصرف وانما يبتجى بذلك النحوم الإدراك ابتهاجا شديدا كما

يتتبع الصبي بمداركه الحسية في أول نشوه ومن لنا بعد ذلك بادراك جميع الموجودات  
 أو بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيئات هيئات ما نؤعدون  
 وأما قولهم ان الانسان مستقل بتهديب نفسه واصلاحها بما لبسه المحمود من الخلق  
 ونجاسة المذموم فأمر مبني على أن ابتهاج النفس بادراكها الذي لها من ذاتها هو عين  
 السعادة الموعود بها الآن الرزائل عاتقة للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من  
 الملكات الجسمانية وألوانها وقد بينا ان أثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات  
 الجسمانية والروحانية فهذا التهديب الذي توصلوا الى معرقته انما نفعه في البهجة  
 الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين وأما ما وراء ذلك  
 من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما أمر به من الاعمال والاخلاق  
 فأمر لا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم أبو علي بن سينا فقال في كتاب  
 المبدأ والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني وأحواله هو مما يتوصل اليه بالبراهين العقلية  
 والمقاييس لانه على نسبة طبيعية محفوظة ووثيرة واحدة فلنا في البراهين عليه سعة وأما  
 المعاد الجسماني وأحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة وقد  
 بسطته لنا الشريعة المحمدية فلم ينظر فيها ولترجع في أحواله اليها فهذا العلم كما  
 رأيته غير وافي بمقاصدهم التي حوّموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها  
 وليس له فيها علامة الاثمة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجج لتحصيل  
 ملكة الجود والصواب في البراهين وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه  
 الاحكام والاتقان هو كما شيرطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية  
 وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحكيمة من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها  
 فيستولون الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشرطها على ملكة الاتقان والصواب  
 في الحجج والاستدلالات لانها وان كانت غير وافية بمقصودهم فهي أصح ما علمناه من  
 قوانين الانتظار هذه هي عمدة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم وآرائهم  
 ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحيزا جهده من معاطبها وليكن نظره من ينظر فيها  
 بعيد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكتفي أحدها عليها وهو  
 خلو من علوم الله فقل أن يسلم لذلك من معاطبها والله الموفق للصواب وللحق والهادي  
 اليه وما كنا نتهدي لولا أن هدانا الله

( فصل في ابطال صناعة النجوم وضمف مدار كنهانها وما فيها )

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حيدوثها

من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجموعة  
 فتكون لذلك أوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما يحدث من نوع نوع من أنواع  
 الكائنات الكلمة والشخصية فالمتقدمون منهم يرون أن معرفة قوى الكواكب  
 وتأثيراتها بالتجربة وهو أمر تقصر الاعمار كلها الواجتماع عن تحصيله اذا التجربة  
 انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم أو الظن وأدوار الكواكب  
 منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى آما دواحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو  
 طويل من أعمار العالم وربما ذهب ضمه فاهمهم الى أن معرفة قوى الكواكب  
 وتأثيراتها كانت بالوحى وهو رأى فائق وقد كفوا مؤنة ابطاله ومن أوضح الادلة فيه  
 أن تعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبعد الناس عن الصنائع وأنهم لا يتعرضون  
 لاخبار عن الغيب الا أن يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون  
 بذلك ابعيهم من الخلق وأما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين فيرون أن دلالة  
 الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات  
 العنصرية قال لان فعل النيران وأثرهما في العنصريات ظاهرا لا يسع أحدا بحده  
 مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وأمر جتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل  
 القمر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفنة وفواكه القضاء وسائر أفعاله ثم قال  
 ولنا فيما بعده ما من الكواكب طريقان الاولى التي لم يدلن نقل ذلك عنه  
 من أئمة الصناعة الا أنه غير مقنع للنفس الثانية الحسد والتجربة بقياس كل  
 واحد منها الى النيران الاعظم الذي عرفنا طبيعته وأثره معرفة ظاهرة فنظروا هل يزيد  
 ذلك الكوكب عند النيران في قوته ومن اوجه تعرف موافقته له في الطبيعة أو ينقص  
 عنها فنعرف مضادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفنا ما من كوكب وذلك عند تناظرها  
 بأشكال التثليث والتربيع وغيرها ما زه معرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس  
 أيضا الى النيران الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر  
 والمزاج الذي يحصل منها للهواء يحصل لما تحتها من المولدات وتخلق به النطف والبز  
 فتصير حال البدن المتكون عنها والنفس المتعلقة به الفاضلة عليه المكتسبة  
 لمالهاته ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كميات البزرة والنطفة  
 كميات لما يولد عنها وينشأ منها قال وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شيء وليس  
 هو أيضا من القضاء الالهى يعنى القدر انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكائن  
 والقضاء الالهى سابق على كل شيء هذا محصل كلام بطليموس وأصحابه وهو منصوص  
 في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك أن العلم الكائن



أو الظن به اغماي يحصل عن العلم بجملة أسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه والقوى النجومية على ما قرره انما هي فاعلة فقط والجزء العنصري هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي الفاعل بجملة قابل هناك قوى أخرى فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التوليد للاب والنوع التي في النطفة وقوى الخاصة التي تميزها صنف صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصل كمالها وحصل العلم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيد حدس وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والحدس والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من أصول الصناعة فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى النجومية على سداده ولم تعترضه آفة وهذا معوز لما فيه من معرفة حسابات الكواكب في سيرها التي تعرف به أوضاعها ولما أن اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه ومدرك بطليموس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بقياسها الى الشمس مدرك ضعيف لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل أن يشعر بالزيادة فيها أو النقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها فادحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد أن لا فاعل الا الله بطريق استدلال كآرائه واحتج له أهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من أن اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل متهم على ما يقضى به فيما يظهر بادى الرأي من التأثير فعمل استنادها على غير صورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا سيما والشرع يرد الحوادث كلها الى قدرة الله تعالى وينير أعماسه ذلك والنبوات أيضا منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته وفي قوله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافري فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الانساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض الاحايين اتفقا لا يرجع الى تعليل ولا تحقيق فيلهم بذلك من لا معرفة له ويظن اطراد الصدق في سائر احكامها وليس كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثيرا

في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتربصين  
بالدولة الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على  
جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدح في ذلك كون  
وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم فالحير والشر طبعتان موجودتان  
في العالم لا يمكن نزعهما وانما يتعلق التكليف باسباب حصولهما فيتعين السعي  
في اكتساب الخير باسبابه ودفع أسباب الشر والمضار هذا هو الواجب على من عرف  
مفاسد هذه العلم ومضارها وليعلم من ذلك أنها وان كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن  
أحدا من أهل الملة تحصيل علمها ولا ملكتها بل ان نظرها ناظر وطن الاحاطة بهم اقل  
في غاية القصور في نفس الامر فان الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من  
أهل العمران لقراءتها والتحليق لتعليمها ووصار المولع بها من الناس وهم الاقل وأقل  
من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتهم في كسر بيتهم مستترعن الناس وتحت ربة  
الجهل ورمع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها على الفهم فكيف يحصل منها  
على طائل ونحن نجد الفقه الذي علم نفعه دينا ودينا وسهلت ما آخذ من الكتاب  
والسنة وعكف الجهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول المداينة  
وكثرة المجالس وتعددها انما يحذف فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاجيال  
فكيف يعلم مهور الشريعة مضروب دونه سدا لخطر والهرم ~~مكتوم~~ عن الجهور  
صعب المأخذ محتاج بعد الممارسة والتحصيل لاصوله وفروعه الى مزيد حدس وتخمين  
يكتمل فان به من الناظر فأين التحصيل والحدق فيه مع هذه كلها ومدعى ذلك من الناس  
مردود على عقبه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفرق بين أهل الملة وقلة خلائه فاعتبر  
ذلك يبين لك صحة ما ذهبنا اليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه أحدا \* ومما  
وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر عند ما غلب العرب عساكر السلطان  
أبي الحسن وحاصروه بالقنروان وكثرا جاف القرى بين الاولياء والاعداء وقال في ذلك  
أبو القاسم الرواحي من شعراء أهل تونس

أستغفر الله ~~كل~~ حين \* قد ذهب العيش والهناء  
أصبح في تونس وأمسى \* والصبح لله والمساء  
الخوف والجوع والمنايا \* يحدثها الهرج والوباء  
والناس في مريبة وحرب \* وما عسى ينفع المرء  
فأجـدى ترى علينا \* حل به الهلك والتواء  
وأخـر قال سوف يأتي \* به اليكم صبارخاء

والله من فوق ذار هـ هذا \* يقضى لعبديه ما يشاء  
 ياراصد الخلد الجوارى \* ما فعلت هذه السماء  
 مطلقونا وقصد زعمتم \* أنكم اليوم أملاء  
 من ترخيص على خيس \* وجاء سبب وأربعاء  
 ونصف شهر وعشر ثمان \* وثالث ضمه القضاء  
 ولا ترى غير زور قول \* أذاك جهل أم ازدراء  
 أنا إلى الله قد علمنا \* أن ليس يستدفع القضاء  
 رضيت بالله إلى الهـ هذا \* حسبكم البدر أودكاه  
 ما هذه الانجم السوارى \* إلا عباد بدأ وأماء  
 يقضى عليها وائس تقضى \* وما لها في الورى اقتضاء  
 ضلت عقول ترى قدما \* ما شأنه الحرم والقضاء  
 وحكمت في الوجود طبعها \* يحده الماء والهواء  
 لم تر حـلوا أزاء من \* تغذوه موثبة وماء  
 الله ربى ولست أدري \* ما الجوهر الفرد والحلاء  
 ولا الهـبول التى تنادى \* مالى عن صورة عمراء  
 ولا وجود ولا انعدام \* ولا ثبوت ولا انتفاء  
 ولست أدري ما الكسب الا \* ما جلب البيع والشراء  
 وانما مذهبى ودينى \* ما كان والناس أولاء  
 اذ لا فـول ولا أصول \* ولا جدال ولا ارتباء  
 ما تبع الصدر واقعة هنا \* يا حبيذا كان الاقتفاء  
 كانوا كما يعلمون منهم \* ولم يكن ذلك الهـ هذا  
 يا أشعري الزمان انى \* أشعرنى الصيف والشتاء  
 أنا أبزى بالشر شرا \* والخير عن مثله جزاء  
 واننى ان أكن مطيعا \* قرب أعصى ولى رجاء  
 واننى تحت حكم بار \* أطاعه العرش والثراء  
 ليس باستطاركم ولا كن \* أتأخه الحكم والقضاء  
 لو حدثت الاشعري عن \* له إلى رأيه انتم بناء  
 فقال أخبرهم بأنى \* مما يقولونه بسراء



٢٧ (فصل في انكار ثمة الكيمياء استحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها)

اعلم ان كثيرا من العاجزين عن معاشهم يحملهم المطامع على انتحال هذه الصناعات  
ويرون انها أحد مذاهب المعاش ووجوهه وأن اقتناء المال منها أبسر وأسهل على  
مبتغيه فيرة ~~كسبون~~ فيها من المتاعب والمشاق ومعاناة الصهابة وعسف الحكام  
وخسارة الادوال في النفقات زيادة على النيل من غرضه والعطب آخر اذا ظهر على  
خبيثة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وانما أطمعهم في ذلك رؤية أن المعادن  
تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيما ولون بالعلاج صيرورة الفضة  
ذهبا والنحاس والقصدير فضة ويحسبون أنهم من تمكثات عالم الطبيعة ولهم في علاج  
ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم  
للعلاج المسماة عندهم بالحر المسكتر هل هي العذرة أو الدم أو الشعر أو البيض أو كذا  
أو كذا مما سوى ذلك وجملة التدبير عندهم بعد تعين المادة أن تهوى بالفهر على حجر صلد  
أملس وتسقى أثناء امهاتها بالماء بعد أن يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب  
القصد منها او يؤثر في انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تجفف بالشمس من بعد السقي أو  
تطبخ بالنار أو تصعد أو تكلس لاستخراج مائها أو ترابها فإذا رضى بذلك كله من علاجها  
وتم تدبيره على ما اقتضته أصول صنعة حصل من ذلك ككل تراب أو مائع يسمونه  
الاكسيرا ويرى نعمون أنه اذا ألقى على الفضة المحماة بالنار عادت ذهباً والنحاس المحمي  
بالنار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله ويرى المحققون منهم أن ذلك الاكسيرا مادة  
مركبة من العناصر الاربعة حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج ذو قوى  
طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها ومن اجها وتثبت فيه ما حصل  
فيها من الكيفيات والقوى كالخبرة للخبرة تقلب العجين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها  
من الانفشاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريعا الى الغذاء وكذا  
اكسيرا الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن يصرفه اليها ويقلبه الى صورتها  
هذا يحصل زعمهم على الجملة فتجدهم عاكفين على هذا العلاج يتغنون الرزق والمعاش فيه  
ويتناقلون أحكامه وقواعده من كتب لائمة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم  
ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف أسرارها ذهبي في الاكثر تشبه المعنى كالتلف  
جابر بن حيان في رسائله السبعين ومسلمة المجريطي في كتابه رتبة الحكيم والطغرائي  
والمغربي في قصائده العريضة في اجادة النظم وأمثالها ولا يحلون من بعد هذا كله بطائل  
منها \* فاوضت يوما شيخنا أبا البركات التلوفي كبير مشيخة الاندلس في مثل ذلك  
ووقفته على بعض التأليف فيها فتصفحه طويلا ثم رده الى وقال لي وأنا اناضامن له

أن لا يعود الى بيته الابانجية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما الظاهرة  
 كقوية الفضة بالذهب أو النحاس بالفضة أو خلطهم ما على نسبة جزء أو جزأين أو ثلاثة  
 أو الخصة كالقواء الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبييض النحاس وتليينه بالزوق  
 المصعد فيجى جسمهم معدني شبيه بالفضة ويخفى الاعلى النقاد المهرة فيقدر أصحاب هذه  
 الدلس مع دلتهم هذه سكة يربونهم في الناس ويطعونها بطابع السلطان عويها  
 على الجمهور بالخلاص وهو لاء أخس الناس حرفة وأسوأهم عاقبة لتلبسهم بسرقة  
 أموال الناس فان صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نحاسا في الفضة وفضة في الذهب  
 ليستخلصها لنفسه فهو سارق وأشر من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من  
 طلبة البربر المنتبذين باطراف البقاع ومساكن الانهار يأوون الى مساجد البادية  
 ويعتفون على الاغنياء منهم بأن بأيديهم صناعة الذهب والفضة والنفوس مولعة  
 بجمعها والاستهلاك في طلبها فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تحت  
 الخوف والرقبة الى أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفرون الى موضع آخر ويستجدون  
 حالا أخرى في استهواء بعض أهل الدنيا باطماعهم فيما لديهم ولا يراون كذلك في ابتغاء  
 معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم ينفوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف  
 بالسرقة ولا حاسم لعلمهم الا اشتداد الحكم عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم  
 متى ظهر واعلى شأنهم لان فيه افساد اللسكة التي تم بها البلوى وهي مقول الناس كافة  
 والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على فسادها وأمان اتحل  
 هذه الصناعة ولم يرض بحال الدلسة بل استنكف عنها ونزه نفسه عن افساد سكة  
 المسلمين ونقودهم وانما يطلب احالة الفضة للذهب والرصاص والنحاس والتزدي الى  
 الفضة بذلك النجوم من العلاج وبالا كسير الحاصل عنده فلنا مع هؤلاء متكامل وبحث  
 في مداركهم لذلك مع اننا لانعلم أن أحدا من أهل العلم تم له هذا الغرض أو حصل منه  
 على بغية انما تذهب أعمارهم في التدبير والفهر والصلابة والتعصيد والتعصب ليس  
 واعتيام الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها وبنافلون في ذلك حكايات وقعت لغيرهم  
 ممن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول يقنعون باستماعها والمفاوضة فيها ولا  
 يستريون في تصديقها شأن الكلفين المغرمين بوساوس الاخبار فيما يكلفون به فاذا  
 سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعينة أنكره وقالوا انما سمعنا ولم نره كذا شأنهم في كل عصر  
 وجيل واعلم أن احتمال هذه الصنعة قديم في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين  
 والمتأخرين فلنقل مذاهبهم في ذلك ثم تلوه بما يظهر فيها من التحقيق الذي عاينه الامر  
 في نفسه منقول ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادن السبعة

المنطوقة وهي الذهب والفضة والرصاص والقزدير والنحاس والحديد والحارصين  
هل هي مختلفات بالفصول وكلها أنواع قائمة بأنفسها أو أنها مختلفة بنحو خاص من  
الكيفيات وهي كلها أصناف لنوع واحد فالذي ذهب إليه أبونصر الفارابي وتابعه  
عليه حكاء الأندلس أنها نوع واحد وأن اختلافها إنما هو بالكيفيات من الرطوبة  
واليبوسة واللين والصلابة والألوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها  
أصناف لذلك النوع الواحد والذي ذهب إليه ابن سينا وتابعه عليه حكاء المشرق  
أنها مختلفة بالفصول وأنها أنواع متباينة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته  
لفصل وجنس شأن سائر الأنواع وبني أبونصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالنوع  
أن كان انقلاب بعضها إلى بعض لا مكان تبدل الأعراض حينئذ وعلاجها بالصنعة  
فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة سهلة المأخذ وبني أبو علي ابن سينا  
على مذهبه في اختلافها بالنوع إنكاره هذه الصنعة واستحالة وجودها بناء على أن  
الفصل لا سبيل بالصناعة اليه وإنما يخلقها خالق الأشياء ومقدرها وهو الله عز وجل  
والفصول مجهولة الحقائق رأسا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصنعة وغلطه  
الطغرائي من أكابر أهل هذه الصناعة في هذا القول ورد عليه بأن التدبير والعلاج  
ليس في تخليق الفصل وابداعه وإنما هو في اعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي  
من بعد الإعداد من لدن خالقه وبارئه كما يفيض النور على الأجسام بالصل والامهات  
ولا حاجة بنا في ذلك إلى تصوره ومعرفة قال وإذا كنا قد عثرنا على تخليق بعض  
الحيوانات مع الجهل بقصولها مثل العقرب من التراب والنتن ومثل الحيات المتكونة  
من الشعر ومثل ما ذكره أصحاب الفلاحة من تكوين النحل إذا فقدت من عجاجيل  
النقر وتكوين القصب من قرون ذوات الطلف وتصيير مسكرا بحشو القرون بالعسل  
بين يدي ذلك الفحل للقرون فما المانع إذا من العثورة على مثل ذلك في الذهب والفضة  
فتتخذ مادة تصيرها للتدبير بعد أن يكون فيها استعداد أول لقبول صورة الذهب  
والفضة ثم تحاولها بالعلاج إلى أن يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام  
الطغرائي بمعنى هذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على أهل هذه  
الصناعة مأخذ آخر يبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم أجمعين لا الطغرائي  
ولا ابن سينا وذلك أن حاصل علاجهم أنهم بعد الوقوف على المادة المستعدة  
بالاستعداد الأول يجعلونها موضوعة ويحاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة  
في الجسم المعنى حتى اجالته ذهابا أو فضاة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعله لئلا يتم في  
زمان أقصر لانه تبين في موضعه أن مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين أن



الذهب انما يتم كونه في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا  
تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه أقصر من ذلك ضرورة على  
ما قلناه أو يتجزون بعلاجهم ذلك حصول صورة من اجية لتلك المادة تصيرها كالخبرة  
فتفعل في الجسم المعالج الافاعيل المطلوبة في حالته وذلك هو الاكسير على ما تقدم \*  
واعلم أن كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعة على  
نسبة متقاوية اذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم اتزانها فلا بد من الجزء الغالب  
على الكل ولا بد في كل معترج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة  
اصوره ثم كل متكون في زمان فلا بد من اختلاف أطواره وانتقاله في زمن التكوين  
من طور الى طور حتى ينتهي الى غايته وانظر شأن الانسان في طور النطفة ثم العلقه ثم  
المضغة ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم ثم الى نهايته ونسب الاجزاء  
في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها والالكان الطور بعينه الاول هو الآخر  
وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في الطور الآخر فانظر الى الذهب  
ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ ألف سنة وثمانين وما يتقل فيه من الاحوال  
فيحتاج صاحب الكيمياء الى أن يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاذيه بتدبيره وعلاجه  
الى أن يتم ومن شرط الصناعة أبدأ تصور ما يقصد اليه بالصناعة فن الامثال السائرة  
للعلماء أول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة أول العمل فلا بد من تصور هذه  
الحالات للذهب في أحواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف الحارة  
الغريزية عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوى  
المضاعفة ويقوم مقامه حتى يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن أو تعدل بعض  
المواد صورة من اجية تكون كصورة الخبرة للخبرة وتفعل في هذه المادة بالمناسبة لقواها  
ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية فاصرة عن ذلك وانما  
حال من يدعى حصوله على الذهب بهذه الصناعة بمشابهة من يدعى بالصناعة تخليق انسان  
من المني ونحن اذا سلمنا الاطاة بأجزائه ونسبته وأطواره وكيفية تخليقه في رحم  
وعلم ذلك علما محصلا بتفاصيله حتى لا يشذ منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان  
وأني له ذلك \* ولنقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة  
الكيمياء ما يدعونه بهذا التدبير أنه مساوقة الطبيعة المدنية بالفعل الصناعي  
ومحاذاتها الى أن يتم كون الجسم المعدني أو تخليق مادة بقوى وأفعال وصورة  
من اجية تفعل في الجسم فعلا طبيعيا قصيره وتقلبه الى صورته والفعل الصناعي  
مستوفى بتصورات أحوال الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها ومحاذاتها وفعل

المادة ذات القوى فيها تصورا مفصلا واحدة بعد أخرى وتلك الاحوال لانهاية لها  
والعلم البشري عاجز عن الاحاطة بما دونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان  
أو حيوان أو نبات هذا المحصل هذا البرهان وهو أوثق ما علمته وليست الاستحالة فيه  
من جهة الفصول كما رأيت ولا من الطبيعة انما هو من تعدد الاحاطة وقصور البشر عنها  
وما ذكره ابن سينا بعزل عن ذلك وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غايته وذلك أن  
حكمة الله في الخجرين وندورهما انهما قيم لمكاسب الناس ومقولاتهم فلو حصل عليهم ما  
بالصنعة لبطلت حكمة الله في ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل أحد من اقتنائهما  
على شيء وله وجه آخر من الاستحالة أيضا وهو ان الطبيعة لا تترك أقرب الطرق في أفعالها  
وترتكب الاعوص والابعد فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون أنه صحيح  
وأنه أقرب من طريق الطبيعة في معادنها وأقل زمانا لما تراكته الطبيعة الى طريقها  
الذي سلكته في كون النضة والذهب وتخليقهما وأما تشبيه الطغرائي هذا التدبير بما  
عثر عليه من مفردات لامثاله في الطبيعة كالعقرب والحل والحية وتخليقها فامر صحيح  
في هذه أدنى اليه العثور كما زعم \* وأما الكيمياء فلم ينقل عن أحد من أهل العلم أنه عثر عليها  
ولا على طريقها وما زال متحلوها يخبطون فيها خبط عشواء الى هلم جراً ولا يظفرون  
الا بالحكايات الكاذبة ولو صح ذلك لأحدم منهم لحفظه عنه أولاده وتلميذه وأصحابه  
وتنقل في الاصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده الى أن يتبشروا بالغينا أو الى  
غيرنا وأما قولهم ان الاكسير بمثابة الخمرة وانه مركب يحيل ما يحصل فيه  
ويقلبه الى ذلك فاعلم أن الخمرة انما تلب العجين وتعد لهضم وهو فساد والفساد في  
المواد سهل يقع بأيسر شيء من الافعال والطبائع والمطلوب بالاكسير قلب المعدن الى  
ما هو أشرف منه وأعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين أصعب من الفساد فلا  
يقاس الاكسير بالخمرة وتحقيق الامر في ذلك أن الكيمياء ان صح وجودها كما تزعم  
الحكماء المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن أحمد المجريطي وأمثالهم فليست  
من باب الصنائع الطبيعية ولا تتم بأمر صناعي وليس كلامهم فيها من منى  
الطبيعية انما هو من منى كلامهم في الامور المخترية وسائر الخوارق وما كان من  
ذلك للعلاج وغيره وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة  
الحكيم من هذا المنهى وهذا كلام جابر في رسالته ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة  
بنا الى شرحه وبالجمله فأمرها عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما  
لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم أو شهر خشباً أو حيواناً فيما عدا مجرى تخلقه  
كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عادته الا بارقاً دماً

وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع فكذلك من طلب الكيمياء طلبا صناعيا ضيع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم لأن نيلها ان كان صحيحا فهو واقع مما وراء الطبائع والصنائع فهو كالمشي على الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كثائف الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة للمادة أو مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى واذ خلق من الطين كهيئة الطير اذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وعلى ذلك فسيل يسيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها فربما أوتيتها الصالح ويؤتيها غيره فتكون عنده معارة وربما أوتيتها الصالح ولا يملك ايتاءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحريا فقد بين أنها انما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة اما معجزة أو كرامة أو سحرا ولهذا كان كلام الحكماء كلهم فيها الغازا لا ينظر بحقيقة بل من خاض بلعة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة وأمر خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد أحد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط وأكثرا يحمل على التماس هذه الصناعة واتحاليها هو كما قلناه المعجز عن الطرق الطبيعية للمعاش وابتغاؤه من غير وجوده الطبيعية كالزراعة والتجارة والصناعة فيستصعب العاجز ابتغاءه من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه غير طبيعية من الكيمياء وغيرها وأكثر من يعني بذلك الفقراء من أهل العمران حتى في الحكماء المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء فكان من أهل الغنى والثروة والفارابي القائل بإمكانها كان من أهل الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش وأسبابه وهذه تهمة ظاهرة في انظار النفوس الموانعة بطرقها واتحاليها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

### ٢٨ (فصل في ان كثرة التأليف في العلوم مانعة عن التحصيل)

(اعلم) أنه مما أضرب بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته بكثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمى وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتبية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القير وانية من القرطبية



والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له  
منصب الفتيا وهي كلها مكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتعيين  
ما بينها والعمر ينقض في واحد منها ولو اقتصر المعلوم بالتعليم على المسائل المذهبية  
فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا وما أخذه قريبا ولكنه داء لا يرتفع  
لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ويمثل أيضا  
علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين  
والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب  
وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم وينقض عمره ودونه  
ولا يطمع أحد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل اليه بالمغرب لهذا العهد  
من تآليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من  
كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسيبويه وابن جني  
وأهل طبقة العظمى ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاصيله وحسن تصرفه  
فيه ودل ذلك على أن الفضل ليس منحصرا في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة  
الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتآليف ولكن فضل الله يؤتية من يشاء وهذا  
نادر من نواذر الوجود والافالظا هو أن المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل  
علم العربية مثلا الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو  
الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

### ٢٩ (فصل في ان كثرة الاختصارات المؤقتة في العلوم تخدم بالتعليم)

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدقنون  
منها برناجما مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الالفاظ  
وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك محلا بالبلاغة وعسرا  
على الفهم وربما عدوا الى الكتب الامتهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان  
فاختصروها تقريرا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في  
العربية والخونجي في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلاص بالتحصيل  
وذلك لان فيه تخلط على المبتدى بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها  
بعد وهو دون سوء التعليم كما سيأتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتبع الفاظ  
الاختصار العويصة للفهم يتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها  
لان ألفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حفظ صالح

عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثر ما يقع في تلك من التكرار والاحالة المفيد لحصول الملكة التامة واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فارتكبوا هم صوابا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنوا ومنهم من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى أعلم

### ٣٠ (فصل في وجوب الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته)

(اعلم) أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنما هي أنه لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى أن ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شد فلا يتزلز عو يصولا مهتما ولا متعلما الا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطلبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه رعى ذلك وتحصيله ويخطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعدا فهمها فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ويكون المتعلم أول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالامثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن واذا القيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادي في هجرانه وانما

أتى ذلك من سوء التعليم ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان أو منتهياً ولا يخط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل أغراضه ويستولى منه على ملكة بها يتقذف غيره لأن المتعلم إذا حصل ملكة بما في علم من العلوم استعديها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يستولى على غايات العلم وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره ويثس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي من يشاء وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينه لانه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضهما من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجاورة للنسيان كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا تنوسى الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخط على المتعلم علمان معافاته حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معاً ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه فربما كان ذلك أجدر بتحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(فصل) واعلم أيها المتعلم أني أتحفك بفائدة في نعلك فان تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة ثريفة وأقدم لك مقدمة نعيمك في فهمها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبدعاته وهو وجد ان حركة النفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبدأً للأفعال الانسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدأً العلم ما لم يكن حاصلأً بأن يتوجه إلى المطلوب وقد تصور طرفيه ويروم نفيه أو اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما أسرع من لمح البصر ان كان واحداً وينتقل إلى تحصيل آخر ان كان متعدداً ويصير إلى الظفر بمطلوبه هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي عجز بها البشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداده من خطئه لأنها وان كان الصواب لها ذاتياً الا أنه قد يعرض لها الخطأ في الاقل من تصور الطرفين على غير صورتهم ما من اشتباه الهيأت في نظم القضايا وترتيبها للنتاج فتعين المنطق للتخلص من ورطة هذا الفساد



اذا عرض فالمنطق اذا امر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة  
 فعلها ولكونه امر اصناعيا استغنى عنه في الاكثر ولذلك نجد كثيرا من فحول النظر  
 في الحقيقة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سيما مع صدق النية  
 والتعرض لرحمة الله فان ذلك أعظم معنى ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها  
 فيفضي بالطبع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا  
 الامر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من التعلم وهي معرفة الالفاظ  
 ودلائل المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان  
 بالخطاب فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فأولا  
 دلالة الكتابة المرسومة على الالفاظ المقولة وهي أخفها ثم دلالة الالفاظ المقولة على  
 المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالها المعروفة في صناعة  
 المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراط يقتضيه المطلوب بالطبيعة الفكرية  
 بالتعرض لرحمة الله ومواهبه وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع  
 هذه الحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف الدهر في حجب الالفاظ بالمناقشات أو عثر  
 في اشتراك الادلة بشغب الجدال والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكدي فخاص  
 من تلك الغمرة الا قليلا من هداية الله فاذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك الارتباك في  
 فهمك أو تشغيب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك واتبذ حجب الالفاظ وعوائق  
 الشبهات واترك الامر الصناعي بجملة واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت  
 عليه وسرّح نظرك فيه وفرغ ذهنك فيه للفرص على مرأى منك منه واضعها حيث  
 وضعها أكبر النظائر قبلك مستعرضا للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمة  
 وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعت ذلك أشرق عليك أنوار الفتح من الله بالظفر  
 بمطلوبك وحصل الامام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظره عليه  
 كما قلناه وحينئذ فارجع به الى قوالب الادلة وصورها فأفرغه فيها ووفه حقه من  
 القانون الصناعي ثم اكسه صور الالفاظ وأبرزه الى عالم الخطاب والمشافهة وثيق  
 العرى صحيح البنیان \* وأما ان وقفت عند المناقشة والشبهة في الادلة الصناعية  
 وتحميص صوابها من خطئها وهذه أمور صناعية وضعية تستوي جهاتها المتعددة  
 وتشابه لاجل الوضع والاصطلاح فلا تتميز جهة الحق منها اذ جهة الحق انما تستبين اذا  
 كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباك وتسدد الحجب على المطلوب  
 وتقع بالناظر عن تحصيله وهذا شأن الاكثرين من النظائر والمتأخرين سيما من  
 سبق له بحجة في اسانه فربطت عن ذهنه ومن حصل له شغب بالقانون المنطقي تعصب

له فاعلم قد أنه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين شبه الادلة وشكوكها ولا يكاد يتخلص منها والذريعة الى درك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعي كما قلناه اذا جرد عن جميع الاوهام وتعترض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى وأما المنطق فانما هو واصف افعل هذا الفكر فيساوقه لذلك في الاكثر فاعلم بذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنوارها بالالهام الى الصواب والله الهادي الى رحمة وما العلم الا من عند الله

### ٣١ (فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظار ولا تفرع المسائل)

(اعلم) أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات والالهييات من الفلسفة وعلوم هي آلية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات وكانطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتأخرين فاما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل واستكشاف الادلة والانتظار فانه ذلك يزيد طلبة العلم في ملكته وايضا حاصلها انما المقصودة واما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق واما ما فلا ينبغي أن يتفرع فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك مخرج لها عن المقصود اذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير فكما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بهم الغوامع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع أن شأنها أهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضيق بالعمرو مشغلا عما لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق وأصول الفقه لانهم أوسعوا دائرة الكلام فيها وأكثروا من التفاريع والاستدلالات بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها انتظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي ايضا مضرّة بالمتعلمين على الاطلاق لان المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها فاذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل بقي يظفرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستجروا في شأنها وينهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فنزعت به همته بعد ذلك الى شئ من التوغل فليبرق له ما شاء من المراتي صعبا أو سهلا وكل ميسر لما خلق له

٣٢ (فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الاصهار الاسلامية في طرق)

(اعلم) أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما سبق فيه إلى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعدم المملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالاساس للمملكات وعلى حسب الاساس وأساليبه يكون حال ما ينبغي عليه واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلاف فهمهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من المملكات فأما أهل المغرب فذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدايسة بالرسم ومسائله واختلاف جملة القرآن فيه لا يخطون ذلك بسوا ما في شئ من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذف فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب أهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة وكذا في الكبير إذا راجع مدايسة القرآن بعد طائفة من عمره فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم وأما أهل الاندلس فذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعونه في التعليم لأنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسهل ومنبع الدين والعلوم جاءه أصله في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا يختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من غيرها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شذبا بعض الشئ في العربية وأشعروا بالبصر بها وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بأيديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد اذا وجد المعلم وأما أهل افريقية فيخطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدايسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها الا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان ايام وقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواهم وعنايتهم بالخط تتبع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الاندلس لأن سند طريقهم في ذلك متصل بمشيخة الاندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على



شرق الاندلس واستقروا بتونس وعينهم أخذ ولدانهم بعد ذلك وأما أهل المشرق  
 فيخطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري بم عنايتهم منها والذي ينقل لنا أن  
 عنايتهم بدراسة القرآن وحفظ العلم وقوانينه في زمن السببية ولا يخطون بتعليم الخط  
 بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلوم له على انفرادهم كما تعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها  
 في مكاتب الصبيان وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجابة ومن أراد تعلم الخط  
 فعلى قدر ما يسخ له بعد ذلك من الهمة في طلبه وبيته من أهل صنعة فأما أهل  
 إفريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة الإنسان بجملة وذلك  
 أن القرآن لا يفتأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الاتيان بمثله فهم  
 مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بهم وليس لهم ملكة في غير  
 أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة  
 التصرف في الكلام وربما كان أهل إفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما  
 يخطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلنا فيقتدرون على شيء من  
 التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الآن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر  
 محفظهم عبارات العلوم انمازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله وأما أهل الاندلس  
 فأفادهم التقنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارس العربية من أول  
 العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم لبعدهم  
 عن مدارس القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها فكانوا لذلك أهل حظ  
 وأدب بارع ومقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب  
 القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم وأعاد  
 في ذلك وأبدأ وتقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الاندلس  
 قال لأن الشعر ديوان العرب ويدعو إلى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد  
 اللغة ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل إلى درس  
 القرآن فانه يتيسر عليه بهذه المقدمة ثم قال وباعفله أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي  
 بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه ثم قال ينظر في  
 أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه ونهي مع ذلك أن يخط في  
 التعليم علما أن يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الفهم والنشاط هذا ما أشار إليه  
 القاضي أبو بكر رحمه الله وهو لعمري مذهب حسن الآن العوائد لا تساعد عليه وهي  
 أمك بالاحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن إشارته للتبرك  
 والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم

فيه فونه القرآن لانه ما دام في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة  
القهر فربما عصف به رياح الشبهة فآلقت به ساحل البطالة فيغتمون في زمان الحجر  
وربة الحكم تحصيل القرآن لتلايذهب خلوا منه ولو حصل اليقين باستقراره في طالب  
العلم وقبوله التعاليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذه أهل المغرب  
والشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه سبحانه

### ٢٣ (فعل في ان الشدة على المتعلمين مضر بهم)

وذلك أن أرواف الحدة في التعليم مضر بالتعلم سيما في أصغر الولد لانه من سوء الملكة  
ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق  
على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاها الى الكسل وحمل على الكذب  
والخبت وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه وعمله  
المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا فسدت معاني الانسانية التي له من  
حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيا الا على غيره في  
ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجليل فانه قبضت عن غايتها  
ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل أمة حصلت في  
قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك أمره عليه ولا تكون الملكة  
الكافلة له رقيقة به وتجذب ذلك فيهم استقرار وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من  
خلق السوء حتى أنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح  
المشهور الخباث والكيك وسببه ما قلناه فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده  
أن لا يستبدوا عليهم في التأديب وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألقه في حكم  
المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا اليه على  
ثلاثة أسواط شيئا ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصا على  
صون النفوس عن مذلة التأديب وعلم بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك  
له فانه أعلم بمصلحته ومن أحسن مذهب التعليم ما تقدم به الرشيد المعلم ولده محمد  
الامين فقال يا أحران أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وغررة قلبه فصير يدك عليه  
مبسوطة وطاعته لك واجبة فكأن له بحيت وضعك أمير المؤمنين أقرنه القرآن وعزقه  
الاخبار وروره الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدنه وامنعته من  
الانحلال الا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس  
القواد اذا حضر واجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتم فائدة تفيده اياه من غير

أن تحزنه فتمت ذهنه ولا تمن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت  
بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة انتهى

### ٣٤ (فصل في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كان في العلم)

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب  
والفضائل نارة علما وتعلما والقاء وتارة محاسبة وتلقينا بالمباشرة الآن حصول  
الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ  
يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخالطة على  
التعلم حتى لا يظن كثير منهم أنهم أجزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك المباشرة  
لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز  
الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجترد العلم عنها ويعلم أنها انحاء تعليم  
وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات ويصح معارفه  
 ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهم ما من المشيخة عند  
تعدددهم وتنويعهم وهذا من يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لابد منها في  
طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من  
يشاء الى صراط مستقيم

### ٣٥ (فصل في ان العلماء من البشر أبعاد عن السياسة ومذاهبها)

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني واتزاعها من  
المحسوسات وتجربتها في الذهن أمورا كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص  
مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس ويطبقون من بعد ذلك الكلي  
على الخارجيات وأيضا يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها بما اعتادوه من القياس  
الفقهى فلا تزال أحكامهم وأنظارهم كلها في الذهن ولا تصير الى المطابقة الا بعد الفراغ  
من البحث والنظر ولا تصير بالجملة الى مطابقة وانما يفرغ ما في الخارج عما في الذهن  
من ذلك كالأحكام الشرعية فانها فروع عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة  
فقطاب مطابقة ما في الخارج لها عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها  
مطابقتها لما في الخارج فهم متعودون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والانظار  
الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها  
من الأحوال ويتبعها فانها خفية ولعل أن يكون فيها ما يمنع من إلحاقها بشبه أو مثال  
وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شيء من أجواز العمران على



الآخر إذ كما اشتبه في أمر واحد فلعلمهما اختلاف في أمور فكون العلماء لاجل  
 ما تعودوه من تعميم الأحكام وقياس الأمور بعضها على بعض إذا نظروا في السياسة  
 أفرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالهم فيقعون في الغلط كثيرا ولا يؤمن  
 عليهم ويلحق بهم أهل الذكاء والكيس من أهل العمران لأنهم ينزعون بثقوب  
 أذهانهم إلى مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في  
 الغلط والعمى السليم الطبع المتوسط الكيس قصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده  
 إياه يقتصر على كل مادة على حكمها وفي كل صنف من الأحوال والاشخاص على ما يختص  
 به ولا يعدى الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في أكثر نظره المواد المحسوسة  
 ولا يجاوزها في ذهنه كالسائح لا يفارق البر عند الموح قال الشاعر  
 فلا توغلن إذا ما سبحت \* فان السلامة في الساحل

فيكون مأموما من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملته أبناء جنسه فيحسن  
 معاشه وتندفع آفاته ومضارته باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا يتبين  
 أن صناعة المنطق غير مأمنة الغلط لكثرة ما فيها من الاتزاع وبهدها عن المحسوس  
 فانها تنظر في المعقولات النوانى ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الأحكام وينافيها عند  
 مراعاة التطبيق اليقيني وأما النظر في المعقولات الأولى وهي التي تجر يدها فريب  
 فليس كذلك لأنها خيالية وصور المحسوسات حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه والله  
 سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٢٦ (فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثر من العجم)

من الغريب الواقع أن جملة العلم في الملة الإسلامية أكثر من العجم لأن العلوم  
 الشرعية ولأن العلوم العقلية لا في القليل النادر وإن كان منهم العربي في نسبته  
 فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيجته مع أن الملة العربية وصاحب شريعته عربي  
 والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السداجة  
 والبداوة وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها  
 في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع  
 وأصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا  
 إليه ولا دعته إلى حاجة وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون  
 المختصين بجملة ذلك ونقله القراء أي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا أميين لأن الأمية  
 يومئذ صفة عامة في الصحابة كما كانوا يعرفون بالجملة القرآن يومئذ قراء إشارة إلى

هذا فهم قراء الكتاب الله والسنة المأثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية  
 الامنه ومن الحديث الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم  
 تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن  
 دولة الرشيد فابعد احتيج الى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه  
 ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقبين للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما دونه ثم  
 كثرا استخراج احكام الوقائع من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان فاحتيج  
 الى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ماسكات في الاستنباطات  
 والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت الى علوم أخرى وهي وسائل لها من معرفة  
 قوانين العربية وقوانين لك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد اليمانية بالادلة  
 لكثرة البدع والالحاد فصارت هذه العلوم كلها علوم ذات ماسكات محتاجة الى التعليم  
 فاندرجت في جملة الصنائع وقد كثرت منها أن الصنائع من متعل الحضر وأن العرب  
 أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر  
 لذلك العهد هم العجم أو من في معناهم من الموالى وأهل الحواضر الذين هم يومئذ  
 تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لانهم أقوم على ذلك للحضارة  
 الراهنة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحوسيبويه والفارسي من  
 بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم وانما روي في اللسان العربي  
 فاكثسبوه بالمربي ومخالطة العرب وصيروه قوانين ونما لن بعدهم وكذا جملة الحديث  
 الذين حفظوه عن أهل الاسلام أكثرهم عجم أو مستجبون باللغة والمربي وكان علماء  
 أصول الفقه كلهم عجم كما يعرف وكذا جملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين ولم يبق  
 بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلق العلم  
 بأكاف السماء لزاله قوم من أهل فارس وأما العرب الذين أدركوها هذه الحضارة  
 وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلهم الرياسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه  
 من القيام بالملك عن القيام بالعلم والمطرفة فانهم كانوا أهل الدولة وحاميها وأولى  
 سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن اتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع  
 والرؤساء أبدا يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجترأها ودفعوا ذلك الى من قام به  
 من العجم والمولدين وما زانوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يحتقرون  
 حملتها كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب بجملة وصار للعجم صارت العلوم  
 الشرعية غريبة النسبة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتن حملتها  
 بما يرون أنهم بعداء عنهم مشغلين بما لا يعني ولا يجدى عنهم في الملك والسياسة كما

ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قررناه هو السبب في أن جملة الشريعة  
 أوعايتهم من العجم وأما العلوم العقلية أيضا فلم تظهر في الملة إلا بعد أن تميز جملة العلم  
 ومؤلفوه واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن  
 انتهازها فلم يحملها إلا العربون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولا فلم يزل ذلك في  
 الأمصار مادامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما  
 خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع  
 ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة واختص العلم بالأمصار الموفرة  
 الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وإيوان الإسلام وينبوع  
 العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هنالك من الحضارة بالدولة التي  
 فيها فلم يزل ذلك حصاة من العلوم والصنائع لا تنكرو وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم  
 في تأليف وصلت إلينا إلى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني وأما غيره من العجم  
 فلم نزلهم من بعد الإمام بن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاما يعول على نهايته في  
 الإصابة فاعتبر بذلك وتأمله ترجعنا في أحوال الخليقة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو  
 وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل  
 والحمد لله

### ٣٧ (فصل في علوم اللسان العربي)

أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفة ضرورية على أهل الشريعة  
 إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من  
 الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم  
 المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتفاوت في التأكيديتفاوت مراتبها في  
 التوفيق بمقصود الكلام حسبما يبين في الكلام عليها فافنا والذي يتحصل أن الأهم  
 المقدم منها هو النحو وذهب يبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول  
 والمبتدأ من الخبر ولولا جهل أصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر  
 الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الاعراب الدال على الاسناد والمسند  
 والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة إذ في جهله  
 الاخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

### (علم النحو)

اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانی فلا



بد أن تصير ملكة متفجرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب  
 اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها ابانة  
 عن المقاصد والدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين  
 الفاعل من المفعول من الجرور أعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالافعال الى  
 الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب وأما غيرها من  
 اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في  
 مخاطباتهم أطول مما تقتدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم  
 أو تيت جوامع الكلام واختصر لي الكلام اختصارا فصار للعروف في لغتهم والحركات  
 والهيات أي الاوضاع اعتبارا في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة  
 يستفيدون ذلك منها انما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الاول كما تأخذ  
 صبيانة الهدى العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الجبار طلب الملك الذي كان في  
 أيدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالفات  
 التي للمتعرين والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى اليها مما يغيرها  
 لحنوحها اليه باعتبار السمع وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا  
 ويطول العهد بهم فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم  
 قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكلمات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام  
 ويلحقون الاشباه بالاشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدا  
 مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعرابا  
 وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة  
 بهم فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو  
 وأول من كتب فيها أبو الاسود الدؤلي من بني كنانة ويقال بإشارة على رضي الله عنه  
 لانه رأى تغير الملكة فأشار عليه بمحفظها فنزع الى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة  
 ثم كتب فيها الناس من بعده الى أن انتهت الى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام  
 الرشيد أحوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب فذهب الصناعة وكل  
 أبوابها وأخذها عنه سيبويه فأكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدا ووضع  
 فيها كتابه المشهور الذي صار اما الكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع أبو علي الفارسي  
 وأبو القاسم الزجاج كتابا مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذوا الامام في كتابه ثم طال  
 الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة المصريين  
 القديمين للعرب وكثرت الادلة والجراح بينهم وتباينت الطرق في التعليم وكثر الاختلاف

في اعراب ~~ص~~ كثير من آي القرآن باخنة لا فهم في تلك القواعد و طال ذلك على المتعلمين  
وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاخترتوا كثيرا من ذلك الطول مع استيعابهم  
لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله أو اقتصارهم على المبادئ  
للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الخاجب في المقدمة له و ربما نظموا ذلك  
نظما مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبير والصغير وابن معطي في الارجوزة  
الالفية وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق  
التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والـ ~~م~~كوفيون  
والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه  
الصناعة أن تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصناعات بتناقص  
العمران ووصل اليها بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين  
ابن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الاعراب بجملة ومفصلة وتكلم على الحروف  
والمفردات والجل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وسماه بالمغنى في  
الاعراب وأشار الى ~~ن~~كت اعراب القرآن كلها و ضبطها بأبواب وفصول وقواعد  
انتظمت سائر ما فوق قضا منه على علم ~~ج~~م يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته  
منها وكانه ينحوي طريقته منحة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا  
مصطلح تعليمه فأق من ذلك بشئ عجيب دال على قوة ملكته وإطلاعه والله يزيده في  
الخلق ما يشاء

### (علم اللغة)

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لم فسد ملكة اللسان العربي في  
الحركات المسموعة عند أهل النحوي بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم  
استمر ذلك الفساد بلاسة العجم ومخالطتهم حتى تأذى الفساد الى موضوعات الالفاظ  
فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في  
اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب  
والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمروا كثيرا من  
أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد  
الفراسيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه حركات حروف المعجم كلها من الثنائيات  
والثلاثيات والرابعيات والخامسات وهو غاية ما انتهى اليه التركيب في اللسان العربي وتأق  
له حصر ذلك بوجوه عديدة حاسرة وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع

الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم  
 بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين  
 فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم  
 الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحدا  
 فتكون كلها اعدادا على توالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي  
 بالعمل المعروف عند اهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثاني لان التقديم  
 والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج  
 الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل  
 ثنائية يزيد عليها حرفا فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل  
 واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية فتجمع من واحد الى  
 ستة وعشرين على توالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في  
 ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيها من حروف المعجم وكذلك  
 في الرابع والخامس فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب أبوابه على حروف  
 المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب الخارج فبدأ بحروف الحلق ثم ما بعده من  
 حروف الخنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخرها هي الحروف  
 الهوائية وبدأ من حروف الحلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمي كتابه بالعين لان  
 المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا وهو تسميته بأول ما يقع فيه من  
 الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرابع والخامس  
 أكثر لانه استعمال العرب له لثقله ولحق به الثاني لقله ودورانه وكان الاستعمال في  
 الثلاثي أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدورانه وضمن التحليل ذلك كله في كتاب العين  
 واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد  
 بالاندلس في المائة الرابعة فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل  
 كله وكثيرا من شواهد المستعمل ونلخصه للحفظ أحسن تلخيص وألف الجوهرى  
 من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداية منها  
 بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس  
 في الاكتر الى أواخر الكلام وحصر الائمة اقتداء بهضم التحليل ثم ألف فيها من الاندلسيين  
 ابن سيده من أهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من  
 الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرّض لاشتقاقات الكلام  
 وتصاريفها فجاء من أحسن الدواوين ونلخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر



من ملوك الدولة الحفصية بنونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتباراً و آخر  
الكلم وبناء التراجيم عليهم فكانوا في رحم وسليلى أبقوة هذه أصول كتب اللغة فيما  
علمناه وهناك مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الابواب  
أولكلها الا أن وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب  
كما رأيت ومن الكتب الموضوعية أيضاً في اللغة كتاب الزمخشري في المجازين فيه  
كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف  
الافادة ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة  
الفاظاً أخرى خاصة بهما فوق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في  
اللغة عزيز المأخذ كما وضع الالبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه  
بياض من الخيل بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالامح حتى صار استعمال  
الالبيض في هذه كلها الحنا وخر وجاعن لسان العرب واختص بالتأليف في هذا المنهى  
الشمالي وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من أكدم ما يأخذ به اللغوي نفسه أن  
يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب  
حتى يشهد له استعمال العرب لذلك وأكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظم  
ونثره حذر من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها و تراكيبها وهو أشد  
من اللحن في الاعراب وأخش وكذلك ألف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة  
وتكفل بمصرها وان لم تبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب لاكثر وأما المختصرات  
الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهيلات لحفظها  
على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والفصح لشعيب وغيرهما وبعضها  
أقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الالهام على الطالب للحفظ والله الخلاق العليم  
لارب سواه

### (علم البيان)

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق  
بالالفاظ وما تفيد ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الامور التي يقصد  
المتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصور مفردات تسند ويسند اليها ويفضي  
بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما  
تميز المسندات من المسند اليها والازمنة ويدل عليها بتغير الحركات وهو الاعراب  
وأبنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحويين في الامور المكتشفة بالواقعات

المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج  
 الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الافادة في  
 كلامه واذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع  
 ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة ألا ترى أن قولهم زيد  
 جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل أن المتقدم منهما هو اللاحق عند المتكلم فحين قال  
 جاءني زيد أفاد أن اهتمامه بالجيء قبل الشخص المسند اليه ومن قال زيد جاءني أفاد  
 أن اهتمامه بالشخص قبل الجيء المسند وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام  
 من وصول أو مبهم أو معرفة وكذلك تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم زيد قائم وان  
 زيد قائم وان زيد القائم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراب فان  
 الاول العارى عن التأكيد انما يفيد الخالي الذهني والثاني المؤكد بان يفيد المتردد  
 والثالث يفيد المنكرف فهي مختلفة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه  
 جاءني رجل اذا قصدت بذلك التنكير تعظيمه وأنه رجل لا يعادله أحد من الرجال ثم  
 الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه أولا وانشائية وهي التي  
 لا خارج لها كالطلب وأنواعه ثم قديت عين ترك العاطف بين الجملتين اذا كان للثانية محل  
 من الاعراب فيشترك بذلك منزلة التابع المفرد نعمتا وتوكيد او بدلا بلا عطف أو يتعين  
 العطف اذ لم يكن للثانية محل من الاعراب ثم يقتضى المحل الاطناب والايجاز فيورد  
 الكلام عليهما ثم قديدل باللفظ ولا يريد منطوقه ويريد لازمه ان كان مفردا كما تقول زيد  
 أسد فلا ترى حقيقة الاسد المنطوقة وانما تريد شجاعته اللازمة وتسند هذا الى زيد  
 وتسمى هذه استعارة وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير  
 الرماح وتريد به ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماح ناشئة عنه مما  
 فهمي دالة عليهما وهذه كلها دلالة زائدة على دلالة الالفاظ المفرد والمركب وانما هي  
 هيآت وأحوال لواقعات جعلت للدلالة عليهما أحوال وهيآت في الالفاظ كل  
 بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات  
 التي للهيات والاحوال والمقامات وجعل على ثلاثة أصناف الصنف الاول يبحث  
 فيه عن هذه الهيات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى  
 علم البلاغة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي  
 الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان والحقوا به ما صنفا آخر وهو النظر  
 في ترتيب الكلام وتحسينه بنوع من التتميق اما بسجيع يفصله أو بتجنيس يشابه بين  
 ألفاظه أو ترصيع يقطع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بابهام معنى أخفى منه

لاشترال اللفظ بينهما وأمثال ذلك ريسعى عندهم علم البديع وأطلق على الاصناف  
الثلاثة عند المتحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني لأن الاقدمين أول  
ما تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل الفن واحدة بعد أخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى  
والجاحظ وقدامة وأمثالهم املاآت غير وافية فيها ثم تزل مسائل الفن ~~تكمّل~~  
شأفتها إلى أن محض السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه  
انعاما من الترتيب وألف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والتصرف والبيان فجعل هذا  
الفن من بعض أجزائه وأخذ المتأخرين من كتابه ونحوه وأمنه أمهات هي المتداولة  
لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين  
القزويني في كتاب الايضاح والتلخيص وهو أصغر حجما من الايضاح والعناية به لهذا  
العهد عند أهل المشرق في الشرح والتلخيص منه أكثر من غيره وبالجمل فالمشاركة على  
هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم أنه كالم في العلوم اللسانية والصنائع  
الكلمية توجد في العمران والمشرق أوفر عمران المغرب كما ذكرناه أو نقول لعناية  
العجم وهم معظم أهل المشرق كتفسير الرنخسري وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله  
وانما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من جلة علوم الادب  
الشهرية وقرعوا له ألقابا وعددوا أبوابا وقرعوا أنواعا وزعموا أنهم أحصوا من  
لسان العرب وانما جعلهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ  
وصعبت عليهم مأخذ البلاغة والبيان لدقة انظارهما وغرض معانيهما فتجافوا  
عنهما وعن ألف في البديع من أهل افرريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى  
كثير من أهل افرريقية والاندلس على منعهما واعلم أن غرة هذا الفن انعاما في فهم  
الاعجاز من القرآن لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال  
منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع السكال فيما يختص بالالفاظ في اتقانها  
وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن دركه وانما يدرك  
بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من  
اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما  
في ذلك لانهم فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجودا وفرما يكون وأصح  
وأحوج ما يكون الى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر  
جار الله الرنخسري ووضع كتابه في التفسير ويتبع آي القرآن باحكام هذا الفن بما  
يبدى البعض من اعجازه فانقردهم هذا الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد  
أهل البدع عند اقتباسهم من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا انعاماه كثير من



أهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة فن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم انه بدعة فيعرض عنها ولا تضر في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشئ من الاجحاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

### (علم الادب)

هذا العلم لاموضوع له يتطرق في اثبات عوارضه أو نفيها وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساهم تحصل به الكلمة من شئ معر على الطبقة وسجع متساوي في الاجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يسبق تقرأ منها الناظر في الغالب معظم قواني العربية مع ذلك كبر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهتم من الانساب الشهيرة والاخبار العاتية والمقصود بذلك كله أن لا ينجح على الناظر فيه شئ من كلام العرب وأسانيبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا أرادوا حذو هذا الفن قالوا الادب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البدع من التورية في أشعارهم وترسائهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وسعنا من شئ وخنا في مجالس التلاميذ أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابن علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذ الغناء انما هو تلحينه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن اتحاله قادحا في العدالة والمروءة وقد ألف القاضي أبو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابه في الاغانى جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب واوفاه ولعمري

أنه ديوان العرب وجامع أشتهات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلم وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها وأنى لهم ما ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الاجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

### ٣٨ (فصل في ان اللغة ملكة صناعية)

(اعلم) أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذهى ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال أنه صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أى صفة راسخة فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جميله وأساليهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كآحادهم هكذا نصيرت الالسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا هو معنى ما تقول العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أى بالملكة الاولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة تضر بمخاطبتهم الاعاجم وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفية أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع كيفية العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها بعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتشفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم وأما من بعد عنهم من ربيعة ونظم وجذام وبغسان وايدوقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة

بعدهم من قریش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية  
والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٣٩ ﴿ فصل في ان لغة العرب لغة مستقلة مغايرة للغة مصر ومجر ﴾

وذلك اننا نجد هاهنا في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها  
الادلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتناضوا منها بالتقديم والتأخير  
وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد الا أن البيان والبلاغة في اللسان المضري  
أكثر وأعرف لأن اللفاظ بأعيانها تدل على المعاني بأعيانها ويبني ما تقتضيه  
الاحوال ويسمى بساط الحال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وأن تكتنفه  
أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الاحوال في تأدية المقصود لانها صفة فاته وتلك  
الاحوال في جميع الالسن أكثر ما يدل عليها باللفاظ تخصها بالوضع وأما في  
اللسان العربي فأنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب اللفاظ وتأليفها  
من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة اعراب وقديلا عليها بالحروف غير المستقلة  
ولذلك تفسدت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك  
الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أو جزوا أقل ألفاظا وعبارة من  
جميع الالسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي  
الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكي عن عيسى بن عمر وقد قال لبعض النحاة اني أجد  
في كلام العرب تكرارا في قولهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا قائم والمعنى واحد  
فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لفادة الخالي الذهن من قيام زيد والثاني لمن سمعه  
فأنكره والثالث لمن عرف بالاصرار على انكاره فاختلقت الدلالة باختلاف الاحوال  
وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفت في  
ذلك الى خرفسة النحاة أهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث  
يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع أو آخر  
الكلام من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم  
وألقاها القصور في أفتدسهم والافتحن نجاد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في  
موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الابانة موجود في  
كلامهم لهذا العهد وأما اليب اللسان وفنونه من النظم والنثر وجودة في مخاطباتهم  
وفهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر المفلح على أساليب  
لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان



المدون الاخرى كانت الاعراب في أواخر الكلام فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيعة معروفة وفاقوا هو الاعراب وهو بعض من أحكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخاطبتهم الاعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولا فانقلب لغة أخرى وكان القرآن مثزلا به والحديث النبوي منقولاً بلغته وهما أصلاً الدين والملة نخشى تناسيهما وانغلاق الافهام عنهما بقدر ان اللسان الذي تنزله به فاحتيج الى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه وصار علما اذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهلها بعلم النحو وصناعة العربية فأصبح فنا محفوظا وعلما مكتوبا وسما الى فهم كتاب الله وسنة رسوله وافيوا وعلنا لواعظينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بأمر أخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها وعلما تكون في أواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات وملكاتها انما ناولقد كان اللسان المضرى مع اللسان الجبرى بهذه المثابة وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الجبرى وتصاريف كلماته تشهد بذلك الانتقال الموجودة لدينا خلافا لمن يحمله القصور على أنهم ما لغة واحدة ويلتمس اجراء اللغة الجبرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان الجبرى أنه من القول وكثير من أشباه هذا وليس ذلك بصحيح ولغة جبر لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لهذا العهد نامع لغة مضر الآن العناية بلسان مضر من أجل الشريعة كما قلناه جل ذلك على الاستنباط والاستقراء وليس عندنا لهذا العهد ما يحملنا على مثل ذلك ويدعوننا اليه ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شأنهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى وما ينطقون بها أي من مخرج الكاف وان كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الامم والاجيال ومختصا بهم لا يشاركهم فيها غيرهم حتى ان من يريد التعرّب والانتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بهم وعندهم أنه انما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها فان هذا الجيل الباقيين معظمهم ورؤساؤهم شرقا وغربا في ولد منصور بن

عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد أكثر الامم في المعمور وأغلبهم وهم من أعقاب مضر وسائر الجليل منهم في النطق بهذه القاف أسوة وهذه اللغة لم يندعها هذا الجليل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التي لهذا الجليل فقد لحن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا فان لغة أهل الامصار أيضا لم يستحدثوها وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح وأهل الجليل أيضا لم يستحدثوها الا أنهم أبعد من مخالطة الاعاجم من أهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم هذا مع اتفاق أهل الجليل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وأنها الخاصة التي تميزها العربي من الهجين والحضري فتفهم ذلك والله الهادي المبين

#### ٤. (فصل في ان لغة أهل الحض والاصار لغة قائمة بنفسها مخافة للغة غير)

اعلم أن عرف التخاطب في الامصار وبين الحضري ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجليل بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجليل العربي الذي اعهدها وهي عن لغة مضر أبعد فاما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغير الذي بعد عند صناعة أهل التحول لها وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فلهذا أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب وكذا أهل الاندلس معهم وكل منهم متصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما أنها أبعد عن اللسان الاول من لغة هذا الجليل فلا أن البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة فنخالط العجم أكثر كانت لغتهم عن ذلك اللسان الاصلى أبعد لأن الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة متميزة من الملكة الاولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يجمعونه من العجمة ويربون عليه يعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والاندلس والمشرق أما إفريقية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور عمرانها بهم ولم يكديخلو عنهم مصر ولا جيل فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم وصارت لغة أخرى متميزة والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول أبعد

وكذا المشرق لما غلب العرب على أممه من فارس والترك فخاطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الكرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأطئارا ومرضاض ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى وكذا أهل الاندلس مع عجم الجلالة والافرنجة وصار أهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مصر ويخالف أيضا بعضهم بعضا كما نذكره وكانها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم والله يخلق ما يشاء ويقرر

#### ٤١ (فصل في تعليم اللسان المضرى)

اعلم أن ملكة اللسان المضرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجبل كلهم مغارة للغة مضر التي نزل بها القرآن وانما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الآن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات ووجه التعليم لمن يتنقى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسباجهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وماواعه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهم ما رسوخا وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكم وبمراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو نشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيهما كما نذكر وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه

#### ٤٢ (فصل في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومقتضية عنها في التعليم)

والسبب في ذلك أن صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لانفس كيفية فليست نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا مثل أن يقول بصير بالخياطة غير محكم ملكتها في التعبير عن بعض أنواعها الخياطة هي أن يدخل الخيط في خرت البرة ثم يغرزها في لفقى الثوب مجتمعين ويخزجهما من الجانب الآخر بمقدار كذا ثم يردّها الى حيث



ابتدأت ويخرجها قد اتم منفذها لا قول بطرح ما بين التبيين الاولين ثم يتبادى  
على ذلك الى آخر العمل ويعطى صورة الحبك والتنبيت والتفتيح وسائر أنواع الحياطة  
وأعمالها وهو اذا طوب أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئا وكذا لو سئل عالم بالنجارة  
عن تفصيل الخشب فيقول هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه وآخر  
قبالة تمسك بطرفه الآخر وتعاقبانه ينسكما وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت  
عليه ذاهبة وجائبة الى أن ينتهي الى آخر الخشبة وهو لو طوب به هذا العمل أو شئ  
منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في تقسمها فان العلم بقوانين  
الاعراب انما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثيرا من جهابذة  
النحاسة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل في كتابة سطرين  
الى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب  
وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان  
العربي وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويحيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو  
لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين  
صناعة العربية فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنهم مستغنية عنها  
بالجمله وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب بصيرا بحال هذه الملكة وهو قليل  
واتفاقى وأكثر ما يقع للمخاططين اكتاب سيديوه فانه لم يقتصر على قوانين الاعراب  
فقط بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء  
صالح من تعليم هذه الملكة فتهجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام  
العرب واندرج في محفوظه في أمما كنه ومفاصل حاجاته وتنبه به اشأن الملكة  
فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الافادة ومن هؤلاء المخاططين اكتاب سيديوه من يغفل  
عن التقطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة وأما المخاططون  
لكتب المتأخرين العارضة عن ذلك الامن القوانين النحوية مجردة عن أشعار العرب  
وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو يتنبهون اشأنها فتجدهم يحسبون  
أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه وأهل صناعة العربية  
بالاندلس ومعلوها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على  
شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكتاب كثير من التراكيب في مجالس تعليمهم  
فيسبق الى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعليم فتقطع النفس لها وتسعد الى  
تحصيلها وقبولها وأما من سواهم من أهل المغرب وافريقية وغيرهم فأجروا صناعة  
العربية مجرى العلوم نجحوا وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب

الا ان أعربوا شاهد أو برحوا مذهباً من جهة الاقتضاء الذهني لآمن جهة محامل  
اللسان وترا كيبه فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية  
أو الجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته وما ذلك إلا لاعدوا لهم عن البحث في  
شواهد اللسان وترا كيبهم وتميز أساليبه وغفلت عن المران في ذلك للمتعلم فهو  
أحسن ما تقيده الملكة في اللسان وتلك القوانين انما هي وسائل للتعليم لكنهم أجروها  
على غير ما قصد بها وأصاروها علماً بجهتا وبعدوا عن ثمرتها وتعلم مما قرئناه في هذا الباب  
أن حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في  
خياله المنوال الذي نسجوا عليه ترا كيبهم فينسج هو عليه ويتنزل بذلك منزلة من نشأ  
معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن  
المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الامور كلها والله أعلم بالغيب

### ٤٣ فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه

وبيان انه لا يحصل غالباً للمستعربين من العجم

اعلم أن لفظة الذوق تدل على المعنويين بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة  
لللسان وقدر متفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص  
تقع للترا كيب في افادة ذلك فالتدقيق في كلام بلسان العرب والبليغ فيه يتعزى الهيئة  
المفيدة لذلك على أساليب العرب وانما مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه  
بهذه فاذا اتصلت مقاماته بمخاطبة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على  
ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحرف فيه غير معنى البلاغة التي للعرب  
وان سمع تركيباً غير جار على ذلك المنهج يحس ونساعته سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر  
الابحار استفادة من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورست في محالها  
ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن  
الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم اعراباً وبلاغة أمر طبيعي ويقول كانت  
العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت  
ورست فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل  
بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص ترا كيبه وليست تحصل  
بعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان فان هذه القوانين  
انما تقيدها علماً بذلك اللسان ولا تقيده حصول الملكة بالفعل في محالها وقدر ذلك  
واذا تقرر ذلك فلا بد من البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن

التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة  
 حمدا عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه  
 لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الرافعة عنده واذا عرض عليه الكلام  
 حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجبه وعلم أنه ليس  
 من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل  
 القوانين النحوية والبيانسة فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة  
 بالاستقراء وهذا أمر وجداني حاصل بما رسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم  
 ومما له لو فرضنا صبيانا من صبيانهم نشأ وربى في جيلهم فانه يتعلم لغتهم بحكم شأن  
 الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولى على غايتها وليس من العلم القانوني في شيء وانما هو  
 بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ  
 كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد  
 ممن نشأ في جيلهم وربى بين أجيالهم والقوانين بعزل عن هذا واستعير لهذه الملكة عندما  
 ترسخ وتستقر اتم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وانما هو موضوع  
 لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما  
 هو محل لادراك الطعوم استعير الاسم وأيضاً فهو وجداني اللسان كما أن الطعوم  
 محسوسة له فليل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه أن الاعاجم الداخلين في اللسان  
 العربي الطارئين عليه المضطرين الى النطق به لخالطة أهله كالفرس والروم والترك  
 بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حفظهم في هذه الملكة  
 التي قررنا أمرها الآن قصاراهم بعد طائفة من الأمور وسبق ملكة أخرى الى اللسان  
 وهي لغاتهم أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاوراة من مفرد ومركب لما  
 يضطرون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدوا عنها كما تقدم وانما  
 لهم في ذلك ملكة أخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك الملكة  
 من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شيء انما حصل أحكامها  
 كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتداد والتكرار لكلام العرب فان  
 عرض لك ما تسمعه من أن سيبويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان  
 الكلام كانوا أعجما مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم أن أولئك القوم الذين تسمع عنهم  
 انما كانوا أعجما في نسبهم فقط وأما المربي والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من  
 العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها وكانهم في أول  
 نشأتهم من العرب الذين نشؤوا في أجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها



فهم وان كانوا عجماء في النسب فليسوا بأعجماء في اللغة والكلام لانهم أدر كوا الملة في  
عنقوانها واللغة في شبابهم اولم تذهب آثار الملكة ولا من أهل الامصار ثم عكفوا على  
الممارسة والمدارسة للكلام العرب حتى استولوا على غايته واليوم الواحد من العجم  
اذا خالط أهل اللسان العربي بالامصار فأول ما يجد تلك الملكة المقصودة من اللسان  
العربي متميزة الآثار ويجدهم ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكه اللسان  
العربي ثم اذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة للكلام العرب وأشعارهم بالممارسة  
والحفظ يستفيد تحصيلها فقل أن يحصل له ما قدمناه من أن الملكة اذا سبقها ملكة  
أخرى في المحل فلا تحصل الاناقصة مخدوشة وان فرضنا عجماء في النسب سلم من مخالطة  
اللسان العجمي بالكلمة وذهب الى تعلم هذه الملكة بالممارسة فربما يحصل له ذلك ولكنه  
من النسيان وربما يخطئ في علمه بما تقرر وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين  
البيانية حصول هذا الذوق لهم وهو غلط أو مغالطة وانما حصلت له الملكة ان  
حصلت في تلك القوانين البيانية وايست من ملكة لعبارة في شيء والله يهدي من يشاء  
الى صراط مستقيم

٤٤ فصل في ان أهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تنقاد  
بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصولها له اصعب واعسر

والسبب في ذلك ما سبق الى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما  
سبق اليه من اللسان الحضري الذي أفادته الجملة حتى نزل بها اللسان عن ملكته  
الاولى الى ملكة أخرى هي لغة الحضرة هذا العهد ولهذا نجد المعلمين يذهبون الى  
المسابقة بتعليم اللسان للولدان وتعتقد النحاة أن هذه المسابقة ضارعة وليس كذلك  
وانما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب نعم صناعة النحاة أقرب الى  
مخالطة ذلك وما كان من لغات أهل الامصار أعرق في الجملة وأبعد عن لسان مضر  
قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها الممكنة المنافسة حينئذ واعتبر  
ذلك في أهل الامصار فأهل افريقية والمغرب لما كانوا أعرق في الجملة وأبعد عن  
اللسان الاوّل كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم واقد نقل ابن الرقيق  
أن بعض كتاب القبروان كتب الى صاحب له يا أخى ومن لا عدت فقد أعلمني أبو سعيد  
كلاماً أنك كنت ذكرت أنك تكون مع الذين تأتي وعاقنا اليوم فلم يتهماً لنا الخروج  
وأما أهل المنزل الكلاب من أمر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفاً واحداً  
وكذبى اليك وأنا مشتاق اليك ان شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري

شبيه ما ذكرنا وكذلك أشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك  
لهذا العهد ولها ما كان بافريقية من مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن شرف  
وأكثر ما يكون فيها الشعراء طائرين عليها ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الآن مائلة  
الى القصور وأهل الاندلس أقرب منهم الى تحصيل هذه الملكة ~~بكم~~ كثرة معاناتهم  
وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا وكان فيهم ابن حيان المؤرخ امام أهل  
الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها وابن عبد ربّه والقسطلي وأمثالهم من  
شعراء ملوك الطوائف لما زخرت فيها بحجار اللسان والادب وتداول ذلك فيهم مثين من  
السنين حتى ~~كان~~ كان الانقراض والجلاء أيام تغلب النصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك  
وتناقص العمران قنناقص ذلك شأن الصنائع كلها فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى  
بلغت الخفيض وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن المرحل من تلميذ الطبقة  
الاشبيلية بسببته وكتاب دولة ابن الاحرى أولها وألقت الاندلس أفلاذ كبدها من  
أهل تلك الملكة بالجلاء الى العدو وعدو الاشبيلية الى سببته ومن شرق الاندلس الى  
افريقية ولم يلبثوا الى أن انقرضوا وانقاع سنده تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول  
العدو لها وصعوبتها عليهم بعوج السندهم ورسوخهم في العجة البربرية وهي منافية  
لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجدهم ابن بشرين وابن  
جابر وابن الجياب وطبقتهم ثم ابراهيم الساحلي الطريحي وطبقته وقفاهم ابن الخطيب  
من بعدهم الهالك لهذا العهد شهيد اسعيا أعدائه وكان له في اللسان ملكة لا تدرك  
واتبع أثره تلميذه بعده وبالجلة فشان هذه الملكة بالاندلس أكثر وتعليمها أيسر وأسهل  
بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معاناة علوم اللسان ومحافظة عليهم على علوم  
الادب وسند تعليمها ولأن أهل اللسان العجمي الذين تفسد ملكتهم انما هم طائرون  
عليهم وليست بحجهم أصلا للغة أهل الاندلس والبربر في هذه العدو وهم أهلها  
ولسانهم لسانها الا في الامصار فقط وهم فيها منغمسون في بحر عجميتهم ووطانتهم  
البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الاندلس واعتبر ذلك  
بحال أهل المشرق لعهد الدولة الاموية والعباسية فكان شأنهم شأن أهل الاندلس في  
تمام هذه الملكة واجادتها بعدهم لذلك العهد عن الاعاجم ومخاطبتهم الا في القليل فكان  
أمر هذه الملكة في ذلك العهد أقوم وكان خول الشعراء والكتاب أوفر لتوفر العرب  
وأبناءهم بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب الاغانى من نظمهم ونثرهم فان ذلك الكتاب  
هو كتاب العرب وديوانهم وفيه لغتهم وأخبارهم وایامهم وملتهم العربية وسيرتهم وآثار  
خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغنائهم وسائر مغانيهم له فلا كتاب أوعب منه لاحوال

العرب وبقي أمر هذه الملائكة مستحكما في المشرق في الدولتين وربما كانت فيهم أباغ من  
سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد  
كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم وصار الأمر للأعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم  
وذلك في دولة الديلم والسلاجوقية وخالفوا أهل الأمصار والحواضر حتى بعدوا عن  
اللسان العربي وملكته وصار متعلمها منهم مقتصر عن تحصيلها وعلى ذلك نجد  
لسانهم لهذا العهد في المنظوم والمنثور وان كانوا أكثرين منه والله يخلق ما يشاء  
ويتجاوز الله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق لأرب سواه

### ٤٥ ( فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر )

(اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون  
المقفي ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو  
الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فأما  
الشعر فنه المدح والهجاء والزنا وأما النثر فنه السجع الذي يؤتى به قطعا ويلتزم في كل  
كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا ومنه المرسل وهو الذي يطابق فيه الكلام اطلاقا  
ولا يقطع أجزاء بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب  
والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم وأما القرآن وإن كان من المنشور أنه خارج عن  
الوصفين وليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا بل تنصيب آيات ينتهي الى مقاطع  
يشهد الذوق بانتهااء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها وينتهي من  
غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية وهو عفي قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث  
كتابا متشابها مشافى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الآيات  
ويسمى آخر الآيات منها فواصل اذ ليست أسجعا ولا التزام فيها ما يلتزم في السجع ولا  
هي أيضا قواف واطلق اسم المشافى على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه  
واختصت بآتم القرآن للغلبة فيها كالبحر للتربا ولهذا سميت السبع المشافى وانظر هذا  
مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمشافى بشهد لك الحق بربحان ما قلناه \* واعلم  
أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهلها لا تصلح للفن الآخر ولا  
تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء  
المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك وقد استعملت المتأخرون أساليب الشعر وموازينه  
في المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض  
وصار هذا المنشور اذا تأمته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا لافي الوزن واستقر



المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية  
 وقصروا الاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخطوا الأساليب  
 فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصاً أهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية  
 لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الأسلوب الذي أشرنا إليه وهو غير  
 صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال  
 المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنشور المقتضى أدخل المتأخرون فيه أساليب الشعر  
 فوجب أن تنزه المخاطبات السلطانية عنه إذا سلب الشعر تنافها للودعية وخلط  
 الجذب بالهزل والاطناب في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات  
 حيث لا تدعو ضرورة إلى ذلك في الخطاب والتزام التقفية أيضاً من الودعة والتزيين  
 وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك  
 ويباينه والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير  
 تسجيع إلا في الأقل النادر وحيث ترسله الملكة إرسالا من غير تكلف له ثم إعطاء  
 الكلام حقه في مطابقة مقتضى الحال فإن المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب  
 يخصه من اطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو تصريح أو إشارة وكناية واستعارة  
 وأما إجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر فذموم  
 وما حل عليه أهل العصر الاستيلاء العجبة على ألسنتهم وقصورهم لذلك عن إعطاء  
 الكلام حقه في مطابقة مقتضى الحال فمحذور وعن الكلام المرسل بعده في  
 البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا المسجع يلققون به ما نقصهم من تطبيق  
 الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاستجماع  
 واللقاب البديعة ويغفلون عما سوى ذلك وأكثر من أخذهم هذا الفن وبالغ فيه في  
 سائر أنحاء كلامهم كتاب المشرق وشعر أرو هذا العهد حتى أنهم يخلون بالأعراب في  
 الكلمات والتصرف إذا دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يمتحان معها فيرجحون  
 ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الأعراب ويفسدون بنية الكلمة عماها تصادف  
 التجنيس فتمل ذلك بما قد مناه لك تقف على صحة ما ذكرناه والله الموفق للصواب بمنه  
 وكرمه والله تعالى أعلم

٤٦ (فصل في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم والمنثور معا الا لالاقل)

والسبب في ذلك أنه كما بيناه ملكة في اللسان فإذا اتسبقت إلى محله ملكة أخرى قصرت  
 بالمحمل عن تمام الملكة اللاحقة لأن تمام الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة

الاولى أسهل وأيسر واذا تقدمت مملكتها أخرى كانت منازعة لها في المدة القابلة وعائقة عن سرعة القبول فوقعت المناقاة وتعذر اتمام في المملكة وهذا موجود في الملكات الصناعية كلها على الاطلاق وقد برهننا عليه في موضعه بنحو من هذا البرهان فاعتبر مثله في اللغات فانها الملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من العجوة كيف يكون قاصرا في اللسان العربي أبدا فلا يجمي الذي سبق له اللغة الفارسية لا يستولى على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والافرنجي قل أن تجد أحدا منهم محكما لملكه اللسان العربي وما ذلك الا لما سبق الى ألسنتهم من ملكة اللسان الآخر حتى أن طالب العلم من أهل هذه اللسان اذا طامه بين أهل اللسان العربي جاء مقصرا في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أتى الا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل أن اللسان واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك أن الصنائع وملكاتها لا تزدحم وان من سبق له اجادة في صناعة فقل أن يجيد أخرى ويستولى فيها على الغاية والله خلقكم وما تمهلون

(فصل في صناعة الشعر ووجوب تعلمه)

٤٧

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات الا أنا الا أن اغباتكم في الشعر الذي للعرب فان أمكن أن تجد فيه أهل اللسان الاخرى مقصودهم من كلامهم والافاكل لسان أحكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن مقهدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق فيه روياء وقافية ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلمة وينتقد كل بيت منه بافادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا أفرد كان تاما في بابيه في مدح أو تشييب أو رثاء فيهرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت الاخر كلاما آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطئ المقصود الاول ومعانيه الى أن تناسب المقصود الثاني ويعد الكلام عن التنافر كما يستطرد من التشييب الى المدح ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ومن التمجيع والعزاء في الرثاء الى التأثر وأمثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذرا من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد يحفى ذلك من اجل المقاربة

على كثير من الناس ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن وانما هي أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها في خمسة عشر بحرا بمعنى انهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظما \* واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها والملكات اللسانيات كلها انما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكة بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ويصلح أن يفرردون ماسواه فيحتاج من أجل ذلك الى نوع تلطيف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلا بنفسه ثم يأتي بيت آخر كذلك ثم بيت ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالاته بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة ولصعوبة منجها وغرابة فنه كان محكما للقرائح في استجداء أساليبه وشيخذا لا فكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكتفي فيه بملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تدلف ومحاولة في رعاية الاساليب التي اختصتها العرب بها واستعمالها وانما كرهنا سألونا الاسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم أنهم اعبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كناية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة يتزعمها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقى التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعل البناء في القالب أو التماسيح في المنوال حتى يتسع القالب بمحصل التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال الطول في الشعر يكون بخطاب الطول كقوله



\* يادارية بالعلماء فالسند \* ويكنون باستدعاء العجب للوقوف والسؤال  
كقوله \* قفانساأل الدار التي خف أهلها \* أو باستبكاك العجب على الطلل  
كقوله \* قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل \* أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب  
غير معين كقوله \* ألم تسأل فتصبرك الرسوم \* ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب  
غير معين بتهيئتها كقوله \* حتى الديار بجانب الغزل \* أو بالدعاء لها بالسقيا  
كقوله

اسقى طلوعهم أجش هديم \* وغدت عليهم نضرة ونعيم

أو سؤاله السقيا لها من البرق كقوله

يا برق طالع منزلا بالبرق \* واحد السحاب لها حذاء الانيق

أو مثل التفتيح في الجزع باستدعاء البكا كقوله

كذا فليجمل الخطب وليقدح الامر \* وليس اعين لم يقض مأوها عذر

أو باستعظام الحادث كقوله \* أرايت من حملوا على الاعواد \* أو بالتسجيل على  
الأكوان بالمصيبة لفقده كقوله

منابت العشب لاحام ولاراع \* مضى الردى بطويل الرمح والباع

أو بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية

أي اشجر الخابور مالك مورقا \* كائنك لم تجزع على ابن طريف

أو بتهنئة فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله

ألقى الرماح ربيعة بن نزار \* أودى الردى بفريقك المغوار

وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنظم التراكيب فيه بالجل وغير  
الجل انشائية وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة مفصلة وموصولة على ما هو  
شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما تنفعده  
بالارتياض في أسماء العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن من التراكيب المعينة  
التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو ككالبناء أو النساخ  
والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبنى فيه أو المنوال الذي ينسج عليه فان  
خرج عن القالب في بنائه أو على المنوال في نسجه كان فاسدا ولا تقول ان معرفة  
قوانين البلاغة كافية في ذلك لانا نقول قوانين البلاغة انما هي قواعد علمية قياسية  
تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس وهو قياس على صحيح  
مطر دكا هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الاساليب التي نحن نقررها ليست من  
القياس في شئ انما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب

لجربانها على الاسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء  
بها في كل تركيب من الشعر كما قد مناذك في الكلام باطلاق وان القوانين العلمية من  
العربية والبيان لا تفيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه  
العلمية استعماله وانما المستعمل عندهم من ذلك انحاء معروفة بطالع عليها الحافظون  
لكلامهم تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فاذا نظر في شعر العرب على  
هذا النحو وبهذه الاساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظرا في المستعمل من  
تراكيهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب في الذهن انما  
هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في  
المنثور فان العرب استعملوا كلامهم في كلام القئين وجاءوا به مفصلا في النوعين  
ففي الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي  
المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً وقد يقيدهونه بالاسجاع وقد  
يرسلونه وكل واحدة من هذه معرفة في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو  
الذي بيني مؤلف الكلام عليه تأليفه ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في  
ذهنه من القوالب المعينة الشخصية قال بكي مطلق يحذو حذوه في التأليف كما  
يحذو البناء على القالب والنساج على المنوال فلماذا كان من تأليف الكلام منفردا  
عن نظر النحوي والبيان والعروضي نعم ان مراعاة قوائن هذه العلوم شرط فيه  
لا يتم بدونها فاذا تفحصت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف  
في هذه القوالب التي يسمونها أساليب ولا يقيدها الا حفظ كلام العرب نظماً ونثراً  
واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعده حذوا ورسم الشعر به تفهم حقيقة  
على صعوبة هذا الغرض فان لم نقف عليه لاحد من المتقدمين في عبارائنا وقول  
العروضيين في حذوه انه الكلام الموزون المقتضى ليس بمحذو لهذا الشعر الذي نحر بصدده  
ولارسم له وصناعتهم انما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن  
والقوالب الخاصة فلا جرم ان حذوهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا  
حقيقته من هذه الخبيثة فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة  
والاوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستعمل في كل جزء منها في  
غرضه ومقصده مما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به فقوانين  
الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والاوصاف فصل عما يحلوه من هذه  
فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي فصل له عن  
الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مستعمل في كل جزء منها في غرضه

ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لأن الشعر لا تكون أياته الا كذلك ولم يفصل  
 به شيء وقولنا الجارى على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجز منه على أساليب  
 العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون شعر النما هو كلام منظوم لأن الشعر له أساليب  
 تخصه لا تكون للمنثور وكذا أساليب المنثور لا تكون للشعر فاما كان من الكلام  
 منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان الكثير من  
 لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من  
 الشعر في شيء لانهم ما لم يجزوا على أساليب العرب من الامم عندهم يرى أن الشعر يوجد  
 للعرب وغيرهم ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجارى على  
 الاساليب المخصوصة واذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام  
 في كيفية عمله فنقول \* اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا أولها الحفظ من  
 جنسه أى من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتغير  
 المحفوظ من الحزق النقي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر  
 شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن أبي بريجة وكثير وذو الرمة وجرير وأبي نواس  
 وحبيب والبصري والرضي وأبي فراس وأكثره شعر كتاب الاغانى لانه جمع شعر أهل  
 الطبقة الامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه  
 قاصر ردى ولا يعطيه الرنق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فن قل حفظه أو عدم لم  
 يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد  
 الامتلاء من الحفظ وشهد القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثر منه  
 تستحكم ملكته وترسخ ويرى يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ اتضح رسومه  
 الحرفية الظاهرة اذهى صادة عن استعماها بهنفا فاذا نسيها وقد تكسفت النفس بها  
 انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى  
 ضرورة ثم لا بد له من الخلوة واستجدادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا  
 المسجوع لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بلاذا السرور ثم مع هذا كله فشرطه  
 أن يكون على جسام ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال  
 الذى في حفظه قالوا وخيرا لوقت لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ  
 المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجسام ويرى قالوا ان من بواعثه العشق والاتشاء ذكر  
 ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انقروا هذه الصناعة واعطاء حقها  
 ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه  
 الى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه



بعضهم او يبنى الكلام عليهم الى آخره لانه ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب  
 عليه وضعها في محلهما فربما تجيء نافرة قلقلة واذ اسمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي  
 عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يتبق الا المناسبة  
 فليختبر فيها كما يشاء ويراجع شعره بعد الخلاص منه بالتفقيح والنقد ولا يرضى به على  
 الترتل اذ لم يبلغ الاجادة فان الانسان مقتون بشعره اذ هو نبات فمكره واختراع  
 قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من الترا كيب والخالص من  
 الضرورات الاسانية فليتهجرها فان تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حظرت  
 اللسان عن المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالاعدول عنها الى الطريقة  
 المتلى من الملكة ويجتنب أيضا المعقد من الترا كيب جهده وانما يقصد منها ما كانت  
 معانيه تسابق ألفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع  
 تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت ألفاظه طبعا على معانيه أو وفي فان كانت  
 المعاني كثيرة كان حشوا واستعمل الذهن بالغوص عليها فنع الذوق عن استيفاء  
 مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر هلا الا اذا كانت معانيه تسابق ألفاظه الى  
 الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمه الله يعيبون شعرا أبي بكر بن خلفا بجملة شاعر شرق  
 الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعرا المتنبي  
 والمعري بعدم الفصح على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما منظوما تازلا  
 عن طبقة الشعر والحق كما بذلك هو الذوق وليجتنب الشاعر أيضا الخوشى من الالفاظ  
 والمقصر وكذلك السوق المبذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن  
 طبقة البلاغة أيضا فيصير مبتدلا ويقترب من عدم الافادة قولهم النار حارة  
 والسماء فوقنا وما يقرب من طبقة عدم الافادة بعد عن رتبة البلاغة اذ هما  
 طرفان ولهذا كان الشعر في الربائيات والنبويات قليل الاجادة في الغالب ولا يحذق  
 فيه الا الفحول وفي القليل على العشر لان معانيها متداولة بين الجمهور وقصير مبتدلة  
 لذلك واذ تعذر الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده فان القريحة مثل الضرع يدر  
 بالامتراء ويجف بالترل والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة رتعلها مستوفى في كتاب العمدة  
 لابن رشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك  
 الكتاب ففيه البغية من ذلك وهذه نبذة كافية والله المعين وقد نظم الناس في أمر هذه  
 الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن أحسن ما قيل في ذلك وأظنه لابن رشيق  
 لعن الله صنعة الشعر ماذا \* من صنوف الجهال منه لقينا  
 يؤثرون الغريب منه على ما \* كان سهلا للسامع من مينا

ويرون المحال معنى صحيحا \* وخسيس الكلام شيئا غنيا  
 يجهلون الصواب منه ولا يد \* رون للجهل انهم يجهلون  
 فهم عند من سوانا بالامو \* ن وفي الحق عندنا يعذرون  
 انما الشعر ما يناسب في النظر \* وان كان في الصفات فنونا  
 فأتى بعضه بشاكل بعضا \* وأقامت له الصدور المتونا  
 كل معنى أذاك منه على ما \* تمنى ولم يكن أو يكونا  
 فتنا هي من البيان الى أن \* كاد - - - نايين لنا نظرينا  
 فكان الالفاظ منه وجوه \* والمعاني ركن فيها عيسونا  
 ان ما في المرام حسب الاماني \* يتجلى بحسنه المتشدينا  
 فاذا ما مدحت بالشعر حرا \* رمت فيه مذاهب المشتيننا  
 فجعلت السبب سهلا قريبا \* وجهلت المديح صدقاً أميننا  
 وتعليت ما يهجن في السم \* وان كان لفظه موزوننا  
 واذا ما عرسته بهجاء \* عبت فيه مذاهب المرقبيننا  
 فجعلت التصريح منه دواء \* وجعلت التعريض داء دفيننا  
 واذا ما بكيت فيه على العا \* دين يوماً للبين والظاعيننا  
 حلت دون الاسى وذات ما كا \* ن من الدمع في العيون مصوننا  
 ثم ان كنت عاتبا جئت بالوع \* د وعيداً وبالصدوبة لبنا  
 فتركت الذي عبت عليه \* حذرا آمنا عزير امهيننا  
 وأصح القريض ما قارب النظر \* م وان كان واضحا مستبيننا  
 فاذا قيل أطمع الناس طرا \* واذا ريم أجم - زالمجزيينا  
 ومن ذلك أيضا قول بعضهم

الشعر ما قومت ربيع صدوره \* وشددت بالتهذيب أس متونه  
 ورأيت بالاطناب شعب صدوعه \* وقفحت بالايجاز عور عيونه  
 وجهت بين قريته وبعيده \* وجهت بين حمه ومعينه  
 واذا مدحت به جوادا ماجدا \* وقضيت به بالشكر حق ديونه  
 أصفية - - - بتفتش ورضيته \* وخصته بخطيره ونمينه  
 فيكون جزلا في مساق - - - ونوفه \* ويكون سهلا في اتفاق فنونه  
 واذا جئت به الديار وأهلها \* أجريت للحمزون ما مشؤونه  
 واذا أردت كناية عن ربة \* باينت بين ظهوره وبطنونه

فجاءت سامعه يشوب شكوكه \* بثبوت وظنونه يتيقنه

(فصل في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني) ٤٨

(اعلم) ان صناعة الكلام نظما ونثرا انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تتبع لها وهي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ بحفظ أمثاله من كلام العرب ليعتاد استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلق لغتهم كما يلقيها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك انما قدمنا أن لسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وانما المعاني فهي في الضمائر وأيضا فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا تحتاج الى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقده ان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

(فصل في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بمجودة المحفوظ) ٤٩

قد قدمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ ان يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ فمن كان محفوظه شعرا حبيب أو العتاني أو ابن المعتز أو ابن هاني أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هرون أو ابن الزيات أو البديع أو الصابي تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً ورتبة في البلاغة من يحفظ شعرا بن سهل من المتأخرين أو ابن النبية أو ترسل البيهقي أو العماد الاصبهاني لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق وعلى من تدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملكة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقته من



الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لأن الطبع انما ينسج على منوالها وتنو قوى الملكة بتغذيتها وذلك أن النفس وإن كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراكات واختلافها انما هو باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التي تكفيها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدمناه فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار والفقهية بمخالطة الفقه وتنظيم المسائل وتفريعها وتخرج الفروع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات والاذكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى حسه الباطن وروحه وينقلب ربانيا وكذا سائرها ولله نفس في كل واحد منها لون تتكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها ملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها انما تحصل بحفظ العالي في طبقة من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم ويمتلي به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة لأن العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثرت وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم وهم كذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم ممن لم يمتلي من حفظ النقي الحزم من كلام العرب (أخبرني) صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهد فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسها له وهو هذا

لم أدر حين وقفت بالاطلال \* ما الفرق بين جديدها والبالى  
فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن أين لك ذلك قال من قوله ما الفرق  
اذهي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب فقلت له الله أبوك انه ابن  
النحوي \* وأما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخيرهم في محفوظهم ومخاطبتهم  
كلام العرب وأساليبهم في الترسل واتقائهم له الجيد من الكلام \* ذاكرت يوما  
صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب وزير الملوک بالاندلس من بني الاجر وكان الصدر المقدم  
في الشعر والكتابة فقلت له أجد استصعابا على في نظم الشعر متى رمته مع بصرى به

وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلا وانما أتيت والله أعلم من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات وتدارست كتابي ابن الحاجب في النقة والاصول وجل الخونجي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثيرا من قوانين التعليم في المجالس فامتلا محفوظي من ذلك وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاق القرية عن بلوغها فنظر الى ساعة معجبا ثم قال لله أنت وهل يقول هذا الامثلك \* ويظهر لك من هذا الفصل وما تقر فيه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام الاسلاميين من العرب اهل طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية ومدرام الدولة العباسية في خطبهم وترسلهم ومحاوراتهم لله لولك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كنوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للنقاد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين أدركوا الاسلام هموا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما فكونها وولجت في قلوبهم ونشأت على أساسياتهم فنضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولانشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصنئ رونقا من أوائلك وأرصف مبنى وأهدل تقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأقل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت من أهل الذوق والتبحر بالبلاغة \* ولقد سألت يوما شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسبحة عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوين واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسأله يوما ما بال العرب الاسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستنكر ذلك بذوقه فسكت طويلا ثم قال لي والله ما أدري فقلت أعرض عليك شيئا ظهر لي في ذلك واعله السبب فيه وذكرت له هذا الذي كتبت فيسكت معجبا ثم قال لي يا فقيه هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب وكان من بعده ابي نوح محلي وبصيح في مجالس التعليم الى قولي ويشهد لي بالنباهة في العلوم والله خلق الانسان وعلمه البيان

٥٠ (فصل في ترفع اهل المراتب عن اتحال النثر)

(اعلم) أن الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب منافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على دخول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والمنابغة الذي أنشاه وزهر بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من أصحاب المعاني السبع فإنه انما كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك أول الاسلام بمشاغلهم من أمور الدين والنبوة والوحى وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحى في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأبى عليه فرجهاوا حينئذ إلى ديدنهم منه وكان لعمر بن أبي ربيعة كبير قریش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه محميا به ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العزيرة وتقرب اليهم العرب بأشعارهم يمدحونهم بها ويحيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة الجوده في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرصون على استئداء أشعارهم يطلعون منها على الآثار والأخبار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليدهم بحفظه ولم ينزل هذا الشأن أيام بنى أمية وصدر من دولة بنى العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء فجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعناية بآتيهاله والتبصر بجيد الكلام ورديته وكثرة محفوظه منه ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل الجملة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالبين معروفهم فقط لاسوى ذلك من الأغراض كما فعله حبيب والبصري والتميمي وابن هانئ ومن بعدهم إلى هلم جتراف صار غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للأقوام كما ذكرناه آنفا وأنف منه لذلك أهل الهمم والمراتب من المتأخرين وتغير الحال وأصبح تعاطيه هجنة في الرياسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

### ٥١ (فصل في اشعار العرب واهل الامصار لسنة العهد)

(اعلم) ان الشعر لا يختص باللسان العربى فقط بل هو موجود فى كل لغة سواء كانت



عربية أو عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم أرسطوف في كتاب المنطق أو ميروس الشاعر واثنى عليه وكان في حيرة أيضاً شعراء متقنات دمون ولما فسد لسان مضر ولغتهم التي دوت مقاييسها وقوانين أعرابها فسدت اللغات من بعد بحسب ما خالطها وما رزجها من العجمة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الأعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك الحضرة أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الأعراب وأكثر الأوضاع والتعاريف وخالفت أيضاً لغة الجبل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الاتفاق فلهذا أهل الشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره وتحالفهما أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره ثم لما كان الشعر وجوداً بالطبع في أهل كل لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحرركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا يقولون وفرسان ميدانه حسبما اشتهر بين أهل الخليفة بل كل جبل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضرة أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاق وعهم في اتحاله ووصف بنائه على مهيع كلامهم فأما العرب أهل هذا الجبل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعارض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من التسيب والمدح والرتاء والهجاء ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام وربما هجموا على المقصود لا قول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلقون فيه الحاناً بسيطة لعل في طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة إلى حوران من أطراف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم إلى هذا العهد ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يسمون به معصبا على أربعة أجزأ يخالف آخرها الثلاثة في رويته ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة شبيهاً بالمربع والخم من الذي أحدثه المتأخرون من المولدين ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصاً علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها أو يسمي نظمهم إذا أنشد ويعتقد أن ذوقه أغما بعا عنها لاستهجانها وقد ان الأعراب منها وهذا الغمأ في من فقد ان الملكة في لغتهم فلو حصلت

له ملكة من ملكاتهم لشهده طبعه وذوقه يلاغتها ان كان سليمان من الآفات في فطرته  
ونظيره والافالاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود  
ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع والاعلى الفاعل والنصب والاعلى  
المفعول أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب  
ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة وإذا  
طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة  
في ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب  
في أواخر الكلام فان غالب كلماتهم موقوفة الآخر وتميز عندهم الفاعل من المفعول  
والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب فان أشعارهم على لسان  
الشريف بن هاشم يكي الجازية بنت سرحان ويذكر قطعها مع قومها الى المغرب

قال الشريف ابن هاشم على \* ترى كبدي حراشكت من زفيرها  
يعز للاعلام اين مارأت خاطري \* يرد اعلام البدوي لقي عصيرها  
وماذا سكات الروح مما طرأ لها \* عذاب ودائع تلف الله خيرها  
بحسن قطاع عامري ضميرها \* طوي وهند جاني ذككيرها  
وعادت كما خوار في يد غاسل \* على مثل شوك الطلح عقدوا يسيرها  
تجابدوها اثنين والى نزع بينهم \* على شول لعه والمعاني جبرها  
وبانت دموع العين ذارقات لسانها \* شبيه دوار السواني يدبرها  
تدار لئمنها الجثم حذر اورادها \* مروان يحيى مسترا بكامن صيرها  
لصب من القيعان من جانب الصفا \* عيون ولهان البرق في غديرها  
ها أيقنى منى سنا بلب غدوة \* بغداد ناحت منى حتى فقيرها  
ونادى المنادى بالرحيل وشددوا \* وعرج غاربها على مستعيرها  
وشد لها الادهم دياب بن غانم \* على يد ماضى وليد مقرب ميرها  
وقال لهم حسن بن سرحان غزبوا \* وسوقوا التجوع ان كان ناهو غيرها  
ويد لص وسده سها بالتساعج \* وباليمن لا يجحدوا في صغيرها  
غدرني زمان السفح من عابس الوغى \* وما كان يرى من حير وميرها  
غدرني وهو زعم صديقي وصاحبي \* ونالسه ما من دري ما يدبرها  
ورجع يقول لهم بلاد ابن هاشم \* خير البلاد المعطشة ما يحيرها  
حرام على باب بغداد وأرضها \* داخل ولا عائد له من بعيرها  
فصدق دري من بلاد ابن هاشم \* على الشمس احوال الغمام من هجيرها

وبانت نيران العذارى قوادح \* فجزوا بحرحان فيبروا أسيرها  
ومن قولهم في رثاء أمير زنادة أبي سعدة البكري مقارعةهم بأفريقية وأرض الزاب  
ورثاؤهم له على جهة التهكم

تقول قتاة الحى سعدة وهاضها \* ولها في طعون الباكين عويل  
أيا سائل عن قبر الزناتي خليفه \* خذ النعت منى لا تكون هيبيل  
تراء العالي الواردات وفوقه \* من الربط عيساوى بناء طويل  
وله يميل الفور من سائر النقا \* به الواد شرقا والبراع دايمل  
أيا لهف كبدي على الزناتي خليفه \* قد كان لأعقاب الجياد سليل  
قتيل فقي الهيجا دياب بن غانم \* جراحه كافوا المزدنس ميل  
يا جاران مات الزناتي خليفه \* لا ترحل الآن يريد رحيل  
وبالأمس رحلت ثلاثين مرة \* وعشرا وستا في النهار قليل  
ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكر عتابا وقع بينه وبين ماضى بن مقرب  
نسبى لي ماضى الجياد وقال لي \* أيا شكر ما أحماشي عليك رضاش  
أيا شكر عدتى مابق ودينتنا \* ورا ناعرب رب عرب بالأسير نماش  
نحن عدينا فادفوا ما قضى لنا \* كما ضاقت طعم الزنادطاش  
باعدنا يا شكر عدتى لبر سلامه \* لنجد ومن عمر بن لاده عاش  
أن كانت بنت سيدهم بأرضهم \* هي العرب ما ردنا لهن طماش  
ومن قولهم في ذكر رحلتهم إلى العرب وغلبهم زنادة عليه

وأى جميل ضاع لي في الشريف بن هاشم \* وأى جميل ضاع قبلي جميلها  
أنا كنت أنا وياه في زهو بيتنا \* عناني لجهه ما عناني دايملها  
وحدثت كافي شارب من مدامة \* من الخرقهوة ما قدر من جميلها  
أو مثل شطامات مضبون كعبدها \* غريبنا وهي مدوخه عن قبيملها  
أياها زمان النسوة حتى الذوخيت \* وهي بين عرب غافلا عن نزيلها  
كذلك أنا بما لحاني من الوحى \* شاكي بكبد باديامن عليلها  
وأمرت قومي بالرخيل وبكروا \* وقوا واشدداد الخوايا جميلها  
قد لنا سبعة أيام محبوس نجعنا \* نوالد وما ترفع محمود يميلها  
تظل على أحداث الشيا سوارى \* يضل الحرف فوق التصاوى نصيلها  
ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزاودة أحد بطون رباح وأهل الرياسة فيهم  
يقولها وهو معتقل بالمهدية في سجن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص أول ملوك أفريقية



يقول وفي نوح الدجاجة ذهبة \* حرام على أجناف عبيق منامها  
 أيا من لقي حالف الوجه والاسى \* وروحاها على طال مافي سقامها  
 حجازية بدويه عريضة \* عداوية ولها بعيد امرامها  
 مولعة بالبدو لا تألف القرى \* سوا عابيل الوعد ابوالى خيامها  
 عمان ومشتها بها كل سرية \* محونة بها ولها صحيج غرامها  
 ومرباعها عشب الاراضى من الحيا \* لوانى من الحور الحلايا حسامها  
 تسوق بسوق العين مما تداركت \* عليها من الذهب السوارى غمامها  
 وماذا بك يا ما وماذا تبلطت \* عيون عذارى المزن عذابا جامها  
 كان عروس البكر لا تحت ثيابها \* عليها ومن نور الاقاصى حزامها  
 فلاة ودهنا وانساع ومنة \* ومرعى سوى مافي مراعى نعامها  
 ومشروبها من مخض ألبان شولها \* عليهم ومن لحم الحواري طعامها  
 تعائب على الابواب والموقف الذى \* يشيب الفقى مما يقامى زحامها  
 سقى الله ذا الوادى المشجر بالحيا \* وبلا ويحيى ما بلى من رمامها  
 فكافأتها بالودنى وليمنى \* ظفرت بأيام مضت فى ركامها  
 لىالى أقواس الصبا فى سواعدى \* اذاقت لا تخطى من ابدى سهامها  
 وفرسى عديدا تحت سرجى مسافة \* زمان الصبا سرجا ويدي لجامها  
 وكمن رداح أسهرتنى ولم أرى \* من الخلق أبهى من نظام ابتسامها  
 وكمن غيرها من كاعب مرحة \* مطرزة الاجفان باهى وشامها  
 وصفقت من وجدى عليها طريحة \* بكفى ولم ينسى جداها ذمامها  
 ونار بجنب الوجد توهج فى الحشى \* وتوجج لا يطفأ من الماذن رامها  
 أيا من وعدنى الوعد هذا الى متى \* فى العسر فى دار عمالي ظلامها  
 ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة \* ويغنى عليها ثم يسرى غمامها  
 بنود ورايات من السعد أقبلت \* الينا بعون الله ينفو عظامها  
 أرى فى الفلا بالعين أظعان عزوتى \* ورعى على كتفى وسرى امامها  
 بجرعاتاق التوق من عود شامس \* أحب بلاد الله عندي حشامها  
 الى منزل بالجعفرية للذى \* مقيم بها ما لذ عندي مقامها  
 وتلقى سراة من هلال بن عامر \* ينزل الصدا والغل عنى سلامها  
 بهم تضرب الامثال شرقا وغربا \* اذا قاتلوا قوماسريع انهزامها

عليهم ومن هو في جهنم تحية \* من الدهر ما غنى بقية حمامها  
فدع ذا ولا تأسف على سالف مضي \* ترى الدنيا ما دامت لا حدد وانما  
ومن أشعار المتأخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عمر شيخ الكعوب من أولاد أبي الليل  
يعاتب أقتالهم أولاد مهملول ويحجب شاعرهم شبيل بن مسكاته بن مهملول عن أبيات نثر  
عليهم فيها بقومه

يقول وذا قول المصاب الذي نشأ \* قوارع قيعان يعانى صعلها  
يريح بها حادى المصاب اذا اتقى \* فنونا من انشاد القوافى عرابها  
مخسرة مختارة من نشادنا \* تحدى بها تام الوشاملتها  
مغربة عن ناقد في غضوننا \* محكمة القيعان دابى ودابها  
وهيض بتد كاري لها ياذى الندى \* قوارع من شبيل وهذى جواها  
اشبل جنينا من حبال طرائفنا \* فراح يريح الموجهين الغناها  
نخرت ولم تقصر ولا أنت عادى \* سوى قلت في جهورها ما أعابها  
لقولك في أم المتين بن حمزة \* وحامى حماها عاديا في حرابها  
أما تعلم انه قامها بعد مالى \* رصاص بن يحيى وعلاق دابها  
شهابا من أهل الامر يا شبيل خارق \* وهل ريت من جالوغي واصطلي بها  
شواهد طفاها أضرت بعد طغيه \* وأثنا طفاها حاسر الأهابها  
واضرم بعد الطفيتين التي صحت \* تعاسا الى بيت المنايا فتدى بها  
كما كان هو يطالب على داجنبت \* رجال بن كعب الذي يتقى بها  
ومنها في العتاب

وليد اتعابتوا أنا أغنى لاني \* غنيت بعلاق الثنا واعتصمها  
على وناذع بها كل مبضع \* بالاسياف تنقش العدا من رقابها  
فان كانت الاملا لبغت عرايس \* علينا باطراف القنا اختصمها  
ولانقرها الارهاق ودبل \* وزرق السبايا والمطايا ركاها  
بنى عمنا ما نرضى الذل علة \* تسير كالسنة الحناش انسلابها  
وهي عالم بان المنايا تقيها \* بلا شك والدياس ريع انقلابها  
ومنها في وصف الطعام

بظعن قطوع السيد لا تحتشى العدا \* فتوفى بجويان مخوف جنابها  
ترى العين خيال لشل عرائف \* وكل مهابة محتظها ربابها  
ترى أهلها غص الصباح أن يعلها \* بكل حلوب الجوق حاسد بابها

لها كل يوم في الارامى قتائل \* ورا القاجر المزروح عفو اصباها  
ومن قوله في الامثال الحكمية

وطلبك في الممنوع منك سفاهة \* وضلك عن صيدك صواب  
اذا ريت ناسا يغلقوا عنك بابهم \* ظهور المطايا يفتح الله باب  
ومن قول شبل يذكر انتساب الكعوب الى برجهم

فشايب وشباب من اولاد برجهم \* جميع البرايا تشتمكي من ضهادها  
ومن قوله يعاتب اخوانه في موالاة شيخ الموحدين ابي محمد بن تافراكين المستبد بحجابة  
السلطان بتونس على سلطانهم كفولة ابي اسحق ابن السلطان ابي يحيى وذلك فيما  
قرب من مصرنا

يقول بلا جهل فتي الخود خالد \* مقالة قوال وقال صواب  
مقالة حيران بذهن ولم يكن \* هريجا ولا فيما يقول ذهاب  
تجست معانا بالاحاجسة \* ولا هرج ينقاد منه معاب  
وليت بها كبدى وهى نعم صاحبه \* حزينه ففكر والحزين يصاب  
تقوت بادي شرحها عن ما قرب \* جرت من رجال في القبيل فراب  
بني كعب أدنى الاقربين لدمنا \* بنى عم منهم شايب وشباب  
جرى عند فتح لوطن منا لبعضهم \* مصافاة ودوا تساع جناب  
وبعضهم ملنا له عن خبيثه \* كما يعلموا قولى يقينه صاب  
وبعضهم موهوب من بعض ملكنا \* ضرابا وفي حر الظهير كراب  
وبعضهم موجانا جريحنا سمعت \* خواطر مننا للزبدى وهاب  
وبعضهم ونظار قينا بسوة \* نقهنا حتى ما عنا به سباب  
رجع ينتهى مما سقنا نتيجه \* مرارا وفي بعض المسرا ريهاب  
وبعضهم وشاكي من او غاد قادر \* غلق عنه في احكام السقا ثياب  
فصمنا عنه واقتضى منه مورد \* على كره مولى البالى ودياب  
ونحن على دافى المدان طلب العلا \* لهم ما حططنا للفجور نقاب  
وحزننا حى وطن بترشيش بعدما \* نفقنا عليها سبقا ورقاب  
ومهد من الاملاك ما كان خارج \* على احكام والى امرها الهاب  
بردع قروم من قروم قبيلنا \* بنى كعب لا واهل الزريم وطاب  
جرينا بهم عن كل تاليف في العدا \* وقنا لهم عن كل قيد مناب  
الى ان عاد من لا كان فيهم ممة \* ربيها وخيراتا عليه نصاب



وركبوا السبايا الممخات من أهلها \* ولبسوا من أنواع الحرير ثياب  
 وساقوا المطايا بالشر الانسواله \* جاهدوا ما يغلبها بجلاب  
 وكسبوا من أصناف السعيا دوائر \* ضخام الحزات الزمان تصاب  
 وعادوا نظير البرمكين قبل دا \* والا هلالا في زمان دياب  
 وكانوا النادر على كل مهمة \* الى أن بان من نار العد وشهاب  
 خلوا الدار في جنح الظلام ولا اتقوا \* ملاه ولا دار الكرام عتاب  
 كسوا الحى جلباب البهيم لستره \* وهم لودروا لبسوا قبيح جباب  
 لذلك منهم حابس مدار القنا \* ذهل حلى ان كان عقله غاب  
 يظن ظنونا ليس نحن بأهلها \* تمنى يكن له في السماح شعاب  
 خطاهو ومن واتاه في سؤننه \* بالاثبات من ظن القبايح عاب  
 فواعزوني ان القى بو محمد \* وهوب لآلاف بغير حساب  
 وبرحت الاوغاد منه ويحسبوا \* بروحه ما يحيى بروح سماب  
 جروا يطلبوا تحت السحاب شرايع \* لقوا كل ما يستاملوه مراب  
 وهولوا عطى ما كان للراى عارف \* ولا كان في قلة عطاء صواب  
 وان نحن ما نستاملوا عنه راحة \* وانه باسم التلاف مصاب  
 وان ما وطا ترشيش يضيق وسعها \* عليه ويمشى بالفزوع لزاب  
 وانه منها عن قريب مفاصل \* خنوج عناز هو الهاوقباب  
 وعن فائنات الطرف بيض غوانج \* ربوا خلف استار وخلف حجاب  
 يتنه اذا تاهوا ويصبوا اذا صبوا \* بحسن قوانين وصوت رباب  
 يضاهيه من عدم اليقين وربما \* يطارح حتى ما كانه شاب  
 بهم حازله زمة وطوع أوامر \* ولذة ما كول وطيب شراب  
 حرام على ابن تافرا كين مامضى \* من الود الا مال بحراب  
 وان كان له عقل رجح وفطنة \* يلجج في اليم الغريق غراب  
 وأما البدا لا بد لها من فاعل \* كبار الى أن تبقى الرجال بكاب  
 ويحمى بها سوق علينا سلاعه \* ويحمار موصوف القنا وجعاب  
 ويمسى غلام طالب ربح ملكا \* ندوما ولا يمسي صحح بناب  
 أياوا كين الخبز تبغوا ادا مه \* غلطنوا أدمتوا في السموم لباب

ومن شعر علي بن عمر بن ابراهيم من رؤساء بني عامر لهذا العهد أحد بطون زغبة  
 يعاتب بني عمه المتطاولين الى رباسته

محبرة كالدّر في يد صانع \* اذا كان في سلك الحرير نظام  
 أباحها منها فيه أسباب ماضى \* وشاء تبارك والضعفون تسام  
 غدا منه لام الحى حين وانشطت \* عصاها ولاصبة اعليه حكاه  
 ولكن ضميرى يوم بان بهم اليها \* تبرم على شوك القتاد برام  
 والا كما براص التهامى قوادح \* وبين عواج الكائنات ضرام  
 والا لكان القلب في يد قابض \* أناههم بمنشار القطيع غشام  
 لما قلت سممن شقا البين زارنى \* اذا ككان ينادى بالفراق وخام  
 ألا يا ربوع كان بالامس عامر \* يحيى وحده والقطين لمام  
 وغمد تدانى للخطا فى ملاعب \* دبحى الليل فيهم ساهروني لم  
 ونعم يشوف الناظرين التحامها \* لنا ما بدا من مهرق وككظام  
 وعرو دباسها اليسد عولس ربها \* واطلاق من شرب المها ونعام  
 واليوم ما فيها سوى البوم حولها \* ينوح على اطلال لها وخيام  
 وقفنا بها طور اطوي لا نساها \* بعين سخيها والدموع هجاء  
 ولا صبح لي منها سوى وحش خاطرى \* وسقمى من أسباب ان عرفت او هام  
 ومن بعد ذاتى لمنصور ربوعى \* سلام ومن بعد السلام سلام  
 وقولوا له يا ابو الوفا كلج رأيكم \* دخلتم بـ جـ ورغامقات دهم  
 زواخر ما تنقاس بالعود انما \* لها سيلات على الفضاوا كاهم  
 ولا قسمو فيها قياسا بـ ككم \* وليس البحور الطاميات نعام  
 وعانوا على هلكا نكم في ورودها \* من الناس عدمان العقول اثم  
 أيا هزوة ركبوا الضلالة ولالهم \* قرار ولا دنيا له قـ دوام  
 الاعناء هو لو ترى كيف رأيهم \* مثل سرور فلاء ماله من تمام  
 خلوا الهنا بقوا في مرقب العلا \* مواضع ما هيأ لهم بمقام  
 وحق النبي والبيت واركانه الذى \* وما زارها في ككل دهر و عام  
 لبر اللسانى فيه ان طالت الحيا \* يذوقون من خط الكساع مدام  
 ولا برتها تبنى البوادي عوا كف \* بكل ردينى مطرب و حسام  
 وكل مسافة كالسد اياه عابر \* عليها من اولاد ككرام غلام  
 وكل كيت يكتص عض نابه \* يظل يصارع فى العسنان لجام  
 وتحمل بنا الارض العقيمة مدة \* وتولدا من كل ضيق كظام  
 بالابطال والقود الهجان وبالقنا \* لها وقت وجنات البـ سد ورزحام

أنجسني وأنا عقيد نفودها \* وفي سن ربحي للحروب علام  
 ونحن كأضراس المواقي بنجكم \* حتى يقاضوا من ديون غرام  
 متى كان يوم القحط يامير ابو علي \* يلقى سعيها صايرين قدام  
 كذلك يوجو الى اليسر ابعته \* وخلي الجياد العاليات تسام  
 وخلي رجالا لا يرى الضيم جارهم \* ولا يجمعوا بدهى العدو زمام  
 الا يقيروها وعقد بؤسهم \* وهم عذر عنه دائما ودوام  
 وكم نار طعننا على البدو سابق \* ما بين صحاصيح وما بين حمام  
 فقي نار قطار الصوي يودنا على \* لنا ارض ترك الطاعنين زمام  
 وكم ذا يهيبوا اثرها من غنمة \* حليف النبا سماع كل غيلام  
 وان جافا جفوه الملوك ووسعوا \* غدا طبعه يجرى عايسه قيام  
 عليكم سلام الله من لسن فاهم \* ما غنت الورقا وناح حمام  
 ومن شعر عرب غربي نواحي حوران لامرأة قتل زوجها فبعثت الى اخلافه من قيس  
 تغريمهم بطلب ناره تقول

تقول فتاة الحبيبة أم سلامة \* بعين أراع الله من لارني لها  
 تبث بطول الليل ما تألف الكرى \* موجعة كان الشقافي مجالها  
 على ما جرى في دارها وبوعيا لها \* بلحظة عين البين غير حالها  
 فقد تاروا شهاب الدين يا قيس كهم \* ونعتوا عن أخذ النار ما ذامقها  
 أنا قلت اذا ورد الكتاب يسرني \* ويبرد من نيران قلمي ذبالها  
 أيا حين تسريح الذوائب والحي \* ويبيض العذارى ما حيتوا جمالها

### الموشحات والازجال للاندلس

وأما أهل الاندلس فلما كثرت شعري فطهرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وباع التمني فيه  
 الغاية استحدث المتأخرون منهم فنما منه سموه بالموشح ينظمونه أسماطا وأغصانا  
 أغصانا يكثر منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتنوعة منها بيتا واحدا ويلتزمون  
 عند قوا في تلك الأغصان وأوزانها متباينة فيما بعد الى آخر القطعة وأكثر ما تنهي  
 عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض  
 والمذاهب وينسبون فيها ويعدحون كما يفعل في القصائد وتجاروا في ذلك الى الغاية  
 واستظرفه الناس بجله الخاصة والكافة سهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع  
 لها بجزيرة الاندلس مقدم بزم معافرا الفربري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني



وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر له مامع  
 المتأخرين ذكر وكسدت موشحاته ما فكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز  
 شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الأعلام البطليوسي أنه سمع أبا بكر بن  
 زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله

بنو تم \* شمس محضا \* تحبب نقا \* منك شم  
 ما أتم \* ما أوضعا \* ما أورقا \* ما أغم  
 لاجرم \* من لحا \* قد عشقا \* قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف \* وجاء  
 مصليا خلفه منهم ابن ارفع راس شاعر المأمون ابن ذى النون صاحب طليطلة قالوا  
 وقد أحسن في ابتدائه في موشحته التي طارت له حيث يقول

المود قد ترنم \* بابدع تلحين \* وسقت المذائب \* رياض البساتين  
 وفي انتهائه حيث يقول

تخطر ولا تسلم \* عسل المأمون \* مرقع الكتاب \* يحيى بن ذى النون  
 ثم جاءت الحلبية التي كانت في دولة الملمين فظهرت لهم البسائع وسابق فرسان حلبتهم  
 الاعمى الطليطلي ثم يحيى ابن بتي والطليطلي من الموشحات المهدية قوله

كيف السبيل الى \* صبرى وفي المعالم أنشبات  
 والركب في وسط انقلا \* بانظر النواعم قدبان

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون أن جماعة من  
 الوشاحين اجتمعوا في مجلس بأشبيلية وكان كل واحد منهم اصطنع موشحة وتأنق فيها  
 فتقدم الاعمى الطليطلي للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

ضاحك عن جنان \* سافر عن در \* ضاق عنه الزمان \* وحواه صدرى

صرف ابن بتي موشحته وتبعه الباكون وذكر الأعلام البطليوسي أنه سمع ابن زهير يقول  
 ما حسدت قط وشاحا على قول الا ابن بتي حين وقع له

أما ترى أحمد \* في مجده العالي لا يلحق \* أطلعه الغرب \* فأرنا مثله ياه مشرق  
 وكان في عصرهما على الموشحين المطبوعين أبو بكر الأبيض وكان في عصرهما أيضا  
 الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكليات المشهورة أنه حضر  
 مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فالتقى على بعض قيناته موشحته

جزر الذيل أيماجز \* وصل الشكر منك بالشكر

فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر \* لأمير العلاء أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح وأطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت \* وانف بالايمن المغلظة لايشي ابن باجة الى داره الاعلى الذهب نخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتمل بأن جعل ذهباً في نهله وشى عليه \* وذكر أبو الخطاب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهير ذكر أبي بكر الأبيض الوشاح المتقدم المذكور فغص منه بعض الحاضرين فقال كيف تغص عن يقول

مالذي شرب راح \* على رياض الافاح \* لولا هضم الوشاح \* اذا شى في الصباح  
أوفى الاصيل \* أضحى يقول \* ما للشمول \* لعامت خدي  
ولشمسبال \* هبت فمالى \* غصن اعتدال \* ضمه بردى  
مما أباد القلوبا \* يشى لنا مسترياً \* بالخطه ردتوباً \* وبالماء الشنيبا  
برد غليل \* صب غليل \* لا يستحيل \* فيه عن عهدى  
ولا يزال \* فى كل حال \* برجو الوصال \* وهو فى الصد

واشتهر بعد هؤلاء فى صدر دولة الموحدين محمد بن أبى الفضل بن شرف قال الحسن بن دويده رأيت حاتم بن سعيد على هذا الاقتنا شمس فاربت بدرا \* راح ونديم

وابن بهرودس الذى له باليلة الوصل والسعود \* بالله عودى

وابن موهل الذى له \* ما العبد فى حلة وطاق \* وشم طيب

وانما العبد فى التلاقى \* مع الحبيب

وأبو اسحق الروينى قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول اندخل على ابن زهير وقد أسن وعليه زى البادية اذ كان يسكن بحصن استيه فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة فأنشد نفسه موشحة وقع فيها

كحل الدجى يجرى \* من دقلة الفجر \* على الصباح

ومعصم النهر \* فى حلال خضر \* من البطاح

فتحرك ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اخترت قال ومن تكون فقره فقال ارتفع قوائمه ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التى أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهير وقد عرفت موشحاته وغربت قال وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك فى التوشيح قال كنت أقول

ماللمولة \* من سكره لا يفيق \* بالله سكرانا

من غير خمر \* ماللكتيب المشوق \* يندب الاوطانا

هل تستعاد \* أيامنا بالخليج \* وليالينا

أونسبغاد \* من النسيم الأريج \* مسك دارينا  
 واد يكاد \* حسن المكان البهيج \* أن يحينبا  
 ونهر ظله \* دوح عليه أيق \* مورك فينان  
 والماء يجري \* وعام وغسريق \* من جنى الریحان  
 واشتهر بعده ابن حيون الذي له من الزجل المشهور قوله  
 تفوق بينهم كل حين \* بحاسب من يدوعين

وينشد في القصيد

ملقت ملج علمت راى \* فليس يحل ساع من قتال  
 ويعمل بنى العين منامى \* ما يعمل فينا بنى النبال  
 واشتهر معهم ما يومئذ بغرناطة المهر بن القرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله  
 لله ما كان من يوم بهيج \* بنهر حص على تلك المروج  
 ثم انعطفنا على فم الخليج \* نفص في حانه مسك الختام  
 عن عسجد زانه صافي المدام \* ورد الاصيل ضمه كف الظلام  
 قال ابن زهير كنا نحن عند هذا الرداء وكان معه في بلده مطرف \* أخبر ابن سعيد عن  
 والده أن مطرفا هذا دخل على ابن القرس فقام له وأكرمه فقال لا تفعل فقال ابن  
 القرس كيف لا أقوم لمن يقول

قلوب مصائب \* بألحاظ تصيب \* فقل كيف يبقى بلا وجد  
 وبعد هذا ابن جرمون بمرسية \* ذكر ابن الراسين أن يحيى الخزرجي دخل عليه  
 في مجلسه فأنشده موشمة لنفسه فقال له ابن جرمون لا يكون الموشع موشع حتى يكون  
 عاريا عن التكاف قال على مثل ماذا قال على مثل قولي

يا هاجري هل الى الوصال \* منك سبي — ل  
 أو هل ترى عن هو الكسالى \* قلب العلي — ل  
 وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة \* قال ابن سعيد كان والدي يعجب بقوله  
 ان سميل الصباح في الشرق \* عاد بجوراني أجمع الافق \* فتداعت نوادب الورق  
 أتراها خافت من الغرق \* فبكت سحرة على الورق  
 واشتهر بابن سبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل  
 ابن مالك يقول يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك  
 واحسرتا لزمان مضى \* عشيمة بان الهوى وانقضى  
 وأفردت بالرغم لا بالرضى \* وبت على جرأت الغضى



أعانق بالفكر تلك الطلول \* وألثم بالوهم تلك الرسوم  
قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الاستاذ أبا الحسن الزجاج موشحاته غير ماهرة  
فما سمعته يقول له الله ذلك الأفي قوله

قسما بالهوى لذى حجر \* مالميل المشوق من فجر  
نجد الصبح لير يطرد \* مالميلي فيما أظن غد \* صبح ياليل انك الابد  
أوقطعت قوادم النسر \* فنبجوم السماء لا تسرى  
ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حل صب ذي ضنى واكتئاب \* أمرضه يار يلناه الطيب  
عامله محبوبه باجتئاب \* ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب  
بفضا جفوني النوم لا كنى \* لم أبكه الا لقدنا لخيال  
وذا الوصال اليسوم قد غزنى \* منه كما شاء رساء الوصال  
فلست باللائم من صـدنى \* بصورة الحق ولا بالمثال  
واشتهر بين أهل العدو ابن خلف الجزايري صاحب الموشحة المشهورة  
يدا الاصباح قد قدحت \* زناد الانوار \* في مجامر الزهر  
وابن هزرا البجائي وله من موشحة

نغر الزمان موافق \* حياك منه باقتسام  
ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشيلية وسبقة من بعدها  
فتها قوله

هل درى ظبي الحمى أن قد حذى \* قلب صب حله عن مكس  
فهو في نار وضيق مثل ما \* لعبت ريح الصبا بالقبس  
وقد نصح على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب  
لعصره وقد مر ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث هما \* يا زمان الوصل بالاندلس  
لم يكن وصلك الاحلى \* في الكرى أو خلسة المختلس  
اذ يقول الدهر أسباب المنى \* تنقل الخطو على ماترسم  
زمر ابن فـرادى وثنى \* مثل ما يدعوا الوفود الموسم  
والحيا قد جلل الروض سنا \* فسنا الازهار فيه تبسم  
وروى النعمان عن ماء السما \* كيف يروى مالك عن أنس  
فكساه الحسن ثوبا معلا \* يزدهى منه بأهسى ملبس

في ليل ككت سراهوى \* بالدجى لولا شوس القدر  
 مال نجسم الكاس فيها وهوى \* مستقيم السير بعد الاثر  
 وطرفا فيه من عيب سوى \* انه متر كلج البصر  
 حين لذلوم دنا أوكما \* هجم الصبح فجوم الحرس  
 غارت الشهب بنا أوربما \* أثرت فينا عيون الترجس  
 أى شئ لامرئ قد خلاصا \* فيكون الروض قد كثر فيه  
 تنهب الازهار فيه الفرصا \* أمنت من مكره ما تنقيه  
 فاذا الماء تنابج والحصا \* وخلا كل خليل بأخيه  
 تبصر الورد غيورا بدما \* يكتسى من غنظه ما يكتسى  
 وزى الآس ليبيافه ما \* يسرق الدمع بأدنى فرس  
 يا أهيل الحى من وادى الغضى \* وبقلى مسكن أنتم به  
 ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا \* لا أبالي شرقه من غربه  
 فأعيدوا عهد أنس قدمفى \* تنقذوا عائدكم من كربه  
 واتقوا الله وأحبوا مفرما \* يتلاشى نفسا فى نفس  
 حبس القلب علىكم كرما \* أفترضون خراب الحبس  
 وبقلى فيكم ومقرب \* باحاديث المني وهو بعيد  
 قراطلع منه المغرب \* شقوة المقرى به وهو سعيد  
 قد تساوى محسن أو مذنب \* فى هواه بين وعد ووعد  
 ساحر المقله معسول الدمى \* جال فى النفس مجال النفس  
 سدد السهم وسمى ورمى \* بفؤادى نهبة المقترس  
 ان يهكن جارو خاب الامل \* وفؤاد الصب بالشوق يذوب  
 فهسول النفس حبيب أول \* ليس فى الحب لمحبوب ذنوب  
 أمره معقل متمثل \* فى ضلوع قد براهاوق لوب  
 حكم اللحظ بها فاحتكما \* لم يراقب فى ضعف الانفس  
 ينصف المظلوم من ظلما \* ويجازى البر منها والمسى  
 ما لقلبى كما هبت ميا \* عادة عبيد من الشوق جديد  
 كان فى اللوح له مكتبا \* قوله ان عذابي لشديد  
 جلب الهسم له والوصبا \* فهو لا شجان فى جهدهميد  
 لا عجب فى أضلعي قد أضرمما \* فهى نار فى هسم الميس

لم تدع من مهجتي الا الذما \* كبقاء الصبح بعد الغلس  
 سلمى بانفس في حكم القضا \* وامري الوقت برجعي ومتاب  
 واتركي ذكرى زمان قد مضى \* بين عيني قد تقضت وعتاب  
 واصرفي القول الى المولى الرضى \* ملهم التوفيق في أم الكتاب  
 الكريم المنتهى والمنتقى \* أسد السرح وبدر الجلاس  
 ينزل النصر عليه مثل ما \* ينزل الوحي بروج القدس  
 وأما المشاركة فالتكاف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن أحسن ما وقع لهم  
 في ذلك موشحة ابن سنا الملك المصرى اشتهرت شرقا وغربا وأولها  
 يا حبيبي ارفع حجاب النور \* عن العذار  
 تنظر المسك على الكافور \* في جلد السار

كالى يا سحاب تيجان الربى بالحلى \* واجعلى سوارها من عطف الجدول  
 ولشاع فن التوشيح في أهل الاندلس وأخذ به الجمهور اسلاسته وتميق كلامه وترصيع  
 أجزائه نجحت العاقبة من أهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضريّة  
 من غير أن يلتزموا فيها العرابا واستحدثوه فناسموه بالزجل والتزموا النظم فيه على  
 مناحيهم الى هذا العهد فخاف فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة بحال بحسب لغتهم  
 المستجبة \* وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قرمان وان كانت  
 قبلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر رحلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا في  
 زمانه وكان لعهد الملمنين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد ورأيت أزجاله  
 مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بجواضر المغرب قال وسمعت أبا الحسن بن جحدر  
 الاشيلي امام الزجالين في عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن  
 قرمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منزله مع بعض أصحابه فجلسوا تحت هريش  
 وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء من فيه على صفائح من الحجر مدرجة فتقال

وعريش قد قام على دكان \* بحال رواق  
 وأسد قد ابتلع ثعبان \* في غلظ ساق  
 وفتح فيه بحال انسان \* فيه الفواق  
 وانطلق يجري على الصفاح \* ولقى الصباح

وكان ابن قرمان مع أنه قرطبي الدار كثيرا ما يتردد الى اشيلية ويبيت بنهرها فاتفق أن  
 اجتمع ذات يوم جماعة من اعلام هذا الشأن وقد ركبوا في النهر للترفة ومعهم غلام  
 جميل الصورة من سروات أهل البلد ويوتهم وكانوا محتملين في زورق للصيد فنظموا



في وصف الحال وبدأ منهم عيسى البلبدى فقال

يطمع بالخلاص قلبي وقد فاقو \* وقد ضمو عشقو بسهم ما تو  
تراه قد حصل مسكين جلا تو \* فقلق ولذلك أمر عظيم صابا تو  
توخش الجفون الكحل اذا عا تو \* وذيك الجفون الكحل أبلاتو

ثم قال أبو عمرو بن الزاهر الاشيلي

نشب والهوى من ليل فيه نشب \* ترى اش كان دعاه يشق ويتعذب  
مع العشق قام في مالو يلعب \* وخلق كثر من ذا اللعب ما تو

ثم قال أبو الحسن المقرئ الداني

نهار ملج تجبني أوصافو \* شراب وملاح من حولي طافو  
والمعلمين يقولوا بصفافو \* والنوري أخرى بمقلا تو

ثم قال أبو بكر بن مرتين

الحق يريد حديث تعالى عاد \* في الواد الخبز والمنزة والصاد  
تتبه حيتان ذلك الذي يصطاد \* فلوب الوري هي في شيدكا تو

ثم قال أبو بكر بن قرمان

اذا شمرا كما مويرمها \* ترى النور يرشق لذيك الجيها  
وايس مراد وأن يقع فيها \* الا ان يقبـل يدبدا تو  
وكان في عصرهم بشرق الاندلس محاف الاسود وله محاسن من الزجل منها قوله  
قد كنت مشبوب واختشيت الشيب \* وردني ذا العشق لامر صعب  
يقول فيه

حين تنظر الخلد الشريف البهي \* تنتهي في الحمره الى ما تنتهي  
يا طاب الكيميا في عيني هي \* تنظر بها النفسه ترجع ذهب  
وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغيس وقعت له العجائب في هذه الطريقة فن قوله  
في زجله المشهور

ورذاذدق ينزل \* وشعاع لشمر يضرب  
فتري الواحد يفض \* وترى الآخر يذهب  
والنبات يشرب ويسكر \* والغصون ترقص وتطرب  
وتريد تجي النساء \* ثم تستحي وتهرب

ومن محاسن أزجاله قوله

لاح الضياء والنجوم عياري \* فقم بساتن زرع العكسل

شربت ممزوجا من قسراعا \* أحلى هي عندي من العسل  
 يا من يلينى ~~كما~~ تقلد \* قللك الله بما تقول  
 يقول بان الذنوب مولد \* وأنه يفسد العقول  
 لارض الخاز يكون لك ارشد \* اش ما ساقك لذا الفضول  
 مرأنت للحج والزيارا \* ودعنى في الشرب منه مل  
 من ليس لو قدره ولا استطاعا \* النية ابلغ من العمل  
 وظهر بعده هؤلاء باشيلية ابن جحدر الذى فضل على الزجالين في فتح ميورقة بالزجل الذى  
 أوله هذا

من عائد التوحيد بالسيف يحق \* أنا يرى من يعاند الحق  
 قال ابن سعيد اقبته ولقيت تليذه المع مع صاحب الزجل المشهور الذى أوله  
 يا ليتنى ان رأيت حبيبي \* أقبل اذنوب الرسيلا  
 ليس أخذ عنق الغزير \* وأسرق فم الخيلا  
 ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم له هذه العصور  
 صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر في المله الاسلامية من غير  
 مدافع من محاسنه في هذه الطريقة

امزج الاكواس واملاى تجدد \* ما خلق المال الا أن يتدد  
 ومن قوله على طريقة الصوفية وينحومنى الشترى منهم  
 بين طلوع ونزول \* اختلطت بالغزول \* ومضى من لم يكن \* وبقي من لم يزول  
 ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى  
 البعد عنك يا بنى أعظم مصابي \* وحين حصل لي قربك نسيت قرابي  
 وكان لعهمر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادى آش وكان  
 اماما في هذه الطريقة وله من زجل يعارض به مدغيس في قوله  
 لاح الضياء والنجوم حيارى \* بقوله

حل المجنون يا أهل الشطارا \* مذحلت الشمس بالحل  
 جددوا كل يوم خلاعا \* لا تجمعوا اسمها على  
 اليها يتخلعوا في سبيل \* على خضرة ذاك النبات  
 وصل بغداد واجتياز النيل \* أحسن عندي في ذيك الجهات  
 وطاعتها أصلح من اربعين ميل \* ان مررت الريح عليه وجات  
 لم يلتق الغيم نارا مارا \* ولا بقدر ما يكحل

وكيف ولا فيه موضع رقاعا \* الاويسرح فيه التحمل  
وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العاتقة بالاندلس من الشعر وفيها تظههم  
حتى انهم اينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العاتقة وبهونه الشعر  
الزجلى مثل قول شاعرهم

لى دهر بعشق جفونك وسنين \* وانت لاشقة ولا قلب يلين  
حتى ترى قلبي من أجلك كيف رجع \* صنعة السكة ما بين الحدادين  
الدموع ترشش والنار تلتهب \* والمطارق من شمال ومن عين  
خلق الله النصارى للغة — زو \* وانت تغزوفى قلوب العاشقين  
وكان من المجيدى لهذه الطريقة لا قول هذه المائة الاديب أبو عبد الله الالوسى وله  
من قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الاحمر

طل الصباح قم ياندعى شربوا \* ونضجكم من بعدما تطربوا  
سبيكة الفجر أحتل شققا \* فى ملىق الليل وقوم قلبه  
ترى غبارا خالص أبيض نقي \* فضة هو لك كن الشفق ذهبو  
وسقوا — كتموا عند البشر \* نور الجفون من نورها تكسبو  
فهو النهار يا صاحبي للمعاش \* عيش الفقى فيه بالله ما أطيبو  
والليل نصال للقبل والعناق \* على مرير الوصل يتقابو  
جاد الزمان من بعدما كان بخيل \* واش كفتله من بربه عقر بو  
كما جرع مر وفيما قدمضى \* يشرب سواه وياكل كل طيبو  
قال الرقيب يا أدبا لا شذا \* فى الشرب والعشق ترى تحبو  
وتعجبوا عذلى من ذا الخبر \* قلت يا قوم مما تتعجبوا  
يعشق مليح الارقيق الطباع \* علاش تكفروا بالله أو تكتنبوا  
لبس يريح الحس الاشاعر أديب \* يفض يكر و يدع ثيبو  
اما الكاس فحرام نعم هو حرام \* على الذى ما يدري كيف يشربوا  
ويد الذى يحسن حسابه ولم \* يقدر يحسن الفاظ أن يجلبوا  
وأهل العقل والفكر والمجون \* يغفرونوهم — لهذا ان أذنبوا  
ظبي بهى فيها يطفى الجمر \* وقلبي فى جمر الغضى يلهبو  
غزال بهى ينظر قلوب الاسود \* وما لهم قبل النظر يذهبوا  
ثم يحيبهم اذا ابتسم يضحكوا \* ويفرحوا من بعدما يندبوا  
فويم كالحاتم ونغر نقي \* خطيب الامّة لا قبل يخطبو



جوهر و مرجان أى عقد يا فلان \* قد صدقه الناظم ولم يتقبو  
 وشارب يا خضر يزىد لاش يزىد \* من شبهه بالمسك قد عيبو  
 يسبل دلال مثل جناح الغراب \* لبالى هجرى منه يستغربوا  
 على بدن أبيض بلون الحليب \* ما قط راعى لغفـنـم يحلبو  
 وزوج هندات ما علمت قبلها \* ديك الصلا ياريت ما أصلبو  
 تحت العكاكن منها خصر رقيق \* من رقتو يخفى اذا نطلبو  
 أرق هو من دنى فيما تقول \* جديد عتبك حق ما أكذبو  
 أى دين بقالى معاك أى عقل \* من يتبعك من ذا وذا تسلبو  
 تحمل ارداف ثقال كالقريب \* حين ينظر العاشق وحين يرقبو  
 ان لم يتفس غدر أو ينقشع \* فى طرف ديسا والبشر تطلبو  
 يصير ليك المكان حين تجى \* وحين تغيب ترجع فى عيني تبو  
 محاسنك مثل خصال الامير \* أو الرمل من هو الذى يحسبو  
 عماد الامصار وفصح العرب \* من فصاحة لفظه يتقربوا  
 بحمل العلم انفرد والعمل \* ومع بديع الشعر ما أكذبو  
 فى الصدر بالرح ما أطعمه \* وفى الرقاب بالسيف ما أضربو  
 من السماء يحسد فى أربع صفات \* فمن يعتد قلبى أو يحسبو  
 الشمس نور والقمر همتو \* والغيث جود ووالنجوم منصبو  
 يركب جواد الجود ويطلق عنان \* الاغنيا والجند حين يركبوا  
 من خلعتو يلبس كل يوم بطيب \* منه بنات المعالي تطيبوا  
 نعمة وتظهر على كل من يجيه \* قاصد ووارد قط ما خيبوا  
 قد أظلم الحق وكان فى حجاب \* لاش بقدر الباطل بعد ما يحجبو  
 وقد بنى بالسرى ركن التقي \* من بعد ما كان الزمان خربو  
 تخاف حين تلقاه كما ترجيه \* فمع سماحة وجهه ما أسيبو  
 يلقى الحروب ضاحكا وهى عابسه \* غلاب هو لاشى فى الدنيا يغابو  
 اذا جبد سيفه ما بين الردود \* فليس شئ يغنى من يضربو  
 وهو سمى المصطفى والاله \* لاساطنة اختاروا واستخبو  
 تراه خليفة أمير المؤمنين \* يقود جيوش ويزين موكبو  
 لذى الامارة تخضع الرؤس \* نعم وفى تقبيل يديه يرغبوا  
 بينة بى بدور الزمان \* يطلعوا فى المجد ولا يغربوا

وفي المعالي والشرف يعدو \* وفي التواضع والحياء يقربو  
 والله يقيهم ما دار الفلك \* وأشرق شمسهم ولاح كوكبو  
 وما يغني ذا القصيد في عروض \* يا شمس خسر مالها مغربو  
 ثم استحدث أهل الامصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض من دوجة كالموشح  
 نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه عروض البلد وكان أقول من استحدثه فيهم  
 رجل من أهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم  
 يخرج فيها عن مذاهب الاعراب مطلعها

أبكاني بشاطئ النهر نوح الحمام \* على الغصن في البستان قريب الصباح  
 وكف السحر بمحومداد الظلام \* وماء الندى يجري بشجر الاتحاح  
 باكرت الرياض والطفل فيها افتراق \* مرّ الجواهر في فحور الجوار  
 ودمع السواغر ينهرق انهراق \* يحاكي نعاين حلفت بالثمار  
 لوو بالنعصون خلت على كل ساق \* ودار الجميع بالروض دور السوار  
 وأبدى الندى تغرق جيوب الكمام \* ويحمل نسيم المسك عنها رياح  
 وعاج الصبا يطلي بمسك الغمام \* وجرت النسيم ذيلو عليها وفاح  
 رأيت الحمام بين الورق في القصب \* قد ابتلت أرياشو بقطر الندى  
 تنوح مثل ذلك المستهام الغريب \* قد التفت من توبوا الجديدي في ردا  
 ولكن بما أجرو ساق وخضب \* ينظم سلوك جواهر ويتقلدا  
 جلس بين الأغصان جلسة المستهام \* جناحا توسد والتوى في جناح  
 وصار يشكي ما في الفؤاد من غرام \* منها ضم منقاره لصدرة وصاح  
 قلت يا حمام احرمت عيني الهجوع \* أراك ما تزال تبكي بدمع سفوح  
 قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع \* بلا دمع نبتى طول حياتي تنوح  
 على فرخ طار لي لم يكن لورجوع \* ألفت البكا والحزن من عهد نوح  
 كذا هو الوفاء وكذا هو الزمام \* انظر جفون صارت بحال الجراح  
 وانتم من بكى منكم اذا تم عام \* يقول عناني ذا البكا والنواح  
 قلت يا حمام لو خضت بحر الضنى \* كنت تبكي وترني لي بدمع هتون  
 ولو كان بقلبك ما بقلبي أنا \* ما كان يصير تحتك فروع الغصون  
 اليوم نقاسي الهجر كم من سنا \* حتى لاسبيل جملة تراني العيون  
 وما كسا جسمي التحول والسقام \* أخفاني نحو لي عن عيون اللواح  
 لو جئني المنيا كان يموت في المقام \* ومن مات بعد دياق لم لقد استراح

قال لي لورقدت لاوراق الرياض \* من خوفي عليه ودالنفوس لافؤاد  
وتخضبت من دمي وذالك البياض \* طوق العهد في عسقي ليوم التناد  
أما طرف منقاري حديث واستفاض \* باطراف البلد والجسم صار في الرماد  
فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من  
شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفعل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكارى  
والمعبة والغزل واختلفت أسماءها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها فن  
المزدوج ما قاله ابن شجاع من فحولهم وهوم من أهل تازا

المال زينة الدنيا وعز النفوس \* يبهى وجوها ليس هي باهيا  
فها كل من هو كثير الفلوس \* ولوه الكلام والرتبة العاليا  
يكبر من كثر ما لو لو كان صغير \* ويصغر عزيز القوم اذ يفتقر  
من ذا ينطبق صدرى ومن ذا يصير \* يكاد يتققع لولا الرجوع للقدر  
حتى يلجى من هو فى قومو كبير \* لمن لا أصل عند ولا لخطر  
لذا ينبغي يحزن على ذى العكوس \* ويصبغ عليه توب فراش صافيا  
اللى صارت الاذنان امام الرأس \* وصار يستفيد الواد من الساقيا  
ضعف الناس على ذا وفسد ذا الزمان \* ما يدروا على من يكثر واذا العتاب  
اللى صار فلان يصبح يا بوفلان \* ولورايت كيف يرذ الجواب  
عشنا والسلام حتى رأينا عيان \* أنفاس السلاطين فى جلود الكلاب  
بكار النفوس جدا ضعاف الاسوس \* هم ناحيا والمجد فى ناحيا  
يروا أنهم والناس يروهم تيوس \* وجوه البلد والعمدة الراسيا  
ومن مذاهبهم قول ابن شجاع منهم فى بعض من دوجاته

تعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان \* اهل يافلان لا يلعب الحسن فيك  
ما منهم ملج عاهد الاوخان \* قليل من عليه تجبس ويحبس عليك  
يهبوا على العشاق ويتنعوا \* ويستعمدوا تقطيع قلوب الرجال  
وان واصلا من حينهم يقطعوا \* وان عاهدوا خاوعا على كل حال  
ملج كان هو يتو وشت قلبى معو \* وصيرت من خذى لقدمو نعال  
ومهدت لومن وسط قلبى مكان \* وقلت لقلبي اكرم لمن حل فيك  
وهون عليك ما يعتريك من هوان \* فلا بد من هول الهوى بعتريك  
حكمتوا على وارتضيت بؤامير \* فلو كان يرى حالى اذا يصرو  
يرجع مثل درحولى بوجه الغدير \* مرديه ويتعطس بحال انحرورا



وتعلت من ساعا بسبب الضمير \* ويقفهم مراد وقيل أن يذكرو  
 ويحتفل في مطلو ولوان كان \* عصر في الربيع أو في الليالي يرين  
 ويمشي بسوق كان ولوا بصبهان \* وايش ما يقل يحتاج يقل لويحيك  
 حتى أتى على آخرها \* وكان منهم علي بن المؤذن سلمان \* وكان لهذه العصور القرية من  
 فلولهم بزدهون من ضواحي مكاسة رجل يعرف بالكفيف أبدع في مذاهب هذا الفن  
 ومن أحسن ما علق له بحفظه في قوله في رحلة السلطان أبي الحسن وبني مرين إلى  
 إفريقية يصف هزيمتهم بالقيروان ويعزيهم عنها ويونسهم بما وقع اغيهرهم بعد أن  
 عيهم على غزاتهم إلى إفريقية في ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتحتها وهو  
 من أبدع مذاهب البلاغة في الأشعار بالمقصد في مطاع الكلام واقتناحه ويسمى  
 براعة الاستهلال

سبحان مالك خواطر الامرا \* ونواصيا في كل حين وزمان  
 ان طعننا عطفهم لنا قسرا \* وان عصينا عاقب بكل هوان  
 إلى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التلخص

كن مرعى قل ولا تكن راعى \* فالراعى عن رعيته مسؤول  
 واستفتح بالصلاة على الداعي \* للاسلام والرضا السني المكمول  
 على الخلفاء الراشدين والاتباع \* واذكر بعدهم اذا تحب وقول  
 أجباجا تحللوا الصبرا \* ودواسرح البلاد مع سكان  
 عسكر فاس المنيرة الغرا \* وين سارت بو عزائم السلطان  
 أجباجا بالنبي الذي زرتهم \* وقطعتم لوكلا كل البيدا  
 عن جيش الغرب حين يسألكم \* المتلوف في إفريقية السودا  
 ومن كان بالعطايا يزودكم \* ويندع بربة الجازر غدا  
 قام قل للسد صادف الجزرا \* ويعجز شوط بعد ما يحقان  
 ويرف كردوم وتهب في الغبرا \* أي ما زاد غزاهم سبحان  
 لو كان مابين تونس الغربا \* وبلاد الغرب سد السكندر  
 مبني من شرقها إلى غربا \* طبقا بحديد او ثانيا بصفر  
 لا بد الطير أن تجيب نبا \* أو يأتي الريح عنهم بفرد خبر  
 ما أعوصها من أمور وماشرا \* لو تقرا كل يوم على الديوان  
 لجرت بالدم وانصدع حجرا \* وهوت الخراب وخافت الغزلان  
 أد ولي بعقلك الفحاص \* وتفكر لي بخاطر كجها

ان كان تعلم جام ولا رفاص \* عن السلطان شهر وقبله سبعا  
 تظهر عند المهين القصاص \* وعلا مات قشر على الصما  
 الاقوم عاريين فلا ستر \* مجهولين لا مكان ولا امكان  
 ما يدروا كيف يصوروا كسرا \* وكيف دخلوا مدينة القيروان  
 أمولاي أبو الحسن خطينا الباب \* قضية سبينا الى تونس  
 فقنا كما على الجريد والزاب \* واش لك في اعراب افريقية القويس  
 ما بلغك من عمر قتي الخطاب \* الفاروق فاتح القرى المولس  
 ملك الشام والحجاز وتاج كسرى \* وفتح من افريقيا وكان  
 ودولت لو كثره ذكرى \* ونقل فيها تفرق الاخوان  
 هذا الفاروق مردى الاعوان \* صرح في افريقيا بالتصريح  
 وبقت حسي الى زمن عثمان \* وفقها ابن الزبير عن تصحيح  
 لمن دخلت غنائها الديوان \* مات عثمان وانقلب علينا الريح  
 واقترب الناس على ثلاثة أمرا \* وبقي ما هو للسمكوت عنوان  
 اذا كان ذا في مدة البرا \* اش نعمل في أواخر الازمان  
 وأصحاب الحضرة مكاسانا \* وفي تاريخ كائنا وكبوانا  
 تذكري في صحتها آياتنا \* شق وسطح وابن مرانا  
 ان مريم اذا تكفيراياتنا \* بلدا وتونس قد سقط بناينا  
 قد ذكرنا ما قال سيد الوزراء \* عيسى بن الحسن الرفيع الشأن  
 قال لي رايته وانابذا أدري \* لكن اذا جاء القدر عمت الاعيان  
 وبقول لك مدهى المرينيا \* من حضرة فام الى عرب دياب  
 أراد المولى بموت ابن يحيى \* سلطان تونس وصاحب الابواب  
 ثم أخذ في ترحيل السلطان وجيوشه الى آخر رحلته ومنتهى أمره مع اعراب افريقية  
 وأتى فيها بكل غريسة من الابداع وأما أهل تونس فاستعدوا في الملعبه أيضا على لغتهم  
 الحضرية الآن أكثره ردى ولم يعلق بمحفوظي منه شيء لردائه \* وكان لعامة بغداد  
 أيضا فن من الشعر يسمونه المواليا وتحتونه فنون كثيرة يسمون منها القوما وكان وكان  
 ومنه مفرد ومنه في بيتين ويسمونه دويت على الاختلافات المعبرة عندهم في كل واحد  
 منها وغالبها من دوجة من أربعة أعصان وتبعهم في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها  
 بالغرائب وتجرأ فيها في أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاءوا بالعجائب  
 ومن أعجب ما علق بمحفظي منه قول شاعرهم

هذا جراحى طريا \* والحمد لمنقح  
وقا تلى يا أخيا \* فى القلايح  
قالوا وناخذ بشارك \* قلت ذا أجمع

ولغيره

طرقت باب الخبا قالت من الطارق \* فقلت مفتون لانا هب ولا سارق  
تبسمت لاح لى من تغرها بارق \* رجعت حيران فى بحر ادمى غارق

ولغيره

عهدى بها وهى لا تأمن على البين \* وان شكوت الهوى قالت قد نك العين  
لمن تعنى لها غيرى غليم زين \* ذكرتها العهد قالت لك على دين  
ولغيره فى وصف الحشيش

دى خمر صرف التى عهدى بها باقى \* تغنى عن النمر والنمار والساقى  
خبا ومن خبها تعمل على احراقى \* خبيتها فى الحنى طلت من احداق

ولغيره

يامن وصالولا طفال المحبة مع \* كم توجد القلب بالهجران اقوه أح  
أودعت قلبى حو-و والتصريح \* كل الورى كخ فى عبنى وشخصك دح

ولغيره

ناديتها ومشيتى قد طوانى طى \* جودى على بقبله فى الهوى باهى  
قالت وقد لى كوت داخل فوادى كى \* ما هكذا القطن يحشى فتم من هو حى

ولغيره

رانى ابسم سبقت سحب ادمى برقه \* ما ط اللثام تبرى بدر فى شرقه  
اسبل دجى الشعر تاه القلب فى طرفه \* رجع هذا بانجيط الصبح من فرقه

ولغيره

يا حادى العيس ازجر بالمطاي ازر \* وقف على منزل احبابى قبيل القبر  
وصبح فى حيم-م يامن بريد الاجر \* ينهض يصلى على ميت قبيل الهجر

ولغيره

عبنى التى كنت أوعا كم بها باتت \* ترى النجوم وبالتسهمة اقتات  
وأسهم البين صابنى ولا فاتت \* وسلوى عظم الله أجر كم ماتت

ولغيره

هويت فى قنطر تكم ياملاح الحكر \* غزال يلى الاسود الضار يابا الفكر



غصن اذا ما انتفى يسبي البنات البكر \* وان تهال فما اللبد وعند ذكر  
ومن الذي يسمونه دويت

قد أقسم من أحبه بالبارى \* أن يبعث طيفه مع الاسحار  
يا نار شويقي به فاتقدي \* ليلافعساه يهتدي بالنار

واعلم أن الاذواق في معرفة البلاغة كلها انما تحصل بان خالط تلك اللغة وكثراستعماله  
لها ومخاطبته بين أجيالها حتى يحصل ما كتبها كما قلناه في اللغة العربية فلا الاندلسي  
بالبلاغة التي في شعراهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعراهل الاندلس  
والمشرق ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعراهل الاندلس والمغرب لان اللسان  
الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق محاسن  
الشعر من أهل جلدته وفي خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم  
آيات \* وقد كدنا أن نخرج عن الغرض وعزمن أن نقبض العنان عن القول في هذا  
الكتاب الاول الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله  
ما حسبناه كفاية ولعل من يأتي بعدنا عن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص  
من مسائله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه  
تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده  
شأفا شيئا الى أن يكمل والله يعلم وأنتم لا تعلمون

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التنقيح  
والتهذيب في مدة خمسة أشهر آخرها منتصف تمام تسعة وسبعين وسبعمائة ثم نقحته بعد  
ذلك وهذبته وألحقت به تواريح الامم كما ذكرت في أوله وشرطته وما العلم الامن عند  
الله العزيز الحكيم

تم طبع الجزء الاول المعروف بمقدمة ابن خلدون

ويليه الجزء الثاني أوله الكتاب الثاني في

اخبار العرب وأجيالهم ودولهم

منذ مبدأ الخليقة

الى هذا

العهد





# DUE DATE

JUL 26 1993

AUG 23 1993

AUG 23 1993

SEP 20 1993

OCT 18 1993

OCT 11 1993

201-6503

Printed  
in USA



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0023707550

893.713

ø6751911

Ib3

1

FEB 10 1936



